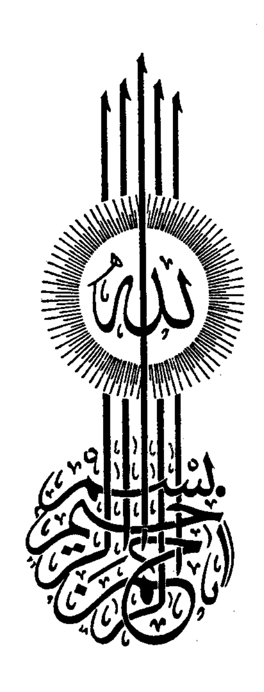
ملحمة عيد الرياض

(ملحمة العرب)

بولس سلامة




بسم الله الرحمن الرحيم

تم طبع هذه الملحمة على:
مطابع القوات المسلحة السعودية
بأمر وزير الدفاع والطيران والمفتش العام
رقم ١٩٦٢/١/١/١ وتاريخ ١٤٠٨/٧/٤ هـ

بين يدي : ملحمة عيد الرياض

هذه ملحمة عيد الرياض دبجها يراع شاعر نصراني ملتزم بقضايا أمته العربية والحضارة العربية والإسلامية !

وهي ملحمة بناء هذا الكيان الكبير « المملكة العربية السعودية » الذي بناه وأقام وحدته وأزال الصخور من طريقه الإمام المجاهد الملك عبدالعزيز آل سعود يرحمه الله !

وقصة بناء هذا الكيان الكبير ملحمة بطولية لفتت انتباه واعجاب كل منصف ، وتحدث عنها كتاب ومفكرون أمريكيون وأوروبيون ومسلمون وعرب مسيحيون ... وكان شأنها في ذلك شأن كل الملاحم التى تجد إعجاباً بالبطولة على المستوى الإنساني العام ...

وقد علمنا أن محاولات إبراز الملاحم ومعالجة جوانبها البطولية إنما هي محاولات قديمة تألقت على يد الأغريق في العصر الأثيني ، ثم بقى لها ظلال ـــ على نحو خافت ـــ في العصر الروماني !

أما محاولات الوقوف عند الظواهر البطولية ، فهى محاولات إنسانية مستمرة في التاريخ تتجاوز الحدود الإقليمية الجغرافية والتاريخية والدينية ، وترصد البطولة كيف كانت وأنى كانت ... ولعل من أواخر هذا الرصد ما قام به توماس كالالايل في كتابه (البطولة والأبطال) ونسج على منواله الدكتور أحمد الحوفي في كتاب عن البطولة أيضا ... وان لم تكن مقاييسه للبطولة ، والنماذج التى اختارها ، مستوى المقاييس العامة للبطولة ... ثم جاء كتاب (مايكل هارت) حول (العظماء مائة) (أولهم محمد عليه الصلاة والسلام) شهادة من رجل امريكي نصراني على عظمة محمد نبي الإسلام ، ثم في الوقت نفسه ـــ رصدا لأعظم بطولات التاريخ الإنسانى كله بصرف النظر

عن الدين واللون والجنس والوطن ... ومن الإنصاف الذي يحمد للمؤلف ــ وهو الأمريكي النصراني ــ أن ينجح في تجاوز رواسب العنصريات والتحيزات ويلتزم بالمقاييس الموضوعية ــ ثم يعلن النتيجة ــ ولو كانت على حساب معتقده وموروثه الحضاري ــ فيجعل محمداً نبينا عليه الصلاة والسلام هو الأول والأعظم في التاريخ الإنساني كله ... وهي نتيجة صحيحة مائة في المائة ..

آمن بها المسلمون « عن عقيدة » منذ خمسة عشر قرنا .. وآمن بها المؤرخون المنصفون والمحللون ورصدوا البطولة (عن علمية) كلما التزموا بموضوعية المنهج ، ومنهجية العلم الصحيح ! فليس غريباً أن يرصد شاعر نصراني عربي بطولة الملك عبدالعزيز ، وليس غريبا ــ وهو ينتمي لحضارة الإسلام التي تستوعب النصارى المخلصين ــ أن يحسن التعبير عن ظاهرة بطولية من ظواهر حضارتنا الإسلامية المعاصرة ، وهي ظاهرة قيام رجل فرد ليس معه من المال شيء وليس معه من الرجال إلا قلة لا يملكون الا بعض الجمال وبعض الاسلحة البدائية ... وبهؤلاء وبهذه الإمكانات يفتح الرياض .. وينطلق من (هذه الإمكانات) البدائية ليوحد ويبني دولة مترامية الأطراف تقترب مساحتها من مساحة أوروبا ...

والشاعرية والبطولة تجمعهما جاذبية خاصة .. فهما قطبان موجب وسالب ، وللشاعرية احساسها الخاص بالبطولة ، فهي منجذبة إليها مندفعة نحوها ، متجاوزة في سبيلها عقبات الضباب في رؤية نقية من الرواسب العصبية العنصرية ...

والحق أن صاحب (ملحمة عيد الرياض) شاعر بيقين ، وانجذابه للملحمة بطولة عبدالعزيز (ملحمة عيد الرياض) هو انجذاب طبيعي عفوى دفع إليه دفعا ، بل اندفع إليه مأخوذاًبهذه الروح البطولية التي تلقفها القاصي والداني ، وكانت تتحدث عنها الركبان على امتداد عالم العروبة والإسلام تعويضا عن الآلام التي كانت تمزق الأمة العربية في ذلك والوقت ــ ولا زالت ــ وأملًا في مستقبل لعله ينطلق من الأرض المباركة فيعيد للعرب وحدتهم وللحضارة الاسلامية العربية ريادتها ومكانتها !

وإذن فلا غرابة أن يؤخذ الشاعر بروح الفروسية والأمجاد وأن تطربه الشمائل الأخلاقية في دين قومه العرب وهو المنتمي لأصول قبيلة من بنى (تميم) التي انفصل عنها ذووه بالهجرة إلى

جبل لبنان الأشم في غابر الزمن . ولم تكن الاندفاعية العاطفية أو (الشاعرية) هى أثمن أرصدة الشاعر ، في هذه الملحمة بل كانت ذخائره الفنية الأدبية هى أثمن هذه الأرصدة !

ومعروف أن شعر الملاحم في القديم أو الحديث لا يقوى عليه ولا يتصدر له إلا جهابذة كبار يملكون النفس الشعري الطويل ، ويقدرون على إخضاع الوزن والقافية للمضمون ولا يرتكبون ما يرتكبه شعراء النظم من اخضاع المضمون الشعرى للوزن والقافية ...

ومعروف أنه مع بروز الضحالة الأدبية والسطحية الشعرية قد ندر أصحاب هذه الملكات وعزوا فلانكاد نعرف منهم الا أقل القليل بعد جيل شوقي وحافظ وابن عثيمين وشاعر ملحمة الإسلام (أحمد محرم) .. بل ـــ على العكس من ذلك ظهرت مجموعة من الأغرار الذين يحملون إلحادا في عقولهم ، وحقدا على أمتهم وجدورها في قلوبهم ، وسذاجة في أفكارهم ورغبة جامحة في أن يظهروا على السطح ويكونوا شيئا ، مع أنهم ـــ عند المقاييس الصحيحية لا يستطيعون أن يكونوا شيئا مذكورا .. ! !

ظهرت هذه المجموعة وتلقبت بالحداثة وتسمت (بالحداثيين) وتنكرت لكل مضمون شعرى إسلامي ، وانساقت وراء الباطني المرتد (أدونيس) ومن على شاكلته وحاربت الشعر العربي قصائد وملاحم ـــ وأتتنا بكلام غامض تافه لا يحسن أن يكون شعرا أو نثرا ... وأجزم بأن كاتبيه لايفهمون منه شيئا لأنه مجرد هذيان محموم لصغار أغرار !!

فأين هؤلاء من صاحبنا مؤلف هذه الملحمة (بولس سلامه) وأين هم من ملحمة الإسلام والعروبة وأمثالها ؟ !!

وأين القدرات من القدرات والثقافة من الثقافة ؟ !! بل أين الالتزام من الالتزام ... فهذا مسيحي سار على درب المسيحي المصرى مكرم عبيد الذي كان يقول : (أنا مسيحي دينا مسلم وطنا) وهؤلاء الحداثيون ساروا على درب التغريب .. فألسنتهم كألسنتنا ويحسبهم البعض منا .. وما هم من الإسلام والعروبة في شيء !!

لقد كان الملك فيصل رحمه الله سباقا في فهم القيمة الحقيقية لهذه الأعمال الملحمية

الرائعة ، ولقد عبر في لقائه مع المؤلف أبان زيارته للرياض عام ١٣٨٥ هـ عن حاسة فنية راقية ... تتهاوى إلى جانبها هذه الرؤى الفنية العاجزة التى تسمى بالحداثة المطروحة اليوم في سوق النثر الشعري أو الشعر النثري على حد سواء ..

ولندع المؤلف يحكي لنا هذه اللقطة التاريخية الرائعة عندما التقى بالملك فيصل الشهيد رحمه الله ، وتحدثا عن (ملحمة عيد الرياض) .

يقول المؤلف :

في خريف سنة ١٩٦٥ م أبديت رغبتي في السفر إلى الرياض لكي أسلم على صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز . وبعد أيام جاء الجواب الملكي مرحبا .

وتشرفت بالمثول بين يدي جلالته في قصر الرئاسة بالرياض ، فكانت ساعة مكوكبة في حياتي لما غمرني به جلالته من لطف وثناء.ومما زاد في غبطتي أن صاحب السمو الملكي الامير عبدالله بن عبد الرحمن عم صاحب جلالة الملك قد شهد تلك الجلسة . فشرع صاحب الجلالة يبين له مكانة ملحمة عيد الرياض ومما قاله ان الذين شهدوا الوقائع لم يدركوها بأبصارهم كما أدركها بولس سلامة بخياله ، وأنه عرف عن عبدالعزيز بحدسه فوق ما عرف المقربون إليه . فايقنت أن جلالته تفضل فأطلعها وأمعن في استجلائها ، فصح عندي أن عبقرية فيصل العرب تتجاوز الدراية السياسية والبطولة الحربية إلى الشعور بالبيان الجزل ، فلقد رأى ببصيرته النافذة أن ملحمة عيد الرياض جزء لا ينفصل عن تراث المملكة العربية السعودية ، وأن هذه الرائعة كما سماها جلالته تعلم الأدب وتوقظ البطولات ومكارم الأخلاق فضلا عن التاريخ الذى يستطاع حفظه شعراً ، لأن النثر لا يغني عن القريض شيئاً في مثل هذا المقام ، إذ الشعر بالذكرة أعلق وإلى الأفئدة أقرب ، يتغنى به الطالب والمسافر والمقيم ، ويطرب له السامع فيجري على الألسنة أمثالا ويشحذ الخواطر فتنفتح على آفاق لا قبل للنثر بها .

وما خفي على جلالة الفيصل أن هذا الأثر الفريد ، بالنسبة للأقطار العربية منطلق ثقافة ومعين فائدة للقراء ، وهو كنز جوهري بالنسبة للمملكة العربية السعودية إذ يندمج في حياتها وقوميتها وتاريخها . وأن هذا الضرب من الشعر الذي يجسد البطولات على كل صعيد جدير بإقبال النشء السعودي ، إذ يعصم الشباب الطالع من التخنث والانفلاتيه والفوضى العقلية ، ولا سيما

في هذه الحقبة المحمومة من التاريخ إذ تدنت القيم وقامت فئات معلومة تسمم الأفكار وتضل العقول بمختلف الأساليب ، تارة عن طريق الصحف المأجورة وطوراً عن طريق الإذاعات التى نذرت نفسها لتشويه الحقائق .

وانما المعرفة الصحيحة كفيلة بالوقاية من جراثيم الشر ، وإقامة الوطنية الصادقة على تاريخ مجيد ، وكيان عريق لا يقوى على تصديعه الذين في قلوبهم مرض ،إذ تدعمه المحبة المرتكزة على المعرفة ، ولا يخفى ان الانسان عدو لما جهل .

ولا زالت الأسرة السعودية بعد الفيصل الشهيد تتحمل مسئوليتها الإسلامية والتاريخية على الدرب نفسه منذ (أبو تركي) وحتى (خادم الحرمين الشريفين) .. !

وفي نهاية المطاف حول هذه الملحمة أحب أن أقول إنه على الرغم من مسيحية المؤلف فإن ملحمته هذه هى قبس من روح الحضارة العربية الإسلامية التى تشع بالإيحاءات الخاصة بهذه الحضارة وتكاد تلمح بين الأبيات روح التوحيد الخالص وروح الانتماء للقضايا الإسلامية ولرموز التاريخ الإسلامي العظيم .

يقول في هذه الملحمة :

بدر يا مستهل خير جهـــاد — عـــز فيـــه الحنيـــف والحنفـــاء
(فحـــنين) و (خيـــبر) وزبيـــد — تبـــع ، كـالغنـــى يليـــه الـــثراء
تتبـــع المطلـــع البديـــع القـــوافي — فتـــتم القصيـــدة العصمـــاء
وتسامـــى النبـــى للمـــلأ الأعلى — وسارت في نوره الخلفـــاء
يملكـــون الدنيـــا ويـــرضون منها — بيسير : فلقمـــة وكســـاء
وإذا تكبر النفـــوس ، فمـــا — الأجسام الا مطيـــة هوجـــاء
تنقـــى بالعنـــان مداً وجـــزرا — ويـــدال الامســـاك والارخـــاء
ســـل عليـــا بها يجـــبك حـــكيم — نهلت مـــن معينـــه الحكمـــاء
سل ولي البيان ، وهـو أمـير الزهـد ، — ان كان للتقـــى أمـــراء
سـائل بن الخطـاب عن ثوبـه البـالي — يجـــبك الرهبـــان والحبســـاء

وفي مجال التعبير عن القضايا الإسلامية والوطنية يقول :

ما لصهيون في فلسطين حق — دنس المنزلون والنزلاء
أوهلت عن رضيعها كل أم — واستبدت بالمترفات الاماء

ويقول أيضا :

ما لصهيون في النبيين عرق — فالنبيون منهم أبرياء
قوم لوط وماهم أهل موسى — ضيعوا القبر فاستحال الثواء

وقد احسن الشاعر لستخدام الاستعارات البلاغية على اختلافها :

لجأ الترك للحصون وأصلوا — مدفعا كان مثلهم فزعانا
انقذ الفاتح الأمير رسولا — يمنح الترك إن يشاء الأمانا
قل لهم : نارهم ضياء سراج — لو هوى في جفوننا ما كوانا

وأما الروائع التى اثبتت كالدررفي هذه الملحمة البالغة نحو ستمائة صفحة تتحدث عن التاريخ السعودي وعن الملك عبدالعزيز وتصف مواقفه فهى روائع تستحق الإكبار إذ تشكل في حد ذاتها صورة متناغمة الأطراف منسجمة الحكمة في حياة هذا البطل العظيم .

وحسبنا من تلك الدوحة ورودها التى تبلغ المئات في نهاية الملحمة ...

إن للخالدين في كل أرض — وزمان رعية وعوالم
ولهم في الوجود من مشرق الشمس — إلى مغرب الضياء عواصم
فكريم النضار معدنه الأصيل ، — فلا يسألون : أين المناجم
انت عبدالعزيز موطنك الأفق ، — كما الجو موطن للقشاعم
جئت والعرب مخلقون شبابا — وأمانا وألفة وعزائم
فرأوا فيك منقذاً يفرش الخير — ويستنبت الزمان الآزم
كنت تاج الصحراء في نصف قرن — هو انشودة الربيع الباسم
حينما أنت ليس للبؤس طيف — فيقال على نداك المواسم
حينما كنت ماخلا رمضانا — تكره الشمس أن ترى وجه صائم
دوحة الخير كنت ما أمسكت — ظلّا ، ولا خيبت رجاء الطاعم
تهرع الطير عاكفات عليها — كلما أربد في العشيات غائم

* * * *

ولقد كان من يمن طالع هذه الملحمة .. (ملحمة عيد الرياض) أن عرض وجيه فاضل هو الاستاذ ثنيان بن فهد بن ثنيان لصاحب السمو الملكى الأمير سلطان بن عبدالعزيز « النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام » أن يتفضل سموه بإعادة طبع هذا السفر الجليل مشيداً بذخائره وكنوزه التاريخية التى تميز بها هذا الشاعر بين أدباء العرب جميعاً .

وبعد أن تلى على مسامع سموه — وكان أعلم الناس بها من قبل — مقاطع تروى أمجاد العروبة والإسلام وما يتحلى به بطل الملحمة من فضائل إنسانية وفروسية نادرة تكرر إعجاب سموه بها وهزت وجدانه الطيب أبياتها الفياضة بالمشاعر النبيلة ، والحافلة بالكنوز والبلاغة الراقية ...

فقرر سموه حفظه الله ورعاه — جريا على سجيته في تبني الروائع الأدبية والفكرية ونشر الأعمال العملاقة الجديرة بالانتشار . قرر سموه طبع هذه الملحمة (ملحمة عيد الرياض) على نفقته الخاصة .. ليس لمجرد تقدير المؤلف والملحمة فحسب ، وإن كان المؤلف وملحمته جديرين بكل تقدير ، وليس لنشر هذه الروائع أمام الأجيال الشابة المتأدبة فقط .. وان كان هذا الهدف كافيا لتبني نشرها .

وانما كان ذلك من سموه — بالإضافة إلى الهدفين السابقين — تقديرا للتجربة التاريخية النموذجية التى قدمها الملك المجاهد عبدالعزيز رحمه الله .

وأملا في أن تتأسى أجيالنا الحاضرة بسلف أمتها السابقة .. ومن أحق بدراسة تجربة عبدالعزيز الفذة من أبناء المملكة والعروبة والإسلام المعاصرين الذين يعيشون أيضا ظروفا صراعية لازال التاريخ يعيد فيها نفسه .. ولا زال يوحى الينا أن نستفيد — ونحن من تجربة الملك عبدالعزيز رحمه الله ..

فجزى الله سمو الأمير سلطان خير الجزاء .. وحقق أماله المبتغاه من نشر هذه الملحمة الرائعة ...

عبدالرحمن بن سليمان الرويشد

مقدّمة

ما كنت أعرف من بطولة صاحب الجلالة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود، قبلما قبضه الله، سوى ما يعرف من عَظَمتِه سواد أدباء العرب، إذ يحدّثون، في المجالس الراقية، بشجاعة أسد الجزيرة، فيتداول السمّار أنباء تقارب الأساطير، على انها الواقع الذي لا ريب فيه .

فلمّا استفاقت أمّة الضاد على النعيّ، وتآخت المآذن الكاسفة، والقباب الجازعة، في مأتم الشرق العربيّ، لمستُ في لبنان لهفة جاوزت معالم المجاملة، ومراسم السياسة، الى الأسى والوجوم، كأنّ بين منابت العرار في نجد ومساقط الظلال في الأرز، مقدار ملعب الفارس أو أقلّ. وما كان هذا شأن الناس من قبل، في مثل هذه الحال، ذلك أن لكل ملك تاجاً، فاذا حُمَّ الأمر، وجاء الأجل، عصف الردى بتاج واحد، ولقد ذهب في يوم عبد العزيز بتيجان ثلاثة : ففجع البطولة، والعروبة، والمُلك .

دخل ابن سعود في ذمة التاريخ فأيقظني لاطّلاع تأريخه، بل تأريخ العرب الحديث، إذ لا بُدَّ لمن قصد مركز الدائرة من المرور بمحيطها ،

فمن يمّمَ قُنّة الجبل تحتّم عليه ان يجوز الوهاد والسفوح والربى . وما كنت بجاهل تأريخ العرب — وأنا صاحب ملحمة « عيد الغدير » — ولكنّ دائي الوبيل ، وقد تخلّله من « العمليات » الجراحية اثنتان وعشرون ، فسمّرني على فراش الألم منذ ثلاث عشرة سنة ، صرفني الى شؤون شتى وحوّل قلمي الى مختلف الميادين ، فكنت أغمسه تارة بدمي فأسطر « مذكرات جريح » ، وأنقله طوراً الى صعيد الفلسفة فأنسج « حديث العشيَّة » و « الصراع في الوجود » . وكان الشعر يراودني في هدنة الألم فأكرم وفادة صاحبي القديم ، بل أكرم نفسي لأني ولدت شاعراً وشاعراً أموت .

ومما زادني رغبة في الوقوف على التأريخ السعوديّ حديث صديق لي[١] — على قلة الاصدقاء في زمن الجدب والإشتاء — عن مآثر ذلك البيت ومنها ما لم تدوّن الاقلام بعد .

ونشدتُ الكتب إشباعاً للشوق ، واستزادةً من المعرفة ، فوقع في يدي كتاب جزيرة العرب في القرن العشرين ، تأليف حافظ وهبه . فأنست به لانه أحيا في ذاكرتي رسيساً مما علق بها من طيوف الجزيرة وأمجادها الغابرة ، وفتح بصري على نبذة من تأريخ آل سعود ، وقد عايش المؤلف حقبة منه ، فكان مدوّناً ثقةً وشاهد عيان ، ووجيهاً مقرّباً

١ هو السيد ناصر مخارش القعيطيّ الحضرمي مدير المصرف السعودي بدمشق ، وقد صرف حقبة من الزمن في المملكة السعودية .

تمرَّس بالحوادث فأدرك منها اكثر من ظاهرها، فلم يستوقفه الغدير الضحل فغلغل في اللجج.

وقرأت كتاباً آخر وضعه مؤلفه الأجنبي انطوان زيشكا (Zischka) باللغة الفرنسية عنوانه: ابن سعود، وقد طبع ذلك المؤلَّف بباريس سنة ١٩٣٤ وهو أقرب الى البيان الأنيق والتغزّل بالشرق، منه الى التأريخ، وقد يفيد منه الفرنجة اشياء نعرفها نحن أبناء الشِّيْح والعَرعَر لذلك لم أعتمده إلا قليلًا.

وكان من باب التوفيق أن واحداً من أصحابي[1] ذكر لي تأريخ «نجد الحديث» لأمين الريحاني. ومن حُسن الاتفاق ان الكتاب قُدّمَ اليَّ في أول مايو سنة ١٩٥٤، اي في ميعة الربيع وعنفوانه، عندنا في الجبل، لا على سِيف البحر الذي أجاوره ولا أرى من زرقته إلا انعكاسها على زجاج النافذة، بل في عنفوان موسم الحسن على هام الربى حيث نشأتُ في ريفٍ وَرِيف تِرباً للنرجس والأقحوان، وشقيقاً لشقائق النعمان، وندًّا لدوالي الكرمة وأفنان اللُبان[2]. فكأنَّ الله سبحانه حرمني ربيع الطبيعة ليبدّلني منه ربيع الفكر، فأطالع في السطور، وفي ما خلفها، نجداً وطيب العرار ووجه أمين صديقي ورفيقي الى المنابر، يوم كنا نمشي اليها أو تمشي الينا.

---

١ هو الاديب العبقري الجبّار الناضر اليراع الاستاذ خليل رامز سركيس. وكانت الطبعة الأولى قد نفدت فلقيت مشقة في الحصول على نسخة حملها الي الاستاذ الصديق أنيس حداد المحامي. ٢ اللبان: الصنوبر.

وفي الكتاب من عَبَق الريحان أو الريحاني وظرفه، وحلو تهكّمه، ولطف مآخذه، شيء كثير، على أنه التأريخ الوثيق الذي لا يرقى اليه الريب، فلقد طبع ثم أعيد طبعه، ولم يجرؤ واحدٌ من الذين تناولهم المؤلف بالنقد والتجريح، شيمة الكاتب المخلص لقلمه، أن ينقض حرفاً مما أثبته صاحب «ملوك العرب». فكان أمين، من هذه الجهة، أستاذاً في الشجاعة لمن جاء بعده ومعلِّماً للأقلام المبرِّية على الحق، فما تداري ولا تماري. ولو لم يفعل، وجَلًا أو حياءً، لجاء كتابه سِقْطاً تتوالى فيه النتائج وتخفى مقدماتها وأسبابها.

ولعلّ عدوى الشجاعة — وما كان الأمين عمره جباناً — سرت اليه من ابي تركي[1] بطل الشرق العربي في العصور الاخيرة. ولعمري فإنَّ القلم الذي يجري بذكره ليخضوضر فيخصب، أو يتلظى فيحموم، فلا يدري حامله ألمرقم هو أم النصل، وما إن أتيت على كتاب الريحاني حتى اختلج القلم في بناني ففهمت أنه يريد الملحمة.

ويشهد الله ان روحي سايرت ابن سعود غير مرة فاصطلت بنار المعامع، ويا طالما حبست أنفاسي إذ كنت أراه يواجه الموت، ثم أطلقتها عبرةَ فرح لنجاته. ذلك ان الملحمة في دمي فأنا ابن أبٍ ربي في ريف جبلي[2] فكان ذا قامة جبارة كأنها قُدَّت من أدواحه، عريض ما بين

١ كنية الملك، وتركي ولده البكر توفاه الله يافعاً.

٢ في بتدين اللقش قرية تقع في قضاء جزين، من أعمال لبنان الجنوبي.

الكتفين كأعرض ألواحه، ملتفّ الأجلاد التفاف جذوع لبانه أو سنديانه، يشدّ يده على قضيب الحديد فيثنيه، له هيبة الأسد وقوّة الأسد، على جمال في الأسارير وطلاقة في المحيّا. وقد كان رحمه الله[١] عصامياً سمحاً مضيافاً — على عادة اللبنانيين القدماء — ولُوعاً بالسلاح الى أبعد حدّ. ولقد ظلّ يضع رصاص مسدسه في قلب الهدف حتى بلغ الثمانين أو كاد.

وهكذا فتحت عيني في البيت على زاوية يلتمع فيها السلاح، وعلى زاوية أخرى تناثرت فيها بضعة كتب لا تمتّ الى العلم والبيان الأنيق بكثير ولا بقليل، على انها حافلة بقصص البطولة، زاخرة بالأساطير من مثل قصة عنترة، والزير ابي ليلى المهلهل، وحمزة البهلوان وتغريبة بني هلال وما جرى مجراها. وكان والدي يُقرِئُها سواي في سَمَر الشتاء حول الموقد الأحمر — لأنه كان على وفرة ذكائه أمياً — وهكذا كان يلتقي الدم الذي يسفحه عنترة لون ألسنة اللهيب وبصيص الجمرات فتبلغ الحماسة أشدّها في السامعين.

فلما خرجت من التهجئة الى القراءة الدارجة عهد الي في الكتب، وأنا يومئذٍ في العاشرة من العمر، فلم أقتصر على القراءة وتجويد الشعر المنحول — إلا أقلّه — بل كنت أشاطر السامعين تعصُّبهم لفارس وازدراءهم بآخر. وكان والدي، على إعجابه بدياب بن غانم « راعي

١ توفاه الله سنة ١٩٤٧ وان ألوف اللبنانيين يعرفونه ويذكرون من قوته الجسدية ما يشبه الخوارق.

الخضراء » يتعصَّب لأبي زيد، محمولاً عـلى ذلك بجامع الاسم فأبو زيد أيضاً من آل سلامه[١].

ولا يخطرنّ ببال متعنِّت او متحذلق أن يذهب في تأويل ميـلي الى الملحمة مذهب الزاعمين أن المتنبي جعل وَكْدَهُ في وصف المعامع، وآخى بين صرير القلم وصليل السيف استجابةً لمركّب النقص فيه، وانه سَدَّ بالمرقم فراغاً فاته سدّه بالسيف الجراز، اذ لم يستلّه سوى مرتين في وجه عبيد حاولوا سلبه أو قتله.

وأعترف اني لم أشهر سلاحاً على غير الطرائد التي كنت أبغتها في وكناتها، والصبح لم يتفتَّق بعد عن آناف الجبال وشعابها، يوم كان الصيد نعيماً أرضياً لقاضٍ شاعر يفرُّ في ايام العطلة من عناء النصوص ورزانة المنصَّة، الى بشاشة الغـاب وابتسامة الأُفق في السحَر، ليمتّع السمع والبصر والذوق جميعاً بالطبيعة، قصيدة الله البكر وعروس خيال عبيده الشعراء.

وأعترف اني لم أشهد وقيعة تصهل فيها الخيول، وتشظَّى في عجاجها النصول على النصول، ولـكني حييت معركة لم يشهدها بشريٌّ قبلي ألا وهي مأساتي الدامية التي لم تحفل بمثلهـا الأساطير، فضلًا عن التأريخ، فأنا القائل في قصيدتي « ألم »:

---

١ مما لا ريب فيه ان عائلة سلامه استوطنت لبنان في القرن السابع عشر، وأن جدها قدم من عمان، وانه عربي الأصل ويرجح أنه من بني تميم. وقـد أخبرني الصديق السيد ناصر مخارش انه لا يزال في بني تميم في حضرموت فخذ من آل سلامه الى يومنا هذا.

سالت على حَدِّ المباضع مهجتي فشفارها مصبوغةٌ بدمائي
وتَشابَهتْ مني الجراح فأصبحت حُفَراً تضلّ بها جفون الرائي
وادٍ تقطِّعه الكهوفُ كأنما جسمي الطعين مَغاورٌ للداء
صُبحي أمرّ من المساء فعيشتي موصولة الظلماء بالظلماء
أواه لو كان الرقاد يزورني لرضيت من دنياي بالإغفاء
لا يلتقي جفناي إلّا خلسةً فكأنَّ بينهما قديم عداء
ألمي يشقُّ على الخيال لحاقه فيتيه بين البحر والصحراء
هو كلُّ آهات العصور تجمَّعت مرويَّةً بمدامع الشهداء
قد كنت دمعاً في محاجر آدمٍ وبيوم هابيل شهدتُ نمائي
لم تجرِ في لُهَب الخناجر غصَّةٌ إلا عبرتُ بها مع اللأواء
أيّوب! ما أيّوب ماذا خطبه هو قطرة وأنا خضمُّ بلاء
فاذا مررتَ على الجريح تعوده فلقد أتيتَ مدافن الأحياء

ولمعترضٍ أن يقول وأين البطولة في هذا كله، وانما فُرضت «العمليات» على هذا الشقي فرضاً. أجل، وهو اعتراض وجيه يصحّ في مريض جزوع هلوع، يغمى عليه من الخوف، قبل أن تدركه غيبوبة التخدير، ولا يصدق في عليل واجه المنية باسماً أكثر من خمس عشرة مرة، وتبنَّى ألمه المرّ كأنما هو داخل في إنسانيته، فكان يرصد مراحل التخدير، وألم المبضع، ويرى اللحم المبتور، والعظم النثير كأنَّه يتفرّج، فهو المُختَبِر والمُختَبَر في آن واحد. ثم إن هذا العليل نشر في الناس كتابه «مذكرات جريح» فأدرج فيه النوادر والمُلَح إشفاقاً على شعور

القارئ. وطالما كان يشدُّ على نواجذه، في سورة الألم، حتى ليطحن بعضها بعضاً، فيربأ بجليسه أو قارئه أن يذرف من أجله دمعة. فمن كان في شك من هذا فليسأل طبيبي الجراحيّ الاشهر، الدكتور جورج بدر، الذي ساير فصول هذه المأساة وبذل لي منذ ثلاث عشرة سنة الى يومنا هذا من ضروب العناية ما لا يوصف. ولقد كانت يده الحاذقة تسيّر المبضع وكنت أنا الذي يستحثُّها.

. . .

صَحَّت عزيمتي على نظم ملحمة «عيد الرياض» بعد ملحمة «عيد الغدير[1]». ومثل هذا الإقدام يوقظ — في الصدور الضيِّقة كعيون البخلاء، والأدمغة التي ران عليها التعصُّب فأظلمت حتى عدمت منفذاً للضياء — فكرة التناقض. فيتساءل المتحذلقون كيف تأتّى لهذا الشاعر المسيحي ان يجمع بين الشتاء والصيف على سطح واحد؟ وهو الذي تقدَّم له أن تولّى القضاء سحابة خمس عشرة سنة، فكان المنطق عمادَه في بسط المقدمات واستنتاج النتائج، ثم ألَّف في الفلسفة، والفلسفة ركيزتها عدم التناقض. أوثبة من الشيعة الى الوهَّابية؟ أم تراجع عمّاً قال بالأمس؟

ألا فليطمئن المرجفون الدائرون في فراغ أنفسهم، أو في فَلَكٍ ضيّق كمقلة الحسود، وليعلموا ان الشاعر الجدير بهذا اللقب — وبخاصة

---

[1] نظمت ملحمة عيد الغدير سنة ١٩٤٨.

الشاعر الملحمي – يتعالى عن مزالق الطائفية ويتحامى سمومها، فما يستهويه إلا البطولة، شأنه شأن النسر ينشد القمم ويغفل السفوح، فإن من تغنّى في الأمس بالإمام علي، وشدا اليوم بمآثر ابن سعود، لا يتعذر عليه ان شاء الله، أن يشيد غداً بمجد المهاتما غندي، فيتلاقى التشيُّع والوهّابية والتصوّف الهندي على قلم واحد، ولا تناقض، فإن الوردة لا تنفي الآسة، والآسة لا تنفي الياسمينة. وما تغصّ الحديقة بمثات الرياحين والاشجار، فكيف يضيق صدر الكريم بنخبة من تلك الأدواح الباسقة التي ازدان بها التأريخ فكانت خضرة وظلّا وثمراً طيّباً.

اما الملحمة التي أدرتها على الإمام ابي الحسن، فارس الإسلام، وأمير الكلام، وشيخ الزهّاد فمعاذ الله أن أنقض منها حرفاً. وبحسب ابي تراب[1] شجاعةً أن يكون قاتل عمرو بن ودّ العامريّ يوم الخندق، وفلسفةً ان يكون هو القائل :

وتحسب انك جرم صغير   وفيك انطوى العالم الاكبر

وبحسبه عدلًا ان يعامل أخاه عقيلًا كواحد من عامة المسلمين، وبياناً عميقاً قوله: من عرف نفسه فقد عرف ربه، وبلاغةً قوله : تخففوا تلحقوا، ونظراً بعيداً قوله : احذروا صولة الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع .

. . .

١ ابو تراب من ألقاب الإمام علي .

قلت في تصديري ملحمة «عيدالغدير» ان الشرق العربي فقير الى الملاحم، وان العروبة المستيقظة الآن في صدور ابنائها من المغرب الأقصى الى منتهى جزيرة العرب، لأحوج ما تكون الى التمثُّل بأبطالها الغابرين. واني لأضيف اليوم الى الغابرين بطلًا في المعاصرين، فاذا كان من جوهر الملحمة أن تشتمل على الخوارق، فلقد وجدت في ابن سعود بطلها الذي أولَجَ الواقع في الأسطورة والأسطورة في الواقع.

ولو لم يكن سبيل الرجل الى المجد سوى الحسام لما هزّني فهاج قلماً طلّق الشعر أو كاد زهاء ست سنوات، فان طائفة من الصناديد الفاتحين، الذين تقدّموه في الزمن، لم تعوزهم الشجاعة بل الانسانية التي تجلّى في المرء صفات طيّبات، وبها تقوم ماهيته، كما يقوم جوهر الوردة بالطراوة واللون والفوح. فاذا أنت جرّدتها من هذه الخصائص وقعت على هشيم يحوطه الشوك.

وانما تتجلى إنسانية ابن سعود في سخاء يؤيد ما تناقلته الرواة عن حاتم ومعن وآل برمك، وذكاء فطريّ يلمح في دورة خاطر ما يستعصي على أعلام العلماء في أيام، وعدل هو استواء الشمس في الظهيرة اذ تتخذ مكاناً نَصَفاً، وحلمٍ ينفد البحر قبل نفاده، ووفاء للذين ألفوه في المنزل الخشن كأعلى ما يكون الوفاء، واتضاع وخفض جناح للضعفى والمساكين ذوي المَتْرَبة، ورقة كرقة الشاعر الرهيف الحس، وتقوى يصح فيها قول القرآن المجيد «الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة

هم يوقنون» . «تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون» .

«كانوا قليلًا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون» .

تلك بعض صفات ابن سعود وستلمسها في سياق الملحمة بدون كد خاطر ولا تنقيب فتنشقها نَفْحَ الشذا من البستان العَطِر، وما ينكر فَوحه إلا مزكوم أو متطبّع بطبع الجعلان، فليس أقتل لها من عبق الأريج .

تلك السجايا حبَّبت اليَّ ابن سعود فوق ما حبَّبه اليَّ حسامه، على انه أشرف سيف عرفته جزيرة العرب منذ قرون . ولولا هذا الشعور الذي احتلَّني، كما يحتلّ الربيع الشجرة فيفتح براعمها للندى، لما استطعت أن أنظم فيه بيتاً واحداً . وما أنا بالذي تهزّه السحابة العابرة، أو يستهويه الغدير الضحْل فيسبح — وما ألفت العوم إلا في اليمّ الصاخب — ولا بالذي يزوّر على التأريخ فيصانع، فاذا آخذني بعضهم على المبالغة في امتداح آل سعود، فما الغلوّ سوى الخيال الشعري المنطلق من صعيد الحقيقة، ولولاه لكانت ملحمتي تأريخاً منظوماً، أو أرجوزة طريفة على البحر الخفيف، أو وثيقة كاتب عدل لا يأتيها الباطل من خلفها ولا من بين يديها .

. . .

وتشاء المصادفة أن أفرغ من اطّلاع تأريخ «نجد الحديث» وأوّطن

النفس على إنشاء « عيد الرياض » يوم قدم العاصمة اللبنانية صديقي النبيل، الاستاذ الجليل، السيد عبدالله بلخير أمين سر صاحب الجلالة الملك سعود. ولقد تفضّل أبو «يعرب» فآنسني بزيارته فلطّف من ألمي اذ كنت في تلك الساعة أنزف دماً بسبب حصاة في الحوض، ولكني تجلّدت لئلا أعكر صفو تلك الجلسة البهيجة ــ على قصرها ــ وأفضيت اليه بعزمي على إنشاء ملحمة. وكان في نيّتي أنأ بدأ النظم في الأيام التالية، لولا اني حُملت الى المستشفى، فريسةً للمبضع، في « العملية » الثانية والعشرين، حيث عادني حضرة امين السرّ بعد رجوعه من مصر في ٩ يوليو سنة ١٩٥٤ فأكدت له بحضور الدكتور بدر ــ وكنت آنئذٍ في مثل صفرة ورقة الخريف وارتعاشها ــ انه اذا امدّ الله في أجلي عاماً واحداً فبشراك « عيد الرياض ». وبدأت في أواسط أغسطس وضع الخطوط الكبرى، ثم باشرت النظم في أوائل الخريف وفرغت منه في أواسط ابريل سنة ١٩٥٥ فتكون مدة التأليف نحواً من ثمانية أشهر تخللها عشرات من الليالي الدهماء، أو البيضاء التي يعقبها حَلَك النهار، نهار الصداع والدوار الذي يتعطّل معه الفكر، وتمّحي الذاكرة، فضلًا عن الشعر، ويعتلّ القلم فلا يبق في جسم الجريح إلا وشل من حياة وبحر من ألم. ويهمّني في هذا المقام أن أصرف الاذهان عن خرافة تردّدُ على افواه الجهلة، مؤداها ان الألم يشحذ القرائح. وانما هو زعم يصحّ في الألم الناشىء عن الحرمان كألم العاشقين، ومبعثه الشهوة الجنسية، وإن تنكَّرت بألف زيّ وزيّ ــ وعند سيغموند فرويد من فلسفتها كل الخبر، ــ او ألم الفقر، ومبعثه نقص في المأوى والغذاء

والكساء، يليه حسد وتلهُّف وثورة، أو ألم المظلومين الذين تقطِّع قلوبهم سياط الجور، وما يتصلِ بهذه الضروب من الآلام. على أن هذا الوجع المعنوي نفسه لا يولد العبقرية، فمن العوسج، لا يولد إلا العوسج، بل يكون حافزاً لها كما ان الضوء يبرز الألوان ولا يبدعها.

أما الألم الجسدي فانه يعمي القلوب التي في الصدور، ويفلّ أرهف الأذهان مضاءً، ويكدّر أنقاها صفاء. ولو أن شكسبير نفسه، وهو سيد العباقرة، وملك القريض، وتوأم غوته مُنيَ بوجع فضربت سنّه، أو نَغَر جرحه، لشقّ عليه، وهو في غمرة الألم، أن ينظم بيتاً واحداً في سلك الشعر الراقي. فلهؤلاء المتفرّجين الواقفين على الشاطئ، المتحدّثين عن السباحة، وهم لا يعلمون من شأنها إلا ما يلمحون من حركات السابحين، اقول: لو نزلتم البحر لذهبتم في الأمر غير هذا المذهب، ولنظرتم الى الغائصين على الدرّ، في خليج فارس مثلاً، والموت منهم قاب قوسين أو أدنى، بغير هذه العيون، وخير لكم ما دمتم في البرّ أن تخوضوا في غير هذا من الشؤون. ولو زعمتم ان الجمال يفجِّر العبقرية لأصبتم الحقيقة في كبدها، فإن حاجة الشاعر الى الترَف العقلي لا تقلّ عن حاجة السمكة الى الماء. فكأين من قلم خفق فتفتَّح على ضوء القمر في الليالي الغيد، أو نهل من الطلّ في اجفان الصبح.

أَما أَنا فكان عليّ أن أَنظم حين يهادنني الألم فأختلس الفرصة السانحة، كما تستنقذ الفريسة من مخالب السبع. كل ذلك في عالم حدوده

جدران أَربعة وسقف ، مسرحي فيه سرير صار مني وصرت منه ، بحكم المصاحبة ، فلا خوف من الفراق ، ذاك هو زواج الكاثوليك لا يعتريه طلاق .

في تلك الظروف الخانقة والسرعة الصاعقة وُلدت ملحمة « عيد الرياض » وهي تقارب الثمانية آلاف بيتاً . ومعاذ الله أن أَقول هذا مباهياً بجودة القريحة ، وانما أَقوله معتذراً ، فإن الذي ابتلاني بمرض الناسور ، وقاني مرض الغرور ، ولو أُتيح لمثلي أَن يتريّث لفعلت ، ولكن هذه الفقار التي تنحلّ انحلال العرى واحدة واحدة أعجلتني فوددت الإِنجاز قبل أَن يتساقط الثوب ويطويه البلى . وان الحبلى التي تخشى دنوَّ الأجل يسرّها أن ترى جنينها ، ولو هزيلًا ، شرط أَلا يكون طرحاً ، وما أَحسبني ولدت سقطاً بل بشراً سويًّا يكتب له العيش إِن شاء الله .

في الشعر الملحمي

قبل أن نبحث في الشعر الملحميّ أو البطليّ ، لا نرى مندوحة عن تعريف الملحمة ـ ولو تعريفاً خاطفاً ـ كما يراها الفرنجة ، أَساتذتنا في هذا الضرب من الشعر ، لخلوّ الأدب العربي من الملاحم « على انه يحتوي قصائد فيها من النفس الملحمي ومن سرد الأخبار ، ولاسيما الأخبار المتعلقة بالشاعر أو بمن يخصه ما يذكّر بأسلوب الملاحم » .

ولقد قال الفرنجة، في تحديدها ، انها قصيدة طويلة النفس موضوعها البطولة ، وهي أَضخم نتاج يقدم عليه عقل بشري ، وأكبر مظهر من مظاهر الشعر ، وانها سرد لمغامرات بطلية يرافقها شيء من اللامألوف ، وقوامها السرد . ومن هنا كان الفارق بينها وبين الشعر الغنائي ، ومن طبعها أن تندّ عن التأريخ لاقتراب التأريخ من الواقع ، ولأن الملحمة في معظمها خيال ، ومن عناصرها ان يأتي بطلها بالعجيب الخارق ، وعلى الشاعر ان يكون متأثراً بالشعور الذي يخلعه على أبطاله . ذلك هو ملخص تحديد الملحمة عندهم .

ومعلوم ان هوميروس كان حامل اللواء ، ولا ريب ، وأن على

دربه تعلم المشي من جاء بعده ، برغم المشادة التي قامت حول صحة نسبة الالياذة اليه كلًّا او جزءاً ، وزعم بعضهم أن ليس له سوى فضل تدوينها لشيوعها على ألسنة الرواة والمغنين قبل مجيئه الى الدنيا .

وقد عرَف الملحمة قدامى الهنود والرومان فازدهرت على يراعة فرجيل ، وانفتحت فرنسه في العصور الوسطى على الشعر البطليّ فنسجت ما نسجت منه حول الملك شارلمان في أنشودة رولان ، واستمر الى العصور الاخيرة ، فمن أدبائها من أخفق كما وقع لفولتير في «الهانرياد» (Henriade) ومنهم من أفلح كما وقع لفكتور هيغو في أسطورة العصور .

ولا أرى من بأس بعد هذه النبذة الموجزة في الملحمة أن أردد كلمة أحد أدبائنا في هذا الصدد إيضاحاً لما تقدم قال :

« فالعمل الفنيّ الذي يلتفت فيه الى الحقائق الماثلة في العيون أبداً ليس في باب الابتداع شيئاً ، إذ ان الاخـذ بالحادثة اليومية وجري المعتاد يفضي إلى أدب دنيء ولا ريب . وليس أدلّ في ذلك من قيام النوع البطليّ وارتفاع قبته فالذين صنعوا وجاءوا بالبدائع لم يجعلوا وكدهم في الحقائق المكررة على نهج واحد ، بل صرفوا أقلامهم الى حقائق فذة لا تقع على رصفات الشوارع ، ولا فوق أدراج الفنادق كل يوم وجعلوها في اتزان عادل بين طبع الحياة وطبع الفن » .

ولعمري ان هذه الملحمة لترتفع عن الحادثة اليومية وجري المعتاد ،

ولا يقع مثلها على رصفات الشوارع أو فوق أدراج الفنادق كل يوم ، بل لم يقع مثلها في أيام العرب فأين منهـا حرب البسوس ، أو حرب داحس والغبراء فإنَّ عنترةُ ، على شجاعته ، في زمن يقي فرسانه دروع واتراس ، لا يوازي ابن سعود فاتحاً صدره للرصاص والقنابل ، بل أين منها حرب طروادة نفسها ، لولا الخيال الهوميريّ الذي لم يقتصر عـلى انزال آلهة اليونان الى المعمعان بل غمر بالألوهة ابطاله . فاذا كان لأمة الإغريق ان تباهينا بعبقرية شاعرها وابداعه في الخلق والاختلاق ، فإنا نباهيها ببطولة عبد العزيز التي لا يضيرها صدق الواقع .

ويظهر مما قدمناه في تعريف الملحمة انه يؤخذ علينا اعتمادنا على التأريخ ، كما توكأ عليه صاحب أنشودة رولان أو كما اعتمده فيـكتور هيغو في «أسطورة العصور» ، أي ان عيبنا هو رجحان كفَّة الصدق عندنا على كفَّة الاختلاق عندهم . ومن أجل هذا السبب نفسه عَنَّت علينا المعنّتون عقب صـدور ملحمة «عيد الغدير» ، غير ان تشدّدهم الأجوف ، أَو تعصّبهم للإفك والخرافة ظلّ في الرغام فلم يَغشَ العيون البصيرة التي تلقَّت هذا العاجز بنظرة الإكبار ، فعملت على تـكريمه في مهرجان أَدبي منقطع النظير تلاقت فيه أساطـين البيان ، من مختلف الاقطار العربية .

ولم يـكن بالمتعذر علينا أن نتخيل دنيا أَوهام نَبْرَأُها على هوانا فنخـرج من العسر الى اليسر ، ومن الوعر الضيِّق الى السهول الفِيح

فنزوّج العفاريت بالسعالى، ونتمثّل جنيَّة رجلها في التراب ورأسها في السحاب، فتراها تارة تغسل قدميها في اليمّ فيجنُّ ويطغى، وطوراً تسرح شعرها الأشقر فيتدلّى شعاعاً ينير الخلائق. أو نتصوّر مارداً يبغي الإفطار فيغمد ذراعه في المحيط ويستخرج ما شاء من الحيتان يشتويها في قرص الشمس ويبتلعها دفعة واحدة ثم يكرع نصف البحر.

ولقد أسرف بعض مرضى الرومنطيقيّين، ومن جرى مجراهم في ازدراء شعر الملاحم، فزعموه التأريخ منظوماً أو الأسطورة مُقفّاة. وقد سمعت واحداً منهم يبدي هذا الرأي الأحول، وهو قزم اكتنفه القَزَم جسماً وفهماً وخلقاً كما اكتنف التحريم خمرة ابي نواس من جهات ثلاث، لانها مشتراة بثمن خنزير مسروق. فقلت له إذن لقد اطفأت هوميروس وفرجيل وهيغو ودنتي والفردوسي وبعض المتنبي وسواهم من الخالدين، ولكن لا بأس على العبقرية من هذه الخسارة الفادحة ما دمت انت للقلم، والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه.

ورأى بعض مؤرخي الأدب العربي ان الشاعر الملحميّ يترك شخصيته ويتناول الأبطال والجماعات والوقائع الحربية، والمناقب القومية بأسلوب قصصي تكثر فيه الخوارق. وفي هذا التعريف مخالفة ظاهرة لما قدّمناه من تعريف الملحمة عند الفرنجة حيث قالوا: على «الشاعر أن يكون هو متأثراً بالشعور الذي يخلعه على أبطاله».

وما تخلّيت عن شخصيتي في هذه الملحمة، ولا وقفت عند حدّ

تأثّري بالشعور الذي أخلعه على أبطالها، بل كنت منها في صميم صميمها، فاذا وقع لي أن أَقول بلسان بعضهم قولاً يتعدّى مكانته العلمية او الاجتماعية، فلا حرج عليّ فانه شرط يُلزم الشاعر المسرحي لأن التفاعل القصصي في جوهر المسرحية، أما الملحمة فبعيدة عن هذا القيد الاحترازي.

وإن القارئ المتأمل ليراني مُطلًّا في هذه الملحمة من عشرات الأبواب والنوافذ، لذلك كانت من بعض نواحيها رومنطيقية أيضاً، فالشاعر الذي يُعدَمُ الإحساس نقطة انطلاق ليس بشاعر ولو انه پول ڤاليري (Paul Valéry) نفسه، وهو المزعوم سيد شعراء الفرنسيس في الآونة الاخيرة. وهذا يدلُّك على احترامي للشعر العاطفي — شرط أَلّا يكون بكاءً مصدره العُصاب (Névrose) — كما اني احترم الكلاسيكِية والرمزية. وإن «عيد الرياض» لتشتمل على ألوان هذه المدارس جميعاً، على ان الكلاسيكية هي أبرز ما فيها. فإن الفرق ناجم عن مقدار الجرعة، وان التحوّل الكيفيّ هنا مبعثه التحوّل الكميّ، ألا ترى أن كمية الحرارة اذا نقصت في الماء فبلغت درجة الصفر أصبح ثلجاً، فاذا طغت وجاوزت المئة غدا بخاراً. وربما وقف الناقد حائراً لا يدري أَين يبدأ التحوّل. ونمثّل لذلك بكمية الشعر في رأس الأصلع. فمن المعلوم ان الانسان يُعدُّ أصلع اذا نقصت كمية من شعر رأسه، ولكن متى يحسب كذلك؟ أإذا سقط ربع شعره أم نصفه أم ثلثاه. ومعلوم أَن كومة

القمح تتألف من حبّات ولكن ما هو مقدار الحبوب اللازمة لتحسب كومة ؟

وانما الشاعر مُعبّر عن خلجات نفسية يتلاقى عليها ألف تيّار، وينبع اكثرها من عقله الباطن ، والشعر كلٌّ متداخل تداخل نزعات الانسان بعضها في بعض، ولو غلبت واحدة على أخواتها فَرانَتْ عليهن الى حين . ويصحّ هذا القول في شعر هو مرآة صاحبه لا في شعر مُحنَّط ، ولا في قريض صدر عن منضدة التشريح .

ولا يعرف صعوبة الشعر الملحميّ إلا من تمرّس به . وفي طليعة الصعاب التي تقوم في وجه الشاعر عقبة السرد فليس أَقتل منه للشاعرية ، وبخاصة متى تكاثرت الحوادث وتعذّر إغفالها – لانها المادة التي تنسج منها الملحمة ــ وتعددت أَسماء الأعلام واستعصت على الوزن والقافية . ولَهان الامر لو كنا نسلك الحوادث في ذلك الضرب من الكلام المزعوم شعراً منثوراً والسجع أطرب منه نغماً ، وأوقع جَرساً ، ولكننا في صدد وزن واحد وقوافٍ لا تنال باليسير من الجهد . وفي السرد ما فيه من جفاف، ولاسيما اذا كان الموضوع واحداً فدار حول معارك متشابهة وإن تعددت، في بلاد معظمها قاحل متماثل، وقد يعسر على الطائر أن يجد فيها مقيلًا بليلًا ، وعلى الخيال أن يبتغي مراحاً وماءً سلسبيلا فيبتدع الالوان والصور ، ويتناول المرقم خضرة من هنا وزرقة من هناك ويؤلف بين تهاويل الحسن، وأَشتات الجمال، فيوشّي ويفوّف ، وتفتنّ الريشة في الألواح ما شاء الفن .

وأهم من هذا كله، في باب الجفاف، خلوّ الحوادث من حبكة غرامية يغدو عليها القلم ويروح. أما هوميروس فقد وجد «هيلانة» واختلق سواها من الملاح، فغطّ القلم في الخدود الصِباح، وكان لخياله من جمال الغيد ومغامرات العشاق جناح، أيّ جناح. وما انفك يُحلق حتى أدخل الصبابة على الآلهة فجعلهم يتقاتلون على الآلهات. واختلق في «الأوديسه» زوجة لأوديس أو «إيليس Ulysse» يتسابق اليها الابطال خطّاباً، وملأ صفحاته الرائعات غناءً وحباً وشراباً.

أما نحن فلو وقعنا على موضوع غراميّ لتحاميناه، أو على شراب طيّب لصرفنا عنه الأنوف والأفواه. فالملحمة تدور في بلد يُجلد فيه المدّخن على رائحة الدخان، فأنّى لنا أن نريح القلم بين طيب الشراب وتضاحك الندمان، أو تطريب القيان، وكل ذلك رجس ما أنزل الله به من سلطان.

ولا يعزبنّ عن البال أنّ ما من رائعة عالمية خلت من عنصر الحب، سواءً أتعرّى الهيام فكان عُشقاً أم احتشم فتقنّع بقناع التصوّف، أم تنكّر بزيّ آخر من مئات الأزياء، ولا أستثني التوراة وفيها نشيد الأناشيد وما يتصل به من قريب وبعيد. ومن هنا تعذّرت المقارنة بين الشعر العاطفيّ والشعر الملحميّ. فالملحميّ هو شعر القوة الذي تقوم وتقعد له بعض الصدور، أما العاطفيّ فهو الذي يقيمها ويقعدها جميعاً بدءاً من الغلام الذي بلغ الحُلم حتى العجوز الفانية التي تحمل معها، الى

القبر البارد، تذكار الدفء الذي شاع فيها فأذهلها يوم صبغ الحياء خدّها أول مرة، على غير علم منها بأنها وُلدت لتكون أمّاً.

وإنّا موردون لك ايها القارئ الكريم بعض الأمثلة، لا تأييداً لنظرتنا فهي بديهية كالنهار، دليله ضياؤه، بل لترى فارق الانفعال بين الشعر العاطفيّ والملحميّ، واليك مقطوعة غزليّة من نظمي في مطلع الشباب، وعنوانها وردة الغاب:

يا وردةَ الحبّ المصون ورسالة الشفَق المبين
أكمامها منسوجةٌ من مدمع البكر الضنين
فكأنّها من رقةٍ وهْمٌ يُموّج في الظنون
لا لَمْسَ يجرحها فقد حَرُمَت على غير العيون
بيني وبينك وهدة حمراء من ألمٍ كمين
فِلَذُ الجحيم لهيبها أو بعض أنفاس الحزين

. . .

يا ليت كُنتُ فراشةً خضراء من لون الغصون
فألُفَّ نفسي بالطيوب ولا أبين لمستبين
يا طيبَ هذا الحبس لو يفنى به عمر السجين

١ وهي احدى قصائد الديوان المخطوط الذي دوّنته في دفاتر متعددة اختلستها يد أثيمة أو جاهلة فيما سُرق من متاعي يوم نقل أثاث بيتي سنة ١٩٤٠ الى منزل آخر وكنت على عتبة الموت في مستشفى الصنائع ببيروت.

وأظلّ رهن السحر لا يصحو الزمان ويفتديني
لا الشمس تفضحني ولا الأوراق يوقظها أنيني
أحميكِ من عين الردى وأكون منك ولا تعيني

. . .

أخت الندى والفجر في حُلَل المهابة والسكون
لولاكِ ما ابتسم الربيع ولا تفَتَّح للعيون
ولظلّ معنى الحسن والأطياب في الغيب الدفين
يا زهرة قدّستُها أحببتُ ألَّا تسمعيني
من حرقة الرمضاء في صوتي، ومن نغم المنون

. . .

ألقاكِ في رفِّ الخيال وعبقة النَّسم الحنون
في كلِّ صبح أشقر أو في ضمير الصبح كوني
هذا السبيل اليكِ من خَلل الغياهب والحصون
حسبي من الشوق المدَّه أن لثمتك بالجفون
فاذا تمشَّت خلجةٌ بين البراعم فاذكريني

وهذا مقطع ملحميّ من «عيد الغدير» وعنوانه : الجاهلية .

كان في ذلك الزمان القاتم في رمال الحجاز شعبٌ عارم[1]

---

١ عارم : فاسد .

راح في لُجَّة الضلالة يهوي . ليس يدري أيّ الفعال مآثم
عَطَّلَت وعيَه الغريزة حتى خدّر الجهل عقله فَهْوَ نائم
لا إله سوى الحجارة تُرجى للملمّات وانتهاب الغنائم
يحفرون الرموس ستر جمالٍ ويمدّون في القبور البراعم
أجفل القبرُ من انين العذارى وشكى الرمل من نواح الحمائم
تستجير المَوْؤُودة البكر لكن ليس للظالمين قلبٌ راحم
تلهب الارض رأفةً وتُوارى زهرة الحسن في الصعيد الجاحم[1]
لا مياهٌ تبلُّها لا ظلالٌ لا نسيمٌ إلّا الرياح السمائم

. . .

وتراهم من ثورة الخمر صرعى عربداتٌ فمنكر فشتائم
يكرعون الزقاق بالخمر ملأى مثلما تكرع الحياضَ البهائم
شهوة إثر شهوة تتلظّى في ضروب الزنى ومسّ المحارم
والخيام الحمراء رايُ البغايا حولها الناس كالفراش الحائم[2]
يدفعون الإماءَ للعهرِ دفعاً ومن النتن يأكلون المغانم
تُعبد «اللاتُ» أو تُرجى «مناةٌ» والمرابون أعبدٌ للدراهم[3]
أقفر الخُلق والصعيدُ فقحطٌ في السجايا وثورة في البلاعم
يبتغون الخنافس السود قوتاً ومن الضبّ يُطرفون الولائم

---

١ جاحم : مشتعل . ٢ راي مفردها راية والبغايا في الجاهلية كن يضعن رايات حمراء على خيامهن .
٣ اللات ومناة من الاصنام المعبودة في الجاهلية .

ولا نقتصر على نماذج من شعرنا فنأخذ للشاعر سعيد عقل مقطوعة عنوانها : الموعد الضائع .

ما همَّني ؟ ــ والطيبُ لا يخمد إن مرّ من دوني انا الموعد
غــداً أجيء الدار أخلو الى بقية من عهدها تعبــد
تهشّ لي حجرتهــا غَضَّةً والجُدْر والأستار والمقعد
أشياءُ للقبلة فيهــا فمٌ حلوٌ وللّهو بشَعرٍ يــد
أسألها عنهــا فيحتلّني من الزوايا طيبها الأجعــد
وربّ أشياء عــلى بُكمِها أكرم بوحاً من فم يسعد

وهذا مقطع ملحميّ النفَس للشاعر نفسه من قصيدته : فخر الدين[١]

كاد وجه الأمير يحجب من مجد عريق، على السهى منشور
كاد لبنان يلتقي «العالي الباب» بزند سمح الفتول قــدير
فتلوّت أستانةٌ : روعــة الواجف هزّته غصَّــة المقهور
حلمت بالشواظ يمطر لبنــان، وبالكرّ في العديــد الوفير
فاذا البرّ من غبار عبــاب، واذا البحر من دخان حرور
من عِدًى بُكّر العتاد، تكاد الأرض ترنو اليهم بنفور
لم يرعه التقاؤهم، وعلى الكفّ فؤادٌ له حبيب الكرور
راعه حلمه تحطِّمه الأقدار، طفلًا في هدهدات السرير
فامّحى عن عداته يكظم الأنفاس، خوفاً على الفضاء الكبير

١ هو الامير فخر الدين المعني الذي عمل في سبيل لبنان ما لم يعمله أحد قبله فكان بطل السيف والخلق .

بعد هذا ما نحسبنا في حاجة للبرهان على تعذّر المقابلة بين الشعر العاطفيّ والسرد الملحميّ .

وإذن فالقوة هي كُنْهُ الشعر الملحميّ فما ينهض إلّا بها ، كما لا تنهض القلعة المنيفة إلّا بالصفّاح والعُمُد ، والعتبات العريضة ، والأدراج الضخمة والأبراج السامقة ، والساحات الفيحاء ، فضلًا عن قضبان الفولاذ تشدّ نوافذها ، والرواشن المستطيلة تحمي كواها ، فيخلق كل ذلك جوًّا من المناعة والفخامة . أما ما سوى ذلك من الشعر فهو أشبه شيء بالبنايات الصغرى يُراعى فيها جانب الحسن أكثر مما يُراعى جانب الروعة والفخامة . وبين الحسَن والرائع فارق ، فتدخل في باب الحسَن مثلًا وردةٌ حالية ، وحوراءُ ناعمة ، وفي باب الرائع طودٌ شامخ ، أو موجٌ هدّار ، ومن هنا تختلف الحجارة المصطفاة للبنايات الشعرية فتُتَّخذ حجارة البنايات الصغرى من الرخام أو المرمر ، ويعمل فيها الإزميل نحتاً وصقلًا ، والريشة زخرفاً وأناقةً وصباغاً ، ويؤتى لها بمهرَة الصنّاع للنجارة والفرش ، والأثريين للتُّحف والدُّمى وما يتصل بذلك . وتجهد ربّة البيت فلا تترك على المداخل والواجهات والشرفات هباءة من غبار ، فاذا طلعت الشمس على ذلك المنزل توهّمته الدرة الكبرى تغرق في اللألاء .

وانا لم اتفرّد بهذا المذهب فهو رأي عِلية الأدباء وعلى رأسهم سعيد عقل زعيم المدرسة الرمزية ، بل أحد زعماء الشعر العربي ، منذ حدا به حادي العيس إلى اليوم . ولو كنت من المؤمنين « بالإمارات »

و« المشيخات » والألقاب التي يتجاذبها الشعراء ، كما يتجاذب العراة الثوب المهلهل يسترون به عوراتهم ، لخلعت على الرجل واحداً منها — على غير جدارة مني بالتأمير والتلقيب — ولكني رأيته السيف مجرّداً فكيف أسيء اليه فأستره بقراب خَلَق .

ولقد خطر لي يوم صممت على الملحمة أن أبتني لها منازل صغيرة تتألّق حسناً فتقع في نحو ألف بيت متعددة البحور والقوافي ، ثم تحوّلت عن هذه الفكرة يقيناً مني بأن هذه الدارات الصغيرة ، والأبهاء الوادعة ، تضيق بابن سعود مالئ جزيرة العرب ، فقلت في نفسي اذا كان للحجرات الوضيئة جمالها فللمسجد الرحب روعته ، بما يتمادى فيه من زوايا ، وينتصب من محاريب ، وينبطح من ساحات ، ويشمخ من مآذن يُسبَّح فيها بحمد الله بكرة وعشياً .

واذا كان لحدائق الزينة التي تحلَوْلى بها مداخل القصور بهجتها لِمَا لها من الرونق الهندسيّ والزخرف العجيب ، ولِمَا احتوته من تهاويل حفلت بالزهر المنسجم الذي تداولته الأيدي اللبقة ، وهذّبه المقراض ، فان للغابة روعة بكراً تأبى هذه المنازل الناعمة .

ولا ينكر ان في الغابة كثيراً من الشوك والحسك ، بيدَ أنَّ فيها أيضاً من الأدواح الماردة ما يأخذ العين . وكثيراً ما يكون العوسج والعلّيق ، وما اليهما من الحبائك التي تعرش على الجذع ، أجزاء متممة لزينة العروس الخضراء ، اذ تحلّ من ساقها محل الخلخال الزمرّدي ، فاذا تعالت نطّقتها فقامت منها مقام الزنّار ، وانبثق الحسن كما يطلع من

الليل النهار . وأظهر ما في الغابة متعة انتقال البصر من حال الى حال . فهنا يغرق في ألفاف الشجر ولا يستبين ما وراء الأجم ، وهناك يرافق الساقية المتعرّجة التي تمحو توحُّش الصخور ، وهنالك يتيه البال ساعة بين وهدة خضراء ، ورابيـة مسحاء ، وأحناء رقّشها النسرين كما نقَّطت الكواكب السماء . وإنما يُعوَّل في باب التقويم على النظرة الشاملة التي تمَّحي فيها الطفيليات والحواشي ويسلم النصّ .

وحِرتُ ساعة بين التكثيف والتبسُّط ، أأختار من حانوت العطّار قنينة تحتوي خلاصة العطر ، ولكنها لصغرها لا تكاد تطيّب منديل العروس ، أم أختار القوارير السخية وفيها ، فضلًا عن الجوهر ، ما يطيّب العروس والضيوف جميعاً حتى لا يُصدّ عنه عابر السبيل ؟

أأشدُّ لجام الفرس الدرير حتى يتقطَّع بين يديّ فِلذاً أو يتفجر قلب الجواد من لُبَّته ، أم أتركه يجري في الملعب الفسيح فـلا أحرّك سوطاً ولا مهمازاً ، ولكني أردّ رأسه عن الهاوية وأنفس به على المهالك ؟ أأسلك طريقة الغربلة والنخل ، والطرد والصقل ، وهي طريقة زهير في الحوليّات ، وڤاليري في الرمزية ، أم أسلك نهج المتنبي وهيغو ، وهو سبيل النبع الفوّار والسيل المدرار ، يفيض منهما على المرج ما يفيض ويغيض ما يغيض ؟ ولقد آثرت الثانية لا استهانةً بالأولى ، ولا عُدولاً عن الحسن إلى الأحسن ، بل استجابة لسجيَّة ، وتلبية لطبـع . وربما كان مردّ هذا الميل الى مزاج يضرب بجذوره في صعيد عميق متصل بأسباب

نفسانية فإنَّ اساتذة علم النفس، وفي طليعتهم يونغ (Yung) حامل اللواء في اوربا بعد فرويد (Freud) وأدلر (Adler)، يردّ الأمزجة كلها الى أصلين تتفرع عليهما سائر الأمزجة، وهما المنقبض (Introverti) والمنبسط (Extraverti). واني لمن النوع الثاني في الأنماط، واني لمن المؤمنين بالسليقة والطبعيَّة وبالديباجة الأنيقة، على غير إعنات للقلم، وتعمُّل في النحت، وإغراق في التجريد توصُّلًا الى ما يسمونه الشعر الصافيَ. وما أشبه الشعر الصافي بماء المزن يتحلَّب من الغمام ويحرَز في إناء مفتوح على السطح، او بالماء المقطَّر المعقَّم، وأفضل منهما نمير يفور من أطباق الثرى فإن فيه خفَّة على الأحشاء ولذَّة للشاربين، ذلك أنه ينطوي على حياة تنبثق من التراب وتتفاعل مع هذا الترابيّ الانسان، وهو أبعد الخلائق عن الصفاء لأنه الكون الأصغر. واذا صحّ الشعر الصافي وألتمع في قصائد يراد بها خلق جوّ جماليّ، إذ يقوم الحرف مقام الوتر، والايماء مقام الاسهاب، فيُستغنى بالعنوان عن الكتاب، فإنه لا يصحّ في ملحمة من جوهرها التفصيل والتكرار، على ان هذا التكرار لم يسر على منهج واحد كما يسير القطار، ولم يستدر على نفسه كما استدار الخذروف الدوّار، بل أطلَّ بمئة وجه كما تطلّ العروس فتحسبها غيرها، اذ تبدّل من زينتها فتزيد او تنقص في حليها، وتخالف بين المخمل والديباج والدمقس، ناظرةً في ذلك الى تبدّل الوجوه والزمان والطقس، ولكنت مترمّتاً لو اقتصرت على حسناء مفردة فسترى غير واحدة، وغير زيّ.

قال فريدريك نيتشه «إن هذا المفكِّر – يعني نفسه – لا يحتاج الى من يهدّمه لأنه يهدّم نفسه» واني على الفارق العظيم بيني وبين ذلك العبقري، برغم الحاده، اقول للناقدين أو الحاسدين او المرتزقة اني اكفيهم مؤونة نقدي، فأعلم ان اول مَقاتلي هو تكرار الرويّ بحيث يشتمل الفصل على مئات القوافي، وما هذا النمط بالطراز المستحبّ في عصر يكاد ادباؤه يتطلقون من القافية فيلتزموها في بيتين او اربعة، ويجتنبوا المطوّلات، وحجتهم ثقل القافية الراتبة على الأسماع. ولكانت هذه الحجة تنهض بدعواهم لو ان القصائد تغنّى غناءً او تُرتّل ترتيلًا أَما وانها تقرأ على مهل، في الخلوات او المخادع، فإن العين والفكر لا ينكران ما قد تنكر الاذن.

تلك هي الحجة الظاهرة يقدّمها سواد النشء الطالع. اما السبب المضمر فهو كره للقدامى من اساطين القلم، أصحاب النفس الطويل، الذين لا ينبهرون في الحلبة، مهما تفسَّح المدى وتمادى الشوط، اضف الى هذا الكره تَدَلُّهاً بالفرنجة وتهالكاً على مناهجهم. ويطيب لي ان اكرر هنا بعض ما أَوردت في تصدير ديوان اوفى الاصدقاء شاعر الفيحاء الأستاذ سابا زريق، ومُحصّله ان الموازين الغربيــة تضطرب كفّاتها في الهواء المشرقيّ فهي انما تصلح لما وضعت له، فمن العبث ان تقيس الأرض بالليتر والبطيخ بالمتر. ولا بُدَّ لمن يتلهّى بهذه المهزلة من الوقوع في الضلالة التي تردّى فيها التراجمة، فالأذن التي تسمع : (Au nom de Dieu clément et miséricordieux) هي غير الأذن التي تسمع بسم الله الرحمن

الرحيم . وإنَّ الذوق الذي يبرمه سرد عشر قوافٍ متواليات على ضفاف السين غير الذوق الذي يطرب لمئات القوافي تهلّ على النيل، في «نيرونية» خليل مطران او مطوّلات احمد شوقي، فمن زعم ان مقاييس الجمال موضوعية فقد افتأت على الذات .

يقول قائل : ولكن الذات البشرية واحدة في نظرها الى الجمال ومُثُلِه العليا، ونحن نقول انه اذا صحّ هذا الرأي فانما يصحّ بالنسبة . ألا ترى ان الشخص الواحد يترنّح لنشيد يسمعه في الصباح ويتجهَّم للنشيد نفسه في المساء؟ وان العين التي تستحلي البدوية مشرفةً من هودجها على بساط القفر لتستقبحها في ذلك الهودج على ساحة البرج . فعلى رسلكم يا اصحاب الموازين، «انكم لمن المطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون».

ولعلّ نقمتي على المُثنَّيات والمربَّعات والشعر المنثور[1] وما يتصل بنتائج النفَس القصير، والميدان الذي لا يعدو بضعة أشبار، حملتني الى الطرف الآخر كما كانت الثورة الفرنسية ردًّا على مظالم العصور الوسطى، وكما كان عهد برغسون ردًّا على عهد اوغيست كومت، ثورة تعقب الكبت، وروحانية تلي المادية وهكذا دواليك .

---

١ بيد اني استثني نخبة من الملهمين الذين بيّضوا وجه الادب حتى في الشعر المنثور وحبذا لو سموه النثر الشعري .

أمَّا ثاني مقاتلي فهو التزامي بحراً واحداً في الملحمة، أو لزوم ما لا يلزم، وهو مما يذكِّر بلزوميَّات ضرير المعرَّة من بعض الجهات، كما يذكِّر به هذا الجريح، فكلانا (رهين المحبسين). اجل ولقد ضيَّقت على نفسي كما ضيَّق عليَّ الحظ فجعل دنياي سريراً، وآفاقي زوايا غرفتي. ولو كنت ممن يعتمدون على البهارِج اللفظية، ويعيشون على الجرس والإيقاع لقفزت من بحر الى بحر، وبدّلت شطّاً بشطّ وتخيّرت من هذه البحور أدناها الى القلب، فاصطفيت الرمل مثلًا ولي عليه قصائد منها قصيدتي (لبنان) ومطلعها:

جاور الأنجم واحتلّ السحابا ... جَبلٌ مُهِّدَ للفردوس بابا
تستحمُّ الشمس في مفرقه ... فاذا غابت فقسراً واغترابا
تحمل الأضواء للدنيا وقد ... نَقَلت عن جفن لبنان الخضابا
ضحك العنقود في أكنافه ... وزكى التفّاح والكوثر ذابا
ساجعاتُ الطير غنَّته الهوى ... فرواها الدوحُ شجواً وعتابا
واستبانَ الفجر في آكامه ... أشقر الأذيال مخضلًّا إهابا
تقطر الأنداء من جبهته ... عبقت آساً وشيحاً وملابا

أو الكامل وعليه قصيدتي: الجنة السمراء ومنها:

مهلًا على الأقدام ناصعة الجنى ... أَشهى من الأحلام والإغفاء
خلع الصباح على مخاملها السَّنا ... فتسربلت منه بأيِّ رداء
عاجيَّة اللمحات نيِّرة الرؤى ... فكأنَّها مغموسةٌ بضياء

منسوجةٌ من مدمع الأبكار أو منحوتةٌ من جبهة الخيلاء
صُبَّت ببرعمة الشقيق فأطلعت ... حُلماً تسلسل في جفون الرائي

أو المجزؤ وعليه قصيدتي الى شاعرة ومنها :

عيناكِ من صفوِ الضيـاء السمح أو صحوِ الضمير
من عالمٍ عـبرِ الظنون أطلّ من مَلَإٍ طهور
من بهجة الإشراق والرؤيا ومن عمـق الدهور

. . .

فاء الجمالُ إلى جبينك أو إلى الصبـح القرير
ولو انَّ حسنك في الزمان لجلّ عن ليل ضرير
ولَراحتِ الأكدار تغرقُ في الشعاع المستطير

. . .

غنِّي فصوتـك خلجةٌ عـذراء في قلب الأثير
غنِّي فَلَحنُكِ في المسامـع كالسحاب على الهجـير
جُنَّت به النسماتُ والإصباحُ كفَّ عن المسير
في كلّ رجعـة آهةٍ عرسٌ يصفِّق في الصدور
جمعت بـك الدنيا محاسنها، عـلى العمر الطرير
والفجر مدَّ وشاحـه فعلى جناح الصبح طيري

ولم يخفَ عليَّ ما في البحر المتقارب المُرقص من عذوبة الإيقاع وهو الوزن الذي يلتزمه شبابنا في عصر الرقص هذا، وما أخطأوا ذوقاً أولم يقل عمر بن أبي ربيعة على هذا البحر:

أحبُّ لحبّك من لم يكن — صفياً لنفسي ولا صاحبا
وأبذل نفسي لمرضاتكم — وأَعتب من جاءكم عاتبا
وأرغب في ودِّ من لم أكن — إلى ودّه قبلكم راغبا
ولو سلك الناس في جانب — من الأرض واعتزلت جانبا
ليمَّمتُ طيَّتها إنني — أرى قربها العجب العاجبا

فإذا كان هذا سحر نغمه في ذلك الزمن فكيف يكون وقعه في عصرنا الحاضر، عصر النعومة والرقّة.

أمَّا ثالث مَقاتلي فهو هذه الصبغة الخطابية الغالبة على معظم شعري، فإذا كان الشعر الخطابيّ منقصة للفن، فيا لَفضيحة الشعر العربي، بدءاً من (قفا نبك) إلى يوم الناس هذا، بل إني أنعى إلى الفنّ طائفة من أعظم شعراء الفرنجة. ويكون في مقدمة المحكوم عليهم بالموت الأبدي فكتور هيغو في أنفَس روائعه، ومنها: «العقاب» و«أسطورة العصور». وكورناي ويشطب من سفر الخلود مآسيه «بوليكت» و«السيد» و«الهوراس» و«الكيرياس». وكذلك القول في قسم من روائع راسين وهو في الرعيل الأول من الشعراء بعد غوته وشكسبير.

وإني لعلى أكثر من اليقين بأنَّ الشعر الخطابي الراقي، بل النثر الخطابيّ النفيس، أبقى على الدهر مما يبتلينا به مرضى الرومنطيقيين البكّائين ولا أطلال العاشقين، ولا حب سوى ما يتقوّلون، وما هم في عصر جميل بثينة وكُثَيِّر عزّة. وتراهم اختصاصيين في الندب والنواح وقد تقاسموا مناطق التذلُّل والعويل، كما يتقاسم رجال السياسة مناطق النفوذ، فواحد اختصاصيّ في الليل وما يجرّ من ويل، وآخر مهمته سكب الدموع وتصعيد الشهيق وزفرات الحريق، وآخر ماهر في الكَدْم والتقبيل، وهكذا الى آخر الباب مما يذكرك بتفجُّع النساء في المآتم، وبما يأتينه من شقّ جيوب، وخمش خدود، وغيبوبة تنتهي الى اللامحدود، وشطحات كشطحات الصوفية بعد الوقوع في الوجد.

. . .

ولقد توخّيت الوضوح في التعبير فدانيت الطبيعة غير مقلّدٍ لها ولا منتقصٍ من قيمة الفنّ، أو كافرٍ بملكوته، فتركت البيان أقرب إلى البساطة منه إلى التعقيد. والبساطة غير السذاجة، ولا تحسبنّها ميسورة المنال بمثل السهولة التي تنشق بها النسيم، فإنَّ المؤلِّف الذي يفكِّر بالقارئ المحترم فيخرج من الأنا إلى اللّاأنا، ويراعي بين ذات وموضوع، ينسف كثيراً من العقبات التي تعترض طريقه إلى القارئ الجدير بهذا الاسم، ويتخلّى عن برجه العاجيّ — وما أكثر الأبراج في هذه الآونة، وما أحسبها عاجاً فقد تكون خزفاً أو زجاجاً — فالشاعر في المجتمع وهو

عضوٌ فيه، فإذا انفصل عنه عاد شلواً منتناً، وكان مثله مثل السمكة التي تنفصل عن الماء فتهلك.

ولم يخفَ عليَّ أنّي، في بعض مقاطع هذه الملحمة، قد حاذيت مستوى النثر، ولا مفرَّ من هذا حين يقتصر القلم على السرد مسوقاً الى ذلك بأسماء الأعلام، من أشخاص وأمكنة ووقائع، أو بالحوادث التي يتحتَّم عليه تدوينها لأنها ركيزة الملحمة، أو بتفصيل الدقائق في بعض المواطن، ولو أغفلها لترك فجوات في السياق تشوّه البناية الشعريّة كلها فَتَصدّع. ومعلوم أنَّ الشعر — عدا الملحمي — يتناول الخطوط الكبرى فيلمّ بالحوادث إلماماً بل يضحّي بكثير منها في سبيل التجريد، يأخذ بالفهرس ويغفل المحتوى لأنَّ الدقائق والتفاصيل من اختصاص الناثر. وعلى هذا الرأي الفيلسوف الجبَّار هجل وقد عرض ذلك عرضاً مسهباً في كتابه على الجمال.

بيد أني كنت أثب بعد هذا الانحدار القسريّ وثبةَ الطائر الذي يلتوي الغصن تحت منسره فيكون هذا الالتواء سبباً في الدفع، فاغتفر لي ايها القارىء دعوى الوثوب هذه، فإنَّ في التواضع الكاذب رياءً يساوي الكبرياء، فإذا كلَّفت الطويل أن يتقاصر فلقد كلَّفته شططاً وسمته عَنَتاً.

قلت إني تعمدت السهولة في التعبير، ولكني لم أعفّ عن بعض ألفاظ مهجورة، بلا ذنب — شرط ألّا تدخل في باب الغريب المستهجن — لأسباب كثيرة، منها قيام هذه الملحمة في صميم جزيرة العرب، وكرّ أحداثها تارةً بين الكثبان والقفار السباسب، وطوراً بين القلاع المنيفة

وحيناً بين الأوتاد والأطناب والهوادج، ولئن حفلت ميادينها بالمصفّحات والمدافع والبنادق فلقد زخرت بالنِّياق الرواسم، وجرد المذاكي، تقصّف في لبّاتها الرماح، وتلتمع في سروجها بيض الصفاح.

وإذن فلا مفرّ من ديباجة تطلّ منها – على ندور – خشونةُ البادية وألفاظٌ مصبوغة باللون المحليّ، فلم نذكر الغزال في الكلام على لندن، ولا العيس في الحديث عن باريس، ولا مراتع الآرام في معرض القول عن لبنان. ولكُنّا غزلنا على غير هذا المنوال لو أدرنا القلم على وصف المقاهي والملاهي وما يشاكلها من مجلس طرب على ضفّة نهر، أو حمّام مخضوضر على سيف البحر.

ومنها الرغبة في توسيع نطاق اللغة وإحياء ما هو جدير بالحياة من كَلِمِها. ومن تحصيل الحاصل قولنا انه لا ينهض بهذه البناية ذلك الجدول اللفظيّ الذي اعتمده بعض شبابنا المغناج لتكلّف الهوى وشرح الصبابات في بعض أبيات. وإنها لحلوة تلك العندلات على الغدير، ولكنّ وكْدَنا ينصرف إلى ما هو أعمق من الغدير وأبعد، فهمّنا في البحر الذي يحمل البوارج الدوارع، يعنينا منه العمق والمقدرة على حمل الوسق، وسعة الأفق، ولا علينا ان يكون ملْحاً أجاجاً فلقد أردناه سبيل العبور لا منهل الشارب.

وقد يؤآخذني ناقد سطحيّ على استطراد يحسبه خروجاً عن الموضوع، ذلك انه يتمثَّل المؤلِّف قطاراً، يتحتّم عليه التزام الخطّ الحديدي، فمن

الخطل أن يحيد عنه يمنة أو يسرة . وما كان الإنسان حديداً بل خضماً يضطرب فيه ألف تيّار . ولا يضاهي هذا الناقد في الغباوة إلّا قارىء عجول أَلِفَ مطالعة الروايات الغرامية أو (البوليسية)، فتراه يطفر من فوق الصفحات، وثْب الأيائل على الصخور، ليعرف ما صار اليه العاشقان أو ما آل اليه أمر المجرم الذي يطارده الشرطيّ . ولقد تعمّدت الاستطراد لأخرج من الخاص الى العام، فإذا كنت قد نهجت هذا النهج في كتابي « مذكّرات جريح » فلم أقصره على شؤون رجل فانٍ قد يرثي له كريم ويشمت به لئيم، فخرجت من الحادثة اليومية الى النظرة العميقة التي تعني كل آدميّ لم يطلِّق إنسانيته، فكيف بي وأنا في صدد ملحمة تشتمل العصور والحوادث، وتتخطّى كونها ملحمة سعودية، الى كونها ملحمة عربيّة طويتها على مئات من الآراء في الاجتماع والفلسفة، وإنّما الفلسفة والأدب توأمان فإن غلبت على أحدهما الرصانة، وعلى أخيه طلاقة الجبين، ووسامة المحيّا فالرحم واحدة . فكلّ أدب تعرّى من الفكر عاد كَلِماً مرصوفة مهما يخلب جرسه الأسماع ويخدع آله الأبصار، إنه لسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء، حسبه لفحة من ريح الشمال فإذا هو الى زوال . فإذا تعرّى الأدب من الفكر فهو ريش الطاووس منفصلًا عن حياة الطائر، تمرّ به الريح فيتناثر . وقد ضلّ بعض نقّاد العرب فزعموا أنّ صعيدَ الفكر يختلف عن صعيد الشعر، حتى إنّ واحداً منهم نفى من دولة الشعر قول المتنبّي :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتكبر في عين الصغير صغارها　　وتصغر في عين الكبير العظائم

ونحن نقول إنَّ المتنبي احتلَّ رفرف الخلد بمثل هذا الشعر الذي يتردَّد على الأَفواه كلَّ يوم. أجل في كلّ يوم يردّد أُلوفٌ من الناطقين بالضاد أمثال هذه الأَبيات :

الرأي قبل شجاعة الشجعان　　هو أَول وهي المحل الثاني

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

يخلو من الهمّ أَخلاهم من الفطن

ومن نكد الدنيا على الحرّ أن يرى　　عدوًّا له ما من صداقته بُدّ

لكلّ امرئ من دهره ما تعودا

وما الحداثة من حلم بمانعة　　قد يوجد الحلم في الشبَّان والشيب

تكسَّرت النصال على النصال الخ الخ . . .

ولو جارينا حضرة الناقد لدفنَّا في العدم أبا العلاء وجعلنا كفنه :

غير مجدٍ في ملّتي واعتقادي .

وما أحسبني قصَّرت في امتداح الفضائل التي تقمَّصت أناساً من مثل الكرم والشجاعة والتقوى والعفو، فكنت أقف الوقفة الطويلة على من تجمَّل بها فأرمي من وراء الإطالة والثناء على أصحابها الى تحبيب الفضيلة نفسها . كما أني لم أقصِّر في النقمة على الرذائل من مثل النفاق والغدر والرياء

والكبرياء وما يتَّصل بهذه السلسلة المشؤومة . وإنما العنف الذي أتناول به من ابتُلي بمثل هذه الآفات الخلقيَّة يقصد به محاربة الرذيلة نفسها لا أربابها ، وإن أصابهم ما أصابهم من السهام، فلا مندوحة لمن يرمي لُبّ الشجرة من اختراق لحائها . وبديهيّ أنَّ لا ثأر لي على واحد منهم، بل اني لا أَعرفهم إلّا من خلال التأريخ الذي اعتمدت . وما خرجت في هذه النقمة عن الاقتداء بروح الكتب الدينيَّة فإنّ السيد المسيح طرد الصيارف وباعة الحمام من الهيكل، ورفع السوط وقلب موائدهم وصاح فيهم : بيتي بيت الصلاة يُدعى وأنتم جعلتموه مغارة للصوص . وشبَّه الأَشرار بالحيَّات أولاد الأَفاعي ، وهيرودس المنافق بالثعلب، والفرّيسيين بالقبور المكلَّسة تُرى من الخارج بيضاء وداخلها عظام منتنة . وطعن كبرياءهم وندَّد بأولئك الذين يحبُّون صدور المجالس في المجامع ، والسلام في الأَسواق ويحمِّلون الناس أحمالًا ثقيلةً ولا يمدّون إليها إصبعاً .

وما سكت القرآن الكريم عن المستكبرين فقال « إنَّ الله لا يحبّ من كان مختالًا فخوراً » . « ولا تمشِ في الأرض مَرحا إنّك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولًا، كلّ ذلك كان عند ربّك مكروهاً » .

وقال في الخيانة « ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إنَّ الله لا يحبّ من كان خوَّاناً أثيماً » . وفي المكر « أفأمن الذين مكروا السيّئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في تقلُّبهم فما هم بمعجزين » .

وفي الغدر « الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كلّ مرّة وهم لا يتقون، فإمّا تثقفنهم في الحرب فشرّد بهم من خلفهم لعلّهم يذكرون » .

وذهب القرآن الى أبعد من هذا كله في النقمة على الشرّ ، فخرج من العام الى الخاص ، وسمّى من سمّى ، فذمّ وأوعد أبا لهب وزوجه « تبّت يدا أبي لهب وتبّ ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى ناراً ذات لهب، وامرأته حمّالة الحطب ، في جيدها حبل من مسد » .

أجل إنّ القرآن المجيد ذمّ أبا لهب وأوعده ناراً ذات لهب، ومكانته في قريش مكانته ، وقرابته من النبي قرابته ، ذلك أنّ الحقّ يعلو ولا يُعلى عليه ، لأنّ الحق هو الله ، ولأنّ الله هو الحقّ .

الحقيقة في الخيال

معلوم أَنَّ هذه الملحمة مدارها الحروب، وأنّ المعامع لا تقوم بين الذين وَحَّدتم المودَّة وأَلَّفت أَشتاتهم، وطَهَّرت قلوبهم، فنزعت منها كلّ غلٍّ فاتكأوا على سرر متقابلين. وما الحرب إلّا ثارات ومطامح وشنآن، وهزيمة وانتصار وعدوان. وإذن فقد كان لابن سعود أَعداء منهم من لقي وجه ربّه، ومنهم من لا يزال في الأحياء. ولو كان في مقدورنا ابتداع خصوم من الجنّ أَو الآلهة نقحِمُهم في الميدان، فعلَ هوميروس في إلياذته، لتحاشينا أَن نمسّ بسوء أَحداً من الآدميين. أَما وقد تحتّم علينا ان نلج البيوت من أَبوابها ونركّز الأمور في نصابها، أَو نضع النقاط على الحروف، كما يقول الإفرنج، فكان لا بُدَّ لنا من ذكر الأشخاص والواقعات، معتمدين التأريخ. وقد أشرنا في الهامش غير مرّة الى المصادر التي لم يستطع أحد تكذيبها.

وليست المداهنة في طبعي، فما أبعدني عن أَساليب الديبلوماسيين الذين يُلبِّسون الكلام ويُموّهون حتى ليذهب الناس في تأويله مذاهب شتّى وفي ذلك ما فيه من تزوير على الحقيقة، وإساءة الى الصراحة.

وما كنت في صدد قصيدة مجردة امتدح بها آل سعود ـ جرياً

على عادة المُدّاح، يدّخرون القصائد الرواسم (clichés) التي تصلح لكلّ سريّ، فما فيها من عناء الخلق، وبهجة الجديد، سوى تبديل أسماء الأعلام – بل في سبيل ملحمة موصولة الأسباب، متماسكة العرى، فاذا أَسقطت واحدة منها انقطعت السلسلة، وخرجت بقصائد مدح لا يجد لها المنصفون مُسوّغاً لانقطاع صلتها بالواقع، فإنّ الطائرة لتحلّق في الجوّ، ولكنَّها قبل التصعيد في الأثير تنطلق من الأرض، منْ المطار، والمطار في مقامنا هذا هو التأريخ، والتأريخ ملك الماضي الذي لا يرحم أَحداً فمن أَحسن فلنفسهِ ومن أَساء فعليها. وفي الكلام المأثور أنَّ من لم يحمد عدلًا ويذمَّ جوراً فقد جاهر الله بالمحاربة. وما أَحسبني ظلمت خصوم آل سعود، فلقد ذكرت لهم مناقبهم، وما تغاضيت عن هفواتهم لعلاقتها بالحرب ومن ثمَّ بالملحمة. ولعمري إنَّ ما عرف من سيّئاتهم في الواقع لأكثر مما ذكرت منها في الشعر، غير أنَّ الشعر يجسّم الحسنات والسيّئات فتبدو من خلال عدسة المجهر، ولولا المجهر لسقط الشعر – كل شعر – من أساسه وسلم التأريخ والمعادلات الجبرية وما شاكلها.

ومما نحمد الله عليه في يومنا الحاضر هو ان العدوان الذي أثار السيوف العربية بالأمس قد تلاشى، وعفا الله عمّا سلف، ولا تزر وازرة وزر أخرى.

وإنّه لما يثلج الصدور، أنَّ صاحب الجلالة المعظَّم الملك سعود بن عبد العزيز افتتح عهده بالملك بأن مدَّ يد السلام الى الأقطار العربية

جميعاً، وفتح على الأُخوّة ذلك الصدر الرحب الحافل بسجايا عبد العزيز، حسام العروبة، وحامل بندها، ورمز كرامتها في العصر الحديث.

وأرى، قبل ختام هذا التصدير، أن الفت نظر القارئ الى نقاط تقوم لي في جانب العذر، وهي من الوجاهة بمكان.

فمنها أنَّ هذه الملحمة تساوي نصف إلياذة هوميروس كمّيةً وإن تدنّت عنها كيفيّةً، فما خطر لي ببال أن أضع وجهاً للمفاضلة بيني وبين ذلك الأعمى، الذي استنار ببصيرته شعراء الملاحم الذين عقبوه فكانوا كلّهم عيالاً عليه، برغم الشك في صحة نسبة الإلياذة اليه، اذ قال بعضهم إنَّ تلك الأناشيد أو معظمها جرت على ألسنة الإغريق قبله فكان لهوميروس فضل التدوين فقط. وزعم فريق أنَّ مؤلفها غير واحد من شعراء مغمورين وأنَّ الرجل صقلها ونسقها فزاد وحذف، الى آخر ما هنالك من التقوّل والحدس.

ومنها صعوبة القافية العربية والمشقة في إنزالها منازلها التي تطمئن فيها، ولاسيّما إذا طالت الفصول فجاوزت مئات القوافي، وليس لهذه العقاب من مماثل في لغة الإغريق، حيث يتطلّق الرويّ من القيود، ويحتلّ ما يشاء من رحاب السهول وشعاف الجبال. ولا تنسَ أنَّ سعة الآنية تزيد في قوّة السكب.

ومنها أنَّ الخيال الهوميريّ كان اذا ضاقت به أسوار طروادة

وضواحيها ينفلت من البرّ الى البحر ، ويدير دفّات السفن الى حيث تطيب له الريح ويوآتيه النسيم . فإذا اعتلّ عليه الخصمّ على رحبه ، حلّق إلى أعلى من الجبال، فسرح بين الكواكب، واقتحم السماء على الآلهة فأنطق سيدهم جوبيتر على هواه، واستنزل سواه من الآلهة إلى الوقيعة، فسخّر واحداً لإثارة البحر أو إخماده، وجعل من الآخر حدّاداً يصوغ ترساً (لأخيل) فيرسم عليه خريطة الأرض والفلك . وكلّف إلهة الحب أن تتراءى لهكتور وتخدعه كما خدعت من قبله هيلانة فكلفت بابن ملك طروادة . أما صاحب هذه الملحمة فإنّ حوله من القيود ما لا يعلمه إلّا الله والذين حاولوا ملحمة عربية . وإنّ لفظة (عربية) قيد احترازي فإنّ مهمة الفردوسي في « الشاهنامه »، وقد أنفق حياته في نظمها، لأسهل من مهمتي ألف مرة .

ومنها ضيق الزمن، وهو عنصر جوهريّ ، إذ الكون بما فيه داخل في الزمان والمكان ، ولا يتعالى على هذا التعريف إلا الله وحده، ولقد أنشأت – وأنا المهيض الجناح – في بضعة أشهر ما يقتضي النسر المعافى بضع سنوات . ولا أغالي إذا قلت إنها ملحمة مرتجلة أو تكاد . وأرجو أن يُكتب لها العيش فيتمادى بها الزمن وتكتسي من جلال القدم ما يكفل لها البقاء . وما القِدَم ــ وهو داخل في الزمان أيضاً ــ بالأمر اليسير، فهو الذي يخلع على الأثريّات والتحف قيمتها، ولو كانت آنية من خزف . ولا ريب أنّ السهل الذي يمتدّ مئات الأَميال يلقي في نفس الناظر اليه روعة أعلى من تلك التي يثيرها منظر مرج لا يعدو بضعة

أميال، وأنَّ ما يصحّ في المكان، من هذه الجهة، يصحّ في الزمان أيضاً، ولعلّه الكفيل بإنضاج هذه الثمرة الفجّة. ومنها أنَّ هذا الجريح ما برح منذ ثلاث عشرة سنة معلّقاً بخيط مشيط فوق هاوية الأبدية، ولعلّ أصدق صورة للمأساة هي تلك التي وصف آلامه فيها بفاتحة وخاتمة ملحمة «عيد الغدير» حيث يقول:

يا مليك الحياة أنزل عَليّا عزمةً منك تبعث الصخر حَيّا
جود كفَّيك إن تشأ يملأ العيش نماءً ويفرش الجدب فيّا
يوقظ الزهر فالربيع على التلّ ضحوكُ الألوان طلق المحيّا
كلّما افترّ برعم داعَبَتْهُ كفّ ريح تقول للطيب هَيّا
واهبَ النور والندى للروابي أولني من جمال وجهك شَيّا
طال في منقع العذاب مقامي واستراح الشقاء في مقلتيّا
فنسيت النهار من طول ليلي أترى الليل شرعك الأبديّا ؟
ليتني أبصر النجوم فأهدي في العشيّات بسمة للثريّا
إنَّ حظّي من الحياة سرير صرت منه فلم يعد خشبيّا
كل هذي الدنيا الطليقة أضحت ويحَ حظّي ! أضحت حراماً عليّا

. . .

ويحَ حظّيّ ! تنوء بالحسّ أعصابي إذا جلجل الخيال دويّا
فإنِ استمسكت فعيد القوافي وإذا ما وهت ذويتُ شجيّا
ليس عجباً أن يخطىء الصيدَ رامٍ أوهنَ الحظُّ طرفَه العبقريّا

آه يا داءُ لو تركت لعيني فسحة الأُفق ملعباً ورديّاً
أَو أَزحتَ الكابوسَ عن صدريَ الواهي أعبُّ النسيم وردا شذيّا
فيسيل الجمالُ خمرَ حياةٍ ويهلّ اليراعُ دفقَ حميّا
حطّمت سورةُ العذاب يراعي واستباحت فمي، وغلّت يديّا
أتلوّى على الجراح صباحاً ويفتّ الناسور عظمي عشيّاً
فتعجّب لسابحٍ في جحيمٍ صاغه الخطب زورقاً بشريّا

فإذا أفسحت أيّها القارئ زاوية صغيرة من صدرك الرحب لهذا الزورق البشري السابح في جحيم العذاب فلك مني الشكر ومن ربك الرحيم الأَجر إن شاء الله.

بيروت ٢٨ مارس سنة ١٩٥٥

بولس سلامه

أحلام الجزيرة

غلغلَ الليلُ واستطال الشقاءُ ... وادلَهمَّتْ في المشرق الأرجاءُ

أين أيَّام «يعربٍ» وحضاراتٌ ... ومجدٌ ضاعت به الأسماءُ

كسلٌ أوهنَ الجزيرة حتى ... شمسُها في سمائها شلَّاءُ

فالسُّبات المديد هدَّ قواها ... فعلى مجدها التليد العفاءُ

والظباء الخِفاف قد بِتنَ فيها ... نائماتِ الضحى وما ناب داءُ

وكثيرٌ من الرقاد عياءٌ ... دونه في الرزيَّةِ الإعياءُ

الحياة الحياة أخذٌ وردٌّ ... فاذا ما جَلت أقام الفناءُ

. . .

واحة العزّ والمكارم باتت ... وعليها من الهوانِ رداءُ

صَفِر النجدُ من صهيل المذاكي ... فخُوارٌ أصداؤه أو ثغاءُ

فكأنّ «النفودَ» ما أيقظتهُ ... صيحةٌ تغلبيَّةٌ عرباءُ[1]

عزمةٌ هزّتِ «القصيم» فطاب الظلُّ ... في سفحه ولذّ الماءُ[2]

---

١ النفود قفر يفصل بين نجد الشمالية وصحراء سوريا . ٢ القصيم منطقة نجدية خصبة وافرة المياه صافية الهواء والسماء تمتد في خط يبلغ طوله اكثر من مئة ميل وفيه تقع اكبر مدينتين تجاريتين في قلب الجزيرة وهما عنيزة وبريده . (جزيرة العرب لحافظ وهبه)

يا لياليه خُرّداً حالماتٍ بالألى جاوروا السماك وباؤوا

فبها من جلالهم هيبة الماضي، وفيهم من حسنها سيماء

ذكرَتْ كلّ أبلجٍ من نزارٍ فاعترتها لذكره خُيلاء

أسدٌ من ربيعةٍ كان ملء السمع واللحظ فاتّئِدْ يا ضياء

جدُّ أعلى السراة آل سعودٍ شرفُ البيد عزّهم والرواء[1]

عَمُّهم وائلٌ فيا لكُليبٍ كلما طَيَّبَ الزمانَ الثناء

مرسل السابحاتِ يوم خزازَى لِحَمى كفِّه يفيء اللواء[2]

يوم ذي قارَ أيُّ مولد مجدٍ سطّرته اللهازم البسلاء[3]

نزّلته الأسنَّة الزرق آياتٍ فضاءَتْ حروفها الحمراء

قيل بُعداً للظالمين وَقرَّتْ فُلْكُ عدنانَ وامَّحى الدخلاء

أبتِ «الخرجُ» أن تدين لكسرى و«عُمانٌ» و«الوشمُ» و«الأحساء»[4]

تُرْبُها آلَف الفصاحة حتى لتوآذيه لُكنةٌ عجماء

رملها التِبْرُ ذَهَبَتْهُ القوافي واللآلي أفاضها الشعراء

دُحِرتْ فارسٌ وعزّ مَعَدٌّ وكليبٌ دانت له الزعماء

صائنُ الطير والظبا والمهاري وعلى ظلّه يطرُّ الكلاء

جاورته «البسوس» آيةَ مكرٍ كلُّ حربٍ سعيرها حواء

---

١ راجع أنساب العرب . ٢ كان كليب وائل سيد بني تغلب وملك قبائل معد كلها وهو قائد قبائل ربيعة ومضر يوم خزازى او يوم ذي قار وفيه انهزمت جموع اليمن وخلع كليب عن المعديين نير سيادة الغرباء وكان أول فوز للعرب على العجم (الشعراء الفرسان لبطرس البستاني) . ٣ اللهازم هم عنزة ابن أسد بن ربيعة والحلفاء الذين ناصروهم في ذلك اليوم الحاسم ومن عنزة يتحدر المساليخ أقرباء آل سعود .
٤ الخرج وعمان والوشم والأحساء أعلام أمكنة في الجزيرة . ولا بد من التنبيه الى اننا استعملنا الخرج على انها مؤنث مضمرين لفظة «بلاد» او «منطقة» وكذلك القول في نجد وسواها من الأمصار حين نؤنثها .

«بسرابٍ» جسَّاسُ نلت كليباً! خسِئ المفتدى وعزّ الفداء[1]
طعنة من ورائه كيف تُنسى ولها الجيل والفناء وراء
أيُّ زيرٍ هذا الذي صرعَتْهُ وهو ملءُ المسامع الصهباء[2]
روّع الأسد والنمورةَ فَراساً، وماتت على هواه النساء
سل عن الزير في الذنائب، والأبطال فَرَّت كما تفرّ الشاء[3]
يتغنّى الحداةُ باسم أبي ليلى، ويزهو العُلا، ويرضى الإخاء

. . .

وتمادى حلمُ الجزيرة بالأبطال فالأمس بالكماة امتلاء
يحلم الشيخُ بالشباب المُولّي وبأيام حسنها الحسناء
ذَكَرتْ عنتراً فهلّت على الليل «التِهاميِّ» نجمة زهراء[4]
غارَ منه الأبنوسُ لوناً وقدّاً فهْو والدوح في المُرودِ سواء
أليليٌّ الإهاب، سبطُ التراقي أحْمَشُ الساق، سلهبٌ، عدّاء[5]
أسود الجلد، أبيض الخُلق شهمٌ عَذُبَ الماءُ وأكفهرّ الإناء
ليس عفُّ الإزار والكفّ عبداً انما العبد نفسه السوداء
وسواد العيون أنفَسُ ما فيها، وعمياءُ مقلةٌ بيضاء
أطلعتك النجودُ فارسَ عبس فرَّها شيحُها وطاب الكباء[6]

---

١ سراب اسم الناقة المشؤومة التي رماها كليب بسهم وبسببها غدره جساس ودامت الحرب أربعين سنة بين بكر وتغلب . ٢ الزير هو المهلهل البطل الشاعر المعروف . ٣ يوم الذنائب هو اشهر انتصارات تغلب على بكر . ٤ التهاميّ في النسبة الى تهامة . ٥ السبط هو المسترسل وأحمش الساق دقيقها والسلهب الطويل والعدّاء هو السريع الخطو . ٦ الشيح والكباء والعرار انواع من نبات الجزيرة الطيّب الفوح .

فَمِنَ العزم للرعانِ انتسابٌ ومن الخُلق للعرار انتماء

أَيّ شرّ أثاره ابن «زُهيرٍ» وابن «بدرٍ» فاهتزّت الصحراء

بعث الحربَ «داحسٌ» فاستطارت وأَمدّت بالعِثْيَرِ «الغبراء»[1]

أمطرت نارها نجيعاً ودمعاً ومن الحافرين ذرّ البلاء

وبنو «العبس» جمرة العُرب لولا عنترٌ لاعترى سناها انطفاء[2]

اذ ينادون وَيْكَ عنتر أَقدِمْ وعزيز على النجيد النداء

المروآت في دماه استجابت واستشاط الفؤاد والأحناء

وتنزّتْ أَوداجه والجفونُ الحمرُ أَجت فدونها الرمضاء

فرمى في العجاج مهراً قتاماً كان ليلًا فحَمَّرتهُ الدماء[3]

قنفذاً عاد من وقوع السهام الزرق غَصَّت بسيلها الأعضاء

كاد يبكي من الجراحات لولا أنّ في سرجه استقرّ الرجاء

فتعجّب لأدهمين أطلّتْ منهما في المعامع الأضواء

قد يذرّ الضياء من جنح ليلٍ ومن الخير قد يطلّ الشقاء

لم يروّع «أبا الفوارس» جيشٌ كلما ازداد زاد منه المضاء[4]

خلفه طرف عبلةٍ ولماها فالمنايا لطرفه إغراء

. . .

ذُكِرَتْ عبلةٌ فاوداء نجدٍ ورباها وريحها أَشذاء

---

[1] اشارة الى الحرب بسبب سباق بين داحس وهو جواد قيس بن زهير سيد بني عبس والغبراء وهي فرس لحمل بن بدر سيد بني فزارة، والعثير هو العجاج . [2] كانت القبائل تنعت بني عبس : بجمرة العرب .
[3] القتام هو الأسود . [4] ابو الفوارس هو لقب عنترة .

تهبط الشمسُ تستحمّ بعينيها، فيحلو الضحى ويزكى الخباء
من فتيتِ الريحان صيغت كَعابٌ غضَّةٌ سمهريّة أدماء
ومن الصندل الرطيب وفوح النّدّ والرنـد، صُبَّتِ الهيفاء
بأسمها تَركُدُ الهواجر، والصحراء تندى، ويُستطابُ الهـواء
فَتَشامَخْ يا مالكُ بنَ قرادٍ واطلب المهر ما يشاء الغلاء [1]
لا تساوي النوقُ العصافيرُ والنعمانُ والقصر والربى الغنّاء
نظرةً من عبيلةٍ، لابن شدّادٍ، مواعيدُها الهوى والوفاء
لا تساوي من شعر عنترَ بيتاً جلجلت فيه رنّةٌ عذراء
كفّةُ المال في الموازين شالتْ وتسامى النهى وجلّ البهـاء

• • •

كَلِفت «بالمكدَّم» الليث خودٌ مثلمـا يعشق الضياءَ العماء [2]
أبلجُ الوجـه لؤلؤيُّ الثنايا تَوَّجتهُ الذؤابـةُ الشقراء
الكنانيُّ فارسُ البيـد، لم تحلم بأمضى من سيفه اليَهْماء [3]
عنتر البيض يا ربيعةُ فأنعمْ بصباح لا يقتفيـه مساء
فيه من صولة الأسود فؤادٌ ومن الغيد عِفَّةٌ وحياء

---

١ هو والد عبلة وعمّ عنترة وكان يأبى تزويج بنته بابن أخيه فأخذ يسعى للخلاص منه بالقائه في المهالك فطلب مهر عبلة ألف ناقة من عصافير الملك النعمان وهي أكرم النياق فسار في طلبها ولا رفيق له سوى اخيه شيبوب فلاق أشد الاهوال وما زال مجاهداً حتى عاد ظافراً . ٢ هو ربيعة بن المكدّم فارس بني كنانة بل فارس العرب في الجاهلية ويطلق الرواة عليه لقب حامي الظعينة . لقيه دريد بن الصمة وعمرو بن معدي كرب فأدهشها . وكان فتى جميل الصورة حلو الشمائل . وظل الفرسان يمرّون على قبره خاشعين يسلمون على حامي الظعينة حيّاً وميتاً . (الشعراء الفرسان لبطرس البستاني) . ٣ اليهماء : الفلاة الواسعة .

حاميَ الظعن والحرائر فرداً وَاكَبَتْهُ قناتُه السمراء
سِنُّها ينظم النجوم عقوداً لو تَمَنَّتْ مَهاتُهُ الغيداء
سل «دُريداً» به وسائل «أبا ثورٍ» تُجبكَ الأشاوسُ الأكفاء[1]
من يُحاولْ سلب الهصور يُضرَّج فإذا لم يمت فنعم الغناء
صائن الغادة الضعيفة حَياً طالما حَجَّ قبره الضعفاء
هيبة الميِّت السَمَيْذَع حصن تُتَّقى في جواره الأرزاء
لِلْمغاويرِ سنَّةٌ أَنَّ منهم في الملمَّات يصطفى الشفعاء

• • •

طود سلمى، وهل يردُّ ندائي أبلقٌ من ترابه العظماء[2]
دُلّني أين حاتمٌ، وَلئن تصمتْ يُجبْني من الضريح السخاء
قبره حيثما تجود المراعي ويطيب النمير والأفياء
حيث لا تصدر الشفاه ظِماءً حيث لا يُخمص البطونَ الخواء
أقسم الجودُ بالذي في ظلام الرمس ألّا تجوزه عجفاء
أَشبع الأرض حاتمٌ وهو حيٌّ ولها منه في الضريح غذاء
قبره حيث لا يمرُّ جبانٌ طرحته زنيمةٌ لكعاء
حيث تَستوقِفُ المناجيدَ ذكرى ويصدُّ الأنذال والبخلاء

---

١ أبو ثور كنية عمرو بن معدي كرب فارس بني زبيد وقد أطلقه ربيعة بعد أن غلبه وجزّ ناصيته . أما دريد بن الصمة فقد شهد من ربيعة عجائب الفروسية يوم حمى الظعينة وحده وجندل الابطال .

٢ كان ذلك في الجاهلية أما زيارة القبور في الاسلام فمن أجل الدعاء للميت .

٣ طود سلمى هو الجبل الذي كانت تقطنه قبيلة حاتم الطائي .

من يجاورْ «أبا عديٍّ» يُجاورْ حصنَ مجد لاذَتْ به الكرماء[1]

. . .

طود سلمى فَتّحْ ورودكَ وأذكر أسداً باركت عليه السماء
بلسان النبيّ سمَّته زيد الخير فاخضوضرت بـه الغبراء[2]
جاوز السمهريَّ بسطـة أجلادٍ، وما فيـه بالطعان انثناء
يطأ الأرض راكباً فعـلى مَتنِ الْمُغيرات فارسٌ مَشّاء
يتبارى الكُميتُ والوِردُ والهطّالُ، فالساحُ نَشْرَةٌ وانطـواء
سابحاتٍ عرفنَ زيداً إذِ أحمرّتْ عوالٍ وضُرِّجت دهماء
فَتَسابَقنَ تحتــه للمنايا فله من نحورهــنَّ وقاء
فتصاهلنَ كلما سلَّ سيفاً حسبهنَّ التلويح والإيماء
ضابحاتٍ فورياتٍ زناداً حـين تشتدُّ غارة شعواء
عزّها عزّ فارس لم يُجدَّلْ فاسمه في سماعها كبرياء
هكذا تفخر العروسُ الصبايا حين تكسو بنانَها الحنَّاء
حَمحمتْ يوم غيَّبوهُ، وكاد الدمع يجري، لو تدمـع العجماء

. . .

١ ابوعديّ كنية حاتم . ٢ هو زيد الخيل الطائي وأضيفت الخيل اليه لشغفه بها ولكثرة ما اجتمع لديه منها . وقـد عرفت له ستة أفراس باسمائها وهي : الهطّال والورد والكميت وكامل ودؤول ولاحق . وكان زيد طوالا عملاقاً يركب الفرس العظيم فتخط رجلاه في الارض كأنه راكب على حمار . ولهيكله هيبة وجمال يؤخذ بهامن يراه فعامر ابن الطفيل على شجاعته راعه منظره فاستأسر له . وقدم على النبي في وفد بني طي سنة تسع للهجرة فلما أبصره النبي أعجب به فقال : ما وصف لي أحد في الجاهلية فرأيته في الاسلام إلا رأيته دون الصفة غيرك . وأسلم زيد الخيل على يده فسمّاه زيد الخير وأقطعه أرضاً يستغلّها (الشعراء الفرسان) .

إحلمي يا جزيرة العُربِ، فالأحلام ليلٌ بوحيه يُستضاء
لا يضير الأمس الدجيّ غموضٌ فمن الليل قد تهلّ ذُكاء
هالةُ المجد والجلالة، في الألواح، ظلٌّ ومسحة دكناء
إن شعباً من الأصالة عافٍ هو في كفَّة الزمان هباء
يحفِزُ المرءَ للعلاء جدودٌ كلما احلولَكَ المصير أضاؤا
ويهزّ الأعقابَ أن عِماد الخلد عرش يحتلّه الآباء
شيَّدتهُ تلك السيوف العواري والقلوب الأبيّة السمحاء
الأبيّون جدّ كل أبيّ هُم من النُكّس اللئام براء
ذاك ان الأمجاد لا تعرف الجنسَ، فخير الورى لها أبناء
رُبّ قربى تشدُّ حيًّا لميتٍ لم يُمتّع بمثلها الأحياء
وحدةٌ دورةُ الزمان، وإن خِيلَتْ قُروناً ودقَّتِ الأجزاء
لوقوفِ الأحباب، عند رسوم الدار، معنًى ما طالَه الخلعاء
ما النواسيُّ جاحداً غير مسخٍ هدَّه الفسق والطلا والزناء [1]

. . .

هلِّلي يا جزيرة العُربِ، فالأسحار لاحت وأنجابَتِ الظلماء
واذكريه على الزمان صباحاً لألأت من سنائه الأرجاء
هضبات الحجاز أضحَتْ شموساً فاستضاءت بنورها صنعاء
هزّ أمّ القرى وليد يتيمٌ وتدلّى، على الربى اللألاء

---

[1] المقصود تسفيه قول ابي نؤاس :
عاج الشقي على رسم يسائله ورحت أسأل عن خمّارة البلد

سِدْرُها حامل رفيفَ الدراري وعَضاها ثماره الجوزاء
أرهفَ الكونُ سمعَهُ وتمشّتْ في شرايينه الرؤى والصفاء
الرياح الزعازعُ الهوجُ قرّتْ وتلاشى الإعصار والأنواء
لا هديلٌ ولا نزيبُ ظبـاءٍ لا ثغاءٌ لا صهلةٌ لا رُغاء
أمسكت في الحجاز كلُّ لهاةٍ واعترى الصوت خفتةٌ وامّحاء
أنصت الدهر خاشعاً وتولّت سدرة الوحي والبيان حِراء
أيّ غارٍ ذاك الذي وسع الرؤيا، ومن وَقْرِها ينـوء الفضاء
كيف لم تنفجر زواياه أشلاءً فتهوي لزمزم الأحناء
قال جبريل بأسم ربّك: إقرأ فالبرايا وأهلها إصغاء[1]
فتلاها، فبثَّ في الكون كوناً كتب الدهرُ سفره والبقاء
يا لها من هنيهـة سمَّرتها في ثنايا خلودهـا الآناء
لحظةٌ جازتِ العصورَ ونَدَّتْ فهي في صفحة العصور امتلاء
أبدٌ ملؤها فما لها بعـدٌ لا مزيدٌ لا غاية لا انتهـاء
هاتِ يا أحمـد المعظَّمُ آياً سجدت عند سحره البلغاء
راعهم انه الجمـان المصفّى وبلاغٌ مطهَّرٌ وأداء
لغة الضاد لم يُنزّل بأبهى من لآلي كنوزها الإيحاء
إن تكن سائر اللغات أكاماً فهي في سدّة العلا سيناء
جرْسها لذّ في المسامع حتّى ليقولون: لهجةٌ أم غناء

---

١ اشارة الى الآيات الأولى المنزلة في سورة العلق وهي: اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم، علّم الانسان ما لم يعلم.

أَم أَغاريدُ بلبلٍ، أَم هديلٌ طَرَّبت في لُحونه الورقاء

ليس فضلٌ في روضها لفصيحٍ فعلى الضاد تنشأُ الفصحاء

جاءَ ذُو مِرَّةٍ يسلسل ريَّاها فحار الصوَّابة الخطباء[1]

أَعجزَتهمْ «ياسينُ» و «النجمُ» و «الرحمن» و «النور» بعده «الإِسراء»

وأَهلَّ «الضحى» و «مريمُ» هَلَّت وتوالى «البروج» و «الشعراء»[2]

كلّ قول لغوٌ وكلٌّ بيانٍ عجمةٌ حين ينطق الأنبياء

. . .

هل دَرَتْ أَنجُدُ الحجاز العواري كيف للمشرِقَينِ منها اكتساء

أَطلعتْ كوكبَ الفصاحةِ أَرضٌ عزّ فيها النبات والأنداء

الشعابُ الدكناء فيها جحيمٌ وقفارٌ سهولها الفيحاء

تصرفُ العين غمَّةٌ في رباها مثلما تصدم الفتى الشمطاء

هلّلي يا تلال مكّة وليفرحْ «ثبيرٌ» ولْتبسم الربداء[3]

فالصعيد الذي رعى ظلّ طه كلّ ما فيه روضة غنّاء

يخفقُ المنبر اليبيسُ ويحنو ومن الوجد تنطق الحصباء

. . .

الشعاب الدكناء هشَّت لطه وجفاه الأَصحاب والأقرباء

قدّر الله للنبيِّينَ أَن يشقوا، وفي مطلب السماء الشقاء[4]

---

١ ذو مرّة إشارة الى الآية الواردة في سورة النجم علّمه شديد القوى، ذو مرّة فاستوى.

٢ اشارة الى سورة يس وسواها من السور. ٣ ثبير اسم جبل.

٤ لو قال: (ارتقاء) لكان أولى.

فهُمُ الشمس يُهتدى بسناها وسناهـا لعينها إفناء
رُبّ نبعٍ ينـدّ عنه ذووهُ ويبيتون والشفاهُ ظِماء
حسدٌ يغمر القلوب فتعمى وتلظّى وقربهـا السقّاء
كم عظيم ثوى ولولاه لم يشرُفْ نسيبٌ، ولا زكى نُبلاء
يَتَهاَجونَ باسمه وهو حيٌّ واليه بعـد المات انتماء
أهلهُ الأبعدون عهداً وداراً ومزاراً فأهلـه الغرباء
فاهجر الأهلَ يا محمد وانزل بـلداً أَنت فخره والسناء
ضِفّتهُ برهةً من الدهر فيهـا خيره السمح والعلى والرخاء
يأخـذ المصلح العظيم يَسيراً وعلى قـدر نفسه الإيفاء
نهلةُ البحر ما تدرُّ السواقي وبـه عن سخائها استغناء
ويردّ الربا ففي كلّ صقعٍ من جَداهُ سحابة وطفاء
الفيافي من جوده مخصباتٌ والمفـازات دولةٌ خضراء

. . .

يا ذَراري الأنصار تيهوا، على الأحقـاب، فخراً فأنتمُ الوجهاء
كان آباؤكُمْ دُرُوعاً لِطـه ولهم كان صوبُـه والدعاء[1]
يا سيوف النبيِ والنقع يمٌّ أعوزتـه الشطآن والميناء
يتهاوى المهاجرون عـلى الآذيّ فيه وتَشرَق الدأماء
قادَهم فارس يجرّ المنايا فالمنايا وزنـده حُلفاء
ما رأت مثل سيفه قوس نصرٍ منذ ما شَرّفَ الحديدَ انتضاء

١ الصوب : السحاب والمراد هنا العطاء .

كلّ عَضبٍ قبل «المفقّر» رمزٌ فالمواضي بعد الشطيب اقتفاء[1]
حدّه الحدُّ للعصور الخوالي وبه للّتي تجيء اقتداء
سيف طه مضى بكفّ عليٍّ وتساوى الجلال والإبلاء
وانبرى ذو الفقار ينثر مجداً فالأعادي سنابلٌ حصداء
من عدته المنون آب جريحاً أو أسيراً فلينعم الأسراء
يوم بدرٍ إذِ البواتر والمرّانُ لمعٌ وغابة شجراء
خفقت راية «العقاب» انتشاءً ومشت في خيوطها السرّاء[2]
قام جبريل فوقها فتداعى تحتها من كُماتِهِمْ شهداء
ورَدتْ وهي فحمة الليل وجهاً صدرت وهي وردةٌ حمراء
عُقدت رايةً فعادت شعاراً فَوَّقَتْهُ الدماء واللألاء
ينفس التبر وهو بعض جمادٍ ويباهي بكنزه الأغنياء
قِيمٌ سنّها الورى ورموزٌ رسّختها السنون والآراء
ذاك ان الإنسان أرفع ما في الكون، فالكون عنده ما يشاء
فبه يتفهُ الوضيع ويدنى وتعالى وتنفس الأشياء
مئزرٌ رمزُ أمّة خلّدته قضبٌ مشرفيّة حدباء
إذْ يجوبُ النبيّ كثبان بدرٍ وحواليه عصبة أمناء
قال: ربيّ اكفِني عدوّاً مريداً أبطرته الحميّة الرعناء[3]

---

١ هو ذو الفقار سيف مشهور كان للنبي فأهداه الى بطل الاسلام ابي الحسن وفيهما قال الشاعر :
لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

٢ العقاب اسم راية النبي وكانت إزاراً لعائشة .

٣ الكلام الذي يرد في هذا الابتهال لم يصدر عن النبي بمبناه بل بما يقارب هذه المعاني .

فاق عـدًّا وصولة وعتاداً والأقلّون زُهّـدٌ فقراء
يسترون العريَ القبيح بطِمرٍ أو بدرع أفاضها الإطواء
فزنودٌ ضوامرٌ وَقِدامٌ عـاريات يحزّ فيها الحفاء
فهنا العابدوكَ سرًّا وجهراً وهناك الأصنـام والخبثاء
وأبو « الجهل » عنـدهم ، وعلى كفيَّهِ قام الطغاة والجهلاء [1]
وقيانٌ من كل أنثى هلوكٍ طَفَرت من جفونها الأسواء
تخِذوا المـال للفساد فخمرٌ فقمارٌ فشهوة فبغـاء
بطروا في النعيم رحمـاكَ ربيّ من لدنْـك النعيم والنعماء
يصلفُ المرء في الرخاء وَينشى وَهْو طينٌ جادت به الدقعاء
أنت رَوْحَنْتُهُ ، ولولاكَ لم ينبض جمـادٌ ولم يشّ خَلاء [2]
فإذا شئتَ للعتيِّ هلاكاً أهلكتـه ذبابة زرقاء

. . .

رَبّ ثَبّتْ أقدامنـا فرُبانا دمثاتٌ رِمالُها الدعصاء [3]
وتسيخ الأقـدام فيها ، فللأعصاب وهْنٌ وللجلود صلاء
واسْقِنا فالشفاه حرّاءُ ظمأى جَفَّت البئر واستجار السقاء
كان جدّي إنِ السحابُ توانى واكفهرّت آكامنا القرعاء [4]

---

١ هو ابو جهل الزعيم المشهور وألدّ أعداء محمد . ٢ شققت روحنته من رَوحَن وزن فعلل كما تقول برهن فاذا جمدت المجامع العلمية ففي عنق الشاعر روحنة الجمـود المخجل . ٣ الدِعصاء الأرض السهلة يكون الحرّ فيها أشدّ مما في غيرها وكانت الاقدام تغرق في تلـك الارض الدمثة يوم بدر .
٤ كان ينصب لعبد المطلب كرسي على عرفات فيصبح غادياً الى الجبل ومعه حفيده فيرفع يديه الى الله بالدعاء ويستسقي به .

والنِعاجُ السمانُ باتت عجافاً ليس إلّا عظامها والفراء
كان يستمطر الغمام بطفلٍ مَضَّه يُتْمُهُ وجلّ الإباء
وأنا ذلك اليتيم الذي أنزلت فيه الضحى فأين الشتاء؟ [1]
قالها فالسحاب دَرٌّ كريمٍ لكريمٍ خصومُه الأغبياء
واستفاض القليبُ، فالرمل مشدود الخلايا، ومتنه صفواء [2]
وتبارت حمرُ الظُبى حالياتٍ وتوالت بفوزها الأنباء
بدرُ يا مستهلَّ خير جهادٍ عزّ فيه الحنيفُ والحنفاء
« فحنين » و « خيبرٌ » و « زبيد » تبعٌ، كالغِنى يليه الثراء [3]
تتبع المطلعَ البديعَ القوافي فتتمُّ القصيدة العصماء

...

وتسامى النبيُّ للملأ الأعلى، وسارت في نوره الخلفاء
يملكون الدنيا ويرضون منها بيسيرٍ: فلقمةٌ وكساء
وإذا تكبر النفوس، فما الأجسام إلا مطيّةٌ هوجاء
تُتّقى بالعنان مدًّا وجزراً ويُدال الإمساك والإرخاء
سل علياً بها يجبك حكيمٌ نَهلت من معينه الحكماء
سل وليَّ البيان، وهو أمير الزهد، إن كان للتُقى أمراء
سائلِ ابن الخطّاب، عن ثوبه البالي، يجبْك الرهبان والجبناء [4]
فاتحَ القدس يا صديق النصارى لك ملء الهياكل الإطراء

---

١ اشارة الى ما ورد في سورة الضحى « ألم يجدك يتيماً فآوى » . ٢ القليب البئر القديمة التى كانت في بدر .
٣ حنين وخيبر وزبيد معارك مشهورة غير ان انتصار بدر يعتبر المفتاح الاول لانتصار الإسلام .
٤ سار الخليفة عمر بن الخطاب الى بيت المقدس وعليه مرقعة من صوف فيها أربع وعشرون رقعة بعضها من أديم .

جئتها فاتحاً فكنت حبيباً أغدقَتْ من يمينه الآلاء
وتآخت مآذنٌ وقبابٌ والأعالي في طبعهن الإخاء
السفوح الدكناء ساحُ الدنايا والصياصي نسائمٌ وصفاء [١]
نفحات الأثير للأنفس الجُلّى، وفي الوحلِ ترسف الغوغاء
بين مهد المسيح والمسجد الاقصى تسامى هوىً، وجلّ ولاء
مريمٌ، مريمُ الطهارة، لم تحلم بأسنى من طهرها العلياء
أَلِفُ الطهر منذ ما هلّ وحيٌ والتقت أحرفٌ وقام اداء
قدّس المصحف المَجيدُ يَسوعاً وعلى الشمس قرّتِ العذراء

. . .

ما لصهيون في فلسطين حقٌّ دَنِس المنزِلون والنُزلاء [٢]
أَذهلوا عن رضيعها كلّ أمٍّ واستبدّت بالْمُترَفات الإماء
أقفرت من مطارف العزّ دارٌ وَخوت سدّةٌ وضيم فِناء
أَلِفَ القدسُ عِليةَ الشرق أهلاً فإذا فيه شُرّد أدنياء
وذِئابٌ أتتهُ من كلّ فجٍّ طالما جَمَّع الذئاب العواء
ينشدون المَبكَى وليس بكاء إنما الدمع خدعة ورياء
ما لصهيونَ في النبيّين عرقٌ فالنبيُّون منهمُ أبرياء
قومُ لوطٍ وما هُمُ أهل موسى ضيّعوا القبر فاستحال الثواء

---

١ الصياصي رؤوس الجبال . ٢ الكلام على صهيون لا يتناول اليهودية إلا من كان منهم صهيوني الجنس أو الهوى، لان اليهودية من الأديان السماوية ايضاً . وفي هذا المقطع اشارة الى نكبة فلسطين .

فلقد أنكر الضريحُ نفوساً دينُها البغيُ والخنى والرِياء
ربّهم فَلسُهم فلو لاح فلسٌ بحذاءٍ لسادَ فيهم حذاء
غاية العيش عندهم درهمٌ بخسٌ وخمرٌ وقينةٌ جيداء
ويغرُّ البنانَ مَلمسُ رقطاءَ وبالناب تُعرفُ الرقطاء
فَتلوَّى وليس في الخصر وَهنٌ وَتَثَنَّى وليس فيها التواء
رُبَّ قفرٍ خلف الرياض الحوالي وسمومٍ شغافُها الحلواء
وإذا يسقط الطلاءُ فدون الحسنِ تَعرى هُرَيرةٌ لخناء
دأبها المَينُ والتجسُّس والزلفى وفي طبع طبعها الإغواء
للجواسيس عند «بلفورَ» عهدٌ سادَ فيه الجناة والشركاء
ويضيم الأحرارَ نصرُ عبيدٍ فيهم الأرذلون والجبناء
ثعلبٌ ليثُهم وأبسلُ في الهيجاء منه نعامةٌ فتخاء
كان يحكى الأمثالِ أنّ بني صهيون في الروع نعجة جمّاء
فمتى عادت السِخال أسوداً وتباهت على الأسود الجداء

. . .

شركاء الذئاب كيف غَوِيتُم فنصرتم صهيون وهي الوباء
بعتمُ العُربَ بالأخسّين قدراً فلقد سِئتُمْ نفوساً وساؤا
كل بيت من شرّكم فيه «صخرٌ» كل أنثى من غدركم «خنساء»
للبغايا في الأُرجوان اختيالٌ والعذارى نصيبهنَّ العراء
يتهاوَينَ والعيون حيارى والأَسارير تربةٌ صفراء

قد بعثتم في العُرب جذوة حقدٍ تكتسيها الأَصباح والأَمساء
بفمِ الشيخ لعنةٌ حين يمضي ومع الطفل تولد البغضاء
إنّ عيناً ترى السياسة مكراً ونفاقاً لمقلة رمداء
بدعةُ الجورِ أن يفوز دخيلٌ ومن البيت يُطرد الأَبناء
أَدعياءُ لحقّهم حقّ ذئبٍ هَيّجتهُ النيوبُ والأَمعاء
فأصحّ الأَنساب فيهم شيوعٌ وقصارى نُعوتهم أَدعياء
أَفحتمٌ على فلسطين أَن يشقى بنوها وينعم الهجناء
خالدَ بن الوليد إرثُكَ نهبٌ ورثته الرعاع واللقطاء
فكأن « اليرموكَ » لم تبلُ فيه ضُمَّر يعربيـة جرداء
يوم ريعَتْ من صهلة الخيل « بيزنطا » وبادت كتائبٌ خرساء
يوم للصِيد من حواليك زأرٌ وعلى حومة المنون ارتماء
و« ضِرارٌ » يأبى أَدّراعاً كأنّ الدرع ستر لعزمه وغشاء[1]
هيبُه يصدع الذوابلَ رُعباً فلها عنه نبوةٌ وانكفاء
يعربيُّون يشمخون إذا ما السيف أَبلى وطارت الأَشلاء
يَتعادونَ للكفاح نشاوى مثلما تنشد الطلا الندماء

. . .

في فلسطين للعروبة صكٌّ دَوّنته سيوفها الغرّاء

---

[1] هو الفارس المشهور ضرار بن الأزور وكان يبرز للفرسان عارياً .

تلَّ «حطِّينَ» عن خلال صلاح الدين حدّث ولتسمع الشرفاء[1]
فحديثُ العلى نديٌّ على الأسماع، والذكر حافزٌ وعزاء
صدره الرحب للعداة وللأحباب إن ضاق بالعداة الفضاء
يسأل العابرُ الغريبُ، عن الأسرى، فيلقاه منهمُ وزراء
هل درى الغَربُ أنَّ في سَرحة العزّ دواراً يفوتُه الكبراء
سيفهم ما استبدَّ بالخلْق يوماً فلهم من نفوسهم رقباء
وصِراعُ الأهواء حربٌ، يشيل النكسُ فيها، وترجحُ الأقوياء
أنْ يُقال الدهاءُ تشريدُ شعبٍ في المفازات فهوَ قولٌ هباء
لا يُبالون والمكاسبُ تترَى في المروءات أحسنوا أم أساؤا
أذيادٌ عن اللئام ودفعٌ وعلى الحقّ والسلام افتراء؟
أيصانُ النباتُ من فأس حطّاب وتردَى الأبناء والآباء
أمدُ المكر ليلةٌ وضحاها فاذا أدبرت يبين الخفاء
إنّ قُبحَ الدميمةِ الوجه يبدو صارخاً عند ما يزول الطِلاء

. . .

ديْرُ ياسِينَ يا ديارَ اليتامى حيثما حقَّر السيوفَ ارتواء[2]

---

[1] في ١٤ ربيع آخر سنة ٥٨٣ هجرية كانت بداءة وقعة حطين الشهيرة التي فاز فيها السلطان صلاح الدين الأيوبي فوزاً مبيناً. وفيها أسر الملك جفرى وأخوه البرنس أرباط صاحب الكرك والشوبك وغيرهم من القواد والأمراء وقد اشتهر السلطان بمعاملة خصومه وفقاً لما تمليه عليه روحه النبيلة من رفعة وسخاء فأنزل الأسرى ضيوفاً مكرمين.

(ملخص عن جرجي زيدان ودائرة المعارف)

[2] إشارة الى الفظائع التي ارتكبها الصهاينة في دير ياسين.

حيث بالقتل والغنيمة إغراءٌ وبالعِرْضِ والنُّهى إزراء
حيث تستهدفُ الرماحُ الحبالى فعلى الرمح لِلْجَنينِ ارتقاء
وعلى التخت يُحرق الشِيْبُ أحياءً ، وفي المهد يُذبحُ الرضعاء
يُهتَكُ السِترُ عن بياض الغواني وعلى الطهر تُسدلُ الفحشاء
رُبّ خودٍ جُزّت غدائرُها الشقراء فالرأسُ هامةٌ صلعاء
كلُّ طرفٍ عن الشقاء كفيفٌ كل أُذْنٍ عن الشجا صماء

. . .

أمة العُرْب والنداء ابتهالٌ ليس يُغْني عن القتيل الرثاء
حَسبكُمْ من ضُروب هزءِ الليالي أَنْ عليكم تُنصَّبُ الأوصياء
قَصَرٌ في عيونهم أو رقيقٌ جاز فيه التنكيلُ والإفناء
واذا بيعَ بالدنانير عدلٌ فالجناةُ القضاةُ والفقهاء
ودموعُ الحُملانِ تغري نيوبَ الذئب فيها ، فالصرخة استهواء
أطمَع الغَربَ أنّ غضبتنا الجُلّى رجاءٌ وحقّنا استجداء

. . .

أمة العُربِ ، والعصورُ الخوالي من بَنينا غنيَّة عبلاء
مَهروا من فُتوحِهِمْ كُلَّ أرض فبها من عجيجهم ضوضاء
نجدُ يا نجدُ حدِّثينا ، فلِلمَقْرُورِ في دفئكِ السخيّ اصطلاء
ذكرُ نجدٍ في سُورة النصر تجويدٌ ، وفي مسمع الزمان حداء

فيها من جدودِ آل سعودٍ سَرحةٌ يعربيَّةٌ شمَّاء
طاب منها القَيْصُومُ في طَود سلمى و « طويق »[١] واخضرّت الدهناء
وزكى الرند في «السُّدَير» وضاعت من عرار «الدَّواسِرِ» الأوداء
حَضر البيد والمدائن، فالرُّبَّانُ منهم، وفيهمِ الإرساء
أَسديّون من ربيعةَ، فليفخرْ نزارٌ، وليُبْعَثِ الدُّفناء

---

١ طويق : جبل اليمامة ويعرف (بالعارض) وعلى سفوحه الشرقية تقع مدينة الرياض وكثير من بلدان العارض .

الوهابيّة

كان في غُرّة الزمان إمامُ زلزلت من بَيانه الأقلامُ
هزّ مصراً فعَضَّهُ القيدُ فيها وتَولّت خنقَ الأسيرِ الشآم
ابن «تيميَّةٍ» يَثورُ على الأوهامِ فالحِبرُ في الطُروس ضرام
وأشدُّ الثورات، في خاطر الأجيـال، حربٌ وَقُودُها الأفهام
قال: إنَّ التوحيدَ وحيٌ وإلهامٌ، وفوق التَفَلْسُفِ الإلهـام
عُلمـاءُ الكلام عُشّاقُ ألفاظٍ، ودين المضِلّين كلام
برِئَ الدينُ والتصوّفُ من قومٍ، بغـير الإله والدينِ هاموا
نَزَواتٌ جنسيَّةٌ سَتروهـا ولقـد يستر الفَرورَ قتام
انما يفضح الضميرَ لسانٌ يَنتَحي حيثما يكون الغرام
يخدع الذهنُ نفسَه، ويظلُّ القلبُ يُملِي، فظلُّهُ نَمّام
وَيُورُّونَ عن إلهٍ بخمرٍ أو كعاب، أو توَصفُ الآرام

---

١ الوهابية لقب استفزازي اطلق قديما للإساءة إلى أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب من السلفيين الذين يستمدون عقيدتهم من الكتاب والسنة وأقوال السلف ثم تحول هذا اللقب ليكون علما على المتمسكين بنصوص الكتاب والسنة الكارهين للبدع والخرافات ولو من غير السعوديين . ٢ ابن تيمية هو الإمام الدمشقي الذي وُلد في اوائل القرن الرابع عشر (٦٦١ — ٧٢٨ هجرية) وكان يدعو للرّجوع الى الكتاب والسنة وترك طريق الفلاسفة والصوفية ومحاربة البـدع كالتمسح بالقبور والتبرّك بالاشجار والاحجار وقد اضطهد وسجن في مصر لحملته على الصوفية هنـاك مثل ابن سعيد وابن عربي ثم أفرج عنه وأعيد الى الشام ثم سجن في قلعتها وتوفي سجيناً . (ملخص عن كتاب جزيرة العرب في القرن العشرين لحافظ وهبه) . ٣ الفرور هو الذي يفرّ من القتال . ٤ ورّى : اراد شيئاً وأظهر غيره.

أَو بِهَيفاءَ قد تراءتْ لمحيي الدين حُسناً، لله فيه مقام[1]
من تجلَّى له الإله بأنثى فسواء أخلاقُهُ والجُذام[2]

. . .

مات ما مات في الغَيابةِ شيخٌ لَقِحَتْ من يَراعهِ الأيّام[3]
بابن عبد الوهّاب عاش دَفينٌ صاح هبُّوا يا أيُّها النوّام[4]
فاستفاقتْ «درعيَّةٌ» من كَراها وأظل «المحمَّدِين» الذمام
فابنُ عبد الوهّابِ وابنُ سعودٍ وحدةٌ ما لَها الحياةَ انفصام
وتشدُّ النفوسَ قُربى ودادٍ أين منها في الأقربين التؤام
يجمع الخلقُ بين قاصٍ ودانٍ وتثيرُ المعامعَ الأرحام
نزل الوافدُ المكرَّمُ داراً دونها في المَناعةِ الآجام
كلُّ صدرٍ للضيف درعٌ دلاصٌ كل زندٍ للمستجير حسام
في الحِمَى وائلٌ وآلُ سعودٍ فسلامٌ للنازلين سلام
ومضى ينشر الضياءَ لقومٍ ضيَّعوهُ، فالنور فيهم ظلام
أزعجوا في «جُبَيلةٍ» قبرَ زيدٍ وشكى الذبحَ والسجودَ الرغام[5]

---

[1] هو محي الدين بن عربي المفكر المتصوف وهو في طليعة المتغزلين بالخمر والنساء، الزاعمين انهم يريدون العزة الالهية. وقد تدلّه، وهو الشيخ المتصابي، بحب فتاة لم تزل في عمر البدر زاعماً انه يحب جمال الله في جمالها، وما أبعد ابن عربي وأضرابه عن التصوف الصحيح، وتعالى الله علواً كبيراً عما يصفون.

[2] الجذام هو داء البرص الوبيل.

[3] الغيابة من كل شيء ما سَترك منه والمقصود بها هنا سجن القلعة.

[4] ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة ١٧٠٣ (١١١٥ هجرية) في بلدة العيينه الواقعة شمال الرياض وقد وفد سنة ١١٥٠ على الامير محمد بن سعود في الدرعية موطن السعوديين وتعاهد الامير والشيخ على تطهير جزيرة العرب من البدع والخرافات ونشر كلمة التوحيد.

[5] الجبيلة بلدة في العارض كانوا يأتونها للتبرّك بقبر زيد بن الخطاب كما كان اهل الدرعية يزورون مثل هذه القبور لمثل هذه الاغراض ويذبحون عليها ويستغيثون بها. (حافظ وهبه)

طفح الرمسُ من دماءِ الأضاحي ألثأرٍ أُبيدَتِ الأغنام
أوَ بينَ الرفاتِ والأكبشِ الصرعى ذحولٌ قديمةٌ وخصام
أم ترى الأعظمَ الرميمة ظمأى أم هو الروح ساغبٌ نهَّام
أوَ يشقَى الأيْتامُ في طَلَب الخبزِ، وللقبرِ زَفَّةٌ وطعام
عجباً يُهمَلُ الإله ويُنسى وتُحابي وتُستجارُ العظام
حزَّ في نفسه الطهيرة أن يُطوى كتابٌ وتُنشَرَ الآثام
فكأنّ الرسولَ ما زفَّ وحياً زلزلت من نزوله الأصنام
بُعثت جاهليَّةٌ واستَجدَّتْ وعلا نَصْبُها وساد الرخام
يعبدون الأشجارَ، فالدوحةُ العليا شفيعٌ، والكهفُ بيت حرام
سل «بمنفوحةٍ» إذ النخلُ يُؤتى وعلى فَحلِهِ الفتيِّ ازدحام[1]
إذ تحجّ العوانسُ الهيمُ أفواجاً، وفي النفس للزواج أُوام
فتقول الهيماءُ: يا فَحلَ هذا النخلِ أدرِكْ، فقد براني الهيام

. . .

آلَمَ الشيخَ رقصةٌ حول طبلٍ وزُمورٌ تمجُّها الأنغام
والدراويشُ كالحسان تثنَّى وتلوَّى كما يميل الخزام
قيلَ بالوجد يسقطون، وقيلَ الوجد رقصٌ، فنشوةٌ، فَعُرام[2]

---

١ كانوا ببلدة منفوحة يتوسلون بفحل النخل معتقدين أن من تؤمه من العوانس تتزوج لعامها فكانت من تقصده تقول: يا فحل الفحول أريد زوجاً قبل الحلول. وكان في الدرعية غار يقدسونه ويزعمون أنه كان ملجأ لأحدى بنات الامير التي فرّت هاربة من تعذيب بعض الطغاة واتخذت في أحد الجبال الصخرية مأوى لها فانشق لها الكهف بمعجزة. (حافظ وهبه)

٢ العرام هو الفساد.

أَلِذكرِ الإِله أَو ذكر طه تُفترى فريةٌ ويُودي احتشام
جَلّ عن رقصة الدراويش ربٌّ وتعالى[1] النبيُّ والإِسلام
بِدَعٌ أَجَّها الهوى فاستطارت ولها نزوةُ الجسوم دعام
واذا غَلَّبَ الضلالةَ مَيلٌ غارَ في لذّة الرحيق السمام
إِنّما الدين كالشعاع المُصفّى فلِمَ الظلُّ حوله والغمام
آيةُ النهرِ نبعهُ، ويشوب الماءَ، في دورة الثنايا الركام
جوهرُ السيفِ حدُّه، ونِجادُ السيف حملٌ يملُّه الصمصام
رُبّ نصٍّ طغت عليه الحواشي والنَفايا، والوضع، والإِقحام[2]
يفتك السوسُ بالجذوع العوالي ومن النملِ تحدث الأورام
للنبيّين في الصدور احترامٌ ومن الله وحده استرحام
الصلاةُ الصلاةُ خفقة قلبٍ يرتضيها المهيمنُ العلّام
غايةُ الدين أن يكون بسيطاً فكتابٌ، وسُنّةٌ، واعتصام
ولكم بابن «حنبلٍ» موردٌ صافٍ، وشرعٌ، وحكمة، وائتمام[3]

. . .

قد أهاج المحمّدان ضراماً فتنادت إليهما الآلام
التقاليدُ عثرةٌ في طريقٍ لم تُمهّد عقابه الأقدام
ونقيضُ المألوف مهما تجلّى حسنُهُ فالجديد منه اتّهام

---

[1] حبذا لو قال (تسامى) تنزيها لمقام الربوبية .
[2] الوضع من وضع الحديث اي افتراه واختلقه .
[3] كل ما يطبق في نجـد من الفروع هو طبق مذهب الإمام أحمد بن حنبل في الغالب .

تطبعُ العادةُ النفوسَ، فما في الطبع إلّا ما تُرسخُ الأعوام

فالذي تنكرُ النفوسُ فسادٌ والذي تألفُ النفوسُ نظام

رُبّ لحن في خاطر الفَنّ فوضى وبأسماع مُبدعيه انسجام

في الصُدور الغضبى على ابن سعودٍ جمراتٌ وفي السيوف احتدام

وتلظَّى «الحِساءُ» ناراً وحقداً وتداعى «الهفوف» و«الدَّمّام» [1]

«عَرعَرُ» الخالديّ شبّ لَظاها فَبِنَجرانَ تُعقد الأعلام [2]

حسبوها الضلالَ والفِتنةَ الكبرى، فللشيخ والأمير الحِمام

أقسموا يطفئونها بالمنايا والضحايا، حتى تغصَّ الرجام [3]

جُندُ نجرانَ جاوَزَ «الخرج» فتحاً خَلْفَهُ «عَرعرٌ» وجيش لهام [4]

وأمضَّ الأميرَ، في «الحاير» المغلوبِ، جيشٌ قضى ونجلٌ يُضام

أيكون الغدُ اللُّجَيْنيُّ ليلًا؟ فَجرُهُ نَكسُ رايةٍ وانهزام

أعَلَى نفسها تدورُ الأماني ومن القلب تنهش الأحلام

خيبةُ المرءِ قَدْرُ ما يَتَرجّى وعلى قدْرِ حسّه الإيلام

ذاتهُ العالَمُ العديدُ المرايا فمن الذات رغده والسقام

---

١ الحساء: المنطقة الممتدة على الساحل الغربي من الخليج فارس؛ والهفوف هي قاعدة المنطقة؛ والدّمام على الساحل الجنوبي الشرقي. ٢ ربما كانت سنة ١١٧٨ هـ سنة ١٧٦٥ م من أشد السنين على محمد بن سعود فقد تحالف فيها حاكم الإحساء عرعر بن الخالدي وحاكم نجران السيد حسن بن هبة الله وتواعدا على الزحف على الدرعية للقضاء على مهد الدعوة السلفية وخضد شوكة دعاتها وقد زادت هموم محمد بن سعود عندما رأى ولده ينكسر في الحاير بين الخرج والرياض هذا وعرعر ومن معه من الجنود لم يصل بعد غير ان الشيخ محمد بن عبد الوهاب شدّد من عزيمة الامير وذكّره بما وقع للنبي في غزوة أحد كما ان زوجة محمد بن سعود وكانت من الصادقات المخلصات للدعوة كان لها أثر لا ينكر في زوجها. (حافظ وهبه).

٣ الرجام: القبور. ٤ الخرج إيالة في نجد عاصمتها الدَلَم وفي هذا الإقليم تُربّى وترتبع خيول آل سعود.

قد تجلُّ الخطوبُ وهي صغارٌ   وتهونُ الارزاء وهي جسام
كاد عزمُ الأمير يخمد لولا   صولةٌ دون همّها الأهرام
يأتسي بالنبيّ، حين أبوسفيانَ جلّى، وطالت الأقزام[1]
أُحدٌ غيمةٌ من الشؤمِ ولّتْ   شيمة الدهر دمعةٌ وابتسام[2]
وتوآسي الاميرَ زوجٌ حصانٌ   مِن حِلاها الإيمان والإقدام
اللبيبات كاللآلي ندوراً   وغلاءً والغافلاتُ اتّخام
دونهن الحمّى وباءً وثقلاً   ويليهنّ في الأذى البرسام[3]

. . .

وتولّى عبدُ العزيز عريناً   حين أخلى آجامَه الضرغام
لم يُبدّلْ سوى القراب، فمثل الباترِ العضب، فيصلٌ صمصام
يَنْهدُ الشبلُ للعظائم حتى   لَيقولون، بالعلى مستهام
أين «كُوتُ» الأحساء يصدمُ خيل الفتح، والخيل كرّة والتحام[4]
تذكرُ الأمسَ وهو في الصدر نارٌ   وقتادٌ وفي الضلوع كِلام[5]
لو أراد المغيرُ ثنيَ عنان   مرَدَ المهرُ، أو تأبّى اللجام
مربعُ «الخرج» ربعها، ولقد ريضت وفي متنها الغضيض قطام[6]
ناشئاتٍ مع الفوارس أتراباً، فكان الصبا وكان الفطام
«غالبٌ» ليس غالباً، فكأنّ النعتَ للحاكم الشريف لثام

---

١ يأتسي: يقتدي.   ٢ أحد جبل على مقربة من المدينة المنورة وقد اشتهر منذ الموقعة التى دحر فيها المسلمون.
٣ البرسام التهاب في الحجاب الذي بين الكبد والقلب.   ٤ الكوت هو مقرّ الإمارة في الهفوف يحوطه سور مرتفع وابراج عديدة.   ٥ كِلام: جروح.   ٦ القطام: الصقر.

سَل به «خرمةً» يُجبكَ ثراها أو تُجبكَ الأغوار والآطام[١]

كيف كان الموحّدون يَرُوعون السَرايا، كما يُراع النعام

أنبت «العارضُ» الأنوف ليوثاً دأبُها العمرَ زأرةٌ واقتحام[٢]

أَسلٌ في سفوحه، للرماح السمر، يَحبو على قَناها الغلام

سَل بَوادي «حَنيفةٍ» أو «بضُرما» كيف ينمو على الشموخ الهمام

ترتجيه العلى جنيناً وتدري كيف كان الأخوال والأعمام

فاذا بالوليد وارث قومٍ لم تُنكَّس لهم، على الدهر، هام

فله المجد والمآثر خلفٌ والأمانيُّ والمدى قُدَّام

يرضع البأسَ والمرؤة طفلاً وصبيّاً يحلو لديه الصدام

فاذا شاء لهوةً فقناةٌ وحسامٌ، أو صهوة وسنام

سُبحةُ «العارضيِّ» سيرُ لجامٍ لِكُميتٍ، أو لِلْهِجَان خطام

للمواضي منذ الفطامِ التماسٌ للمنايا منذ الشبابِ استلام

انما «العارضيُّ» ليث هصورٌ في الرزايا اليه يُلقَى الزمام

واسع الصدر عامر القلب شهمٌ سيفهُ مثل رأيه صَرَّام

---

١ الخرمة اسم بلدة انكسر فيها الشريف غالب . وفي سنة ١١٧٩ هـ ١٧٦٦ م . توفي الإمام محمد بن سعود مؤسس دولة آل سعود ومؤيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دعوته، وقد تولى الأمر بعده أكبر أولاده عبد العزيز وواصل غزواته على البلدان المتمردة وفتح سنة ١٢٠٨ هـ منطقة الأحساء وقضى على بني خالد وفي سنة ١٢١٢ قضى على جيش الشريف غالب حول الخرمة . الآطام : الحصون . (حافظ وهبه)

٢ العارض ويعرف في الجغرافيا القديمة بالعروض واليمامة . ووادي حنيفة هو قلب العارض وفي جنوبيه الغربي يقع سهل ضرما . وأهل العارض مشهورون بالشجاعة والإقدام واحتمال المكاره والحماسة الدينية وقوة الإرادة والدهاء وهم شديدو الإعجاب بأنفسهم، يميلون الى العزلة وهم عدّة آل سعود وجندهم، يرجعون اليهم في الملمات ويستندون عليهم عند اشتداد الكروب . ولغلبة الخلق الحربي عليهم ترى في طباعهم شيئاً من الخشونة والصلف . (حافظ وهبه)

ليس منهم نذلُ الطِبَاع جبانٌ ثعلبُ النفس غادرٌ خوّام [1]
يتولّى إذا نبا بكَ دهرٌ وتلاقت على حماك السهام
هُم كماةٌ تخشّنوا فسواءٌ أُفقٌ باسم وصوبٌ جهام
حسبُهم حفنةٌ من التمرِ زاداً قد يساويه في القُنوت الصيام
ضُمّرُ الخيل والزنود، وفي الهيجا ثِقالٌ على العدوّ ضِخام
قيمة الليث عزمهُ وكثيراً ما تغرّ النواظرَ الأجسام
وكثيرٌ من الأناسيّ أشياءٌ، وفي صفحة العلى أرقام
خشنوا عسكراً ورقّوا صحاباً وسخوا ذادةً وصلّوا وصاموا

. . .

يا سيوفَ الوغى، دروع سعودٍ الوفيّونَ منكمُ والكرام
قد نصرتمْ عبدَ العزيز أميراً فبكمُ عزّ رمحهُ والحسام
صائن الدين من خطوب عوادٍ وإمامُ الزهادة الصوّام
الوديعُ المهيب خَلقاً وخُلقاً المصلّي والعابد القوّام
بسطَ الأمن في مباسط نجدٍ فتآختْ صقورُها والحمام [2]
الحبارى في ظلّهِ آمناتٌ ومع النمْر تسرح الأنعام
حائط الأمن غالَهُ سيف وغدٍ حينما كان في السجود الإمام [3]
عَبَد الله منذُ ما أذّن الداعي، وأذكى عقلَ الصبيِّ احتلام
فتلقّى النعيمُ روحَ تقيٍّ خشيةُ الله بدؤهُ والختام

---

١ خوام: خامت الارض اي كانت وخمة . ٢ نعيد التنبيه الى اننا نؤنث لفظة نجد مضمرين لفظة (بلاد) وكذلك القول في سائر أعلام الأمصار التي تمر بك في هذه الملحمة .

٣ قتل الامير عبد العزيز غيلة بينما كان ساجداً يصلي قتله شخص من بلد العمارية في العراق يدعى الحاج عثمان وقيل ان ذلك بتدبير من الوالي في بغداد انتقاماً من غزوات سعود للعراق والنجف . وهدم القباب فيها . (المعلق) .

شَرُفَ اثنان من دمٍ وائليٍّ باترٌ غادرٌ وموت زؤام
ومضى الخلدُ بالوسام دَمِيًّا انمــا مصرع الشهيد وسام
سَيفلُّ الحصونَ سيفُ سعودٍ ومن الضرب تستجير الأكام
للجبان الغـدّار لعنـة أجيالٍ وحرب مُبيدةٌ وانتقام
لِلمُوالـينَ عزّةٌ وصفـاءٌ للعداة الإرمال والإيتـام

سعود الكبير

سدرةَ المجد قد أتاكِ العميد فسعودٌ في راحتيه الخلودُ
فانشريهِ على المشارق سِفراً فهيلَّ السنا ، ويَنْدَى القصيد
وانقُليهِ مَعَ الأغاريدِ لحناً فالمثـاني حُلوٌ بها التجويد
عَلَمٌ في تخاُطبٍ ومنـاداةٍ ، وفي مسمع الزمان نشيد
البطولات كيف تخلُق بُرداً كل ذِكرٍ لها شبابٌ جديد
رُبّ ذكرٍ قد هزّ قلب الليالي مثلما هزَّ أيكةً غِريـد
نفحاتُ العشيّ ِ إمَّا تَناهتْ يهتف الشوق أين أين المزيد
وتدور الأعيادُ في كل عامٍ وجديدٌ على الدهور العيد

. . .

ساءلتني عن الأمير القوافي قلتُ هل تجهلُ . الزمُرّد خود
أو تَعَامى عن الأزاهرِ أبصارٌ ، وعن مطلَـع الضياء النجود
إنّه الدوحة العظيمة لولا أنّه الركن وهي أنثى تميـد
سَمْهَرِيّ الشَّوى مديدُ التراقي عارضٌ مفعمٌ وثغرٌ نضيد [١]

١ الشوى : الأطراف ؛ والعارض: الخدّ .

وصليب اللُّبان في منكبيه ومن الصخر زنده مقدود [١]

وأشرأبّت رَواجبٌ ناشزاتٌ واستطالت رَواهشٌ ووريد [٢]

ساعدٌ أجدلٌ ومعصم ليثٍ عاتقٌ أعبلٌ وعنق مزيد

مفعمُ الساق أحمشُ الرسغ مشدود الحنايا والصلب شَبْحٌ عمود [٣]

قَدَمٌ إن يَطأْ بها الأرض غضباناً تأذّى من وقعها الجلمود

شامخُ الأنفِ واسعُ الفم والعينين، سَبطٌ جبينهُ الممدود [٤]

ولِحَاظٌ كعتمة الليل عمقاً وسواداً لولا الذكاء الوقود

بارقات كَومْضَةِ النجم، في ليلٍ دَجيٍّ تَسْودُّ منه الجلود

صاعقاتٌ في العدل، والخطب، والهيجا، وفي نَدْوَةِ السماحة جود

وكذاك السحابُ غيثٌ عميمٌ وبُروقٌ خواطفٌ ورعود

. . .

ايها القائد الجنود «بِخُرْمَا» انما الجند ما يكون العقيد [٥]

ظلّه يُمسك النفوسَ الحيارى حسبها منه أنه موجود

مشركاتٌ إمّا نأى واهناتٌ فاذا جاء شَدَّها التوحيد

---

١ اللبان : الصنوبر . ٢ الرواجب : عروق ظاهر الكف ؛ والرواهش : عروق باطن الساعد .

٣ أحمش : دقيق وذلك من صفات الأسد . الحنايا : الأضلاع ؛ والصلب : الظهر؛ والشبْح: الطويل . وقد ورد في وصف **الامام** سعود انه كان من أحسن الرجال صورة وجلالا وورث عن عائلته جمال التقاطيع ووسامة الوجه وقد كان يرخي لحيته أكثر مما اعتاده العرب وكان خصومه يمتدحون شجاعته ومهارته الحربية وكان عالماً بأصول الدين والفقه والحديث حيث درس ذلك على الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

(حافظ وهبه)

٤ سبط : استرسل وسهل ضد جعد . ٥ **الخرمه** : اسم البلدة حيث وقعت المعركة التي انتصر فيها سعود على جيش الشريف غالب .

مُفْرَدَ الشخص، واحدُ البأسِ والرأي، على أنّه الخميسُ العديد
وحدةٌ تصهر النفوسَ، فما فيهم عبيدٌ وسيّدٌ ومسود
أَلَّفت حوله البواتر سوراً وهو في الروع سورُهنَّ الوطيد
تبتغيه القلوب وهو قريب وتراه العيون وهو بعيد
كل رأي لرأيه الفرد ظلٌّ كل عزمٍ لعزمه ترديد
للمروءات والشجاعة عَدْوَاها، فما كان بينهم رعديد
أَلْهَبَتْهُمْ حَمِيَّةٌ منك فالخوّار قرمٌ ونِكْسُهُم صنديد[1]
في جوار الهصور تغدو الثعالي[2] أُسدَ غاب فكيف تغدو الأسود
صيحةٌ منك يا «هَنيبَعلَ»[3] نجدٍ تَستَبيحُ الذرى فتهوي السدود
ينبري للنزال، كلُّ عَتِيٍّ لا يبالي أَماتَتْ أَم يعود
وتحيدُ القلاع عن سيفهِ الرعّافِ، والسيفُ قلعةٌ لا تحيد
عَلَّمَ الجيلَ والعصور التوالي عن تَليدِ الفخَارِ كيف يذود
كيف يفترُّ للجهاد «رياضيٌّ»[4]، وَيَستَمْرِئُ الحتوفَ عَنيد
قلبهُ كالحسام صدقَ مَضاءٍ منه كان الوغى وكان الحديد
يبلغ القلب حيث يهوي كايلًا منطق باردٌ، وعقلٌ بليد
والذي لا يهزّه القلب جِلْفٌ ماكِرٌ باخِلٌ لئيمٌ كنود[5]
ان للنار هيبةً وجلالًا وبها الفتك واللسان المبيد
عبدوها لما بها من ضِرامٍ وَمَدَاسَ النِعال كان الجليد

---

١ الخوار: الجبان . ٢ الثعالي: الثعالب . ٣ هنيبعل: القائد القرطجي قاهر الرومان
٤ رياضيّ: في النسبة الى مدينة الرياض . ٥ الكنود: الكافر النعمة، العاصي .

حيثما تعصف الحميّةُ فالأخلاق جُلّى، والمكرمات وفود

السجايا كضدّها حلقات وَحدَ السلكُ والجمان عديد [١]

والذي روحه تهون عليه فبِكُلّ الذي يَجِلُّ يجود

. . .

فتحَ الكفَّ والحجازَ أميرٌ رُمحه مثل كفّه ممدود [٢]

وافتتاحُ القلوب سُلّم مجدٍ لِلْمَعَالي عليه يرقى العميد

يفتح الباب للضيوف ألوفاً فاذا قَلَّ حشدُهم يستزيد

لَهمُ القصر والفِناء سِماطٌ فاذا أخلفوا المواعيدَ نودوا

بَرمَكيُّون وُلْدهُ فعلى الأضياف «يحيي» وللصلاة «الرشيد»

خاشعاً يذكر الإله، وفي الأجفان غضٌّ، وفي الجبين سجود

كل عبدٍ يذلُّ إلا عبيد الله، نِعْمَ الذِلالُ، نعمَ العبيد

الأذلاء هم أذلّة نفسٍ بَهظَتها على الزُهوّ القيود

أبطرَتهم أموالُهم فتناسَوا أنَّ أموالَهم سرابٌ يبيد

كلما مَهّدوا اليه سبيلاً ألْهبَ الحلقَ مارجٌ صَيْهود

ناهلُ الثلج ليس ينقع غلّاً كل كأسٍ لظمأةٍ تمهيد

أَشَرٌ في طباعهم واختيالٌ وعُتوٌّ ما طالَهُ النمرود

---

١ اي ان الفضائل كالرذائل يستتبع بعضها بعضاً . ٢ كان سعود يستقبل مئات الضيوف يومياً فاتحاً ابواب مجلسه للجميع وكان يستقبل الزائرين في الصباح الباكر وبعد الظهر ما بين الثالثة والسادسة . وقد تعود أن يجلس بعد طعام العشاء بين قومه وزائريه فيتلو أحد العلماء شيئاً من القرآن وتفسيره او من الاحاديث النبوية وكثيراً ما كان الامير سعود يتولى تفسير ما يصعب تفسيره على السامع . (حافظ وهبه)

أنْتَنوا أنفساً فما المتنبّي بمجيد الهجاء، وهو المجيد
ليس تَغشاهُمُ المنيَّةُ من قبحٍ، ولو أسعفَ الأناملَ عود [١]

. . .

يخشع السيد التقيّ لذكر الله حتى يشفَّهُ التسهيد
تَخذَ الصفوَ من ينابيع شيخ مثلما ينهل الندى العنقود [٢]
ما خَلَتْ نـدوة الإمارة من شيخ، ولا غاب عالِمٌ ملحود
قطرة اليوم صِنْوُها قطرةٌ مرَّت، ومن جوهر الإمام الحفيد
يشرح الآي، فالمجالس إطراق مهيبٌ، وخشيةٌ وركود
لم يُزيّن فناءه الرحبَ عرشٌ لا وما لألأتْ عليه البرود
سيّد الناس مثلهم في معاشٍ ولِباسٍ، لا هُوّةٌ لا صرود
قيمة السيف انه السيف عضبٌ وفضول نِجادهُ والغمود
ويكون البازيُّ في السرب غُفلًا وهو يومَ الوقيعة المقصود
تدرك الأعينُ البصيرةُ أين الأجدَلُ الفردُ والقَطامُ الصيود [٣]
دعةٌ في أناقةٍ، وانطلاقٌ في وَقارٍ، ورَقَّةٌ ووعيد
ويُنادونه كما تتنادى رفقةُ الركب وَحَّدتها البيد
حيثُ تفنى عند التخاطُبِ ألقابٌ وتفنى على العيون الحدود

١ إشارة الى قول المتنبي في هجاء كافور الأخشيدي :
لا يقبض الموت نفساً من نفوسهم إلا وفي يده من نتنها عود
٢ هو جدّه لأمه الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعنه أخذ الأمير سعود العلوم الدينية وتبحَّر فيها .
٣ القطام الصيود : الصقر الذي يصيد الطيور كالسماني والحجلان ويُدرّب على ذلك بعد أن يُدجّن .

فيقولون : يا سعود سلامٌ   فيطيب التسليمُ والتجريد

أو يُنادَى : أبا «الشوارب» غوثاً   ضَرْعُنا جَفَّ واكفهرَّ الصعيد [1]

ولهم ما يشاء قلبٌ رَفيقٌ   وعطاءٌ سمحٌ، وعيشٌ رغيد

أرأف النـاس محسناً، وأشدُّ الناس بطشاً، إذِ الغمائم سُود

وَيلين الحديدُ لِلْمُجرِمِ الباكي وقلب الأمـير ثبتٌ شديد

يبذل النُصحَ غالياً، وَلَئِن يفشلْ، فحَـدٌّ يشوُبه التهديد [2]

فإذا أخفَقتْ فنِطـعٌ وسيفٌ   ورؤوس المُرّاد عصفٌ حصيد

أَينَعَ الأمنُ في السباسب، لا كبشٌ يُضَحَّى، ولا ذئابٌ تصيد

تقطع الدوَّ مُترفاتٌ حِسانٌ   وَمِنَ الـدُرِّ حليهُنَّ عقود

لا يبالينَ فالظـلام سياجٌ   والليالي في سَرحةِ الأمنِ غيد

فاذا هَمَّ سارقٌ باعتداءِ   لاحَ في خاطر الشَقيِّ سعود

رَاعبُ الأسد في ضواحي عُمَانِ   ودمشقٍ فأين يأوي الطـريد

فَبوادي العِراق والشام رِيعَتْ   و«زُبيدٌ» صنديدهـا مفؤود [3]

سل «بني خالدٍ» أسود الفيافي   هل «بِكُوت» الأحساء حصن مشيد [4]

---

١ لم يكن الامير سعود ممن يحفل بالألقاب فكان الناس ينادونه باسمه أو بيا أبا عبد الله أو يا أبا الشوارب. وكان في ملبسه مثل باقي الشعب لا يتميز عنهم بشيء غـير انه كان أنيقاً في ملبسه ويحب التعطّر .

٢ الحـدّ هو ضرب المجرم بحسب أحكام الشرع . ولقد كان الأمير مشهوراً بالقسوة على المجرمين . وان النظام الذي بموجبه تلقى مسؤولية الجرائم التي تقع في منطقة على شيخ القبيلة صاحب النفوذ فيها جعل الأمن يسود كل جزيرة العرب تقريباً وأفرح قلوب الذين كانوا مُعرّضين للغارات والنهب . (حافظ وهبه)

٣ استمرّ حكم الامـير سعود من سنة ١٢١٨ الى ١٢٢٩ هـ فتح فيها الحجاز كله كما أنه واصل زحفـه في الشمال الى ضواحي دمشق فدانت له بادية الشام والعراق كما امتدت فتوحه جنوباً الى رأس الخيمة في عُمان وزبيد واليمن . المفؤود : هو الذي يشكي فؤاده .

٤ الكوت : حصن مَرّ شرحـه .

المغيراتُ ضابحاتٌ «بِرضوى» و «ثَبيرٌ» هَلَّتْ عليه البنود [١]

«غالبٌ» عامـلٌ بمكَّةَ مِطواعٌ، وفي صدره خصيم لدود

يوقظ النار من كثيف رَمادٍ ورمادٌ أَيْمانـهُ والعهود

ويدوف السُّمَّ الزعافَ لِمُشتارٍ وفي الظن انـه قنديد [٢]

هَيِّنٌ أن يُغرَّ حُرٌّ كريم أبيض النفس حاتميٌّ ودود [٣]

وعسيرٌ صيدُ الفهود وجاهاً وبأحبولةٍ تُصاد الفهـود

يُخدع الفيلسوفُ، والسيِّد المقـدامُ، والخاطرُ النبيهُ الولود

نُبلُه يُسعف الخصيمَ عليه فَلَه ضـدّ نفسه تأييد

ينصُر الترك َ«غالبٌ» ويُوالي ويغرّ الوليّ وهو الرشيد

يقحمُ الليثَ في الخطوب، وخلف الليث رُمحٌ مُسدّد محدود

الخيانات في الرسائل تَتْرَى كادَ من خبثها يضجُّ الـبريد

قَيِّمُ الحصن بالعَوارِ خبـيرٌ حسبه أن يُشيرَ كيف الصعود [٤]

زَخرتْ مِصرُ بالفَيالِقِ أمواجاً دَحاها سُودانُها والصعيد

---

١ الضبح: هو الصوت الذي تخرجه الخيل من خياشيمها عند الركض ورضوى وثبير جبَلان في الحجاز .

٢ اشتار : العسل جناه . والقنديد : هو العسل . ٣ بعد فتح الحجاز أبقى سعود الشريف غالبا أميراً على مكة وكان غالب مخادعاً يزين للامير معاداة الاتراك والمصريين ويغريهما به فيراسل محمد علي وسلطان تركيا لاستنقاذ الحرمين . وفي سنة ١٢٢٢ هـ صدر أمر السلطان سليم الى محمد علي بتولية الحجاز ومحاربة الوهابين غير ان الخديوي أرجأ الأمر الى سنة ١٢٢٦ . وبالرغم من انكسار طوسون باشا في الصفراء والقضاء على الجملة تماماً فان محمد علي أعاد الكرة واستمال أمراء العربان بالمال، والشريف غالب ما انفك يمهد له الطرق حتى تمكن من استرداد مكة والمدينة والطائف سنة ١٢٢٨ . ويظهر ان الخديوي اراد عقد هدنة لعشر سنوات لان لا مطمع له في نجد فرفض سعود . وكثيراً ما يأخذ عليه المؤرخون تصلبه وشدته وبُعده عن المرونة السياسية . (حافظ وهبه)

٤ العوار : هو العيب، موطن الضعف .

روّع التركَ أن يَروا عربياً شامخَ الرأس، في الحجاز يسود

وَهمُ الغُلّب السلاطينُ، فالأقدارُ تغدو في ظلّهم وترود [١]

كلّ بحرٍ «للدردنيل» وَصيدٌ كلّ برٍّ «لِيلْدِزٍ» تمديد [٢]

الخديويُّ! ما الخديويُّ إلّا «بسليمٍ» لِواؤه معقود [٣]

فليَسِرْ للحجاز «طوسونُ» قيدوماً وتزأرْ، على الأسود، الأسود

كان يومُ «الصفراء» يومَ حدادٍ فالأقاحي بضفَّة النيل سود

ورَدُوها مناهلًا داميات وعِقاباً أَقلّهنَ كؤود

بُدِّلَ التِبرُ بالسيوف، لإغراء الحواشي، والمالُ سهمٌ حديد

وهو يُصمي ضمير كل لئيمٍ عرضه أو خلاقُه مهدود

والذي لا يصون عرضاً وديناً ووليّاً عن أيّ شيء يذود

القِلاعُ الشمّاء تهوي ويبقى عِرضُ حرٍّ على الإباء مشيد

الثواني لعطره ناشراتٌ والليالي لذكرِه تخليد

أفلح المال حيثما الدرب شوكٌ يعسر المشيُ فيه والتصعيد

وَطغى سيلُ فضَّةٍ ودهاءٍ وعَتادٍ منه الحجاز يميد

فَعلى مكَّةٍ بَيارقُ مصرٍ زمزمٌ في ظلالها والوصيد

. . .

فاتكَ اللينُ يا أميرُ، فلا الإكراه يجدي، ولا الشجاعُ العنيد

---

١ سلاطين آل عثمان وكان واحدهم يدعى سلطان البرّين وخاقان البحرين . ٢ مضيق الدردنيل حارس القسطنطينية وهو أمنع مضايق الدنيا فكان من المستحيل الاستيلاء على العاصمة التركية بحراً . ويلدز هو من أشهر قصور السلطنة . ٣ السلطان سليم .

لا تكون الحياة ورداً بلا شوكٍ، بجنب الأشواك تحيا الورود
ترزحُ الدوحة الصليبةُ، في الأرياح صرعى، ويَسلَمُ الأملود
رُبّ عينٍ ولُوعةٍ بالدراري فاتها في احتراسها الأُخدود
الحياةُ الحياةُ مدٌّ وجزرٌ فارتكاضٌ، فهجعةٌ، فقعود
وحدَهُ الله ذو الكمال، وإن خُلّدتَ ذكراً، وحفَّكَ التأبيد
يا سعودُ الكبير كيف بنجدٍ بعد ما غابَ منك ظلٌّ مديد
ستذوبُ الأجيالُ شوقاً الى درعٍ دلاصٍ في زردها داود
وسيأتي عبد العزيز، فنعمَ الدرعُ، والباترُ السميُّ سعود

الانحدار

الحجازُ المنيعُ دانَ لِهاجمْ وتَوَلَّى عن العـرين الحَاطِمْ[١]

مَاتَ! هل عاش بابنه؟ لا! فعبدُ اللهِ ما جالَ في مَجال الضياغم[٢]

لانَ واللينُ آفةٌ حين يُجدي مخلبُ النسر، لا هديلُ الحمائم

يُخمِدُ النارَ زعزعٌ[٣]، ويمدُّ النارَ في اليـابس الهشيم النسائم

أسبَقُ الخيل كالحاتُ النواصي تقضمُ اللُجم أو تبتُّ الشكائم

انما الروح تتبـع الجسم، في شدٍّ ولينٍ، وفي تبسُّمِ باسم[٤]

. . .

أيقظ العمَّ ضعفُه فادّعاها[٥] كم أهاج العنقودُ نهمةَ صائم

---

١ الحاطم: الأسد . ٢ بُويع لعبد الله بن سعود بعد وفاة أبيه والحرب لم تزل دائرة بين مصر ونجد فلم يستطع عبدالله أن يمسك زمام الأمر بيد من حديد، ولا استطاع ادارة الحرب كأبيه . ولقد كان البدو يحبونه بالنظر الى لين عريكته بيد أنه كان ضعيف الارادة فلم يستطع ضبط البادية، والبدو أسرع الناس الى الانتقاض . وقد طمع في الإمارة عمه عبد الله ونشب الخلاف بين آل سعود . ومن أخطائه مخالفة طريقـة والده في الحرب فكان يعمد الى منازلة المصريين وهم أوفر عتاداً وأفضل قيادة . أما ابوه فكان يناوشهم حتى ينهكهم ثم ينقض عليهم فيكسرهم كما فعل في «الصفراء» و «تربة» ولذا فان عبد الله لما عمـد الى مقاتلة المصريين وجهاً لوجه انكسر في تربة سنة ١٢٣٠ واستولى المصريون على جنوب الحجاز في عهده وسقطت امارة آل سعود ودخل ابراهيم باشا الدرعية وقبض عليه وأرسله الى الأستانة حيث قتله الترك . (حافظ وهبه)

٣ الزعزع: الريح الشديدة . ٤ إشارة الى ان شجاعة القلب تتبـع الصلابة التي يتخذها الجسم بحسب نظرية الفيلسوف وليم جمس . ٥ الضمير في لفظة (ادعاها) يعود الى الإمارة .

ليته كان حنظلًا أو قتاداً يُنضبُ الريقَ في مذاق الطاعم
وتلاقت عليه مصرٌ ونجدٌ ذا مُغيرٌ وذا عدوٌّ مُلازم
فَضّ جيشَ العُربان، من حَول عبد الله، عَمٌّ عَمٍ وسَيلُ دراهم
ضَيَّعوهُ وهو الحمامة خُلقاً ليته كان جارحاً في القشاعم
لا يسودُ العربان إلّا لبيبٌ مطلق الكفّ جَلمدُ الزندِ حازم
بسطة السهل بالتمرّد تُغري فيبيعون سيِّداً بمغانم
حُوَّلٌ قُلَّبٌ كطبع الفيافي رُبَّ قرٍّ بعد الرياح السمائم
يشمُسُ المهرُ في الربيع المواتي يهصرُ النبتَ أو يدوسِ البراعم
أبْطَرتهُ نضارةٌ في المراعي وسكونُ الراعي، وظلٌّ مُلائم
وهْوَ يدري خَيَّالَه، ويروزُ الحذقَ والعزمَ في بَنان الشاكِم

. . .

أين تلك الإرادةُ البكرُ، عبدَ اللهِ، من دونها الصخور الصلادم
انها المرء كلُّهُ، فاذا خارت، فآمالُهُ سراب الحالم
ليس مجدٌ على البسيطة إلّا وهْيَ في صلب أسّه والدعائم
هي أختُ النُهى، ودربُ المعالي وَقِوامُ التقوى، وعلم العالم
وعمادُ العروش والفتح والإقدام والحَوْلِ في يمين الحاكم
ودواء الخطوب، في عَصفةِ الأرزاء والبؤسِ والزمان الجاحم
معجزاتٌ، لولا الإرادة لم تخلق، ولم تُفعِمِ القُرونَ العظائم
تُرهبُ الليثَ إن تهلّ من الأجفان عزماً، وقد ينام المهاجم

سَلْ عيونَ الهنود كيف تُنيمُ النِمْرُ في الغاب، أَو تصيد الأراقم
نظرة العزم حسبُهمْ وهي قيدٌ للضواري فكيف شأن الأوادم

. . .

فاتَكَ الحزمُ يا لطيفَ السجايا ودهاءُ القُوّاد حين تصادم
وَلأَعفى «درعيَّةً» من حصار الجيش برٌّ تغيض فيه المعالم[1]
الصحارى مَتَايهٌ لغريب الدار والجيش، وهيَ درعُ العواصم
جَحفلُ الخصم نقطة في مَداها أَو مقامُ البياض في طرسٍ راقم
تبلع اللجَّة العميقة أَنهاراً، وبالكأس قد تغصّ الحلاقم
رُوسيا حصنُها الثلوجُ فهلّا كان حصنَ الأمير قفرٌ جاهم
رَمْلُهُ يدفع المغيرَ، فتذروهُ السوافي، غُبرَ الذيول رَوَاجم
وكمينٌ يسطو، وآخرُ جَوّاسٌ، اذا نامت العيونُ يداهم
خدعةُ الحرب فطنةٌ وسِوَاها خسّةُ النذل، أَو سبيل الجرائم
خطلُ الرأي أَن تقابل جيشاً فاقَ عدًّا ودُربةً وصوارم
يُهدَم الحصنُ جندًلا تلوَ صخرٍ لحصاةٍ مطواعةٍ للرادم
فاذا الوهنُ مَسَّهُ باتَ سدًّا فارغاً جوفُهُ صَديعَ القوائم
حسبه لطمةٌ ويهوي، فأركانُ الزوايا، على الحضيض شَراذم
يُنتَفُ النسرُ ريشةً بعد أخرى والخوافي تنهارُ تلوَ القوادم

---

[1] لقد أخطأ عبد الله بمقاتلة المصريين في الدرعية فالصحراء واسعة والمصريون لا يستطيعون إبقاء حاميات في جميع الاراضي النجدية . (حافظ وهبه)

واذا النسر من رياشٍ تَعرَّى صار للفارسين لقمــة لاقم

. . .

أَنسيتَ الأب العظيمَ سعوداً تارة كامناً وطوراً يهــاجم
سل حزون « الصفراء » كيف يهبّ الليث للفتك إذ يقولون نائم
وأشدُّ السيول فجــأة غيثٍ يترك الجذعَ كالعُصافة عائم
يجرف الروضَ والبيادرَ، منضوداً جَناهــا، ويستبيح السوائم
هل تذكَّرتَ يوم « تربة » والأعداء صرعى، والفاتحون غنــائم[1]
عِبرٌ لو نظرتَ أمساً قريباً ولزمتَ السمتَ القويم العاصم
ينقل الناسُ عِلمهم عن كتابٍ ولَديك الكتابُ سِفرُ الأعاظم
فأبوكَ الرِئبالُ عزُّ المواضي ولواء الوَغى، وقطبُ الملاحم
كم ضياءٍ به استنارَ غريبٌ حين دربُ الأولاد أسودُ فاحم
« لا نبيٌّ في أهله » قال عيسى كم تَناءَى عن مطلع النبع هائم

. . .

سَلَّمتْ مكَّةٌ، وظَلَّ عــرينُ الأسد في نَجدَ كالمجرّة قائم
فَغَزتهُ الحمَّى فأودى سعودٌ صَرع الداءُ من يُخيف القاحم[2]

---

١ تربة : اسم بلدة ورد ذكرها في ما تقدم .
٢ تقدم الكلام عــلى وفاة الأمير سعود . مات (١٢٢٩) في الدرعية على أثر حمَّى أصيب بها ولئن شاء الله أن يشاهد قبل موته إفلات الحجاز من يده فان ذلك لم يؤثر في حالة نجد الداخلية وذلك بفضل شخصيته الجبارة والصلابة التي عرف بها . وبموته فقدت نجد تلك الشخصية المهيبة الجبارة . (حافظ وهبه)

هِيبَ في نزعه، ولا غروَ فالرئبال يُخشى، ولو كليلاً آجم

فصلَ الخدرَ عن مُغيرٍ قفارٌ شاسعاتٌ تمـدُّ في روع واهم

لم يقرّبْ ساحَ القتال سعودٌ فالضواحي على النزال محارم [1]

يزأر الليثُ دون غيلٍ، على بُعدٍ، فلا تسمع اللبـاءُ الزمازم

مَن يقاتِلْ في باحة القصر جيشاً فلقد أسعفَ الخميسَ الهادم

شَؤُمَتْ هُدنةٌ عَقدتَ و «طوسون»، وكان العـداة نهباً لغانم [2]

إذ تفشَّى الوباءُ في الجُندِ، واستشرى فناءٌ، واسودَّ وجه القـادم

في سعير الرمضاء يفنى رجـاءٌ وجنودٌ خَوَّارةٌ وَبهـائم

يَتهاوونَ، كالفَراش على المصباح، في حـيرة الفراش الحائم

أكمل البؤسُ ما ابتلتهم به الحمَّى، فكاد العدوّ يصبح صائم

أنت أنعشتهُ فأهرام مصرٍ زفّتِ الشكرَ للشفيق المسالم

أَنت أنعشتهُ فهيأت قيـداً ونيوباً ضرّاسةً ومآتم

سُلَّمُ النصر غيرُ هذي المواضي مغمداتٍ وذي الأكُفّ النواعم

إن تـكن راحماً بنفسكَ فابدأ هانَ لو كنت غير نفسك ظالم

قَطَفَ النصرَ مِدرهٌ ألمعيٌّ فتلقَّاكَ سيفُه غـيرَ راحم

---

١ قد أشرنا في حاشية سابقة الى الخطإ الذي ارتكبه عبد الله اذ قاتل المصريين في الاماكن الآهلة وكان ذلك من الاسباب التي آلت الى إفلات نجد بعد الحجاز من يد آل سعود . ٢ من أهم أخطـاء عبد الله عقده الهدنة مع طوسون باشا سنة ١٢٣٠ فانها كانت من اكبر الأسباب التي عملت على تقويض سلطانه لان المصريين كانوا يومذاك في أشد الظروف حرجاً فقد كانت ذخائرهم على وشك النفاد كما ان الجوّ قد فتـك بالجنود والحيوانات فالهدنة مكنتهم من تجديد حملاتهم على الحجاز ولو ان عبد الله تابع القتال لقضى على الحملة المصرية . (ح . و .)

* تنبيه : اننا نشير بحرفي ح . و . الى السيد حافظ وهبه في كتابه جزيرة العرب في القرن العشرين .

إنما المجد فرصة ، فاذا فاتَتْ ، فَسَلْ الحياة آلام نادم
سَلْ «هَنيبعل» وهو قاهرُ «رُوماَ» كيف حالت زُهر الليالي البواسم[1]
رَنَّقَ العيشَ كلَّه فوتُ نصرٍ كان طوعَ البنان رَهنَ المعاصم
روعةُ الصُبحِ فجرُهُ ، وكمالُ النصر والمسرَحِ الجليل ، الخواتم

. . .

أيكون التأريخُ دورةَ أيَّامٍ تَوالَى على الوجود الدائم
فتكرّ الأحداثُ ، مثلَ فُصول العَام ، أشباهَ ما تكون التوائم
هل فلسطينُ بعد هُدْنَةِ شؤمٍ غير شِلوٍ تَناوَشتْهُ اللهاذم
تلُّ « آبيبَ » كان أدنى مساغاً من كؤوس الطلا بكفِّ منادم
فَقَد الصلُّ ذيلَهُ ، وفَقَارُ الصلِّ دِيسَتْ ، والرأس كالبطن وارم
يتلوّى في جحره ، ويكاد البردُ يقضي على الخبيث الناعم
أنعَشوهُ بهدنةٍ فاذا صهيونُ تستقبل الحياة مَناعم
تبلعُ البحر وهو مِلحٌ أجاجٌ وتُسيغُ البرَّ العريضَ الغلاصم

. . .

قُضيَ الأمرُ فالأميرُ أسيرٌ وسماء « الدرعيَّة » الطَّلْقِ واجم

---

١ هنيبعل أو أنيبال هو القائد القرطجي المشهور (٢٤٧ – ١٨٣ ق . م) ويعد من أعظم قواد العالم ويلومه المؤرخون لتقاعسه بعد انتصاراته الرائعة عن دخول روما ، فقد صرف الشتاء في مدينة « كابو » الايطالية فكان هذا القعود بمثابة هدنة أعطيت للرومان فجمعوا أشتاتهم وعن هذه الهفوة نجم شقاء القائد وانكسار قرطاجة .

سِيقَ للقَفْصِ أنسرٌ كاسراتٌ ... في جِوارِ الجوزاء كانت حوائم

باقةٌ من شباب آل سعودٍ ... صفوةٌ من لُجينِ تلك المناجم

مَنهَلُ الجود يومَ بذلِ العطايا ... شرفُ السيف يومَ تَحمَى الجماجم

مَدَّ ليلُ البأساءِ جَنحاً على نجدٍ، وغصّت بالكارثات المواسم

وتمادى الفسادُ بعد كُمُونٍ ... فالمجاني مُباحةٌ للغانم

فهنيئاً لآمِنٍ في رقادٍ ... وهنيئاً لراحلٍ عاد سالم

لا يخيف القطعانَ طُلْسٌ ذئابٌ ... بل يخيف النعاجَ طُلسٌ أوادم

أين عهدُ أبو «الشوارب» يحميهِ، فترعى مع النمور النعائم

هَزَلَ الدهرُ فاعتلى ابن «مُشارى» ... سدَّةَ الحكم في الزمان الآزم [1]

سدَّةٌ من رقائق الغيم أوهى ... ومن الثلج تحت وطء المناسم

عَضدَ التركُ وَهنها فأحاطوها ... بسورٍ من السيوف الحواسم

فأتاهم «تُركي» النبيل السجايا ... وحَفيدُ العلى، وجدُّ الأكارم [2]

---

١ طمع محمد بن مشارى بن معمر في الإمـــارة فانتقل من العينية الى الدرعية غير أن أمره لم يطل فقد انتزعها منه مشارى بن سعود غير ان ابن معمر استعادها ثانية فقام تركي بن عبد الله وثأر لابن سعود وقبض على ابن معمر وولده وقتلهما جزاء تسليمهما مشارى للترك . (ح . و .)

٢ هو تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود . وعبد الله والده هو غير عبد الله الذي أسره ابراهيم باشا وقتله الترك كما توهّم بعض الكتّاب . ويعتبر تركي المذكور منشىء الدولة الثانية لآل سعود في سنة ١٢٣٥ هـ . لأنه منذ هذه السنة اعتبر الزعيم الساعي لاسترداد إمارة آل سعود . ولقد هرَب في تلك السنة من الرياض بعد حصار الاتراك له ولكنه خرج منها رافعا علَم الثورة ضدّ اولئك الفاتحين وقد استمرّ ينتقل من بلــدة الى أخرى مرّة مهاجماً وتارة مدافعاً . وتمكن بعد محاولات من استرداد الرياض التي جعلها مقرّاً له ومن إخضاع نجد كلها . وفي آخر سنة ١٢٤٩ هـ دبّر مشاري بن عبد الرحمن بن حسن بن مشاري بن سعود للامام تركي مؤامرة اغتاله فيها وأعلن نفسه أميراً على نجد . غير ان فيصلاً بن تركي الذي كان في القطيف يوم اغتيال أبيه بادر الى الرجوع للرياض ليثأر لأبيه من مشارى بعد ان استعد لذلك. وفي ١١ صفر سنة ١٢٥٠ دخل فيصل الرياض وحاصر مشارى في قصره ولم تمضِ بضعة أيام حتى تسلـّق فيصل ورجاله القصر وقتلوا مشارى ومن ساعده على تدبير المؤامرة لاغتيال أبيه وأعلن فيصل نفسه إماماً وحاكماً على نجد . (ح . و .)

أقسمَ الباسلُ الاميرُ يميناً أن ستحيا تلك العظام الرمائم
لَيُثيرنَّ في الدغال السَبَنتَى لَيُهيجنَّ في الوعور الضراغم [١]
لَيقيمنَّها عـلى الترك حرباً تنقل الوُرقُ بَثَّها واليمائم
يبعث«الخرجَ»و«القصيمَ»و«شَقْرا» و«سُدَيراً» بواتراً وعزائم [٢]
إرثُ «عدنانَ» إن يرُمْهُ دخيلٌ فُخُطاهُ عـلى الصعيد مآثم
سَوَّرَتْهُ السماءُ بالعُربِ حُرّاساً، وبالمصحف المجيـد تمائم
ما لِنجدٍ والترك فانظر ثَرَاها كيف ينبو عن غمغمات الأعاجم
قَرُباهـا للأجنبيِّ دَياجيرُ، وللضـاد أَنجمٌ ومَباسم
وتراهـا لـكل ياءٍ وسينٍ تنشر الفوحَ في رَخيِّ النياسم [٣]

. . .

وتَداعَتْ نجدٌ الى ظلِّ «تركي» فارس الخيل والحسام الصارم
هابَه الترك قسوَراً يعربياً واستحبَّت زأرَ الهصور الخضارم
هجر النـومَ ثائرٌ وائليٌّ بين جنبيه للرجـاء عوالم
أبـداً يضرم الصدور، كنارِ الفُرس، موصولةً بهمَّةِ حـادم
قال: فَلْتُصبحِ «الرياضُ» لنا داراً وحصناً تأوي اليـه المكارم
دون أسوارها تَلاشى الأعادي وعـلى بابها تموت المظالم
وتبيت «الرياض»، في ظلِّ أولادي، مَناطَ السُهـا وقطبَ العواصم

---

١ السبنتى: النمر. ٢ الخرج والقصيم وشقرا وسدير. أعلام أمكنة معروفة في نجـد.
٣ سورة يس والمقصود هنا ترتيل آي الذكر الحكيم.

صدقَ الوعدَ، هكذا كان تركي عنتراً في الوغى وفي الجود حاتم
المطايا تقلُّه، وبها زهوٌ، فتختالُ في الصعيد الرواسم[١]
هاجماً تارةً وطوراً دفوعاً باسماً تارةً وطوراً كاظم
شرّدوه فما نَبا ظفرُ ليثٍ أغزَرَ الدمعَ بينهم واليتائم
يرمق الخدْرَ موجعَ اللبِّ، لهّاب الحنايا، مشرَّد الطرف ساهم
يهجرُ النسرُ عِشَّهُ، ويظلّ القلب يرعاه في المساء الداجم
ثاوياً فوق صخرةٍ كاد يفريها مَغيظٌ، على الجلالة جاثم
حنَّ للنسرِ وكرهُ فاذا بالنسر ينقضُّ كالمنيَّة قاصم
فاذا نجدُ حرّةٌ من جديدٍ والعرين «الرياض» جذلانُ باسم[٢]
عادَ تركي فماسَتِ النخلةُ الهيفاء تيهاً، والورد شقّ الكمائم
ما درى الوردُ أن فرحتَهُ الكبرى كعمرِ الشذا، كمَرِّ الغمائم
أنّ خلف الهناء صلّا خبيثاً يشحذ الناب في الخفاء العاتم
أنّ مجد الأمير غاظ «مُشارَى» وأهاج الذئبَ الحسودَ الناهم
غالَه قاطفاً غِراساً سَقاها غيرُه من دم الفؤاد الساجم
جابَ غاباً من الحِراب إليها وخضماً من النجيع ملاطم
كان في الصحو راتعاً، يومَ نجدٌ وربُاها أمست مواطىء غاشم
أرضُها مسرحُ الدخيل، ومُرتادُ العوادي، والجوّ أكدر غائم
يوم في السمع بابلٌ وسياط القوم عن صولة العتيِّ تراجم
يومَ دانَتْ للأجنبيِّ أنوفٌ فالجبين الأغرّ في التُرب راغم

---

١ الرواسم : النياق . ٢ اننا حين نؤنث نجد على ما تقدم شرحه نجيز منعها من الصرف .

هَامُهم في الثرى، وتيجانهم أهوَتْ، فما جَلَّل الرؤوس عمائم

. . .

قَاتِلَ الضيغمِ الأميرِ تأهّبْ لسريرٍ في بحرة الدمِ عائم
قد فتحت الجراح في بيت عبد الله فانزلْ على العقاب الصارم
ليس تُجدي في ضَمدِهَا حيلةُ الآسي، ولا تدمل الكلومَ البلاسم
ليس يُنْجيك منهم ساحرٌ يرقي، ولا تدفع المنونَ الطلاسم
يجمل الصفحُ عن خصيم ولكن يقبح الصفح عن غدور آثم
غِيلَ تركي فلم يَبِدْ نسلُ تركي سترى العدل في انتقام الناقم
بَأُبك الرحبُ مطلع لليتامى قصرك الشمْخُ مصدرٌ للأيائم
يثأر الواهنُ الجبانُ، فكيف الليثُ، للوالد العظيم الخُضارم[1]
دَمُهُ السمح نابضٌ في فؤاد النجلِ سمحاً فاستبشري يا مناجم
يا «رياضُ» اصبري فعمّا قليل يَنهَدُ الصبحُ من رُباكِ القوائم
فيصلٌ قادم فكلٌّ خزامٍ مشرئبٌّ، وكل زهر فاغم[2]

---

١ الخضارم : السيد العظيم . ٢ مفتّح .

فيصل

أسدُ الغابِ، أين منه الغابُ؟ فلقد ضَرَّجَ العرينَ الذئابُ
جاءه في «القطيف» نعيُ الذي عَزَّ فعزَّتْ في ظلِّه الأقطاب
لَمس السيفُ صِنوَه فاستشاطَ العَضْبُ، وانحلَّ في السعير القراب
جَمرةً صارَ حَدُّه فأضاءَ الليل من وَهجِهِ، وغارَ الشِهاب
مَقْبضُ السيف«بالقطيفِ»ولكن يمَّمَ القصرَ في «الرياض» الذباب[1]
غضبةُ العضب للسميّ دليلٌ أنَّ، في الخطب، تجمع الأنساب
يا نظيري، قال الأميرُ، وفي الأضلاع شوكٌ، وفي الجفون التهاب
سوف نعلو أنا وأنت الى المرّيخ، إنْ يَصْدُقِ السوآل الجواب
أبيضٌ حدّكَ الرهيفُ، وهذا اللون، في عالم السيوف معاب
ما كِتابٌ فيه الصحائف بيضٌ؟ ما بياضُ الاثير إلّا ضباب
حُمرة الورد عِزُّهُ، وجمال الأفق، في صَحوة العَشايا، خضاب
ورُواءُ الصنديد عزمٌ صليب وجلال السيف الجُرازِ الضِراب
أنت لولاي قطعةٌ من حديدٍ صَهَروه فانْجابَ عنه التراب

[1] الذباب : طرف السيف الذي يضرب به .

وبكفيّ تعلو فمن دونك الأطوادُ شُمّاً، ومن نَداكَ السحاب
عرشكَ الهامُ والعواتق تُفرَى غمدكَ البَيضُ والغلاظُ الرقاب
يعربيٌّ أنا وأنت قريني أَفَتَخشى أَن يعتريك السغاب
ما أُحلَّتْ لنا المُدامة فانْهَلْ من دماء الابطالِ، نِعمَ الشَراب

...

وكأنّ الحسامَ في شبه نجوى وعلى حَدّهِ الرهيف عتاب
أتراه يقول: يا فارسَ الهيجاء، يومَ الكُماةُ في الرَوْع هابوا
في فِرنْدِي لَظى الجحيم ويبقى فيك من جَارك السميّ ارتياب
فِيكَ مني المضاءُ نعتاً وعزماً وضِراباً، ولي إليك انتساب
صقلتني القيونُ[١] حراً صدوقاً لم تدنّس غَرارَهَ الأوشاب
فكلانا حرّ النِجارِ طهورٌ قد نَمونا كما نما الأتراب
أنَسِيت الأمس القريب وَغَرْبي في الميادين لَاهِبٌ جَوَّاب
أنت عضبٌ، تذود عن والدٍ عَضبٍ، كما ينصر العقابَ العقاب
وأنا مُصلتٌ بكفِّكَ، ما لَامَسْتُ غمداً، ولا طواني الحجاب
يومَ حطَّمتَ قيدكَ الصلبَ في مصرٍ، وجئتَ الوطيسَ، وهو عباب
فَتَلقَّاكَ مثلَجَ الصدر «تركي» مثلما افترَّ للندى أعشاب
فنقلنا من البطولة سفراً وَقَبَسْنا كيف الليوثُ تهاب

---

١ القيون مفردها القين وهو الحداد او الصانع مطلقاً.

فاتَّخِذْني الى «الرياض» رفيقاً ظَمِئ الخدرُ والْموالُون لابوا [١]
واضرِبِ السورَ بي، فإنْ لم أقدِّ الصخرَ، فَلْيشتَمِلْ غراري الهباب

. . .

ومشى فيصلٌ الى القصر فاستعصَتْ بُروجٌ، وعُوِّذَت أبواب [٢]
حسبَ الغاصبُ الدخيلُ «مُشارَى» أن ستجدي مجَنَّةٌ وعِقاب [٣]
فاته أنَّ في البطولة سرًّا مستكنًا ما لم تثِرْهُ الصعاب
تكمنُ النارُ طيَّ أعواد سرحٍ فاذا حُكَّ أجّتِ الأخشاب [٤]
كلُّ صَعبٍ سهلٌ على الخاطر الموتور، إن هاجَتِ النسورُ الغضاب
لَمْ تكُنْ غير ليلةٍ وضحاها فإذا العيدُ حيث كان المصاب
عاشَ «تُركي» بنجلِهِ لم يُبَدَّلْ عزُّهُ، فالذي توارى إهاب

. . .

أتَراه استراحَ مُذْ شرَّفَ القصرَ، وتاهتْ في ظِلّه الأطناب
وتَداعتْ الى الهناء نجودٌ واطمأنَّ الحُضّار والأعراب
أيطيقُ الأتراكُ أو عرشُ مصرٍ أن يسود الخليجَ عُرْبٌ عِراب [٥]
فَلْيُثِرْها الأتراكُ حربَ ذوي القربى، فتفنى الأرحام والأصلاب

---

١ لابوا : عطشوا . ٢ عوّذ الرجل : دعا له بالحفظ . ٣ المجَنَّة : كل ما وقاك من السلاح والعقاب مفردها عقبة . ٤ العود هو الخشب أو ما طرح من الاغصان فيبس والسرح هو الشجر المستطيل الخالي من الشوك والضمير المستتر في حُكّ عائد الى سرح وهو اسم جنس واحدته سرحة .
٥ الخليج العربي من جهة الأحساء .

عمرَكَ اللهُ خالدُ بنَ سعودٍ كيف هَانتْ في رأيك الأَحساب
قد أَمَضَّ الأَنسابَ ان تتبارى للفناء العيون والأَهداب
جَمَعَتكُمْ، في سِدْرةِ العزّ، أَجدادٌ كِرَام النِجارِ، كالشُهد طابوا
أَتقودُ الأَتراكَ إذ أَنت حُرٌّ فتى شرَّفَ الأَبيَّ انتداب
غرّكَ البرقُ ساطعاً، فرجوت الغيثَ يهمي، وذاكَ برقٌ خِلاب
عُمُدُ البيتِ يبتغيها دخيلٌ هَمُّه الفرد أن يسود الخراب

...

آزَرتْ فيصلًا ذُؤاباتُ نجدٍ أُسدٌ في القتال شَبُّوا وشابوا
يُوردُونَ الحسام في الصبح صديانَ، وفي العصر يُزهر القرضاب
هالَ مصراً ورَاعَ سلطان تركيّاً، عدوٌّ له الى الخلد باب
فيصلَ العُرب كيف أنت؟ وقد حَاقتْ بك الدُهْمُ، والردى منك قاب
كلّ قطر على «رياضك» حربٌ كلّ غابٍ كِنانةٌ وحِراب
جاء «خُرْشيدُ» فالخديوي، فمِصرٌ فَفَروقٌ، فالعُرب فالأَحزاب [1]
وأشدٌّ السهام، فتكاً وإيلاماً، سهامٌ تَرِيشُها الأَصحاب
«شَمَّرٌ» و«القصيم» هَبّتْ فَغَصّتْ بالعباءات والمهاري الشعاب [2]
يثبت الدوحُ للسيول ولكن أين يرسو اذا تميد الهضاب

---

١ استعان الأتراك والمصريون على الأمير فيصل بالأمير خالد بن سعود ومعه شمالي نجد . وبعد معارك دامية استسلم فيصل لخورشيد باشا قائد الحملة المصرية فأرسله مع أخيه جلوي وولديه عبد الله ومحمد الى مصر . ثم خاضت نجد فتنة أهلية بين خالد وعبد الله بن ثنيان فغلب خالد على أمره وتوفي بمكة . فَروق لقب الأستانة لانها تفرق بين آسيا وأوربا . ٢ شمّر قبيلة عربية نجدية .

ويدوم الطود المنيعُ الصَياصي والحنايا، ما دامت الأسباب [1]
ما تركتَ الحسام إلّا نثيراً وعليه من العلى جلباب
تُقحمُ المهرَ حيث يحجم جلمودٌ، وتعيا الُمنى، ويهوي الطلاب
غمرةٌ تُذهِلُ الجمادَ فيسترخي، فكيف العروق والأعصاب
قد رأوا منك في الوطيس عقاباً من حواليه فرّت الأسراب
يلتقيهم بِمِنسرٍ ترشحُ الآجال منه، ويرهب الإرهاب
فسعيدٌ مَن حادَ، عن جوّهِ الدامي، وأنجاهُ في الضباب انسياب

. . .

نظر النسر خلفه فاذا الأعداء بحرٌ، عرض المدى صخّاب
تتمادى شطآنهُ، فعلى الأسيافِ موجٌ، وفي الصدوع انسراب [2]
من شطوط «السُويسِ»، من ساحِلِ «البُسفُورِ» سيبٌ مجلجلٌ مِسكاب
ليضيقُ الحمادُ والربعُ والدهناءُ عن بعضِهِ، وتعيا الرحاب [3]
آلم النسرَ أن يرى جندَه العقبانَ تُطوى، كما يُلَفّ الكتاب
تفغرُ اللجّةُ العميقة أشداقاً، وفي غورها يذوب الشباب
ثم يطفو مُضرّجاً كنثير الورد، بئسَ الكؤوس، نعِمَ الحباب

. . .

عادَ للنفي فيصلٌ واخوه القرم «جَلْوِي» فأغمِدَ القضّاب

---

١ الصياصي الحصون وكل ما امتنع به . ٢ الأسياف مفردها سِيف وهو ساحل البحر .
٣ الحماد والربع والدهناء أعلام أمكنة .

رامَها « خالدٌ » أريكةَ عزٍّ فاذا حلمهُ الجميل يباب

رامَ كوباً من مدمع الطلّ أصفى فاذا الكوبُ زئبقٌ هرَّاب

نيّةُ الشاربِ الزلال، إنِ اعتلّتْ، ففي الكأس يكفهرُّ الشراب

إنّ من خاض في الوحول ليَروى فكديرٌ شرابه أَوْ صاب

نشدَ الكرْمَ « خالدٌ »، و « لعبد الله » دلّت قطوفها الأعناب [1]

« خالدٌ » جاء في الشتاء الدوالي لجنى البَرْدَ والُموالون خابوا

حلمه زال، عِندما لألأ العنقود، في غصنه، ولوّحَ آب

وتَولّى الأريكة « ابن ثنيّانَ »، وغارت في لُجّهِ الآراب

بلغ النيلَ صِيتُه، فاستفاق الليثُ من غفوةٍ، وهاج الناب

قيل إنّ العبّاس مَهّدَ للمنفيّ درباً يحفّه الإعجاب [2]

شامَ في صدره فؤاداً يشعُّ الفهم منه، فتلقحُ الألباب

رُبّ خصمٍ يجلّ، في خصمه الشهمَ، نبوغاً لم يستبنهُ الصحاب

البَعيدونَ بالمحاسن أدرى من نسيبٍ جَنى عليه اقتراب

إنّ من يُلصِق السطورَ بعينيه ليعمى عما ينصّ كِتاب

. . .

وأتى سيّدُ البلاد، فعبد الله ولّى، والجندُ كانوا فذابوا

---

١ عبد الله بن ثنيان . ٢ تمكن الأمير من الفرار من مصر ثانيةً . ويقال ان عباس باشا سهل له الفرار فإنه كان معجباً به وبعقله فذابت قوة عبد الله بن ثنيّان وأسلم له سائر الرؤساء واستعاد المملكة القديمة ما عدا الحجاز . وعادت الطمأنينة الى قلوب السكان وشمل الأمن الطرق والبلاد التي بسط عليها نفوذه . وكان متوقّد الذكاء كثير التواضع عادلا تقياً وقد شوهد مرة يبكي إذ قال له أحد المتخاصمين : خف الله يا محفوظ .

(ح . و .)

عَيَّدتْ نجدُ، فالغصونُ على الأدواح، نضرٌ خضرُ الإهاب رطَاب
أومأتْ لليَمام فانبسَطَ الشادي، بعرس المُنَى، وأودى الغراب
وتغنّى بفيصلٍ، في قصيِّ البيد، حادٍ، مَشَى اليه الرباب
عدلُه يُلجم اللصوصَ، فذؤبانُ الفيافِي الى الصراط أنابوا
ذكروا فيصلًا بأقصى «عُمانٍ» فتنادوا الى الصلاة وتابوا
لا يغُضّ المدى مَهابة رئبالٍ، على القرب والبعاد يُهاب
ألمعيٌّ شعَّ الذكاء بعينيهِ، وراضتْ جنانَه الآداب
يبذل اللين، أو يمدُّ بساط النطْعِ[1]، إذ يردعُ الأثيمَ العقاب
يتناهى وداعةً وخشوعاً زاهدٌ همُّه التقي والثواب
فاذا يذكر الإله فللأجفان رَفٌّ، وللدموع انسكاب
فتعجّبْ ممن تفرُّ أسودُ الغاب منه ويخشعُ المحراب

. . .

ما اليتامى في عهدِهِ بيتامى لهُمُ العيش واسعاً والجناب
شادها دارةً لكل يتيمٍ حظّه من زمانه أنياب
يُبرزُ الجوعُ في النهار حناياهُ ويخفيه في الدجى سرداب
جيفةٌ حيّةٌ، تصُدُّ قلوبُ الناس عنها، فيصطفيها الذباب

---

[1] النطع بساط من جلد يفرش تحت المحكوم عليه بالعذاب أو بقطع الرأس . [2] كان الأمير شديد العطف على الأيتام بنى لهم في الرياض داراً خاصة وكان يتفقدهم بنفسه ويكرم مثواهم ويواسيهم بكلماته الرقيقة .

مَركبُ الهمِّ والشقاء وقطبٌ   يَنتحي حيثما يدور العذاب

نَبذتهُ الدنيا وربَّ لَطيمٍ   بات غرثانَ حيث رَفَّ الكلاب [1]

وَدَّ لو كان حارساً لقطيعٍ   أَو صَيوداً يصيب ما قد أصابوا

وَدَّ لو باتَ حالماً برغيفٍ   وعلى كِسرةٍ يسيل اللعاب

لا عليكم أيتام نجدٍ أبوكُمْ   فيصلٌ، من كفيصلٍ وهّاب

اسمه مثل فعله فلَئِنْ يضربْ   فعضبٌ، وإن يَهَبْ فسحاب

بين جنبيهِ من أساكُمْ شراراتٌ،   ومن مُرِّ دائكم أوصاب

بين قلب الراعي، وهذي النعاجِ اللدْنِ،   همسٌ مُحبَّبٌ وخطاب

لن تزيدُوهُ بالسؤال نوالا   سُؤْلُكم في ضميره مستجاب

ديمةُ الجود ترسل الغيث عفواً   فلماذا ضراعةٌ وانتحاب

ويضيرُ النفسَ الكبيرة مُستَجْدٍ،   وقد أشرَعتْ له الأبواب

من طِباع التُّجّار جودٌ ومَنٌّ   طالما دَنَّس العطاءَ الحساب

يُسلَخُ الفلس مُنتناً، عن حديث الجاه،   كالعهنِ مَسَّهُ القصّاب

كلما طار درهمٌ من شحيحٍ   غصّ بالدمع أو عراه القُلاب [2]

. . .

يا أميرَ الرياض والنجد والصحراء   عَزّت بذكرك الأعقاب

يتباهون باسم جدٍّ، فتفترُّ   البوادي، وتزهر الأحطاب

---

١ اللطيم هو الغلام الذي مات أبواه . ورفّ : أكل كثيراً .   ٢ القلاب : داء في القلب .

تبسم المُيَّدُ الأماليدُ فيها وعلى الورد يهطل العنَّاب
حاضرٌ ذكركَ العظيمُ بذهن المجد، حيٌّ ما كرّت الأحقاب
ما طواكَ الماضي، فما يحجب الحسناء، عن خاطر اللبيب، نقاب
قد يواري الشتاءُ بهجةَ روض دبَّجَ الوردُ أرضَه والملاب
ويعود الربيع فالدوح ميَّادٌ، وأغصانه القُدامى رطاب
انما الذكر كالنسائم تذكيها فتزكى وتعبق الأَطياب

اولاد فيصل

غَادرَ القصرَ شامخَ البنيانِ وائليَّ الجناب والأركانِ
يَفرَقُ النسرُ من جلالة مرآه، وتَنأى كواسرُ العقبان
يومَ صوتُ الأمير، في مسمع « الدهناء » رعدٌ، وفي الخلود أغانٍ[1]
يرعبُ الماءَ في « الخليج »، وقلبَ الصخر، في برِّ « مَسقطٍ » و « عُمان »[2]
ذاك أنَّ الكبير همّاً وجاهاً يتَسامَى على حدود المكان
يُلبِسُ القصرَ من مَهابَتِهِ درعاً « فسرُّ المكان بالسكّان »
انما المرء سيِّدُ الأرض، بعد الله، فالكون ما نوى من معان
كلُّ ما فيه من نعيمٍ وبؤسٍ وصراع الأرواح والأبدان

---

١ الدهناء : الصحراء المعروفة . ٢ كانت حدود المملكة في عهد فيصل على ما يلي : من الشمال خط يمتد من جوف العامر الى قرب الكويت عند نهايتها الشرقية . ومن الجنوب الربع الخالي . ومن وادي الدواسر من نهايته الغربية الى نقطة غير معينة في الصحراء في اتجاه الخليج العربي . ومن الشرق تنحدر حدود نجد الى الخليج العربي الى الكويت في طرفها الشمالي فنازلا الى ابي ظبي . وبعد ان يمرّ خط الحدود الى الداخل قليلاً حتى يصل الى بريمي ينحني نحو الجنوب الشرقي ويمتد وراء تلال مسقط وعمان . ومن الغرب خط يمتد بين الشمال الجنوب، بين الحجاز من جهة ووادي الدواسر من جهة أخرى بحيث يقع وادي الدواسر في نهاية الطرف الجنوبي لهذه الحدود . فهذه الجهات كان سكانها ورؤساؤها يخضعون فعلاً للامام فيصل . وهنالك جهات أخرى كان الأمير يكتفي منها بضريبة سنوية علامة الخضوع . فأمير البحرين كان يدفع أربعة آلاف ريال، وسلطان مسقط ستة آلاف، ورئيس ساحل عمان من رأس الخيمة الى ابي ظبي ١٢ الف ريال .

(ح . و .)

ونزاعِ الآراءِ في الدين والأخلاق، وَفْقَ الميول والألوان
وتنادٍ الى سلامٍ مقيمٍ واشْتِجَارِ السيوف، والمُرّان
كل هذي الدنيا العريضة ألوانٌ عليها من صبغـة الإنسان

. . .

إيه أنجالَ فيصلٍ هل مَنَعتمْ هيبةَ القصر من خطوب الزمان
أم نصرتم عليه سيلَ العوادي فتداعَتْ قواعدُ البنيان
شاده آلُكمْ وفي كلّ ركنٍ قطرةٌ من دم الأميرِ الباني [1]
رَفعوه حِمىً لآل سعودٍ يحتمي في ظلاله المشرقان
وائلياً رحب الفناء وديعاً جَلّ عن زهو صاحب الإيوان
ليس في مجده أباطيلُ روما أَو مسرّاتُ عابد النيران [2]
لا سِنمّارُ جَسَّدَ الفنَّ فيه لا، ولا أجْرَمتْ يد النعمان
ليس فيه من قصر غمدانَ إلّا مَسْحَةُ العُرب والحسام اليماني
يصطفي أرفع المحاسن قدراً ويخلّي الأدرانَ للأدران
وبه عزّةُ الرشيد ببغدانَ، إذِ المسكُ في ثرى بغدان
وجلال الشهباء، يومَ حسام الشرق يعتزُّ في بني حمدان [3]
ركزوه على «الرياض» مَلاذ الفخر والجود واللهيف العاني

---

١ المقصود بالبناء هنا البناء المعنوي لا المادي، لان القصر كان لدهّام بن دواس احد اعداء آل سعود، فانتصروا عليه واحتلوا القصر . ٢ أباطيل روما يقصد بها روما الوثنية التي سيطرت علـى العالم القديم .
٣ المقصود سيف الدولة أمير الحمدانيين انسباء آل سعود .

ومحجاً، تشيع في جوّه التقوى، وتنمو أزاهرُ الإيمان
فنعيم الأسماع، في هدأة الأَسحار، أُمُّ الكتاب، سبعٌ مثان [1]

. . .

إيهِ أنجالَ فيصلٍ كيف دَبّتْ في حِماكم عقاربُ الشنآن
أطلَقَتْها الوشاةُ في جنح ليلٍ غائرِ النجم لاهبٍ حرّان
فتعادَى لنقض مجدٍ سعوديٍّ، وجلّى في هدمهِ أخوان [2]
البطاناتُ أجنحٌ، فإنِ اعتلّتْ، أسفَّ الصقورُ في الطيران
الحواشي قوادمٌ وخوافٍ عاطفاتٌ على الضلوع حوان
ليس أدنى الى السرائر منها حين تُحصي على القلوب الثواني
تقرأ السرّ في جبين وَليٍّ بارزَ الحرف واضحَ العنوان
وتراها سرَّ الوجوه تخطّى فتُماشي القلوب في الخفقان
ولقد تفتري فربَّ مشيرٍ أزهرِ الوجه أسودِ الوجدان
ولخيرٌ من مثله صحبةُ الحمّى، وفتكُ البرْسامِ والسرطان
بين أضلاعه ضراوة ذئبٍ وهو في مثل هيئة الحملان

---

١ أم الكتاب او السبع المثاني هي الفاتحة . ٢ كان التنافر بين عبد الله وسعود نجلي فيصل معروفا في حياة والدهما الذي جعل ولاية العهد لولده الاكبر عبد الله وأطلق يده في كثير من الاحوال . وكان عبد الله معروفاً بالكرم والتقوى والتعصب الديني . أما سعود فكان يميل الى الاعتدال والتسامح . وهذه الصفات حببته الى البدو . ولا ينكر ان عبد الله كان طيب القلب شجاعاً، ولكنه اسند الأمور الى غير أهلها وأطلق يد موظفيه ومنهم الحديثو النعمة فعاملوا رؤساء البلدان والقبائل بغير ما اعتادوه في أيام فيصل من كرم الضيافة والرعاية . ولا شيء أسوأ أثراً في نفس العربي من سوء المعاملة كما لا شيء يحدث أحسن الأثر أكثر من الإكرام وطلاقة الوجه فانصرفت القلوب عن عبد الله وازدادت الخصومة بين الأخوين، ولكل فريق أنصاره.

يُعكِرُ الماء في الدياجير عمداً ليُواري نفائس المرجان
يصطفيها لنفسه، ويُضلُّ الناسَ، في أكدَرٍ من الغدِران
والصيودُ الصيودُ من عكَّر الماء، وفي طَرْفِ حَبله شِصَّان [1]
أو تَردّى وجهين، للذاتِ وجهٌ ولِبَثِّ النفاق والسّم ثان

. . .

الحواشي قَصَّتْ جَناحيك عبد الله فاحلَولَكَتْ صِباحُ الأَماني
طِبتَ قلباً ومحتداً وبناناً ولأَنت الخليق بالصولجان
بكرُ أنجال فيصلٍ، ووليُّ العهدِ، والخيّرُ الرحيبُ الجفان
عَجَباً ! ضِقتَ بالتَسامُحِ صدراً وتنكَّبتَ عن دروب الليان
وَلَبِئسَ الأَعوانُ ساؤوا، فهاج البحرُ، واجتاح مركبَ الرُبّان
نَفَّروا منك بادياً ومقيماً وتجافَتْ عنك القلوب الدواني
ما لَهم في الأَكارم الصيد عرقٌ فاذا أعرقوا ففي العبدان
كيف أغضَيتَ عن جدود الحواشي وتساءلْتَ عن جدود الحصان
الحديثون بالصوافن عهداً لن يطيقوا سياسة الفرسان
تبطرُ الخيل تحتهم، فيميد السرجُ، أو يلتوي حديد العنان
فاذا القادةُ الصعاليكُ صرعى والمطايا طليقة الأَرسان
لا يُولَّى دارَ الضيافةِ أجلافٌ، قِصارُ المدى، جعادُ البنان
يكفهرُّونَ للضيوف، كأَنّ الضيفَ داءٌ، أو مُوفَدُ الشيطان

[1] الشصّ: حديدة عقفاء يصاد بها السمك .

يمسكون الأكفَّ عن بذل فضلٍ ليتهم يطلقون فضل اللسان

. . .

آيةُ العُرب انهم مضرب الأَمثال في الُجود، في قِرى الضِيفان

فخرُهُمْ في الوغى ازدحامُ سيوفٍ فخرُهمْ في الندى ازدحام خوان

ويشُّونَ للنزيل، ولو كانوا ثِقال الديون والأَحزان

لا يضنُّون بالخيول عتاقاً والمهاريِّ والنِعاج السمان

ويجودون من جفانٍ رحابٍ حين جود الغربيِّ من فنجان

يُركزُ الرمحُ في الطعام فيبدو نَصلُهُ مثل مِروَدِ الأَجفان

غمدهُ الرحبُ تلَّةٌ من أرزٍ فوقها الطودُ من وَديك الضان[1]

المفاتيح لِلُّهاة مفاتيح إلى قلب قادمٍ جوعان

« يا هلًا بالضيوف» قلها فتغدو رهنَ كفَّيكَ أنْفُسُ العربان

إنما أخصر الدروب إليهم منعشات الأَذواق والآذان

بئسَ ما كنتمُ بطانةَ عبد الله، شرّ العمَّال والأَعوان

طالما بَدّد الرعية جدبٌ في المراعي، وغفلة الرعيان

. . .

واستمال العصاةَ حلمُ سعودٍ وسخاءٌ في كفِّه والبيان

فيه من بسطة النخيل انطلاقٌ وجلال الأَصباحِ من لبنان

---

١ وديك : سمين .

نَاصَرتْهُ «الخوالد» الغُلّبُ الأَخوال، أسدُ الشرى، رماح الطعان [١]

فتنادوا الى اللقاء وَهَبَّتْ للمواضي فوارس «العُجمان»

ينشدون «الأَحساء» مَوئِلَهم بالأَمس، والأَمسُ جذوةٌ في الجنان

حلموا بالجدود صرعى تناديهم، فأَجّت كوامن البركان

ذكروا مجدَهم فحنّوا الى تلك الضواحي وغابرِ السلطان

وتراءتْ لهم جدودٌ مَغاويرُ، تنادي من داثر الأَكفان

«يا لَثأْرِ السيوف من «فيصلٍ» ماضٍ فهبّوا من رقدة الغفلان»

«حالفوا نجلَهُ تُعاوِدْكُمُ الدنيا، ويخضلَّ زاهرُ البستان»

«وبنو مُرَّةٍ، «عَلاَقِمُ» هذا البرّ، عونٌ لكم عظيم الشان» [٢]

. . .

وتلاقت على «الهفوفِ» شواهينُ المنايا وأَنْسرُ المعمعان

وابن «حثلين» قائد الخيل أفواجاً، فويل «الهفوف» من «راكان» [٣]

وأَتاهم «خليفةٌ» حاكمُ «البحرين» حلفاً فصفّق العَلَمان

---

١ كان الامير سعود ممعنا في التلول .

٢ علاقم مفردها علقم . ٣ تحالف راكان بن حثلين زعيم العجمان مع ابن خليفة حاكم البحرين يساعدهم قبائل آل مرة، فتقدموا الى الهفوف عاصمة الأحساء وكان فيها أحمد السديري حاكماً من قبل عبد الله بن فيصل فحاصروه فيها عدة أسابيع، فسلمها لهم لما هددوه بإتلاف البساتين . وعلم عبد الله وأخوه محمد بن فيصل الآتيين لنجدة الهفوف بسقوطها وهما في منتصف الطريق، فقررا الفرار والسير من طرق مختلفة الى الماء المسمى «جودة» حيث كانت تعسكر قوى العدو الرئيسية، غير ان الخصوم كسروا عبد الله وقتلوا ما يزيد على الألفين من رجاله المخلصين . (ح . و .)

«السديريّ»، في المدينة محصوراً، قطامٌ في مخاب العقبان
أنذروه بمحو تلك الربوع الخُضر، إن ظلَّ دائمَ العصيان
أقسموا يقطعونها حلْقَةَ الموسى، أصولَ الشعورِ في الأذقان
يتهاوى «الأترنجُ» والخوخُ، والليمون يبكي قَوانيَ الرُمّان
وتراءت له الجنان الزواهي لقمةَ الجوع في فم الغرثان
هاويات تحت الفؤوس حزانى دامعات الجذوع والأفنان
يَتَفَجّعنَ كالحسان السبايا اذ تطولُ العفافَ كفُّ الزاني
خالَ تلك السُوقَ الرِهافَ وقوداً فضِراماً، فغيمةً من دخان
أسلمَ الحاكمُ «الهفوفَ»، وفي عينيه، بل في جَنانه، دمعتان
جاءه العونُ خائراً والسرايا موهَناتٍ وافت عقيب الأوان
يا غيراً بعين «جودة» حدِّث هل تَروّى من مائك الجمعان
يوم غذّى الوحوشَ، من جيش عبد الله، في تِهمةِ الردى، ألفان

• • •

أسعودٌ حلَّ الرياض أميراً؟ ويل عرشٍ صبا اليه اثنان
في مَهبّ الأهواء عُلِقَ ميزانٌ، فمن أين تثبت الكِفّتان
لا يكادُ اللسان يثبت حتى تنثر الريحُ راجحَ الأوزان
تتفانى الدماءُ جهلاً كما لو كان في عرق وائلٍ دموان
أطريداً مشرّداً صار عبد الله؟ أم ضيف مُجمل البلدان
ملكهُ عادَ حفنةً من رجالٍ وعيالٍ تئنّ في الأظعان

يا أميرَ الصحراء، جرحٌ بقلب المجد، سوطُ الهوانِ للشجعان

« حائلًا » جئتَ أم « عُنَيزَ » ، فلن تلقى ثغوراً وَضَّاحة الأَسنان [١]

جِئْ « سُبيعاً » أَو جِئْ « مُطَيراً » ، فقد تلقى رَسيسَ الوفاء في « سُلطان » [٢]

ما لِوهمٍ أعشى ضميرَكَ حتى شِمْتَ لونَ الثلوج في الغربان

أَتُرَجّي للثأر « مِدْحَتَ » باشا فتصكَّ الحديد بالصَوَّان [٣]

لاهياً كان عنكما، فأبحتَ الماء عذباً، لِكارعٍ ظمآن

كان والي بغدادَ يحلم « بالأَحساء » حلمَ الفتيّ بالنسوان

فأثرتَ الشعورَ من لا شعور وبعثتَ الدفين من نسيان

ومتى ازدادَ سادِنُ النار قرباً كان بعض الوقود للقربان

يسبر الغورَ صائدٌ ألمعيٌّ قبل أن يرتمي على المرجان

رُبَّ غمرٍ كمقلة الديك صافٍ في زواياه مكمن الحيتان

وَلَكَمْ صائدٍ سَبَتْهُ يواقيتُ، فأضحى الغَداء للسغبان [٤]

---

١ حائل مقرّ آل الرشيد واقعة في جبل شمّر وقد أصبحت عاصمة نجد في عهد الرشيديين . عنيز المقصود بها عنيزة وهي بلدة في القصيم .

٢ بعد هزيمة عين جودة سارع سعود لاحتلال الرياض فدخلها برغم المقاومة . ولم يستطع عبد الله بعدها الإقامة في بلاد أجداده، فحمل خزائنه ونفائسه على مئة بعير وأخذ ينتقل من ناحية الى أخرى لعله يجد نصيراً . وتوجه اولا الى زامل السليم حاكم عنيزة، فخاف الحاكم بطش سعود وأوعز اليه بالرحيل فرحل الى محمد بن الرشيد في حائل، غير انه لم يجد فيه صدراً رحباً فاتجه الى سلطان الدويش وعساف ابي ثنين رئيسي مُطير وسُبيع وكانا يحنقان على سعود ويعملان على إضعاف نفوذه .

(ح ٠ و ٠)

٣ أراد عبد الله ان يسعى من جهة أخرى لإضعاف نفوذ اخيه سعود فأرسل الى مدحت باشا والي بغداد يستمد منه المعونة، فوجد مدحت باشا الفرصة سانحة للاستيلاء على الأحساء وسائر البلاد التيكانت خاضعة لتركيا قبل دولة آل سعود، فاستعان بناصر باشا السعدون وعبد الله بن صباح . وبمساعدة هؤلاء وبني خالد احتل الأتراك الاحساء وسموها ولاية نجد، فتحقق عبد الله اذ ذاك انها خرجت من يده ويد أخيه . (ح ٠ و ٠)

٤ السغبان : الجائع .

هَلَّ فوق الأَحساء بيرق تُركيًا ، فعادتْ لقبضة الخاقان [١]

. . .

وتراءى « القصيمُ » لابن رشيد سلسبيلاً هفا الى عطشان
من يصدّ الشرِّيبَ عن خندريسٍ بعد ما رآءَ ثغرةً في الدنان
ضَيَّع الكرمَ أهله فتفانوا في سبيل الأوراق والقضبان
سيَّبوا الخمرَ طيِّباً ، فأتى النَّهامُ يحسو مُعتَّق الكيزان
سوف يأتي على الكؤوس ويبقي حسرةً مُرّةً لاهل الحان
يُطمع الحاطبَ النبيهَ، بجذع الدوح، يَبْسٌ يدبُّ في الأغصان

. . .

يا لأغصان فيصلٍ تعتريها لفحاتُ الهجير في نيسان
لم تَشِخْ بعدُ تلكُمُ الغابة الكبرى، فتودي نواضرُ السنديان
لا يضيرُ الغصون مثل سقامٍ كامنٍ في الجذور، في الشريان
كل ضِغنٍ يهون في الأرض إلّا ما تثير الشحناء في الإخوان
انهم وحدة وأعضاء جسمٍ وجمانٌ غالٍ بعقد جُمان
كل جزءٍ منه عمودٌ لكلٍّ مثلما العمر كلُّه من ثوان
فاذا انحلّت العرى وتفانتْ في مَهَبِّ الأهواء فالكلّ فان
ما سعودٌ ، وما اخوه، سوى فرعين طابا في دوحة الأزمان

١ الخاقان : سلطان تركيا .

بهما العزمُ من مُتون الصَياصي بهما الفوح من شذا البيلسان[١]
جَمعَ الوجه مقلتين فويلٌ من عداءٍ تثيره الأختان
كل شوكٍ يمَسُّ واحدةً بالسوء تشكو من وخزه العينان
وهما اثنانِ من أبٍ، لا شقيقانِ، وفي خاطرِ العلى، توأمان
لهما في رفارف الخلد بيتٌ لا بيوتٌ شتّى ولا بيتان
دولة المجد غير دولة أرقام، تلَهَّتْ بالعَدِّ والحسبان
واحداً يحسب الخِضمُّ ولو جَمَّ السواقي مُشَعَّبَ الخلجان

. . .

فيصلَ العُرب أين عيناك تُقصي عن بذور العلى دخيلَ الزؤان
كل ما شدتَ من بناءٍ مُنيفٍ بات عصفاً بكفّة الحدثان[٢]
الحواشي غَضَّت مقام سعودٍ وأهاجت كوامنَ الأشجان
المضلّونَ والتوابعُ و« العجانُ» أدْمَتْ مَشاعرَ الُخلّان[٣]
فَنَفوْهُ من الرياض ولكن عاد فاصطادها بحد السنان
نَاصرته «دَواسرٌ» أو ليوث الحرب، حين الوطيسُ في غليان
شهدت «جزْعةٌ» هزيمة عبد الله، والأرضُ ديمةَ الأرجوان

١ الصياصي : رؤوس الجبال وكل ما امتنع به . ٢ العصف : الحطام والغبار . ٣ بدأت القلوب تنصرف عن سعود بسبب الفظائع التي ارتكبها أنصاره وأصهاره العجمان فاجتمع أهل الرياض تحت قيادة عمه عبد الله بن تركي وطردوه من الرياض سنة ١٨٧١ فوجد اخوه عبد الله الفرصة سانحة فترك الأحساء حيث كان مقيماً ودخل الرياض بدون مقاومة . ولكن سعوداً لم يهن عزمه فجمع أنصاره واصدقاءه الدواسر ونازل أخاه عبد الله في « الجزعة » وضربه ضربة شديدة ودخل الرياض ظافراً . (ح . و .)

عادَ بالذلّ عاثراً، كيفما يمشي، تولّت إذلالَه القدمان
دامعَ القلب من هموم ثقالٍ ما لَه بالنجاء منها يدان
بَسمَ الحظُّ ليلةً وضحاها ثم أهوى مُضاعَف الخذلان
مُصْفِرَ الدارِ، من رجالٍ ومن مالٍ، خفيفَ الأَكياسِ والأَردان
واذا برَّح الشقاء بإنسانٍ توارى، من وجهه، القمران

. . .

رَاوَدَ المأملُ البعيد سعوداً ليُعيدَ «الأحساء» في الأوطان
خالَها زوجةً يطلِّقها الترك، فتهفو للوامِقِ الندمان
فاتَهُ انهم دهاة عِماق ألجموا البرَّ بعد طول حِران
فَتَحوا بالدهاء أكثرَ مما يفتح الوجدُ في مُنَى الولهان
سَوَّدوا العقل للتَسلُّطِ فتياناً، وشابوا في دُربةٍ ومِران
ان حبّ السلطان والحوْلِ ميل كامنٌ في قرارة الإنسان
فتراه بكل جارحة منه، بلُبِّ العظام، باللحمان
إنَّ هذا الورى وما فيه من صخرٍ ونبتٍ، وأعجمٍ حيوان
طالبٌ قوّةً وناشدُ سلطانٍ، فكلّ الوجود في نشدان
قوّة النسر منسرٌ وانقضاضٌ وهي نابٌ في النِمْرِ والسرحان
وزئيرٌ ومخلبٌ في العَفرَنى واحتيالٌ في روغة الثعلبان[1]
وادّخارٌ في نَحلةٍ ونِمالٍ وهي سمٌّ في لسعة الثعبان

[1] العفرنى : الاسد . الثعلبان : الثعلب الذكَر .

وجناحٌ لطائرٍ وانطلاقٌ وَمثارُ الطُّفور في الغزلان
ودموعٌ من مقلة الطفل تهمي وصُراخ الضِعاف والصبيان
وَهديرُ الفحُولِ في يوم حربٍ وَهيَ الُهون في فرار الجبان
وهْي غنج وزخرفٌ واكتحالٌ وفجورٌ على جفون الزواني
وارتقاصُ النهود، أو خلجةُ الأرداف والخصر في تثنّي القيان
واضطرابُ الآهاتِ في زفرة حَرَّى، ومدٌّ الأصوات في الألحان
إنّها الوحي في مزامير دَاودَ وسرّ الأمثال في لقمان
هي ظلم الطاغي بقبضة فرعونَ، هي العدل في أنوشروان
وخشوعٌ في ذلّة الناسك القدّيس، أو في ترمّت الرهبان
ونضارٌ مشى الغبارُ عليه في صناديق ممسكٍ خزّان
ويراعٌ على بنانٍ خصيبٍ ناضر البَثّ مُلهم العنفوان
لتشيخُ العصورُ وهو فتيٌّ أبديٌّ الأضواء والرَيعان
انما القوة الولودةُ قطبٌ أبديٌّ لهذه الأكوان

. . .

أترى الترك يا سعودُ غُباةً؟ فتعيد «الأحساء» للأحضان
قد حرمتَ الأخَ الصغير هناءً منذ جاء الوالي بدار الأَمان[1]
جاء بغداد يطلب المُلكَ من عادٍ، وماءَ الحياة من هَيْمان
إنهم يبتغونَهُ من محيط الهند حتى النجود في إيران

[1] دار الأمان او السلام بغداد.

فقلوبٌ على « القصيم » حوانٍ وعيونٌ الى الثغور رَوان
الهضاب الخضراء مَرْعى خيول والشطوط الزرقاء فِيحُ الموانى

. . .

ظلَّ عبد الرحمن خمسين شهراً يتمنّى والترك في رَوَغان [1]
فاشلًا عادَ بعد مطلٍ وتغريبٍ ولفٍّ مكرّر الدوران
عادَ عودَ الموتور لَجَّ بـه ثأرٌ وأضناه موجع الحرمان
فأهاج « العُجمانَ » واستنجد الأعرابَ بعد الأكارم الأقران
فأغاروا على الحصون وحلُّوها خلا « الكوت » موئل العقبان
فرحةٌ لم تدم سوى ما يدوم النقدُ في كيس مسرفٍ سكران
فبنو خالدٍ أعانوا عليه التركَ، بئسَ الأصحابُ يومَ العِوان
أفلتت من يد الأمير أمانيه، فمحمومُ ليله ليلان
أمسه الخائب الجريح المسجَّى والغدُ المُوحِشُ الغريبُ الداني
ما سعودٌ منه بأوفرَ حظّاً أقسمَ النحسُ أن سيلتقيان
« مُسلِطٌ » من «عتيبة» شام وهناً في سعود فلَجَّ في العدوان

---

[1] أراد سعود أن يستردّ الاحساء من الأتراك بعد ان أضاعها أخوه عبد الله فارسل أخاه عبد الرحمن الى بغداد يفاوض الوالي ، فاقام هناك أربع سنوات بدون جدوى وانّى له ذلك والاتراك يرنون بابصارهم الى داخل الجزيرة . وعاد عبد الرحمن بعد فشل المفاوضات وفي نيته استرجاع الأحساء بالقوة فأثار البادية والعجمان وهاجها فاستولى عليها عدا « الكوت » اي القلعة . ولكن الاتراك بمساعدة بني خالد طردوه من الاماكن التي احتلها فرحل الى الرياض واخبر سعوداً بفشله . وأنس مسلط بن ربيعان الضعف من سعود فأخذ ينهب الجانب الغربي من الرياض . وأخيراً حينما خرج سعود لغزو عتيبة أحاط به اعداؤه في وادٍ ضيّق وقتلوا اكثر انصاره وجرح هو نفسه جرحاً بليغاً فنقله عبيده الى الرياض حيث بقي مريضاً حتى مات في صيف ١٢٩١ هـ ١٨٧٤ م . (ح . و .)

قبل موت المريض ينهبه النهّاب، فالسقمُ حافزٌ للجاني
ومتى يُجرحِ الغضنفرُ يُصبحْ بعد عزٍّ وليمة الذبّان
جَرَحوهُ فَهِيضَ ذاكَ الجناحُ الصلبُ، وانهدَّ فارسُ الميدان
نقلوه الى الرياض يعاني من مرارات جرحه ما يعاني
الصديد اللهّاب يكوي حناياه، فما انفكّ دائبَ الفَوران
الفراش الرفيقُ صار جحيماً وجفا الطيفُ مقلةَ الوسنان
باتتِ السُمْرَةُ الحبيبةُ، لون المسك، في مثل صُفرة الزعفران
يتهاوى على المنون، كما تهوي لَدَى الحرِّ، زهرةُ الأقحوان
هانَ لو كان واحداً جرحه الدامي، ففي قلب قلبه جرحان
وأمضُّ الجرحين حلمٌ بمجدٍ مَزَّقتهُ زعازع الأضغان
رحمتهُ الحُمّى فأقصت، عن الوجدان، أمساً مُذهَّبَ اللمعان
وتخفّ الآلام حين يتيه المرء في غمرة من البحران
مات فلتبكهِ الرماح العوالي والسيوف البعيدة الإرنان
فيصلَ الأكرمين كان ابوه عربيّ النجار من عدنان
أعلَنَتْه للبحرِ أشرعةُ الخاقانِ، للبرِّ ألسنُ الركبان
صيته جَلَّل المفاوز عزًّا وتغَنّتْ بذكره القريتان[1]

. . .

قام عبدُ الرحمن فيهم إماماً بايعوه ببيعةِ الرضوان

---

١ القريتان : مكة والطائف .

كان عبداً حقاً، ولكنَّهُ عبدُ الإله المهيمنِ الرحمن
طاهر الذيل والمنى والسجايا وأليف السجود والفرقان
عفَّ قولاً، ومثلُه لو أرادَ الهجرَ شذَّتْ عن حكمه الشفتان[1]
يتناءى عن الذنوب كما لو جاءَ يومَ النُشورِ والميزان
مستقلاً كتابَه باليد اليمنى، وَديعاً في حضرة الديَّان
ذلك النهج في التعبّد سمتٌ تلتقي عند طرفه قِمَّتان
ما تشاء الدنيا من الحاكم المرجوِّ للقسط، للندى، للصيان[2]
ينسج الخيرَ في الخفاء، وفي الجهرِ، ويكسو به ثواني الآن
فيكون العهدُ الوريفُ نضيراً من شآبيب قلبه الملآن
ما تشاء الأخرى من الأمرِ بالمعروف والنهي عن هُوَى الزيغان[3]
ما أحلَّ الإله حِلٌّ فذوقوا طيّبات الدنيا مَذاق اتّزان
واستديموا أرحامكم وَصِلوها وتواصَوْا بالحلم والغفران
واعبدوا الله، لا البنين ولا الأموال، تِلكُمْ عبادة الأوثان
انَّ هذي الدنيا العجوز بغيٌّ نحلَتْ من قلائد الحِصان
تستخفُّ الغواة، كالغادة الحسناء تغري نواظر الفتيان
فاتّقوا الله، انه الغاية القصوى، فهذي جواهر الأديان

. . .

لم يسرِّ الكبيرَ أن اخاه عاد يجلو بالأُنس قفر المغاني

---

[1] الهُجر: الكلام القبيح . [2] القسط: العدل . [3] الهُوى: مفردها هُوّة .

فأتى سدّةَ «الرياض» أميراً ينزع الثوبَ من يد اليقظان

رامَ أخذَ الرداء من ذاته الأُخرى، فجاد الصغيرُ بالقمصان[١]

نازعتْهُ أُخوّةٌ وطِماحٌ وتلظّى في صدره الضدّان

ما أحرَّ العراكَ، حين يشقُّ الصدرَ، في سَورة اللظى قلبان

واحدٌ بالأَب العظيم عليقٌ وبمجد الأَولاد هام الثاني

ويمضُّ الراعي الشفيقَ خصامٌ وشماتٌ أُلحسّاد بالقطعان

فيضحِّي التراثَ غير جبان بل فداءً من ثورة وافتتان[٢]

. . .

لم يَطُل ذلك الهناءُ بعبد الله، فالحزنُ جاء عقب التهاني

نشَدَتْ ظُلمةُ السجون كبيراً يا لَويل السجين والسجّان

يا ضواحي «الرياض» هاتي مع الأَسحار طيباً من الغصون اللدان

علّه ينعش الطريحَ على القيد، ويثني مدامع الأَسوان

---

١ الصغير : اي اخوه الصغير عبد الرحمن . ٢ بعد موت الامير سعود بايع أهل الرياض أخاه عبد الرحمن بن فيصل إماماً لهم وحاكماً عليهم ومضى على ذلك نحو سنة . غير ان عبد الله بن فيصل عزّ عليه ان يرى أخاه الأصغر حاكماً في الرياض، وهو طريد من عشيرة الى أخرى ، فدخل الرياض وأعلن نفسه إماماً وحاكماً . فرأى أخوه عبد الرحمن أن يضع حدّاً للفتن الداخلية، فتنازل عن الإمارة وبايع أخاه عليها غير ان هذا الحكم لم يدم طويلاً فان ابناء اخيه سعود تمكنوا من القبض عليه وحبسه سنة ١٨٨٧ م .

(ح . و .)

الانهيار

عاملًا كان في ظِلالِ السعودِ   داعياً بالبقـاء والتأييـدِ

هبطوا فاعتلى، وكلُّوا فجلَّى   وأسفُّوا، فجدَّ في التصعيد

ا لمروءاتُ سُلَّمٌ للمعـالي   يرتقيه أهـلُ الطِماحِ البعيد

يأسرون الرجالَ باللينِ والمعروف،   أو بالوعيـد والتشديد

كَصِلاب الُجذوعِ آناً، وآناً   يسترّقون كالغُصين الَميود

يبهرون العيونَ بالعرف والحسنى،   ويُعْمونَها بدفقـة جود

هكذا لَملَمَ القلوب حواليهِ   فدانَ الشمالُ لابن الرشيد [1]

« حايلٌ » كعبةُ الخواطر، فيها   بُغيةُ المعتفي وسحرُ الجديد

وتخالُ المنى تخفُّ اليهـا   طائرات من فوق أدواح « فِيد » [2]

---

١ بعد حبس الامير عبد الله بن فيصل أسرع محمد بن رشيد حاكم حايل الى مساعدته، فضرب أعـداءه وفك أسره وأخذه معه الى حايل . وأقام في الرياض عاملًا من قبله بجانب عبد الرحمن بن فيصل . ثم ما لبث ان استقدم عبد الرحمن الى حايل ليقيم مع أخيه عبد الله . ومن ذلك الحين أخـذ نجم آل سعود في الأفول، وأصبحت الكلمة العليا في نجد لآل رشيد عُـمَّال السعود بالأمس فأخذوا يبسطون نفوذهم على سائر الأنحـاء النجدية . وقد ساعد على ذلك شخصية محمد بن رشيد أتم مساعدة، فقد اشتهر الرجل بالكرم ولـين الجانب وكبر العقل وحبه للسلم فدانت له العشائر كلها راضية او مكرهة . (ح . و .)

٢ فيد بلدة على منحدر جبل سلمى الجنوبي .

لا « قفارُ » تصدُّها لا ولا « تَيْماءُ » بنت « العَلا » وخدر الصرود [١]

إن حصنَ السموألِ الفردَ صَدامَ العوادي ما صدَّ حظَّ السعيد

مالَ عهد « الرياض » فالنخل معتلُّ الأفانين أو يَبِيسُ الجريد

ضِيم عبدُ الرحمن، والبكر عبد الله ضيفٌ على ثقيلِ القيود

مطلع الخير لاحَ لابن رشيدٍ فَلْيُحطِّمْ قيد الأمير المجيد

مُنقذاً يحسبونه، ويعود الصيت ملءَ الأسماع، ملءَ القصيد

الموالون يُكبرون مزاياهُ، ويحدون للنصير النجيد

والبعيدون يرهبون، ففي الإنقاذ وعدٌ مغلَّفٌ بالوعيد

والمُعادونَ؟ عثرةٌ في سبيل الحكم، فليسقطوا بسيف مبيد [٢]

. . .

وأتى قلعة الرياض مغيراً واستباح البَتّارُ كل عنيد

فاستقلَّ الأميرَ ضيفاً، وكان الضيفُ بالأمس سيِّداً لِمسود

ليته ظلَّ في الكُبولِ، فما الأغلالُ تُزري بهيبة الصنديد [٣]

أَو طريداً فكم تضمُّ البوادي من هصورٍ كَلِّ النيوب طريد [٤]

---

١ قفار المدينة الثانية في الاهمية بجبل شمَّر وهي مساوية لحايل في عدد السكان . واقعة في البطن الى الجنوب الغربي من العاصمة . وتيماء في وسط واحة تدعى باسمها واقعة الى الجنوب الغربي من النفود على بعد ٦٥ ميلاً من شمالي العلاء، في منخفض من السهل وبها ابراج للدفاع . ولا يخفى ان فيها كان حصن السموأل بن عاديا صاحب امرىء القيس . ٢ المعادون هم أبناء سعود الذين أسروا عمهم عبدالله وكان أسره وبالا عليه وعليهم . ٣ الكبول مفردها كبل وهو القيد العظيم . ٤ كَلِّ النيوب : كليلها .

لا يقولون عامِلُ الأمس يحميه، ويحنو على عجوزٍ شريد
في الحمايات ذِلَّةٌ، ولو أنَّ العيشَ في ظلها نديٌّ الورود
جوهرُ النار لَهْبَها، ويلاشيها غزير الندى، وفرط الركود
تصلُبُ الساقُ بالمسير، ولا يجني عليها سوى طويل القعود

. . .

ذُلِّلَتْ سدّةُ الرياض بِوالٍ ماكرٍ وافرِ الدهاء رصيد[1]
«حايلٌ» تنصب الوُلاةَ وتقصيهم، وتمحو ظِلَّ التُراثِ الفقيد
فتُولّي «عُتيبَةً» أو «تَميماً» أو «مُطَيْرًا» أو باقياً من سعود
مُلْكُها الكرمُ والدوالي، فإنْ تَرْفِدْ سليباً فحبَّة العنقود
ضَمَّ عبدُ الرحمن للقَفَص الزاهي، فلونُ النضار فوق الحديد
الأميران في نعيمٍ، برأي العين، أو خاطرِ الجهول البليد
في جحيمٍ برأي من يتخطّى حدسُهُ نضرة المعاش الرغيد
فكأنَّ المضيفَ يبذل للأبصار، في عرض حوضه المورود
شَبَحاً من منارةٍ مالَ رُكناها، وأنقاضَ جَوْسقٍ مهدود
ويضير الحصانَ في الخدرِ أنسامٌ أباحت نِقابَها للشهود

. . .

أبلَتِ السنُّ، والسقامُ، وفرطُ الهمِّ شيخاً مجدَّد التسهيد

---

١ رصيد: رقيب.

وأراد المضيف أن يبهر الأنظار بالِحلم، أَو بمنٍّ حميد
فأباح الرياض للمُجْهَدِ العاني، فكانت زيارة التزويد[١]
كسر الليثُ طرفَه، عند باب الخدر، وانْهارَ في الظلام الأبيد
توجزُ العمرَ نظرةٌ، في ثناياها، ختام المأساة للمفؤود
فتكرُّ الأشباح كرَّ شهاب يتلاشى على غروب الوجود
النهايات كالبداءات ذرّاتٌ، وبين القطبين شوط الخلود

. . .

وبَكاه الأخ العطوف كما تبكي أسودُ الشرى لفقد الأسود
هالَ عبدَ الرحمن خطبُ أخيه وخطوب من سؤددٍ مفقود
أجنبياً في داره أَو غريباً صار في كِسرِ بيته المرصود
عامِلُ ابن الرشيد يَزْوَرُّ عنه فكأنَّ الأَميرَ بعضُ العبيد
راعَ «تركي» في رمسه أن يلاقي بعد عزّ الأنجال هُونَ الحفيد
عامِلَ ابن الرشيد لو كنت شهماً لأَسوتَ الجراح بالتضميد
لم تزل غضّةً فعالجْ برفقٍ طعنات الكِلَى ونزف الوريد
ليس مولاك بالذي يَرتضي شِحّاً، ويُغضي عن الكرام الصيد
يُصلِتُ السيف باليمين، وفي اليسرى عميم النَدَى، وخزُّ البرود

١ رأى ابن الرشيد ان يملك قلوب أهـل الجنوب فأذن سنة ١٨٩٠ لعبد الله بن فيصل بسكنى الرياض بالنظر لتقدمه في السن واشتداد المرض عليه، وأذن لاخيه عبـد الرحمن ان يصحبه ويسكن الرياض أيضاً غير ان المنية وافت عبد الله بعد وصوله الى الرياض بيوم واحد . (ح . و)

إنتقام الكبير مُرٌّ ولكن   في المرارات نكهة القنديد
وانتقام النِكسِ الحقير حقيرٌ   كانتقام الكافور من أخشيد[١]

. . .

يا إلهي صُنِ الكرام، فلا تسمح بسلطان باخلٍ، أو حَقود
أو حسودٍ أو راضعٍ في الدنايا   والقمامات راتعٍ مولود
فيه حقدٌ، على الأكارم والأشراف، إرثاً من اللئام الجدود[٢]
يتوالى على السنين فيربو   كنموِّ الأسحَات عند اليهود[٣]
أو نُموِّ الديدان في الزُهم، حين اللحم يغدو وليمةً للدود[٤]
إذ يجوز الحقدُ المُعَرِّقُ أصلابَ الأوالي الى دماء الوليد[٥]
حسداً يرضع الصِغار فتنمو   بزرةُ اللؤم في حواشي المهود
فاذا سُوِّدوا كباراً فويلٌ   للدوالي من ثعلبٍ نمرود

. . .

١ كبر على الإمام عبد الرحمن ان يعيش في الرياض بلد آبائه واجداده بعيداً عن النفوذ يرى بعينه عامل ابن الرشيد سيداً مطاعاً . وكان هذا العامل مقصراً في حق آل سعود فلم يكرمهم ولم يعاملهم المعاملة التي تنسيهم تراثهم الزائل . فقام عبد الرحمن وأنصاره وقبضوا على ابن السبهان «العامل» وبايعوا عبد الرحمن بالإمامة فجهز ابن الرشيد جيشاً حاصر به الرياض ولكنه لم يتمكن من دخولها فصالحه أهلها على ان يترك لعبد الرحمن الإمارة . (ح . و .)

٢ ان الكلام هنا يجري على اطلاقه فلا يتجه الى آل السبهان خصوصاً فإنهم أبناء عائلة عريقة في الوجاهة وإن أساء بعضهم . (المؤلف)

٣ الأسحات مفردها سحت وهو المال الحرام وما خبث وقبح من المكاسب . ٤ الزهم : الرائحة المنتنة في اللحم السمين . ٥ المعرِّق : الممتد العروق .

وأغـاظ الأنصار أن وَلِيَّ الأمس رهنٌ بأمرِ فِسْلٍ مَرِيد
ذكروه وخلفه صفّ أجيـالٍ ملأنَ الزمان بالتجويد
لم تدكّ الارزاء بعدُ بقايا من ودادٍ وراسخاً من عهود
وقليل همُ الصحاب عـلى البأساء، في غمرة الليـالي السود
وهمُ الأكثرون في الحَوْل والنعمى وخصب الجنى ورَحب الوعود
كالجياع الأيتـام يجرون للحلوى اذا لألأتْ عشايا العيد
وكأنَّ الحسامَ أبيضَ مجروداً خـلاف المشطَّبِ المغمود

. . .

كم عظيم هوى فولّى نداماهُ وكانوا عُبّاده في الصعود
عهدَ كانت أيّامه زينةَ الأيام والدهر خـادم للعميد
روضُه مطلَـع الشذا ودَواليهِ الحوالي مَنـابتٌ للجود
عَتَبُ الدار تشتكي من عفاةٍ والزرابيّ من زحام الوفود[1]
ويكادون من نفـاق وتدليسٍ يخرُّونَ رُكّعاً للسجود
فاذا صَوَّحتْ جنانٌ وجفّتْ زَهرات الآمال في الأملود
كفَّ عن شدوه المزيّفِ صدّاحٌ، وضاقت لُهاته بالنشيد
ندَّ عن باله رواسمُ إطراء وآيُ الثنـاء والتمجيد[2]
فاذا يذكرون خِلّا كسيراً فاذِّكار الطاغي لعبد زهيد

---

١ عَتَب : مفردها عتبة والعفاة مفردها العافي وهو طالب الرزق أو الضيف والزرابي ما بُسِط واتكِئ عليه .
٢ الرواسم هي الخواتم التي يختم بها ويقصد بها العبارات الجاهزة التي تسمى بالفرنسية cliché .

. . .

جَلَّ قدراً صحب الأمير وفيهم كلُّ شهمٍ زاكي العروق ودود
يتلظّى مروءةً فلهيبَ النارِ يطوي في درعه المسرود
ما صُدوع الجدار تنسيه بيتاً وائلياً وغضبةً للعمود
كَيف يَنسونَهُ، وقد حُمّل الأَمجاد في صبح يومه المشهود
بايَعوه على القلوب إماماً غير هُيَّاب صاعقٍ ورعود
فابن «سبهان» في القيود وقبلًا كان دَوّاسَ شرعةٍ وقيود
حاصرت «حايلُ» «رياضاً» فعاد الجيش يشكو انهزامه للعقيد[1]

. . .

لم تسدّ الإمارةُ النزرة الصغرى طِماح الليث الرحيب الصعيد
كيف يرضى المدى المُسوَّرَ حدًّا مَن مَداه ملءُ الفيافي البيد
وعلى السور من رشيدٍ رقيبٌ يَقِظُ العين صامتُ التهديد
ليس أنكى على الأعزّة من عين التحدّي ومن صراعٍ بَرود[2]
في صليل السيوف تفريج كربٍ ورخيمٌ ترنُّمُ البارود

---

١ عزّ على الامير عبد الرحمن الذي اصبح تحت رحمة آل الرشيد ان يرى سلطته محصورة في الرياض وما حولها . وقد كبر على أهل القصيم امتداد نفوذ ابن الرشيد وما هو بأقدم منهم بيتاً ولا أكرم حسباً فبايعوا عبد الرحمن على ان يباغتوا ابن الرشيد في حايل . ولكن الرجل كان يقظاً حذوراً فباغتهم بقواته في عنيزة ومزقهم شر ممزق . وقتل في المعركة زامل آل سليم حاكم عنيزة وابن مهنّا حاكم بريدة وتعرف هذه الواقعة بواقعة المليدة . (ح . و .)

٢ بَرود : بارد .

والسحاب الجهم المثقَّل بالنيران يُفشي همومَه بالَهديد

. . .

شدَّ أزرَ الأَمير في غضبة الإثآر أهل «القصيم» أسدُ النُجود
ما استكانوا إلّا استكانةَ نارٍ ركدت غير حُرّةٍ في الهجود
حُرِمَتْ نعمةَ النسائم والأحطاب، او خُوِّطت بسور جليد
صوت عبد الرحمن أورى شظاياها ولَظّى هجودها بالوقيد
تحت ذاك الرماد ألف زنادٍ في اشتياق لغمرةٍ صيهود
فبمَ ابنُ الرشيد سادَ عليهم أبقَصْرٍ على الثريّا وطيد
أم بمجدٍ مُطَنّبٍ، منذ أهل الكهف ألْقَوا عِصيَّهم في الوصيد
جارُهم ليس فوقهم جودَ كفٍ لا ولا فوقهم سُمُوَّ جدود
إنّ للجار نظرةً في لظاها وهْجُ سيفٍ في جفنه مغمود
تلهبُ الغيرةَ الاكولةَ في الأَضلاع فِعلَ المفازة الصيخود[1]
هي كالسهم حِدَّةً ومضاء والجناحين في الخيال المديد
تَنبشُ الغابِرَ المكفَّنَ والآتي، وتَنثوي على الأَليم العتيد
يُحمد الجار ما يدوم نظيراً لا عَتيّاً وَفر الغنى والمُرود

. . .

فَلْيَهُبِّ «القصيم» للحرب، وَلْيُطبِقْ على «حايلٍ» صِلابُ الزنود

١ الصيخود : الشديدة الحرّ .

بَغتةً يأخذونه كانقضاض الصقر، حين العصفورُ في التغريد
وَهِموا في الظنون فهو حذورٌ لا غبيٌّ ولا أليفٌ جمود
كان يدري أيُّ السيوفِ عليه قبل كرِّ الخيول والتجريد
فيراها نواشزاً قلقاتٍ لاهباتِ الحدود طيَّ الغمود

. . .

وغدا الصائدُ المغامرُ كبشَ الصيد، وابنَ الرشيد غير مصيد
فتغدّى خصومه، قبلَ ما هَمُّوا بأكلٍ، وآذنوا بِوُرود
حسبوه وليمةً سهلةَ المأتى فكانوا الشواءَ في السفُّود[1]
هبَّ كالباشق الخفيف وكانوا يتلَهَّون بالمسير الوئيد
تفعل الضربةُ الفُجاءة بالأكباد فعل اللظى بزرعٍ حصيد
منجلاً كان ذلك الباغتُ الدرّاك، في حقلة السِبال القعود[2]
فَضَّهم في «عنيزةٍ» مثلما فضَّت حرورٌ قِطفَ الكروم النضيد
زَفَر التلُّ من أنين الضحايا وتملَّى من أرجوان بَديد
البساتين في «عُنيزة» ثكلى والرياحين هالةٌ لِلُّحود
بلدة الأُنسِ والبشاشةِ صارت جهمةَ الثغر والرؤى والجيد
رأسها «زَامِلُ السليم» على ما يتمنّى الردى وطرفُ الحسود
فُجِعَتْ أختها «بُرَيدَةُ» بالوالي «مِهنّا» صريع نار الجنود
يا لها وقعةَ «المليدةِ» يوماً بات فيه الجليد غير جليد

---

١ السفّود : الحديدة التي تحمى ويشوى عليها اللحم . ٢ السِبال : السنابل .

قيلَ فيه يا نجمة الصبح غُوري قيل يا عِزّة الأرائك ميدي

. . .

لازَم الشؤمُ ظلَّ آل سعودٍ كيف مالوا أتاهمُ بمزيد
الهموم الثقال ترحف أزواجاً فما تكتفي بهَمٍّ وحيد
فتراها ترتدُّ عن مُترفٍ عادٍ وتوهي عزيمة المكدود
صار نجلُ الرشيد، بيرقُ نجدٍ ملء سمع العلى وحمْلِ البريد ؛
عاملُ الأمس في سُموّ وإخصاب وعبد الرحمن في تشريد
نقل الأهل من « رياض » الى الصحراء، ضيفاً على أسود النفود[١]
فتلقَّاه آلُ مُرّةَ، رُوّاد الفيافي ورَاضَةُ الجلمود

. . .

لَجَّ فيه الحنين للوكر، بعد الهجر، شوق الفتى لغيدٍ خُود
فأتاه واحتلَّه واستعادَ الوكرُ، بعد العبوس فرحةَ عيد[٢]
بهجةٌ شابَهتْ سحابة صيف أَو شذا الورد، أَو صدى الغِرّيد
دهمته الفرسانُ أثباج بحرٍ غَرقتْ فيه مركبُ المستعيد
يوم « إِحْرِيمَلا » وللموت فيه ظَمأ الخلد للقتيل الشهيد
إذ رماحٌ تحطَّمتْ برماحٍ وبنودٌ تحطَّمت ببنود

١ النفود : الصحراء المعروفة . ٢ نقل الامير عبد الرحمن، بعد هزيمة المليدة أهله من الرياض الى آل مرة قرب الأحساء ومكث بينهم نحواً من سبعة أشهر ثم هجم على الرياض فاحتلها وسائر اقليم العارض . ولكن ابن الرشيد جهز جيشاً عظيماً التقى جيش عبد الرحمن في حريملا فقضى عليه القضاء الاخير، فأيقن عبد الرحمن ان الأمر فوق مقدوره فغادر نجداً الى الأحساء فالقطيف فالكويت حيث ألقى عصا التسيار منتظراً الفرصة وما تأتي به المقادير .

إذ يلبّي الأميرَ خلٌّ وفيٌّ فيجلّي إمّا الى الموت نُودي
إذ يطيب الممات دون لواءٍ فَيصَلِيٍّ يفدونه بالكبود
مال في عصفة الزعازع والأنواء فاستعبرت نجـوم السعود
وانْزَوَتْ في الظلام شأنَ الأيامى داميات الجفون جُهم الخدود
حَجَّبتها الغيوم بعد ائتلاقٍ وانطوت بهجة الليـالي الغيد
وامَّحتْ دولة بنجدٍ وكانت أَلِفاً في صحـائف التخليد
كعبة للرجاء مادَتْ، فيـا زُهر الليالي ويا مباهج عودي

قبسٌ في الدّجى

قبلَ توديعِ مجدهِ وانهيارهْ وانطفاءِ الأخيرِ من أَنوارهْ
شامَ عبدُ الرحمن في القصر ضوءًا لاحَ خلف الكثيف من أستاره
حسبوهُ بقيَّةَ البَدرِ، حين الضوء في المَحق، أَو قُبَيْـلَ سَراره[1]
قلَّما يلمحُ الرجـاءَ مريضٌ كلُّ ما حولَه نذيرُ احتضاره
ما درَى أنَّه الوليدُ الذي يفترُّ ثغرُ الزمان عن أخبـاره
فيباهي تشرينُ كلَّ شهور العام، حتى الربيعَ في أَيَّاره[2]
بوليدٍ جـاء الزمانَ شهاباً فأغارَ البدورَ من أقماره
ذوَّبَتْ مُقلـةُ الجزيرة جَفنيها، وأفنَتْ سوادَها في انتظاره
هانَ أولادُها فلم يَبقَ إلّا واحـدٌ ترتجي منيعَ جواره
واحد عِدلُ أمّةٍ تبتغيهِ لتُغطِّي صَغارهـا بوقاره[3]
مجدُها كانَ، يومَ كانت فتوحٌ يوم عزُّ النبيل في بَتّاره

---

١ السرار : الليالي الثلاث من آخر الشهر القمري .

٢ في صباح يوم من تشرين الاول سنة ١٨٨٠ ميلادية رزق الامير عبد الرحمن غلاماً أسماه عبد العزيز . (عن كتاب سيد الجزيرة العربية لعمر ابي النصر)

٣ العدل : النظير المثل .

قَدرهُ قدرُ ما يجندِل في الميـدان، إذ يرتمي على تيّاره
بسنانٍ صدقِ الأنابيب، عسّال الخلايا، سَبطِ القنا خطّاره
صنعةُ «الخطّ» في «القطيف» كأن «الخطّ» أورى سنانه من ناره[1]
تلمحُ العينُ، غيرَ زائغةِ الألحاظِ، في النقعِ، سائلاً من شراره
ويُوارى طيّ الصدور، فما للظهر فضلٌ بسقيهِ في أُواره
لا يُلَهّى بهاربٍ فالمولّي رعشة الموت، حسبه، في فقاره

. . .

يوم قدرُ الصنديد قدرُ حسامٍ يَبزُغُ النصرُ من رهيف غراره
صنعةُ الهندِ، تحسب «الكنجَ» يجري في التماع الفِرندِ عند استعاره[2]
فيه من غضبةِ النمورةِ «بالبنغال» والصلّ في هجير حراره[3]
كافرٌ حدُّه بشرعة بوذا وتغاضيه عن أذًى واغتفاره
قاضبٌ لا يعفُّ عن «برهميٍّ» شامَ روحَ الإله في أبقاره[4]

. . .

سُؤدُدُ الفتحِ كالضباب تلاشى ليس إلّا الرماد بعـد جماره
ليس يُغني ذكرُ الرشيدِ فقيراً كفَّنتهُ الحياةُ في أطماره

---

١ الخطّ: بلد في القطيف وقد اشتهر بصناعة الرماح . ٢ الكنج: هو نهر الهند الذي يقدسه الهندوس ويذرّون في ميهه رماد موتاهم بعد إحراق الجثث . ٣ البنغال: مقاطعة في الهند تكثر فيها الضواري . ٤ اشارة الى البراهمة وتقديسهم للبقر .

لا تساوي «زبيدةٌ» وحِلاها خِرقَةَ الدفء من حقير إزاره[1]
ما لذكرى أسْبانِيا، والجِنان الفيح، والقصرِ غارقاً في احمراره[2]
بأُبه ساحةُ السباع، كأنَّ الأُسدَ حُرَّاسُ تاجه ونضاره[3]
أو دُمًى للمليك أو للجواري ناطقاتٍ بعزِّه واقتداره
إنه سيد السباع، فما الآساد إلّا زخارفٌ لجداره
إنَّ أشداقها مَيازيبُ سلسال رهينٍ بأمره واحتكاره
إنَّ «أشبيليا» و«غرناطةَ» الحمراء رُكنان في منيع جداره[4]
إنَّ ريحَ الزمان تجري بما يهوى، فتأتي الأقدارُ من أقداره
يا لها نشوةً أطاحت عُروشاً وأمدَّت مُخدَّراً في دُواره
يحسب الفجر طالعاً، ويكون الضوء في درب مَحْقه واندثاره

. . .

قيَّدَ العُربَ في الجزيرة جهلٌ وانقسامٌ وعزلةٌ ومَكاره
هَمَلٌ كالقطيع إذ كلّ رأسٍ لِسواهُ من الرعية كاره
كل فخذٍ قبيلةٌ، كل بطنٍ دولة في انعزاله ونفاره
يعربٌ ذلَّ في الضمائر، بعد العزّ، بعد ارتفاعه واشتهاره[5]
مَطلعُ الشمس مطلعٌ لأمانيه، وأفق الغروب حدُّ انتشاره

---

١ هي زبيدة زوج الرشيد المعروفة بالبذخ والإسراف والغلوّ في التزيّن . ٢ المقصود قصر الحمراء في غرناطة، وعز العرب في الاندلس . ٣ ساحة السباع واقعة أمام القلعة الحمراء الشهيرة . ٤ في أشبيلية قصر من أجمل قصور الدنيا، وأجمل ما فيه قاعة الملوك وقاعة السفراء . ٥ ليس المقصود هنا يعرب ابن قحطان بل العرب مطلقاً .

فغـدا ريشةً تلعب أرياحٍ هلوعَ الجنان في كسر داره

. . .

مَن لها مقالةُ الجزيرة يأسوها فيشفي عماءَها بانتصاره
يبعث القفر بعد جدبٍ ربيعاً سندسياً يختال في آذاره
طلعةُ اليُمنِ في زنابقه بيضاً، وحُلو الرجاء، لون اخضراره
ينعشُ الهندَ والخليجَ وبحرَ الروم والفُرسَ من شذا أزهـاره[1]
ويوآخي بين الحجاز ونجدٍ ويعيد «الحسا» الى أمصاره[2]
فتعود الجنان خضراً فِساحاً ويهلُّ المرجانُ من جُلّناره
وتوآتي «نجرانُ» بعد جموح و«عسيرُ» تكون في أقطاره
كعبةُ الضاد قصرهُ، وقلوبُ العربِ عقدٌ منظَّمٌ، في إطاره
تلتقي حَضْرَمَوْتُ مصراً ولبناناً وفوجَ الشآمِ تحتَ مناره
كلّ وفدٍ يلقى – على شاسع الأبعاد – في الدار فلذةً من دياره
وتكون الأقطاب، من جبهة الشمس، وأُفق الغروب في زُوّاره
يستبيهم وَقارُه، وجلالُ القول، والعمقُ في مدى أغواره
فالتماعُ الشهاب، في الجَلَد الصاحي، كوَمْضِ الذكاء في أفكاره
يُوجزُ النَصَّ في الحديثِ كلمع البرق، والبرقُ سرُّه في اختصاره
يُكثِرُ القولَ هاذرٌ غير فعّالٍ، يُغَطّي جُذامَه بخماره

---

١ أي المحيط الهندي وخليج السويس والبحر المتوسط والخليج والمقصود بهذا البيت حدود الجزيرة العربية .
٢ الحسا : منطقة الأحساء .

أو بخيلٌ يدرُّ بالكَلِمِ الجوفاء، سَتراً لشحِّهِ وَصغاره
يمسك الفَلسَ إذ يقيم جداراً دُونَه بالسخيِّ من أعذاره
لا كريمٌ يجود بالدم في الهَيْجا ويكسو الترابَ من ديناره
جودُ معنٍ وبَرمكٍ وابن طيٍّ لا يساوي هَباءةً من غباره[١]

...

إبشري يا جزيرةَ العُرب، فالمولودُ صبحُ الرجاء، غبَّ اعتكاره[٢]
يطلع الفجر أشقراً من سجاياه، وغِيدُ الرؤى بَناتُ اسمراره
سيكون الليثَ الذي ترجف «الدهناء» و «الجوفُ» من صدى تزآره[٣]
ستكون البيض الرقاق نُداماه، وزُرقُ النصول في سُمّاره
حَرمٌ غابُه على مُبتغيهِ فطوال الرماح في أشجاره
وشواظُ البنادق السُمرِ، أفواهِ المنايا، تكون في أثماره
تتحامى العُقابُ أجواءَه الحرّى، فراراً من وَقْده وبُخاره
غابُه «نجدُ» و «الحسا» و «عسيرٌ» وقفارُ الحجاز أدنى قفاره
فاذا لَعلَعتْ رعودُ المنايا أو ألمّتْ بريشةٍ من صغاره
أو تَعدَّتْ ريحُ الشمال مجاريها، تروم القريب من أوكاره[٤]
زعق النسرُ زعقةً تَرعبُ الرئبالَ حتى يقَرَّ في أخداره

---

١ المقصود معن بن زائدة وجعفر البرمكي وحاتم الطائي . ٢ نستعمل غبَّ بمعنى بعد وفقاً لما جرى عليه المحدثون . ٣ الدهناء والجوف : علمان لمكانين معروفين . ٤ المقصود بريح الشمال شمالي نجد وقد كانت هذه المنطقة يومئذٍ موالية لابن الرشيد .

أَو تبثُّ الإرهابَ في قلبه المرتجّ حتى يسيلَ من أظفاره
ذلك النسرُ طوّقَ العزمُ جنبيه، وأورى الفولاذَ في منقاره
سوف تهوي الصقورُ، في جوّه العالي، فكيف الجياد في مضماره
الجواد الجواد يكبو، فإن ينهض سليماً، فقد تردّى بعاره

. . .

ان هذا الوليد في العُربِ قطبٌ دورةُ الضاد كلّها في مداره
حمّلتْهُ الأجيالُ عبءَ تُراثِ المجد، منذ العريق من أطواره
منذ أعلام وائلٍ، مذ كليبٌ حطّم الأجنبيّ في ذي قاره[1]
شاقَ عدنانَ أن يُعيدَ فخارَ العُرب، للعُرب، أروعٌ من نزاره[2]
شاقه أن يعيد مجداً دفيناً فيلُمّ الشتيت من أدواره
موقناً أن جوهر الأصل يبقى رغم جدب السنين طيّ بذاره

. . .

عمر هذا الوليد أمسٌ عريقٌ وغدٌ لا تغيب شمسُ نهاره
ليس عُمر الإنسان رقماً ولكن هو عُمرُ الخلودِ في آثاره
ومدى نشوة المسامع إن يُذكَرْ، وأصداء صيته واعتباره
وابتسام الآفاق جيلاً فجيلاً عند ترجيع سفره وادّكاره
إذ يقولون خطْوُهُ معجز الأبصارِ، فهو الشهابُ في تسياره

---

١ اشارة الى موقعة ذي قار وقد ذكرناها قبلاً . ٢ نزار جد آل سعود كما تقدم .

والمسافات من « عسيرٍ » الى « الدهناء » « فالشام » كُنَّ من أَشباره

. . .

يا لَطفلٍ سيحمل الأمسَ، كلَّ الأمسِ، في مجده وفي أوزاره
لا تُطيق الجبالُ ما طُقتَ لكن كلُّ بحرٍ يُعطى على مقداره
عُمقُ لُجَّاته، وبعدُ شواطيه، يَسَعْنَ الغِمارَ من أنهاره
يفتح الساحلَ المديد اذا ما السيلُ صكَّ الآذان في تهداره
وكذاك الصَبورُ يُعطى من الأرزاء مقدار بِرّهِ واصطباره
فتعالت يدٌ هي اللغز في الألغاز، والسرُّ في عميق استتاره
هي أصلُ الوجود من لا وُجودٍ ومدارُ الأسرار من أسراره
حسبها، إن تَشأْ، هنيهةُ إهمالٍ تؤدي لمحقهِ وبواره
فارتداد الألحاظِ أبطأُ عوداً من تهاوي أركانه وانهياره
رحمة الله بالخلائق أسمى من مُداراة صانعٍ لجراره
جلَّ قدراً عن التَأَبّي بتحطيمٍ وَصدْعِ الرقيق من فَخّاره [1]
شمسه تشمل الورى، لا تصدُّ النورَ، عن وَحله، وعن فُجّاره
رُبَّ من يُبتلى بداءٍ ومَكروهٍ يكون الأجلَّ في أبراره
حكمه غير ما يؤَوّلُ زنديقٌ يَشيمُ الآفاقَ من منظاره
سَلْ رَوابي حورانَ عن خطب أيوّبَ، وعن دمع قلبه وانكساره [2]

---

١ إشارة الى زندقة الشاعر الفارسي عمر الخيام وأمثاله من الزنادقة، الذين يتهكّمون بتدابير العناية الالهية. ولا مجال هنا لبحث مشكلة الشر التي يتفرع عليها تشاؤم المتشائمين وإلحادهم . ٢ كان ايوب الصديق يقطن حوران .

أنزحتْ لافحُ المصائبِ عينيه، وعذبَ المياه من آباره[1]
سرَحَ الدودُ في تقرُّحهِ الدامي، وضجّ الصدّيقُ من أقذاره
كاد لولا مِجَنَّةٌ من صلاحٍ يصدع الأرض من أليم انفجاره[2]
هانَ في عين صحبه، وهمُ الخلّانُ، إبان خصبه ويساره
صعدوا في صعوده وتولّوْا حين لاحت بأساؤه من عواره[3]
ما دَرَوا أن ربّه سيجازيه، ويعليه من خلال انحداره
أنَّ آلامه شعاع لهذا الشرق، يوم ادّعائه وافتخاره
سِفرُه آدمُ الروائع والأسفارِ في صفوه وعُمقِ ابتكاره
سيكون السَدى لمزمورِ داودٍ ولحَن الخلود في مزماره[4]
بعد ما كان دلَّ خاطرِ موسى أو ضياءٌ يهلُّ في أسفاره

. . .

إنَّ للهِ حكمةً في ابتلاء المرء عند اطّراحهِ واختياره
لا مردٌّ لحكمه حين يبلو أو يخصُّ المنكوب في إيثاره
فيردّ العروشَ بعد انهيارٍ ويغيث الهيمانَ بعد أُواره
إيه عبدَ الرحمن بُشرى بطفلٍ هو في العصر واحدٌ من كباره
حاملٌ في جبينه وهو طفلٌ ما ستُملي الأجيال من إكباره
سيكون الذخرَ النفيس لهذا الشرق، يزهو بكنزه وادّخاره

---

١ اللافح : النار أو الشمس المحرقة . ٢ المجنّة : الترس . ٣ العوار هو الخرق والشق في الثوب . ٤ السدى : ما مُدّ من خيوط الثوب وهو خلاف اللحمة .

سيُباهي بسيفه العضب وضَّاءً، كإشراق صيته ونُجاره
باسمه تهتف العروبةُ، إن مالَ المغنّي، وشدّ من أوتاره
من رَوابيهِ تستمدُّ شذاها وتُعلّي شعارَها بشعاره
باسم عبد العزيز يهتف نجدٌ ويغنّيه في بعيد قراره
تشرئبُّ العيونُ تنشد ريّاهُ وتأوي العلى، الى تذكاره
تخرس الورقُ والبلابل إلّا سجعة من «رياضه» وهزاره

. . .

كلُّ زهرٍ على الجزيرة مزهوّ عجيبٍ، يتيه في استكباره
كل وردٍ يمنُّ بالطيب، أو يُعيي مجالَ العيون في إبصاره
واهماً انه الفريدُ، على الأرض، مُدِلّا بكبرهِ وازوراره
ممعنا في اختياله، فكأنَّ الناس عبدانُ زهوه واحتقاره
فاذا لاح للعيون لماما أتعبَ الأغبياء من نُظّاره
يوهم الناظرين بالفوح والأنداء، حين الحمات في أزراره[1]
صَوَّحتهُ الشفاهُ لثماً وتقبيلاً، فنادت أوراقه باصفراره
كل وَردٍ على الجزيرة، إلّا الطفل، وردٌ مُعقَّمٌ في مزاره
هات عبد العزيز فوحاً جديداً يُفعم الخافقين بعدُ انتشاره
لا رجاءٌ إلّا بنجدكَ فاملأْ جَنَباتِ الدنيا بطيب عراره

---

[1] الحمات مفردها حمة وهي الإبرة التي تضرب بها الزنابير والعقارب ونحوها .

الطفولة

لم يُمتَّعْ بالطيّبات الصغيرُ لا دُمى ، لا مَباهجٌ ، لا حريرُ
كان في عَتمة الهموم أبوهُ عندما طَلَّ مقلتيه النور
حَجَّبَ الغيمُ شمسَ آل سعودٍ فعليها من الرزايا بُثور
ليس فيها من « فيصلٍ » ألَقُ الوهج، ولا رأدُها « السعودُ » الكبير

. . .

جلَّلَ المهدَ في الطفولة أمٌّ ما لها ، الدهرَ ، في اللُّباء نظير [1]
جمَّةُ الدين والمبرّاتِ ، فالأخلاقُ ما ينشر الندى والعبير
زهرةُ الغُلّب « الدواسرِ » أبطالِ المواضي حين الرؤوس تطير
نَعِمَ الطفلُ بالعمومة آساداً ، وقد كانت الخؤولَ النمور
وبأختٍ بعيدةِ الهمِّ « نُورا » خير من ظَلَّلَتْ بنجدٍ سُتور [2]

---

١ اللباء : مفردها لبؤة ولقد كانت السيدة الجليلة والدة الامير عبد العزيز من قبيلة الدواسر المشهورين بالبسالة . ٢ نورا أخته الكبيرة المعروفة بالفضيلة والبسالة وكثيراً ما كان الامير ينتخي باسمها في الوقائع . واننا نأخذ معظم مصادر هذا الفصل وبعض مصادر الفصول المقبلة عن المؤرخ انطون زيشكا، الذي اشرنا اليه في المقدمة فنعتمده في الحوادث التي لم يذكرها الريحاني ووهبه، بدون اثبات الفقرات التي اعتمدناها خلافاً لما درجنا عليه حين نعتمد المصادر العربية . لذلك فسنكتفي بالإشارة الى المؤلف، أو نقتضب بعضَ النبذ .

كَلأَتْهُ بقلبها السمح طفلاً وكبيراً حين الوغى تَنوُّر
ينتخي باسمها، اذا لَعلعَ البارودُ، واستوقَفَ الأَصمَّ الهدير

...

فَطموه فراحَ يحبو، كما تحبو شبولٌ، ضاقت عليها الخدور
بين أترابه، يجيئونَ أسراباً، كما تألفُ الطيورَ الطيور
الرفاق الزغب الحواصل أخدانٌ، على العمر، ليس فيهم غدور
منهمُ الضيغم الحمولُ البلايا والمجلي اذا المنايا تغير
والمُفدّي اذا تخلّفتِ الهاماتُ والمجد صاحَ هل من يعير
والذي هدّه السرى، وطواه الجوعُ، أو غاضَ لونه الزمهرير
والحكيم اللبيب، حين يَفيلُ الرأيُ، والناصحُ الصدوق الوزير[1]
صِلةُ المرء بالطفولة أبقى من نُقوشٍ تقمصتها الصخور
ذكرياتٌ يأوي الفؤادُ اليها ويَحِنُّ المعذّبُ المرور
همساتٌ للقلب من أمسه الصاحي، وضوءٌ ما شابَهُ الديجور
عـالَمٌ في الهواء، مُزدَحِمُ الألوان، زاهٍ مُزخرفٌ مسحور
ونقيُّ الأَحلام أجملُ ما في الأرض يُبنى، فأينَ منها القصور
سيكون الرفاقُ خيرَ دُروعٍ عندما يطلب الدروعَ الأمير
خشِناً مثلهم يُربّى ليومٍ جَوُّه عابس الرؤى قمطرير[2]
فيُمشّى على الرمال، بلا نعلٍ، وقد ضرّمَ الصعيدَ الهجير

---

١ يفيل : يضعف . ٢ القمطرير : الشديد من الايام والشرور .

وتَسيخُ الرجلُ الطريئة في الرمضاء، لا تشتكي ولا تستجير
كُلّ رمحٍ مُثقَّفِ الكعب، عسَّالٍ، بَراه الصَناعُ وهو طرير
كلّ سيفٍ يُعدُّ للضربة الكبرى، فسيف مُطرَّقٌ مَسجور[1]

. . .

عوّدوه ألّا يكون كسولاً همُّه النومُ والفراش الوثير
يسبق الضوءَ في الطلوع، ويلقاه، كما يسبق الضيوفَ المَزُور
ما رأتهُ أشعَّة الشمس وسْنانَ، ولا صدَّهُ السحاب المطير
وكذاك الصقور في بغتة الأَسحار، والعزمُ في الصقور بكور
ينفضُ الفرخُ ريشَه فيفضّ الليلَ، والصبحُ بالندى مغمور
يقصد الشرقَ حيثما تُولدُ الشمسُ، وحيث المرادُ وعرٌ عسير
لا تسلْ كيف يضربَ النجمَ بالمنقار، أو كيف يعتلي، أو يطير
في جناحيهِ عزمُ بضعةِ أجيالٍ تدلُّ الصغيرَ كيف المسير
مثلما تعرف الكواكب مسراها، ويُلقي تغريده الشحرور
لا تَقُلْ باشقٌ صغيرٌ، ضعيفُ الحِيلِ، كلّا! ما في البُزاة صغير
لا يَقرُّ الشاهينُ حيث يعيش البومُ أو حيث ينعم الزرزور
يقلق النسرُ في السهول ويأباها، فحيث العلى، هناك النسور[2]

. . .

---

[1] سَجَر التنّور: وضع فيه الوقود وأحماه. [2] في هذا المقطع إشارة الى تأثير الإرث في النسل وأهميته في الطباع، والى أثر الطفولة والتربية في الانسان.

الأميرُ الصغيرُ يجري الى الأفراس طفلاً، يدور حيث تدورُ
يمتطيها كأنها مهده الثاني، ونعم الخيلُ المهود تمور
لا يهزّون في «الرياض» سريراً لِوَليدٍ، سرج الحصان السرير
فاذا رامَ أن يَقيلَ، على الحَرّ، وطالَ النهارُ والتهجير
أو دَعَتْهُ الى الظلال الضواحي تركَ المهرَ فاستناخ البعير
كان لا يُحسن الكلام ولكن حسبُهُ الطرف والبَنانُ المشير
المطايا تكادُ تفقهُ ما يبغي، فتمشي الى الرَكوب الظهور[1]
فطرةٌ في «كَحائلٍ» مُعرِقاتٍ لم يُجرّح خصورَها التضمير[2]
لغةُ الخيل والفروسة سفرٌ عربيٌّ هجاؤهُ والسطور
بلسانِ الصيدِ المَغاوير مكتوبٌ، بأختامِ يَعرُبٍ ممهور
لهجةٌ تستفيق، منذ يطلُّ الوعيُ من مهده، ويصحو الضمير
يسبق العلمَ بالكتاب حسامٌ بين حدّيهِ يكمن المقدور
وَرِهافٌ قَذائفٌ تسطع الآجالُ منها، اذا يُدقّ النفير
لغةُ الكُتْبِ في المعامع لا تجدي، فلا أخطلٌ ولا شكسبير
وأميرٌ تعمّر النصرَ كفّاهُ، يُرَبّى كما يُرَبّى الصقور
فله القطنُ والحديدُ لباسٌ لا الحرير الزاهي ولا البرفير
الحَشايا لغيره فعليه للمواضي وللرماح نذور
فَلينمْ غيرُهُ اذا شاء نوما إنّ ليل المخنّثين شخير

---

١ الركوب وزن فعول هو الكثير الركوب . ٢ الكحائل : الخيل المنسوبة الى الكحيلاء : الفرس العربية المعروفة، وهي من الأصالة بحيث لا يحتاج الذي يضمرها الى نخسها بالمهماز .

يبعثون الجنودَ للموت، إذ يقضونَ، ما يطلب الخنى والفجور
في بطون الأتباع يصرخ جوع   في بطون المُرَفَّهين خمور
في أكفّ الجند الغراثى[1] جراح   في أكفّ المُنَعَّمين خصور
غلبتهم أهواؤهم فاذا يعلونَ   فالجُنْدُ وحدَه منصور
غيرَ هذي الفُتوح يبغي أميرٌ   «مانعيٌّ»[2] وفرُ الطِماح جسور
بيدَيهِ يُعيدُ ماكاً سليباً   لا يقولون ردّه الناطور

...

يقرأ «الفتحَ» و«المعارجَ» و«الأحزاب» و«النصرَ» أو يُرامُ «الطور»
ويُثنّي «بالعاديات» و«بالأنفال» و«المُلكِ» إذ يحينُ السحور[3]
صائماً قانتاً، كذاك أبوه   وأبوه الشهمُ الإمام الذكور[4]
لا قبابٌ تزخرفُ المعبدَ الساجي، ولا فضّةٌ ولا بَلُّور[5]
بل نفوس تَقِيَّةٌ، فكأنَّ اللفظَ، في نبرة الشفاه بخور
وقلوب الى الإله تسامى   كلما رنّح العلى تكبير
ما القبابُ الشمّاء، ذهَبها العقيانُ، أو هلَّ فوقها السامور[6]
وجلالُ الأهرام، وهي دِراجٌ   للثريّا، لا جُنّةٌ وقبور[7]
وبهاء الإيوانِ إيوان كسرى   مشرقاً فوق عرشه أزدشير

---

[1] الغراثى: الجياع.   [2] مانعيّ في النسبة الى مانع جدّ مرخان جد سعود.   [3] إشارة الى سور قرآنية مقصودة في هذا المقام.   [4] الذكور هو الذي يذكر الله كثيراً.   [5] اشارة الى بساطة المسجد الجامع في «الرياض».   [6] السامور: الألماس.   [7] الجنة بضم الجيم هي السترة.

وبساتينُ بابلٍ عالقات هادلًا فوقها الحَمام الصبير[١]
وتهاويلُ قصر غمدانَ شعَّت وتلاها خَورنقٌ وسدير
وأعاجيب «يلدزٍ»، يومَ إسطنبولُ نجمٌ، حمَّامه البُسفور[٢]
وصرودُ الأرز الشَموخ وفيها نُظْمٌ من غمامه ونثير[٣]
وَمنارُ الإسكندرية دُنيا من ضياءٍ تعشو اليها البحور
ورُواءُ اليونان، في المرمر المسحور، كونٌ بديعُه التصوير[٤]
وخلودُ الجمال في فنِّ روما حيث أمضت صكَّ الجمال الدهور
لِتُساوي في الوزن خلجةَ قلبٍ طَيَّرتها الى السماء الصدور
بين جُدرانِ معبدٍ، كجبين الحقِّ عارٍ، كما تجرَّدَ نور
لا بهاءٌ يُشتُّ بال المُصلِّي فتسود الأحلام واللاشعور[٥]
إنّ في المعبد البسيط حصيراً طالما عَلَّمَ الخشوعَ الحصير

...

ونَما الفارسُ الغلامُ كما يستيقظ الدوحُ، لو سقاهُ الغدير
تُعرفُ الدوحةُ الحَمولةُ، قبلَ الحَمل، فالزهر بالثمار يشير
لَفتاتُ النُمورِ ألحاظُ عينيه، اذا عكَّرَ الودادَ عشير
الأزاهيرُ مثله حين يرضى العفَرْنَى مثيلُهُ لو يَثور[٦]

---

١ الحمام الصبير : هو الحمام الابيض . ٢ يلدز : هو القصر الشامخ العز في عهد السلاطين .
٣ نظم : مفردها نظام وهو العقد . ٤ البديع اي المبتدع الموجد . ٥ أشتّ بمعنى شتّت والمقصود هنا التقوى مطلقاً وقدسية الصلاة التي هي مناجاة المخلوق للخالق وأفضليتها على المظاهر الخارجية .
٦ العفَرنى : الأسد .

ويجيرون، من صلابة زنديه، صريعاً فلا يُصدُّ المجير

مُنيةُ الليث مغلبٌ لا انتقامٌ للرَعاعِ التنكيلُ والتدمير

يُبطنُ الحقدَ ثعلبٌ أو جبانٌ ويسرّي عن الأسود الزئير

آيةَ الصفح كان وهو صبيٌّ وكذا دامَ وهو شيخٌ وقور

الصِبا صورةُ الحياة، بما فيها، فما شاب صدقَها التصغير

وسجايا الإنسان مُذ هو طفلٌ منبئاتٌ بما اليه يصير

لا تَقُلْ قاصِرٌ، فكلّ معانيه، حواها ذاكَ الإطار القصير

كل أمسٍ غداتُهُ في ثناياه، كما تُضمِرُ النباتَ البذور

صفحةٌ توجزُ الكتابَ لِتصديرٍ، وصدرُ العمر الطويل شهور

حقبةٌ ينهلُ الصغيرُ حمياها، كما تنهلُ الترابَ الجذور

. . .

مدَّ عبد العزيز طرفاً حديداً فاذا نقطةُ المسير وعور

عاملُ ابن الرشيد، من لؤمه العاتي، ومن مجدِ «حايلٍ» مخمور

شاقه للدماء قلبٌ أصمٌّ لا عروقٌ تشدُّه بل سُيور

آلَمتهُ رؤوسُ آل سعود قائماتٍ وما عليها خفير

فَليعجّلْ قطافها، فإلى مولاه، تُهدى من الرؤوس المهور[1]

حزَّ بالأمس مثلها، وعلى مقدار ما يجتني تُوفّى الأجور

---

١ اعتزم سالم بن سبهان إفناء آل سعود جميعاً . فدعاهم الى بهو القصر في موعد معين على انه يحمل اليهم الهدايا والسلام من ابن رشيد . وأدرك الأمير عبد الرحمن الخديعة فتغدّى أعداءه قبل ان يتعشوه . وكان الأمير عبد العزيز حاضراً هذه المذبحة، وهو يومذاك في العاشرة من العمر .

غـال أبناء عمّهم، فَلْيُتِمَّ الذبحَ ولْيَستُرِ الجميع الحفير[١]
تنكر الضوءَ بومةٌ أو خفافيشُ، كما ينكر الظلامَ البصير
فليُدَمِّرْ أنسالَ «تركي» فلا يبقى على «حايل» عدوٌّ مغير[٢]
نصب الفخَّ للكواسر نكسٌ نفسه عتمةٌ، ومعناهُ زور
عَصَمَ اللهُ أن يصيد البُزاةَ الشهبَ، في حبل مَكْرِهِ، عصفور
أن تُوارى في مهدها شمسُ نجدٍ وتَهاوى، مع الرجاء، البدور

• • •

عقد العزمَ سالمٌ أن يكون الغدر سيّافَه، فبئس السفير
نهجُ عبد الحميد، في الختلِ والإفناء، يومَ الخديعةُ الدستور
فدعا أسرة السعود الى عيدٍ، أغرٍّ، تبيضُّ فيه الأمور
صبحهُ ملؤهُ سنيٌّ الهدايا وضُحاه أطـايبٌ وسرور
«لا يغيبنَّ واحدٌ فالهدايا طُرَفٌ خُصِّصَتْ بهنّ الذكور»
وأَسرَّ الذئبُ العتيق الى الأعوان قولًا تقفُّ منه الشعور
«لا يفوتَنَّكُمْ ولو طفل عامٍ انما يتبـع العجينَ الخمير»
«فانحروهم كما تُذبّح أغنامٌ وما دام في السعود نحور»[٣]

• • •

---

١ سبق لابن سبهان أن بطش بأبناء سعود بن فيصل الثلاثة وهم محمد وسعد وعبد الله، بدون ما ذنب. ولم ينجُ منهم سوى عبد العزيز وكان يومئذٍ مع الذين أجلوا الى حايل. (تأريخ نجد الحديث لأمين الريحاني)
٢ أنسال مفردها نسل وهو الولد. ٣ الأبيات التي نضعها بين قوسين لا تعني ان قائلها تلفظ بالكلمات نفسها بل بمعانيها.

شامَ عبدُ الرحمن في الأفق غيماً فتحاماهُ واللبيبُ حَذور

وَدَرى أنّ كلّ غصن «لتركي» دَمُه مثل مالِه مهدور

فَلْيُلَبِّ النداءَ للدعوة الحمراء، ولْيَشرَبِ السمامَ المدير[1]

صحبَ الوُلدَ والعبيدَ وشجعاناً، الى الموت، ما ثناهم عبور

ظاهرٌ بأسهم وحُبٌّ مَواليهم، وماضي سلاحِهم مستور

قبل أن يبسطَ البغاثُ جناحاً لِوثوبٍ، شدّت عليه الصقور

وتردّى البغاةُ، في ساحة الباغي، وأودى بشرّه الشرير

أسعروها لظًى فكانوا وقوداً رُبّ وِتْرٍ أثاره الموتور

رب نِمرٍ شاءَ المصورَ عشاءً فاذا النِّمرُ للشُبولِ فُطور

فُرِشَ القصرُ أرجواناً سخيناً تارةً سائلاً وطوراً يفور

غالياً من حفيظة وكُنودٍ مثلما جاش بالسلافة زير

راءَ عبدُ العزيز وَهْوَ ابنُ عشرٍ كيف سَحّ الدمُ الأثيم الفطير

كيف حلّت للذائدين دماءٌ ساقها صوب حتفها مغرور

أبطرَتْهُ ولايةٌ، فإذا رُدْناهُ زهوٌ، وخدّه تصعير

ليست الكبرياء شأنَ كبيرٍ بالمبرّات قلبه معمور

ما فقيرٌ من بات دون عشاءٍ انما فاقِدُ الشعور الفقير

...

ويلَ باغٍ جمّ الرذائل إمّا يستفِق من سُباتِه الجمهور

---

١ السمام : مفردها السم .

تستجدُّ الكلومُ بعد التئامٍ ويعيد الأمسَ الأليمَ النغير[1]
وعلى حارقِ الكبود اعتسافاً يُنثرُ الجمر أو تُهال القدور
يهظ الناس نيرُهُ فليُعاقبْ وعلى عنقه يُشدُّ النير
«سالمٌ» غير سالمٍ، بعد ما لاقى، فقد ذُلِّلَ العتيُّ الفخور
شَهَّروه على حِمارٍ وطيٍّ حزموهُ كما يُشَدُّ الأسير

...

وَلْوَلَتْ «حايلٌ» وكانت تُرَجّي أن يوافي بما يَسرُّ البشير
فأغارت على «الرياض»، كما تجري الى القعر، في الشتاء، النهور
هادراتٍ صواخباً مزبداتٍ مُرغياتٍ، رشاشُها مستطير
للمغيرات صهلةٌ وضُباحٌ للمهاريِّ عَجَّةٌ وهدير[2]
نطحوا السور مَرّتين وخابوا واشتَفى منهم الرصاص المُبير[3]
جاء عبد الرحمن بالولد الغالي، يريه، في الحرب، كيف الكرور
كيف ريح البنادق السمر يستهوي الصناديد، والجبان يخور
كيف يلتذُّ بالدويِّ شجاعٌ مثلما راقتِ الشَريبَ الخمور
فكأنَّ الحصان يرقص جَذْلانَ، وراعيه، في الوغى سِكّير
الوغى مصهرُ البطولة، فالعقيانُ يغلو، ويُرذل القصدير
يجمد الطين في اللظى، ويسيح السمنُ، فالناس جازع وصبور[4]

١ نغر الجرح : سال منه الدم بغزارة . ٢ ضبحت الخيل : أسمعت من أفواهها صوتاً ليس بالصهيل ولا بالحمحمة . والمهاري : النياق . ٣ المبير : المهلك . ٤ المقصود ان السبب الواحد يفضي الى مفعول متناقض تبعاً لاستعداد الشخص .

. . .

سَرَّ قلبَ الغلام أنّ الخميسَ المَجْرَ تعلو أمواجه وتفور
راقه العرسُ، فالأغاريد تصهالٌ، وقصفُ البَنادق التعبير
تُرقِصُ المُترَفينَ رَنَّةُ عودٍ ويهزُّ الأسودَ لحنٌ جهير
فيه للسيف جلوةٌ وصليلٌ «لِلبواريد» شهقةٌ وزفير
قَرِمَ البازُ لِلُّحومِ ولو فرخاً، فعبدُ العزيز بازٌ خطير
حرَّكت رؤيةُ الدماء جناحيه، وأورى فؤادَه التخدير
وعزيزٌ على النسور، ولو زُغباً غِضاضاً، ألّا تُصان الوكور
فليُخضِّبْ منقارَه الرخصَ حيث القشعمُ الخابرُ الجواءَ عثور
وليعدّ السكّين للفتكة الأولى، في نُجحها رجاءٌ كثير
طالما كانت الفواتحُ إيذاناً بما كانَه المصير الأخير
رُبَّ غِمرٍ [1] تكون ضربته العذراء ما أمّنتْ عليه العصور
خفَّ عبد العزيز بالخنجر المشهور، في حدّه الردى والسعير
فَهَوى تحت نَصلِهِ «حائلِيٌّ» فطوى الموت ما أفاض الغرور [2]

. . .

عقبت هذه الوقيعةَ أحداث، فصلحٌ، فنفحةٌ، فَحَرور

١ الغمر : الذي لم يجرب الأمور بعد .
٢ روينا هذه الحادثة، على غرابتها، اعتماداً على المؤرخ انطون زيشكا .

وكَبا الحظُّ بالإمام فَكَلَّ الصحبُ، واستخذأ الحصان الدرير
أوهن الشعبَ ما جناهُ سعودٌ وأخوه، فالشعب مُضنًى كسير[1]
آخر الليل عتمةٌ، تزهق الأنفاس منها، فالليل داجٍ ضرير
رَكَدت هِمّةُ الفوارس من كَرْبٍ، وأخنى على القلوب الفتور
كان سور «الرياض» و«الخرج» سوراً يوم أهلُ «الرياض» و«الخرج» سور
جوهرُ السَرْحِ لُبُّه فاذا أهوى فما تعصمُ الجذوعَ القشور[2]

. . .

وَدِّعَ القصرَ و «الرياضَ» الى المنفى، فقد مالَ بيرقٌ منشور
ما أَمَضَّ الوداعَ للهاجر المأسور، والقلبُ في الحمى مأسور
في الزوايا من لبدة الليث تذكار، وَشَعْرٌ على النصول ذرير
فاذا أقصتِ الرزايا كريماً عن حماه ودال عيشٌ قرير
ذكرته الآكام والزهرُ مشتاقاً، وأنت عند الرحيل الدور
إنَّ للمهد والطفولة عمقاً دونه الحسّ والمدى المنظور
يدركُ الطرفُ غاربَ اليمِّ زخّاراً، وتخفى على البصير القعور
ذاك انَّ الأوطان ليست جسوراً طاب فيها للعابرين الظهور
بل هي النفس، أو هي المهجة الأخرى، ولو أنّها الصعيد البور
فَنَداها للساكنين رحيقٌ وثراها للظاعنين طهور
ذكرها للغريب ظلٌّ ويمضي للجوالي من أهلها مزمور

---

١ يقصد سعود وعبد الله ولدي الامير فيصل كما تقدم. ٢ السرح: مفرده السرحة وهي الشجرة الكبيرة.

فاذا يُسألون عنها أَجابوا هي حيث الريحان والكافور
حيثما تقرب السماء من الأرض، فالقلب فوقها تسمير

. . .

هَيَّأَ الظعنَ للرحيل أَميرٌ عن مغاني جدوده مدحور
واستبدَّ الشتاءُ بالركب والأولاد، فالليل فاحمٌ مقرور
المطايا قليلة، ولقد نام الموالون، أو تعامى النصير
أَعْوَزتهمْ حتى الرواحلُ، بعد اليسر، حتى الأثاث، حتى الكور[1]

. . .

رُدَّ عبدَ الرحمن طرفَك وانظُرْ في دجى الليل كيف كان المرور
ستعودون مثلما عادت الشمسُ، وَهَلَّ الضحى، وفاض العبير
أنسُراً دونها الجبال شموخاً والثُريَّا إكليلها المضفور

---

[1] الكور : الرحل .

الى المنفى

ما ترى قصدُهم وأين السبيلُ   أدلجوا لَيلَهم وحار الدليلُ
ويتيهُ الساري اذا لَفَّهُ لَيلانِ، ليلُ الشقاء والمجهول
الغدُ المظلم الجوانب والأجواء عبءٌ على الصدور ثقيل
لا رجاءٌ يلوح في نجمه الداجي، فوجهُ العيُّوق جعدٌ بخيل[1]
ملؤه الذُعر والمهالك والآفات، والدّجنُ مطبقاً والسيول[2]
خلفهمْ كلُّ شامتٍ، وحواليهم، رقيبٌ وأرقطٌ زهلول[3]
وعيونٌ لابن الرشيد، وسُرّاقٌ، ولُدٌّ كثيرة، وذُحول[4]
غدُهمْ شائكٌ فلٌ امتداد البال بؤسٌ مُهدّدٌ ونصول
وأحدُّ النصال ما راشتِ الحُمّى، فعبد العزيز مضنى عليل[5]

---

١ العيّوق : نجم يتلو الثريا . ٢ الدجن : الغيم المظلم . ٣ الزهلول : الأملس والأرقط معروف والمقصود الذئب . ٤ اللّدّ : الخصوم الأشداء في الخصومة . ٥ كان الأمير عبد العزيز مصاباً بحمّى المفاصل مضافة الى الظروف الخانقة ، ولقد ارتحل الأمير عبد الرحمن الى الاحساء وكان حينئذٍ عاكف باشا متصرفها . ففاوضه المتصرف بواسطة الدكتور زخور العازار عارضاً عليه ولاية الرياض يحكمها من قبل الدولة، اذا اعترف بسيادتها . وكان الاجتماع على عين النجا، وقد حضره عبد العزيز . فرفض الإمام شروط الدولة بعنف . ثم رحل الإمام الى الكويت فمنعهم الشيخ محمد الصباح الحاكم يومئذٍ من الدخول اليها فعادوا الى البادية وأقاموا بضعة أشهر مع العجمان الذين قبلوهم مكرهين ثم أمّوا قطر حيث أقاموا شهرين وكان حاكمها قاسم بن ثاني، ثم البحرين حيث بقيت العائلة . ثم انتقل الإمام مع ولديه محمد وعبد العزيز وابن أخيه عبد الله ابن جلوي الى بني مرة في الربع الخالي . (ملخص عن تأريخ نجد الحديث للريحاني وعن انطون زيشكا)

ملاحظة : منذ الآن نشير بحرفي : ت . ن. الى تأريخ نجد للريحاني عند ما نعتمده في سرد الوقائع .

أَخذَتْهُ على المفاصل حتى كل عُضوٍ عن جاره مفصول
نَفَضتهُ سَوْراتُها مثلما في ملعب الريح يرجف المنديل
رَبِّ أين الدواءُ للموجَع الداوي، وأين المناخُ، أين المقيل
إنَّ شرَّ الأسقام سقم أنوفٍ قد تراه السمينَ، وهو الهزيل
فابتساماتُه بِوَجهِ العَوادي للعَوادي وللسِوى تضليل
أترى ضاقت الجزيرةُ عنهم أم تجافى « الحسا » وأغضى النخيل
بَلغوه عقيب وَخدٍ وإبطاءٍ، وقد خارَ شامس وَذَمول [1]
ودرى بالشريد « عاكفُ » باشا فتراءت للألمعيِّ الحلول
سَيُولَّى على « الرياض »، اذا يرضى، وتُعطى القيادَ إسطنبول
يكسر ابنَ الرشيد بابن سعودٍ ويَبيدُ القَتولُ والمقتول
تَتفانى سيوفُ « يَعرُبَ » أزواجاً، وتَستَتْبِعُ الفلولَ الفلول
أوَ يَأبى هذي الهديّةَ مَوتورٌ، طريدٌ، صفر اليدين، مَعيل
شهوة الحكم كالمليحة يلقاها عشيقٌ مُسهَّدٌ متبول
كلّ شرطٍ لها فسابقُ حلم كلّ قولٍ في الجنان مقول
يستبدُّ الهوى بمهجة هَيْمانَ، فلا معجزٌ ولا مستحيل

. . .

ما السَّواقي صواخباً هادراتٍ ما زئير الأسود حين تصول

---

[1] الوخد : سير النياق السريع. الشامس : المطية التي لا تمكن راكبها من الركوب. الذمول : الناقة التي تسير سيراً ليّناً.

ما احتدام الغابات، في لَفْحة التهجير، إذ يأخذ اليبيسَ الشعيل
ما انتفاضُ المهلهل، الزيرِ، غَضْبانَ، وفي عينه النجيع الطليل[1]
مِثلَ عبدِ الرحمن يهدرُ غضبانَ وقد هاجه الكلامُ المُذيل[2]
أفيرضى سيادةً لغريب فيقولوا، عن الغريب وكيل
فليَسوَدَّ نسلُ الرشيد ولا يمتدَّ ظلٌّ على «الرياض» دخيل
ليس عبد الرحمن مُحدَثَ عزٍّ همُّه، كيفما تأتَّى، الوصول
ويغرُّ المهرَ الهجينَ بقيعٌ حينَ يستصغرُ المروجَ الأصيل[3]

. . .

لم يُحيِّرْ عبدَ العزيز إباءٌ من أبيهِ فابن النبيلِ نبيل
كيف تستغرب الهديلَ فِراخُ الوُرْق، والشدو طبعُها والهديل[4]
«عاكفٌ» خاب حدسهُ وتهاوتْ أمنياتٌ وأفلَت المأمول
فلْيَنفِرْ هذا العنيدُ عن «الاحساء»، ولْيَعقبِ العنادَ الرحيل
العَصِيُّ الأبيُّ عبءٌ على الوالي، فكم روَّع الرماةَ الغيل
فلْيهاجرْ حفيدُ «تركي»، وقد يُستبعدُ الليث وهو عانٍ كليل

. . .

قَصدَ الهائمُ «الكُويتَ» فهل في أزرقِ الشَطِّ ناقعٌ أم غليل

---

١ اشارة الى غضبة المهلهل حين فاوضه أهل جساس في الصلح . ٢ المذيل : المهين . ٣ البقيع : المكان فيه أروم الشجر . ٤ الورق : مفردها الورقاء وهي ضرب من اليمام .

أيردُّ النزيلَ شيخُ صباحٍ   أم يَحُلُّ البَهوَ الرحيبَ النزيل
قصدوه، فردَّهم ذلك الواهي، كأنَّ الأميرَ داءٌ وبيل
كاد ماء الخليج يحمرُّ خجلانَ، ويجري الى النخيل الذبول
لم يصدّ العربُ الكرام نزيلاً   منذ شاد الخيامَ إسماعيل[1]
رُبَّ جانٍ يجيره بيتُ شمطاءَ، ومن أهلها، يكون القتيل
فيمدُّ السماط للضيف ألواناً، وفي ساحة الخباء العويل
ولو انّ الأعراب في عهد قابيل، لما ظلّ هائماً قابيل[2]
كان، عبدَ الرحمن، أسعدَ حظّاً   منك، في الخطب شاعر ضِلّيل
وهو الفاجر الخليعُ، وأنت الطاهرُ الذيل، والإمام الجليل
ودروع الحديد صِينَتْ وهذا   دمُكَ السمحُ مُهدرٌ مطلول
«عاديا» ماتَ عاشَ ذكر أبيه   ما توالت على الرؤوس عقول[3]
كلما ردَّه الى الأمس جيلٌ   مدَّه للغدِ المؤمّل جيل
اليهوديُّ صانَ بالدم عهداً   والصباحيُّ ضيفه مخذول[4]
صانعَ الترك طامعاً بولاءٍ   وبغُنمٍ يوحي له ما يقول
لم يصدّ الأميرَ شحّاً ولكن   في طباعِ الممثّلِ التمثيل
في اضطهاد الإمام إرضاءُ «باشا»   فليُقرّبْ عن الكثير القليل
ذاك وفدُ السلطان، والآمر الناهي، وسيف الخليفة المسلول
لو أتى للكويت منه رسولٌ   أعلنته الى الخليج الطبول

١ يقال ان اسماعيل أبو العرب هو أول من شاد الخيام .
٢ قابيل : هو قايين الذي قتل أخاه هابيل .
٣ عاديا ابن السموأل وقصته مع امرىء القيس معروفة .
٤ الصباحيّ الشيخ محمد الصباح .

سوف يستقبل الأميرَ بَشوشاً يوم يأتي من «عاكفٍ» تنزيل[١]

فاتَهُ الحزمُ والشجاعة والإقدام والمقصد الجليـل الأثيل

فاتَـهُ أَنَّ للمروءةِ نهجاً سرمديًّا مـا طاله التبديل

أنَّ للحقِّ شمسه ما عراها رغم كيد المضلِّلـين أفول

نورها يملأُ البسيطة وَضّاحاً، فلا تلحق الشعاعَ الوحول

أنَّ عيسى مشى الى الحقِّ مقداماً فهلَّ الضياء والإنجيل

أنَّ طهَ خاض النوائب ليثاً لم يُرَوِّع فؤادَه التهويل

أنَّ سقراط جُرِّعَ الموتَ من كأسٍ، حَساها كأنها السلسبيل

أنَّ ذكر السموأل الفرد تغريدٌ، وفي مَفرَقِ العلى إكليل

أنَّ للأنفس الكبيرة وثباً أين منه البيان والتعليل

هو سيف الحقيقـة الصلب لا يخشى، ويخشى فِرِنْدَهُ عزريل

يعتريه الحياء من وَهجِهِ الأسنى، ويختلُّ مقلتيه الذهول

يبهر المبصرين خُلقٌ مُشِعٌّ مثلما يبهرُ المـلاك الجميل

فات شيخَ «الكويت» أنَّ صبيًّا هو في الركب قابـع معلول

أن هـذا السقيم سوف يطول النجم، فالبؤس كالزمان يدول

أن تأريخ «يعربٍ» بعد يأسٍ بسجايا عبد العزيز حفيل

صفحاتٌ أقْوَتْ سحابةَ أجيال فضاءتْ على يديه الفصول

---

١ اشارة الى قبول عبد الرحمن في الكويت بعد استشارة الأتراك وذلك بعد رجوع الإمـام من الربع الخالي حيث أقام الأمير ضيفاً على بني مرة كما سيأتي .

من يديه « مُباركٌ » سَيُرَجِّي الغوثَ إذ تَدْهَمُ « الكويتَ » الخيول[1]

يومَ صاحَ النساء هل من مجيرٍ يومَ، عن أهله، توارى الخليل

يوم للسيف والبنادق والنيران قصف مُرَدَّدٌ موصول

أتراه مباركاً مثلما يُسمى، أم النعتُ خاطئٌ منحول

أتراه المكور من قيل فيه «كيفما مالت الرياح يميل»

«مِكْيافِلّي» حِيالَهُ أهوجٌ غِرٌّ، قصير الدهاء، خابٍ ضئيل[2]

هو في اللفِّ والخديعة بدرٌ «مِكْيافِلّي» حياله قنديل

كل حرفٍ، له بمعجمه الضافي مآلٌ يمدُّه تأويل

المعاني لها مذاهب شتّى طالما ضرَّ مُجمِلًا تفصيل

مُبهمُ القول، كالسوائل مطواعٌ، ويأتي وَفقَ المراد المسيل

والصداقاتُ! ما الصداقة إلّا غيمة بنتُ ساعة وتزول

عنده الحق والحقيقة أوهامٌ، فلا فاضل ولا مفضول

يتساوى في كفّة الشيخ صدّيقٌ، وشهم، وأحمقٌ، ونذيلٌ

من أطاع الهوى، ولو عبقرياً جرفته الى الوهاد الميول

---

١ الشيخ مبارك الصباح كان مضرب المثل في التلوّن والمراوغة وقد لقّب « بالحواقة » وسنأتي على ذكره غير مرة نظراً لعلاقته بآل سعود وحسبنا الآن ان نشير الى دهائه اشارة عابرة . هذا مع احترامنا لآل صباح العائلة العريقة في الحسب ولحكام الكويت القائمين على شؤونه اليوم . ونردد هنا ما قلناه في المقدمة من اننا لا نداري ولا نكذب على التأريخ واننا اذ نتحدث عن مبارك وأمثاله نستند الى الواقع التأريخي وأهم مصادرنا تأريخ نجد الحديث للريحاني ، وجزيرة العرب في القرن العشرين لحافظ وهبه ، وابن سعود لانطون زيشكا . ان التأريخ لا يرحم أحداً فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها . واننا نحارب الرذيلة اينما كانت ونقدس الفضيلة بقطع النظر عن الاشخاص، فالمثالية هي رائدنا أولا وآخراً.

٢ مكيافلي : السياسي الداهية المشهور بالتقلب والمخاتلة .

يُسكتُ الوخز في الضمير ويردي أخويهِ، ويفتري، ويغول [1]

...

أين عبدَ الرحمن تمضي، وقد عاداكَ أهلوكَ، أو جفاكَ الخليل
صدَّكَ الحظُّ يا أميرُ، وأنت الحصن بالأمس والسخيُّ الجزيل
ملجأُ المرء في الهواجر آكامٌ، عليها مشى النسيمُ البليل
أين يأوي اذا تعطَّلَ ريَّاها، وغارتْ دون السيول التلول
أيكون «الحثلينُ» أجرأَ قلباً أم يجاري شيخ «الكويت» عديل [2]
قال: فلينزلوا على الرحب لكن ذلك الرحبُ كالخيالِ نحيل
مُكرهاً قالها، صياناً لصيتٍ واجتناباً لما يقول العذول
سُبَّةَ الدهر يصبح الشيخُ «حِثلينُ»، ويبلى من الهجاء القبيل
فيقال «العجمانُ» قومٌ شِحاحٌ جارُهم ضيِّقُ المدى مرذول
قَبِلوهُمْ كجزيةٍ أو كَدينٍ راح يقضيه عن غريمٍ كفيل
ذاكَ أنَّ «العجمانَ» منهم جواسيس، ومنهم لابن الرشيد ذيول
ومقام الأمير فيهم، وإن كانوا كثيراً، لمفردٌ معزول
واذا أقفر الجوارُ، من الودِّ فسيَّانِ جوسقٌ وطلول
قد يكون الأسير أيسرَ قيداً من طليق فؤادُه مغلول
حوله ألسُنُ الصِلال، وفي زنديه من لفَّةِ الأفاعي كبول

[1] إشارة الى ان الشيخ مبارك كان يمشي على الجثث توصّلاً الى الحكم فقد قتل أخويه محمداً وجراح غدراً وبدون ما ذنب . [2] ابن حثلين هو شيخ قبيلة العجمان . قبل الإمام مكرهاً فإنه فضلاً عن مشايعته ضمناً لابن الرشيد فقد كان عنده من آل سعود أقارب الإمام من يحرضه على العداوة .

أيطيب المنام والبيت أدغالٌ، وحول البيت الرهيب دُحول[1]

أيطيق الأميرُ هذا المقامَ الرذلَ، وهو الشهم الأَعزُّ النبيل

يحمل البؤس والنوائب لكن لا يقولون «مانعيٌّ» ذليل[2]

حسبهُ الهمسُ أو لحاظ لئيمٍ أو عشيرٌ ودادُه مدخول

ليُخلِّي تلك الديار، ومن فيها، فلا تشمت العيون الحُول

تؤثر الموتَ، دون عرضٍ كمثلوج الروابي، ولا تهون البتول

. . .

وأتى «قاسماً» ونعتُ ابن ثاني انه الماجد القؤول الفعول[3]

«قطرٌ» تحت بنده، لجميل الذكر، واللؤلؤ الرطيب، حقول

ملأ البرَّ والمساجد بِرّاً وسفيناً على الخليج تجول

يجمع الدرَّ ثم ينفلت الياقوتُ من لجِّ كفّه ويسيل

وَسِع الجودَ، والفصاحةَ، والتقوى، وكان اجتماعها يستحيل

. . .

واستقرَّ العيال بعدُ على «البحرين» إذ هدَّها الطواف الطويل[4]

---

١ دحول جمع دحل، وهو شق في الأرض واسع الأسفل ضيّق الأعلى. ٢ مانعيّ في النسبة الى مانع أحد اجداد الامير. ٣ الشيخ قاسم بن ثاني سيد قطر كان له خمس وعشرون سفينة للغوص يجمع المال من تجارة اللؤلؤ، ويبذله في سبيل البرّ والإحسان. يضاف الى ورعه وتقواه فصاحة اللسان والعلوم العربية والفقهية والى العلوم الضمير الحيّ واليقين. والى ذلك كله الثراء والجود، فقد كان في قطر أميرها وخطيبها وقاضيها ومفتيها والمحسن الاكبر فيها. (ت. ن.)

٤ المقصود بالعيال عائلة الإمام عبد الرحمن التي مكثت مدة في البحرين.

الصبيُّ المريض ما زال في ضنكٍ، فقــد غاضَ وجنتيه النحول[1]
بَيدَ أنَّ الهزال ما فلَّ غَربَيْهِ، ولا جَمَّـد العروق الخمول
كان في هدْنـةِ الوجيع من الُحمَّى، مُذِ النافض الأليم يزول[2]
يضرب الأَرض بالغطاء ويجري حيث للبحر ضَجَّةٌ وعويل
فيمدُّ الطرفَ البعيد، الى أفْقٍ بعيد، مشى عليه الأَصيل
حيث للماء بالضياء اعتلاقٌ فكأنّ المدى به مكحول
وكأنَّ الشعاعَ بالأزرق الضاحي، وبالتِبْرِ واللجين غسيل
شَفقٌ كالعروس أشرَق خَداَّهـا، وأورى حَياءها التقبيل
أعْجَبتْهُ تلك الشوامخ زُرقاً تارةً ترتمي، وطوراً تشيل
فترى العينُ ما يهمُّ به الوهمُ، ودُنيـا أثارها التخييل
حَسْبَما تُنشدُ الميـولُ يكون السطحُ واللونُ والرؤى والشكول
فيراهـا عبد العزيز مجـالًا فيه للخيل زحمـة وصهيل
إذ تهبُّ الأَمواج صفّاً فصفّاً ورعيلًا يفرّ منه رعيـل
تتوالى الأَشواط في كَرّة الآذيِّ فالصفُّ هائـل ومَهول
بين شَوطَين تبدع الريح أغواراً، فيفنى المدى، وتُمحى السهول
وتطير اللُّجاتُ صوبَ الأَعالي فالأَعالي مَغاورٌ وسفول
والُمجلِّي في حلبة البحر أدنى لِفَناءٍ، فموُتـه التعجيل
غاية الحلبة البعيدة شَطٌّ فوق حصبائه تذوب الخيول

---

١ الصبي المريض : هو الأمير عبد العزيز . ٢ النافض : الحمى التي ترافقها قشعريرة .

ويعود الهواء يبعثها زرقاً خفافاً وقد عَراهـا القفول[1]
ويُحيل النسيمُ أعْرافَها الزرقـاء بِيضاً فَتَستَبينُ الحجول
فاذا كَلَّتِ الجيادُ وذابَتْ وتلاشت بعد الهدير الفحول
عادتِ اللُّجَّة العميقـة سيفاً سعة اليَمِّ عرضه والطول
يخطف العينَ بَرُقه فـيردُّ الطرف، والطرف حاسرٌ مذهول
صَقلتهُ النجوم حين استحمَّتْ فيه فاستأنس العريض الصقيل
وكأن الرواءَ لَطَّف حَـديَّهِ فما يأخـذ القلوب الصليل

. . .

وأثار الفضولَ غوصٌ على الياقوت، والعلمُ للصغير الفضول
ما ترى هذه اللآلي؟ لماذا يتردّى مُغامرٌ أو جَهول
يفتح اليمَّ غاطساً مستهيناً بحياةٍ، فكل قعر غول
تلتقيه النيوبُ غُبراً حداداً فاذا شأوُهُ الأخيرُ النزول
بيديهِ شَقَّ الطريق الى ليل سحيقٍ، ظـلامُه مسدول
وأخسُّ الأكفان أحشاء حُوتٍ أو خضمٌّ مثل الزمان أكول
طالما نَوَّحت عليه الأيامى وأبٌ دامعٌ وأمٌّ ثكول[2]
أعجيبٌ اذا تُسمَّى اليتامى؟ لؤلؤاتٌ جَلَّاُبها مأكول
في سبيل المُؤَنَّقات الغواني كان هذا الإيتامُ والترميل

. . .

---

١ القفول : الضمور . ٢ المقصود بهذا المقطع الإشارة الى المخاطر التي يلقاها الغواصون هناك في سبيل اللؤلؤ .

ويعود الأَميرُ للبيت في الإمساء، والبالُ حائر مشغول
فيرى البيت عابس الوجه لولا ما تشيع الصلاة والترتيل
من عزاء للنفس حين تَوالى نكباتٌ ويَدلُهمُّ سبيل
وتأسّى الشيخُ الإمامُ بطَهَ حينما أطبقت عليه السدول
يومَ جارَتْ على النبيِّ قريش و«ثقيفٌ» صدَّت وجاع الرسول
جاع لولا مروءةٌ في «عِداسٍ» فعزاءٌ به وصبرٌ جميل[1]

. . .

ضاقت الأرض بالأَمير، فقد الترك، في إثره هبوب شمول
كيفما سارَ يلتقيه خصيم أو حسودٌ على القلى مجبول
فليظلِّ الحريم في ذمَّة البحرين، حيث الهواء رطب بليل[2]
ولْيسر بالذكور، حيث يَئِنُّ الفيل من لافحٍ، وتحيا الشبول[3]
ضاقت الأَرض فليجئ ربعَها الخالي، فليس الخلوُّ خصماً يحول
ربما تُشفقُ الذئاب على الإنسان، حين الإنسان ذئبٌ وغول

---

١ عداس هو العبد الذي تدارك جوع النبي بقطف من العنب يوم صدّتــه ثقيف وردّته ردّاً قبيحاً .
٢ الرطب هنا معناه المشبع بالرطوبة . ٣ اللافح : ريح الصحراء المحرقة .

في بني مَرَّة

بلغوا الربعَ واستبان المكانُ ... بَحْرَ تِيهٍ ضاعت به الشطآنُ[1]

أهلُهُ البومُ، والعقاربُ، والأَصلال فَحَّتْ، والضبُّ والسرحان

وبنو مُرَّةٍ، ذئابُ البَوادي ... في أَتاويهِ غَمْرِهِ، قُرصان[2]

يسلبون الصلَّ المقطِّر سمًّا ... نابَهُ، لو يُكشِّرُ الأُفعوان

يطلبون الغزلان شُعثاً حُفاةً ... فتهاوَى من عجزها الغزلان

ضُمَّرُ السوقِ والبطون عِجافٌ ... قَلَّما قام بينهم شبعان

يفرض الجوعُ صومَهم لا كتابٌ ... بيِّنٌ آيُهُ ولا رمضان

ما الأَحاديث، ما صحيح البُخاري؟ ... ما قوام الإِسلام، ما القرآن

ما الديانات والفضيلة، والتقوى، وصوت الضمير، والوجدان

ليلةُ القدر غزوةٌ تكثر الأَسلاب فيها، وتزخر الأَعطان[3]

غدوة الفطر حين يعلو قُتارٌ ... ومع الجمر يستساغُ الضان

---

١ الربع: الخالي. ٢ الأتاويه: مفردها التيه وهو القفر يُضلّ فيه، والقرصان هم لصوص البحر.
٣ الأعطان: مبارك الإبل.

لم يزالوا كعهد حارثٍ المُرّيّ ما بَدّل الحجى أزمان [1]
أَنفٌ دِينُهم وذمّةُ جارٍ وحسامٌ مشطَّبٌ وسنان
واعتزازٌ بغزوة سِيقت الحملانُ فيها وعَجّتِ البعران
في الدياجير يفجأون المراعي مثلما تفجأُ القطا عقبان
طالما باغتوا الصباحَ وجفنُ الضوء في لَذّة الكرى غرقان
فاستفاق الفجر الفتيق على ذُعرٍ وأرخى ضياءه الكسلان
وا صباحاه! رَجّعَ الحيُّ مَرْعوباً ومَدّت صريخَها النسوان [2]
لا حِرابُ الرُعاة أَجْدَتْ ولا ردّت «حلالاً» لأهلِهِ الفرسان [3]
طار بالمغنم النفيس غزاةٌ سيرهم في ذُمولهم طيران [4]
ما سوادُ العراق عنهم بعيداً ما قصيٌّ «الحمادِ»؟ ما «حوران»
قد يبيتون في «النفود» ولا يمسون إلّا وقد تبدّت «عُمان» [5]
زادُهم في الجراب قرصُ شعيرٍ أو سَويقٌ إدامه التمران [6]
سكن الفقرُ كلّه جانبَ الدهناء حيث الهجير والكثبان
كلّ حيٍّ حتى العظاءة والضِبّانُ فيها فجائعٌ عطشان [7]
فاذا درّت السماء بغيثٍ بلعَ الغيثَ فدفدٌ حرّان

---

١ الحارث: هو الفارس المشهور بن ظالم المرّي. وفي أمثال العرب أفتك من الحارث بن ظالم. وكان لا يبالي على أي حاليه يقع الأمر، يلقي نفسه في المهالك اذا بدت له خطة يريد تحقيقها. يقترف أفظع الجرائم وانكرها اذا هاجت ثورة الانتقام في نفسه. يستحلّ الغدر والخيانة ليحامي عن جاره أو يمحو إهانة لحقت به وقد كان من أوفى العرب للجار، فكان مثال الوفاء على جماله ومثال الغدر على قبحه، فاجتمع له النقيضان.
(الشعراء الفرسان: لبطرس البستاني)

٢ لا يكون الغزو إلا في الصباح على الغالب. ٣ الحلال عندهم يعني المواشي. ٤ الذمول: المشي البطيء. ٥ الحماد وحوران والنفود وعمان أعلام أمكنة. ٦ التمران مفردها تمر.
٧ العظاء: هي الدويبة المعروفة في لبنان «بالسقاية». والضبّان مفردها الضب.

وتدور الأَنظار تنشد كنزاً كل كنز حِيالَه دُخَّان

. . .

بلغ النازحونَ واحةَ جبرينٍ[1]، وقد غصَّ بالرجال المكان
ما عَرا هذه الجماهيرَ حَتى أخذتهُمْ جَلالةٌ فاستكانوا
شَخَصوا بالعيون حتى كأنَّ العين كَمْهاءُ[2]، ما بها إنسان
أيصلُّون قائمين، أم الأكباد زاغَتْ فعمَّها بحران
إنها خشعة المصلين كيلا تنزحَ البئر، أو يغور الجمان[3]
وقف الشيخُ، سابرُ الماء، عرياناً عليها، تشدُّه الأَشطان[4]
غير ما يفعل المغامِرُ «بالبحرين»، أو حين يُنشدُ المرجان
فهناك الطموح والأملُ الزاهي، وخلفَ الجواهر الحيتان
وهنا الموت، في سبيل حياةٍ خلفه المَرحماتُ والرحمان
ويغوص العريانُ كالسهم منقضاً، ويفجو فيطفرُ العقيان
ثمَّ يعلو الغوَّاصُ وثباً، كما شقَّتْ، الى النجم، درَبها البيزان[5]
فيصيح الجمهور صيحةَ فوزٍ وإلى فوق تعرجُ الأجفان
مِلؤُها الحمد للذي من يديه يستفيض الندى، ويهمي الحنان
ذاك انَّ النفوس مهما تعامَتْ فبها خلف عَشْوِها إيمان
خشنت «مُرَّةٌ» طباعاً ولكن ظَلَّ، في الجلمد الأصمِّ ليان

١ واحة جبرين: تقع على طرف الدهناء. ٢ الكمهاء مؤنث الأكمه وهو المولود أعمى وإنسان العين سوادها. ٣ روى قصة الغوص في البئر مفصلاً المؤرخ انطوان زيشكا في الصفحتين (٣٥ و ٣٦) من كتابه ابن سعود. ٤ الأشطان مفردها شطن وهو الحبل. ٥ البيزان مفردها باز.

من خلال الظلام، يخفقُ في الأكباد نورٌ، ويُلمح الدّيان
والمروءات كالشجاعة فيهم مِلءُ ما يطلب الندى والصيان
هَلَّلوا للأمير، وانتشر البِشرُ، وحلّت قِلاصها الضيفان[1]

. . .

شامَ عبدُ العزيز كيف يُرام الماءُ، والقفرُ جاحمٌ صديان
كيف يُستنجدُ القَليبُ، فإن يرشحْ بماءٍ، فالعيد والمهرجان[2]
أتكونُ المياه أثمنَ ما في الكون، أغلى ما يُحرز الإنسان
لم يكن في « الرياض »، أو خضرة « البحرين »، يدري ما الظِمءُ ما الظمآن
أو بِسِيفِ « الأحساء »، حيث يموج الزهرُ، أو حيث يضحك الرُمّان[3]
يجهل المرءُ قبل فقدِ نفيسٍ ما يكون الفواتُ، ما الخسران
من رأى الشمسَ في بَهاءِ ضحاها غاب عنه الكسوفُ والنقصان
أيقظَ الماءُ بالأمير شعوراً لا يُعفِّي آثاره النسيان
سيشقُّ السهولَ واحاً وآباراً فيبدي كنوزه الصحصحان[4]
« هُجَرٌ » ينعم العِطاشُ بِريّاها، ويربى في ظلّها العمران[5]

. . .

١ القلاص هي الطوال القوائم من الإبل. الضيفان: مفردها ضيف. ٢ القليب: البئر.
٣ السيف: الساحل. ٤ الصحصحان ما استوى من الأرض وكان أجرد. ٥ الهجر مفردها هجرة والمقصود هنا الآبار التي حفرها فيما بعد الملك عبد العزيز وبثّ الخضرة والعمران بواسطتها وسيأتي الكلام عليها مفصلاً.

عـالم من بداوةٍ وشقاءٍ غاص فيـه الثلاثة الفتيان
خاضَ فيه محمد وابن جلوي والأَمير الذي رواهُ الزمان[١]
خَشِن الجسمَ يا أميرُ، فللغابات والقفر بالأسود افتتان
لا يَشبُّ الرئبالُ في روضة غيناءَ، حيث التفّاح والريحان
تتشظّى على القتاد لُبودُ الأُسدِ، حيث الأَدغال والغيران[٢]
شظَفُ العيش، والبلاء الذي تلقى، سبيل الى العلى وَمِران
خذ من الحنظل المذوَّبِ كأساً ربَّ يوم أتتْكَ منه دِنان
لَوِّح الجسمَ بالهجير، فلا تأبَهْ لِحَرٍّ، ولو طغى بركان
واذكرِ الخلَّ إن فقدتَ رُضاباً وتلظّى من الجفاف اللسان
فلعلَّ الوهمَ المجسّمَ يُجدي حيث ضَنَّ السحابُ والغدران
لا سَمومٌ تؤذيك لا زَمهريرٌ لا رُقادٌ مقطّـع وَسْنان[٣]
لن تذوقَ المنام إلّا غراراً فتَخَشَّنْ فالغـانم اليقظان
من اذا نام ظلَّ في أُهبةِ الواعي، فما ساير العلى غفلان
لم ينم ملءَ وَعيِهِ عبقريٌّ فهْوَ كالنجم ساكنٌ سهران
عقله الباطن الدؤوب عـلى الجلّى، فَعولٌ، وإن وَنَتْ أجفان
تعملُ الروحُ، إن تكن فذّةً عُليا، ولو ناءَ متعباً جثمان
فتخطُّ الغَدَ المحجَّلَ ملآنَ ويرسو عـلى الخلود الآن
لا تَنم ايها الأمير المرجّى ولْيُؤَبَّدْ مَنـامُها الأوثان

• • •

١ اصطحب الأمير عبد الرحمن الى البادية ولديه محمداً وعبد العزيز وابن أخيـه عبد الله بن جلوي .
٢ لبود مفردها لبدة . وغيران مفردها غار . ٣ السموم : الريح الحارة .

عوِّدِ الطرفَ أن يرى، من وراء النقْع، كيف الوطيسُ والمعمعان
أن يلُفَّ المـدى بدورة عينٍ فترى أين يُؤثِّرُ الميدان
عَوِّدِ الطرف أن يُحدِّقَ لِلْهَيْجا، فلا خفقةٌ ولا زيغان
شيمة النسر أن يرى الشمس ضحيانَ، وإنسانُ عينه صوّان
عَوِّد الأذنَ أن تحسَّ دبيب النمل، في الليل، فالدجى آذان
أَلْصِقِ السمعَ بالصعيد فتدري أخيولٌ مغيرة أم هجان[١]
عَوِّدِ الصوت أن يجلجل رعداً فيهبَّ الضياغم الشجعان
يبعثُ العزمَ في رجالك مدراراً، ويودي من الزئير الجبان
عَوِّدِ الصدر أن يكون حديداً ربّما استهدف الجَنانَ السنان
وادَّرِعْ من خشونة وصقالٍ إنما تصدم الظُبى الصَفْوان[٢]
وَلْيُحَرِّكْ بَنانَكَ الرخصُ أرسانَ المهاري، وَلْتَرْجفِ القيعان
وَلْتُصَرِّفْ كفُّ الشمال عنانا حين يسخو من اليمين الطعان
أو فَقاتِلْ براحتيـك فتعتزَّ المواضي وتزهر المرّان
واركب المهر عارياً فله من صاعق الصوت درَّةٌ وعنان[٣]
فحصان الخيَّال ما شاءه الخيَّالُ، ما همَّ أن يشاء الحصان
واطرحِ اللجمَ إن تشأْ، فَلِأَهْلِ المدْنِ كان الشكيمُ والأرسان
وتراهم لولا الركابُ وسرجٌ حزموه ليعـدل الميزان

---

١ الهجان: الإبل البيض. وإلصاق الأذن بالأرض ولاسيما في الليل عادة درج عليها البـدو ليتحسسوا وقوع الحوافر أو الأخفاف فيتهيّأون لدفع عدو مغير. ٢ الظبى مفردها ظبة وهي حـد السيف، والصفوان الحجارة الصلدة الضخمة. ٣ الدرّة: السوط.

يَتَهاوَوْنَ للحضيض، كما يهوي دجاجٌ أخافه الثعلبان[1]

أنت في «مُرَّةٍ» فأكمِلْ طريق الشوكِ تُزهرْ من بعدها الأغصان

إجعل الساقَ للأَياطلِ مهمازاً، ورأْلا إن يُطلَبِ العَدَوان[2]

وسَتَسعى بها فأين «أخيلٌ» والأساطير شادها اليونان[3]

ذاكَ وَهمٌ، ودون فعلك ما قالوا، فأنت المِصداق والبرهان

غالِبِ الجوعَ طالما غالَبَتْهُ في مطاوي تأريخها عدنان

فَتَمثَّلْ بأحمدٍ وعليٍّ إذ تُشَدُّ الحصباء والبطنان[4]

والأُلى دوَّخوا البلاد ومنهم كلُّ ليث طاوي الحشا خمصان

دانَتِ الروم للخماص، وريعَ الغربُ منهم، وزُلزِلَ الإيوان

من عَراءٍ طالَ العِرابُ الثريّا من سماءٍ تدحرجَ الأَسبان

وتداعت دون الحفاة عروشٌ وتساوى العقال والتيجان

انما روضة القصور زيانٌ يبسم الورد فيه والبيلسان[5]

في وعور الغابات تسمقُ أدواحٌ، ويقسو الشربين والسنديان

وبها الأَرز يفلق الصخر أسراباً، وَيعتو ويشرَئِبُّ اللُبان[6]

ذاكَ أنَّ العظيم في كل شأنٍ كان مِهمازَ وَعيه الحرمان

فتأمَّلْ تجدْ أشدَّ غرامٍ حيث كان اللهيب والذَوَبان

---

١ الثعلبان : ذكر الثعالب . ٢ الرأل : هو فرخ النعام . ٣ أخيل : أعظم أبطال اليــاذة هوميروس وكان يسمى الطيّار الخطي لسرعة عدوه . ٤ كان النبي عليه السلام واصحابه إذا عضهم الجوع يربطون على بطونهم الحجارة ويشدونها . ٥ الزيان : ما يتزين به . ٦ الأسراب مفردها السرب بفتح السين والراء وهو السرداب . اللبان : هو الصنوبر .

حيثُ غاضَتْ من السعير دموعٌ واستحَرَّتْ في الأضلع النيران
فاستحالتْ شعراً يهزُّ الصحارى وتندَّى من القريض البان
حيث لا طيبَ نوّر الندُّ فوّاحاً وطرٌّ النسرين والزعفران
فبَنُو «عُذرةٍ» بشعرِ «جميلٍ» ربْعهُمْ طيِّبُ الثرى ندیان
وحِمى «عزّةٍ» «كثيّرُ» أولاهُ فخاراً، على الزمان يُصان
ما بنو «عَبْسَ» ما الفوارس لولا «عبلة» وابن عمها الولهان
ما «الجُكُنْدا» لولا عشيق لهيفٌ ألهمَتْهُ، على الهيام، حصان[1]
فاستَبانتْ من خلف ريشته دنيا، ودلَّ الجمال والألوان
ومن الكبْت غرَّدَ البلبل الشادي، ومالت بسحره الأفنان
واسترَّقتْ، على اللهاة، أغاريدٌ عِذابٌ وأُغنياتٌ حسان
ألَمْ الجوع ألْهمَ الصيد والحراثَ فاخضوضرت غراسٌ لِدان
ألَمْ البردِ أيقظ النولَ والمغزالَ، فاحتلَّتِ الدنى خيطان[2]
ألم العزلة الرهيبة بثَّ النطق، فالجامع الأنام البيان
فتَمَرَّسْ عبدَ العزيز بحرمانٍ، سيأتي بعد الشتا نيسان
أمراء القصور في زَفَّةِ الدنيا وأنت المسهَّدُ اللهفان
لهمُ العيش ناعماً فخمورٌ وخصورٌ ومِزهرٌ وقيان
في نعيمٍ أكنافُهُ السمَرُ الحالي، وقرعُ الكؤوس والُمجّان

---

١ الجوكوندا هي رائعة ليونار دي فنشي وهي من أعظم روائع التصوير ولم تزل هذه الصورة محفوظة في متحف باريس وقد كان ليونار يحب صاحبتها حباً مكبوتاً . ٢ ورد في المعجم في تعريف الخيط انـــه السلك يجمع على خيوط وخيوطة وأخياط وان الخيط من النعام أو الجراد الجماعـــة ويجمع خيطان ونحن جمعناه على خيطان والمقصود الأسلاك .

لهمُ الملعب المُصفّقُ، والأزهار، والغنج، والرؤى، أحضان
فاذا يشتهون في السرِّ أمراً أعجَلَتهم لجهره الأعوان
حبذا ناصحٌ، وأين تلاقيه بعصرٍ أحرارُه عبدان
المجلِّي، هو المجلِّي نفاقاً والحقيرُ المصانعُ الدهّان
واذا اختال فاختيالُ ابن آوى عن صغارٍ في نفسه إعلان

. . .

ويبيت المنعَّمون ثقالاً القواريرُ أصفرت والجفان
وتبيت العشيَّ، رُبَّ عشيٍّ لم يَنمْ فيه ساهدٌ غرثان
يتمنَّى عبدُ العزيز رغيفاً أين في القفر تُقنص الرغفان
في رحاب القصور تُبتدع الحلوى، ويشكو دُسمَ الدجاج الخوان
وهنا، في القفار يَغْنَى سماطٌ ويُغنّي، من فرحةٍ، جذلان
إن يجد للغداء ضبّاً حنيذاً بئس ذاك الغداء واللحمان[1]
وهناك المُذّهباتُ الصوانيُّ، وكأسُ اللجين، والفنجان
والخوابي بالدهن والسَّمْنِ ملأى ومن الشهد تطفح الكيزان
وهنا القعبُ من جفافٍ تشظّى فمن الضرع تُنزح الألبان[2]
وهناك الدمقسُ والمخمل الزاهي، وجرٌّ الذيول والطيلسان
وهنا متحفٌ تجمَّعتِ الأسمالُ فيه وندَّتِ القمصان

---

١ الحنيذ : المشويّ . واللحمان مفردها لحم . ٢ القعب : القدح الكبير من خشب يسكب فيه اللبن والمقصود بهذا البيت ان القعب انشق لانه قلما يرطب باللبن، لأن البؤس كان يحمل بعض الجائعين على امتصاص اللبن من الضرع .

وهناكَ المزمارُ والنايُ صَدّاحاً تليه الدفوف والعيدان

وهنا يؤنس الدُجُنّةَ بومٌ أو عواءٌ تثيره الذؤبان

وهناكَ الهزارُ والبلبلُ الصدّاحُ والظلُّ ضافياً والجنان

وهنا إن يُداعبِ السمعَ صوتٌ فنعيبٌ ترُفُّـه الغربان

وهناكَ الجريح يَلْقى أُساةً ويُسلّى عن هَمّهِ الأَسْوان

في سرير كفلقة الصبح لوناً أو كثلجٍ تقمّصتهُ الرعان

أنّقَتْهُ أَناملٌ كبياض العاجِ أو حين يبسم الأُقحوان

وجريح القفار شلوٌ طريحٌ يَتولّى كُلُومَه الديدان

أو يَنسى عبدُ العزيز جريحاً وهُو المسعفُ الشهيدُ العيان

يومَ نصل الخطيِّ جندل «مُريّاً» فجاءت بطبِّها العربان[1]

جيءَ بالشيخ آسياً أو جراحيّاً تغشّي سكّينَـه الأدران

خنجرٌ كالهلال أسودُ محنيٌّ صبيـغٌ كأنَّه القطران

شكّه الشيخُ بالصِفاقِ فغاصَتْ يدُه حيث تُلْمَسُ المصران

خَصَفَ الحاذقُ المِعاءَ كما تُخصفُ نعلٌ أو يُرقع الهميان[2]

بعد ما صبَّ في الجراحة سمناً نَشَّ حتى نشيشُه غَليان

ثم خاط الثلم الرهيب بشوكٍ مثلما مدَّ ظِفره الضبعان[3]

عجباً للصبورِ ما قال أفٍّ أَهُوَ الصخر أم هو الشيطان

---

١ الطب : هو العارف بالطب . وقد وصف هذه العملية الجراحية الهائلة انطون زيشكا في الصفحة ٣٧ وما يليها . وكان الأمير عبد العزيز واخوه محمد وابن عمه عبد الله بن جلوي حاضرين يسعفون الجريح بمـا تيسر . ٢ المعاء مفردها المعى وهو مصران البطن . والهميان : الكيس . ٣ الضبعان : ذكر الضبع .

ولكان الصراخ مَزّقَ «ثَهْلانَ»، لَوِ انقدَّ مثله «ثهلان»[١]
عَضَّ بالقُطّعِ النواجذِ والأنياب حتى تشظّتِ الأسنان
أَجّتِ الأَرضُ من صَلابته القصوى، فغطّى لهيبها عَرقان
غَمروهُ تقيَّةَ البرد بالأطمار، لا خيمةٌ ولا صيوان
ليس إلّا النجوم في الليل ترعاه، ويرعى وجدانَه الهذَيان
وبَعيرانِ حوله يبعثان الدفء لو قاربَ الحضيض الجِران[٢]
ويَردّانِ فأرة عن سطيحٍ ربَّ ساجٍ تلهو به الجرذان
وزُبَانَى عقارب شائلاتٍ أَو نِمالٌ تَؤمُّها الجعلان[٣]

...

مَرَّ شهرٌ فهبَّ مُحْتَضَرُ القفر، وولّى عزريل والأكفان
يطلب الغزوَ أَو يرود المراعي حيث ينمو القندول و«البلّان»[٤]
لا تَني «مُرَّةٌ» تجوب الفيافي كلُّ قفرٍ «لمرَّةٍ» أوطان

...

لكَ عبدَ العزيز من هذه الآلام أَجرٌ ودربةٌ وامتحان
لك منها حظُّ النضار من النار، فمنها الصفاء واللمعان
روضة الصيف بنتُ بَردٍ أَليم غبَّ كانون يزهر البستان

---

١ ثهلان : علم جبل . ٢ الجران : مقدّم عنق البعير وهو يقارب الأرض عند البروك
٢ الزُبانى : الإبر التي تلسع بها العقارب . ٣ الجعلان : الخنافس . ٤ القندول والبلان : ضربان من الشوك المعروف .

لم يغرِّد لولا الزمهريرُ قُمْريٌّ، ولا أطربَ الضحى كَرَوان
فليُمرَّس محمدٌ وابن جلوي وليُعَدَّ الثلاثة الإخوان
بين عبد العزيز والشهم عبد الله ما ليس تبلغ الأخدان
أُلْفَةٌ في العظام رجَّعها قلبٌ، وآوى ضرامَها شريان
أَلَّفتْهم فوقَ النسابة، أرزاءُ جسامٌ، وصحبةٌ، ومكان
سنبلاتٌ مباركات ثلاثٌ لم يخالط نَضيدَهُنَّ الزؤان
سيكون الشهم النصير ابن جلوي خيرَ من قيل: ناصرٌ معوان
هو ركنٌ على الحياة مكينٌ يومَ تهوي من شدّةٍ أركان
سيخوض الوطيس، يومَ لِوَقعِ النار قصفٌ، وللظُّبى إرنان
فتسير الركبان باسم عقيدٍ وتحامى بذكره الأظعان
لن ترى البيدُ حاكماً كابن جلوي فالنظيرانِ صيتُه والأمان
خاطرُ اللصّ لو يهمُّ بشرٍّ لاعتراهُ لذكره الرجفان
يسقط الكيسُ بالنضار مليئاً في البوادي فيُتَّقى ويُصان
ليس تدري الظنون هل ذاك رملٌ؟ أم شعيرٌ أم أصفرٌ رنَّان
و«بباريسَ» أو«شكاغو» و«روما» حيث ضاقت بالشرطة البلدان
ينعم السارق الذكيُّ بأمنٍ فله الغيد والطلا والحان
ويظلُّ المسافرون حَذارى كالذي تحت سقفه ثعبان
يَيسرُ اللصُّ حيث يزخر قانون وعلم، وتضعف الأديان
حيث للمجرم الأنيق، بدست الحكم، أو خلف دسته، أقران

من ثنى هذه الأبالسَ ، في الصحراء ، حتى تعفَّفَ الجوعان
لَيَكادُ البعير يسقط مجروحاً ، فيخشى غشيانَهُ الذُّبان
أفلَحَ الشرع حيث أخفقَ تمدينٌ ، وحيث الجريمة الغفران
رهِفِ الحدَّ يا ابن جلوي فما باللمس والطيب يُنزعُ السرطان

في الكويت

سائلِ ابنَ الرشيدِ عن أحوالِهْ   والرعايا عن بطشه واختيالِهْ

بلغ الأوجَ ذلك الناحتُ الأدْراجَ للعرشِ من جماجمِ آله[1]

لا أمَتْهُ الرياحُ وانجلتِ الأنواءُ فالسعدُ في طريق اكتماله

أوجس التركُ أن يشعشعَ بدراً   وهُمُ الكارهون ومْضَ هلاله

فَلْيُعِنْهمْ شيخُ الكويت عليه   فيكون الأداةَ في إذلاله

أو يكون السِلالَ في جسمه الطاغي كفيلًا بضنكه وانحلاله[2]

ألصباحيُّ شيخ من خاتَل الصَيْدَ وألقى نفورَهُ في حباله

أين عبد الرحمن؟ في القفر منسيٌّ بعيدٌ عن خدره وعياله

فَلْيجئْ بالشريد ضيفاً كريماً   ولْيُجِدَّ المطويَّ من آماله

صدِئَ السيف مغمداً وتناسَتْ   «حايلٌ» ما يكون يوم استلاله

لاحَ للشيخ في مدى الأفقِ دوحٌ   أيكونُ الأخيرَ في استغلاله

• • •

١ قتل محمد الرشيد أبناء اخيه الخمسة . ويروى عنه قوله : لا يغمد سيف ابن الرشيد حتى يقتل أهل هذا البيت أجمعين . ٢ السلال : داء السل .

هَبطَ النازحُ «الكُويتَ» فألفى منزلاً حَدَّ من بديع خياله
غُرفٌ أربع تقصُّ حديثَ الدهر، من عهد جُرْهُمٍ، أو حياله
مَن رآها رأى ضريحاً خلاءً أو يتيماً يُطلُّ من أسماله
كان ذاكَ المضيفُ، من مالِ تركيًا، ضنيناً على الأمير بماله[1]
يتقاضى جعالةً فيؤدِّي نصفها معجباً بفيض نَواله
فكأنَّ المُضيفَ يعطي أسيراً مدَّ نَسْجَ الحرير في أغلاله
مُغرِياتٌ تلك القيود لِطافٌ حاكَها مِدرهٌ على أنواله[2]
مُسرِفاً كان حينَ تدعوه كأس أو تثيرُ القيان من أمياله
أو يُوافي، ذاكَ البلاطَ، فَرَنْجِيٌّ[3]، فبحرُ السخاء في استقباله
مُوقِناً أنَّهُ غداً سيُوَفَّى بَدَراتِ النضارِ عن مثقاله[4]
قصره ملتقى أساطين أورُبَّا، ورَكْبُ الزمانِ في إقباله
ينشدون النفْطَ الذي استعبدَ الدنيا، فسارت على ضياء اشتعاله
يقصدون الشيخ المباركَ أفواجاً فيبدي من دَلِّه واعتلاله
تارةً يلبس الوداعة وجهاً فيخال الصوفيَّ عند انتقاله
فاذا راءَ في الغريمِ لياناً عادَ مَلْكاً يجرُّ من أذياله[5]

. . .

١ كان الشيخ مبارك يتقاضى مئة وعشرين ليرة انكليزية شهرياً من الاتراك، يؤدي نصفها للامير عبد الرحمن وقلما كانت تدفع اليه، فكان في بؤس ما بعده بؤس . (ت . ن .)
٢ المدره : الخبير المجرّب . ٣ كان الفرنجة من ألمان وانكليز وروس وفرنسيس يتسابقون في تلك الحقبة لخطب ود الشيخ مبارك من أجل بترول الكويت . ٤ بدرات : مفردها بدرة وهي الكمية الكبيرة من الذهب، والمثقال يساوي درهماً أو نصف درهم . ٥ راء : لغة في رأى .

كان عبد العزيز يشهد ذاك البحرَ، في جَـزْرِه، وفي استرساله
بين تُركٍ وَساسةٍ إنكليزٍ كيف يبدي من لِينهِ وَمِطاله
يُغرِقُ الدولتين، في غمره الساجي، وفي عمق لَفّهِ وجداله
يتأنّى فليس يُفلحُ وعدٌ أو وعيدٌ يرمي الى إعجاله
الجبوبُ الكبارُ! أكبرُ منها ثغراتُ الدهاء في غرباله
الأساريرُ في مُحيّاهُ غيمٌ حارَ طرفُ اللبيب في أشكاله
فاذا نَمَّ عن رِضاه ابتسامٌ راحَ يخفي ابتسامَهُ بِسِباله
درس الناشئُ الأميرُ عليه حكمةً يستفيدُها من خصاله
حنكةً أو مرونةً يتملّاها، ويدري ألوانَها من خِلاله
ناقلًا عن جِنانه أرَجَ الورد، رفيعَ الذيول عن أوحاله
كان ذاك المقام لابن سعودٍ مدرجاً لاتّزانه واعتداله
أطلعتهُ الدهناء ليثاً هصوراً أو يَصيدُ الهصورَ من أدغاله
أو عَموداً من الرخام خشيناً ما رأى الشرق مثله في جباله
فتولّى «الكويتُ» ثغرُ اللآلي سيفَ نجدٍ مبالغاً في صقاله

...

لوَّح القفر جلده فليُرطِّبْ زَبَدُ البحر جسمَه في اغتساله
ذلك الشطُّ لو تَدَفَّقَ ثلجاً لم يُبَرِّدْ ما هاج من بلباله

سباله : شعر الشارب .

ولَحالَتْ أمواجُه غَمرَ نارٍ لو دَرَتْ بالذي يجيش بباله
بين جنبيه ملتقى ألف يَمٍّ كلُّ يمٍّ يزيد مُرَّ نكاله
تارةً ينشق النسيمَ عن الغرب، وطوراً يشمُّهُ عن شماله
علَّ نجداً، أو ما يُطيِّبُ نجداً من عرارٍ، في نفحهِ وابتلاله
أتُرى في «الرياض» شوقاً اليه ؟ وعلى القصر مسحة من ظلاله
أو نسيمُ «الدرعيَّةِ» الطلق يجري من «طُوَيقٍ» بين المسيل وَضالِه[1]
أجفاه الأتراب أم ثارت الذكرى، وَحنَّ الأمس الحبيب الواله
وادِّكارُ السعود «بالعارضِ» الميمون هاجَ الوفاء في أبطاله[2]
فتراهم يزمجرون كهذا الموج، في رَغْوهِ وفي إرقاله[3]
مثله في السوابحِ الزُرق، في لمعِ المواضي، وفي رحيب مَجاله
مثله حين يصفع الموج صخراً فتميد الصفاة من تصهاله
ويكاد المهرُ المحمحمُ يُغْنِي في قِراع الرؤوس عن خَيَّاله
كاد عبد العزيز يسمع أصواتاً، وهمساً يطنُّ في أوصاله

. . .

ويراه الأبُ الشفيق مُكبّاً ممعناً في سكوته واعتزاله
فتحزُّ النصالُ في قلبه الدامي، فذُلُّ الأشبالِ فوقَ احتماله

---

١ الدرعية : موطن آل سعود قبل انتقالهم الى الرياض وفيها مواطن أجدادهم . طويق : علم جبل مشهور . والضال : نوع من نبات الجزيرة . ٢ العارض : هو الإقليم النجدي الذي في جملة بلدانه الرياض والدرعية . ٣ الإرقال : الإسراع .

هو ذاقَ الزمان شهداً وصاباً   وابْنُهُ لم يَذُقْ سوى أهواله
رَضِعَ الهمَّ والنوازلَ طفلاً   واستقلَّ الأرزاء منذ فصاله[١]
لم يرَ عزَّ جدّه وعُلاه   بل رأى بؤسَ والدٍ في انخذاله

. . .

عجباً للزمان يستنزلُ العالي، ويضفي السنا على أنذاله
أتراهُ بعد الليالي الدواجي؟   يسطع الضوء باهراً من ذباله
والزمانُ الذي مَناهُ بشوكٍ   هل يفيض الأعناب في أنساله
فيرى عزَّ فيصل من جديد   ويلاقي النهارَ قبل انسلاله
وخط الشيبُ عارضيهِ، وأورى   فرقه، واستشاط عند قُذاله
شَيَّبَتهُ غبر الهموم وكهلاً   صارَ قبل الأوانِ، قبل اكتهاله
ويمد الجفونَ في زرقة اليمِّ، وعمرُ النهار في آصاله
فيرى، في مراكب آفلاتٍ   غائماتٍ في الأفق، مرآة حاله
آذنَتْ بالغياب، عقبَ صِراع الموج، أو بعد وَهنِها وكلاله
أتراها تعود للثغر، أم يكبو شراعٌ يئنُّ من أحماله
انه الشيخُ يغرقُ البالَ في الماضي، ويخشى الزوال قبل زياله
ليس إلا الرحمن يلقي اليه   بخفايا فؤاده واتكاله

. . .

١ الفصال: الفطام.

وهناك الشبُّ الذي يرمق البحر، ويرجو فكاكه من عقاله[1]

لا يناجيه كامرئ القيس نوّاحاً كثيرَ البُكى على أطلاله

بل يراه كاللانهاية يُذكي بأسه، واسعاً كبُعدِ مناله

لونُه خضرة الرجاء، وطيفُ الجَلَد الحلو باسطاً من جلاله

غوره لُجّةُ السخاء، فهذا الدُرُّ نديانُ في يديْ لآّله[2]

وهو الناشر العطاء سحاباً والدرير المسماح قبل سؤاله

وبياضُ الشراع فألٌ بشيرٌ بغدٍ كالأريج عند انهماله

قد يشيب المريضُ من وجعٍ مُرٍّ، وينسى الآلام في إبلاله

فيعود الرواء في وجهه الخابي، ويطوي الفضاء بعد شلاله[3]

وهوَ، عبد العزيز كالبحر جيّاشٌ، رهيبٌ في كرّه ونزاله

سوف يجري الى المصاعب مغواراً، ويفري أشواكها بنِعاله

فيهلُّ الخلودُ من راحتيـهِ ويدوم الخلود في أنجاله

عرش نجدٍ يصير مُلتفتَ الشرق، ومهوى أعلامه ورجاله

عزُّ غمدانَ دونه، وحواليه، سمات الجـلال من أقياله

البلايا تُشدّدُ الليث، مأسوراً، وتوري من عزمه وارتجاله

أبداً جرحهُ يزمجرُ للثأر، فـلا تأذنُ العُلى في اندماله

من وراء الحديد والقفص الداجي، يُعِدُّ القوى ليوم صياله

فيصكُّ القضبانَ بالمخلب الدامي، لعلّ الفولاذَ يدري بحاله

---

١. الشبّ: الشاب . ٢ اللأآل: تاجر اللؤلؤ . ٣ الشلال: الشلل .

فتحول الصمُّ الدقاق حراباً أو سيوفاً قواضباً في قتاله

. . .

طال ليل المنفيِّ في الثغر أعواماً، فكيف السبيل لاستبداله
يستفزُّ الجوادَ مُنبَسطُ السهلِ، ولكن يثنيه قصر شكاله[1]
راحة الضيغم، المقيم على السأمِ، لحالٌ شبيهةٌ باعتقاله
ليس حرٌّ في الثغر إلّا وليُّ الثغر، حرٌّ في غيِّهِ وحلاله
قصرهُ قبلة الحسانِ، ورُوَّادُ الملاهي، في نعمةٍ من ناله[2]
ما الربيعُ الفوَّاح خصب المجاني يرفد الغوطتين فيضُ زلاله[3]
فتميل الأدواح من طيبه نشوى، تُدلّي الشعور في سلساله
فيرشُّ الأملودُ من زهره الفاغي، ويكسو اللجينَ من سرباله
ما الأقاحي تُنطِّقُ الحورَ بالأنوار بِيضاً، تلوح في خلخاله[4]
والكنارُ المرنّحُ الأفق صدَّاحاً، وفرخ اليمام في أزجاله
ما الصباح الطلق المحيَّا بأبهى من ليالي أفراحه وضلاله

. . .

خافَ عبدُ الرحمن عدوى جوارٍ يلحق الخُلق منه بعض وَباله
فرأى أن يزوّجَ النجلَ صوناً لشبابٍ ما زال في أقفاله

---

١ الشكال : الوثاق بين يدي الجواد ورجليه . ٢ النال : العطاء . ٣ غوطتا دمشق : الشرقية والغربية . ٤ الحور : الشجر المعروف وهو كثير على ضفاف بردى .

لا تخف يا ابن فيصلٍ، فَطِماحُ الشهمِ سدٌّ، يحول دون ابتذاله
والذي هَمُّهُ بناءُ خلودٍ كيف يُلقي الى الهوى رأس ماله
زَوَّجوه فيا لَعرسٍ مُقلٍّ ماثَلَ الناسكين في إقلاله
الفراغ الرهيب في كيسه الخالي، وفي عدلِ بيته وقِلاله
«ربّنا قوتَ يومنا وكِساءً» ولك الحمدُ من إمامٍ وآله
خاشعاً ضارعاً يصلّي إمامٌ فيثير الشؤونَ عند ابتهاله
وتكاد الدموع تطفر لولا أنها مُحْرَمٌ على أمثاله
يصمدُ الليثُ للخطوب ويُخفي ناغرات الجروح عن أشباله
اذ يكون البركان والحممُ الحرّاقُ بعضاً من هَمِّهِ وانفعاله
ذاك انَّ الشاكي، ولو لذوي القربى، تريد الشَكاةُ في إعلاله
رُبَّ سهمٍ يكون آلَمُ ما فيه، هنيهات نَزْعِهِ وانتشاله

. . .

رَفَعَ القلبَ للذي بَدَعَ القلبَ، وأحصى الخفيَّ من أعماله
للذي أدركَ الشكايةَ والشاكي، مُذِ الكونُ بعدُ في آزاله
وكأنَّ الإمامَ في شبه نجوى والملاكُ السميع أصغى لِقالِه
قال: ربِّي يا مالك المُلك، في كفَّيكَ معنى ثباته وانتقاله
فتعزُّ الذي تشاء وتردي عالياً، أو تكبُّهُ من رِعاله[1]

---

[1] الرعل: أنف الجبل وفي هذا البيت والبيت السابق إشارة الى الآية «قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعزّ من تشاء وتذلّ من تشاء، بيدك الخير انك على كل شيء قدير».

وتَبثّ البعوضَ، في الخدر، أسراباً، فتدمي الجفون من رئباله

ويَغُولُ الذبابُ نمروداً العاتي، ولا مأثمٌ على مغتاله

وَلَتبلو الصِدّيق بالخوف والنقصان في ماله، وفي أطفاله[1]

يشتفي حُسَّدٌ، وتفرح بغضاءُ، ويعلو الأذلُّ من عُذّاله

ويماري منافقٌ نامَ عنه دهرُه فاستفاد من اغفاله

مثلما يرتقي اللصوصُ لقصرٍ غَفِلَ الحارسونُ عن إقفاله

. . .

«واعِدَ الصابرين رزقاً وفردوساً تشيب الآبادُ قبل زواله»[2]

رفرفٌ عرضهُ السماواتُ والأرضُ، وعرس المُنى رفيفُ اخضلاله

ظلُّ طوبى، وكوثر الشهدِ رقراقاً، يصبُّ الماذيَّ في شَلّاله[3]

ربّنا! انما الحياة سرابٌ أو رذاذٌ يجفُّ غبّ انهلاله[4]

يُنبت الزعفرانَ فتنةَ أبصارٍ، ويذوي النبات قبل اكتحاله[5]

أنت سبحانك القديرُ، برأت الكونَ، من قلب عدْمِهِ ومُحاله

خَلْقُكَ الفذُّ بالعناية موصولٌ، تشيع الحياة في آجاله

حسبه إن تَشَأْ فناءً لحشراً خاطرٌ ينطوي على استئصاله

---

١ إشارة الى الآية «ولنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشّر الصابرين» . ٢ هذا المقطع تتمة لمناجاة عبد الرحمن . ٣ طوبى : شجرة في الجنة . والماذيّ: العسل . ٤ الرذاذ : المطر الخفيف . ٥ إشارة الى الآية : «اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم، وتكاثر في الأموال والاولاد، كمثل غيث أعجب الكفّار نباته ثم يهيج فتراه مصفرّاً، ثم يكون حطاماً الخ» .

فاذا الكونُ راجفٌ والبرايا قطراتٌ تـذوب في زلزاله

نحن في غربةٍ فرحماك ربّي بشريدٍ قد ملَّ من تجواله

مُشبعَ العالمين من رزقـه الطامي، وكاسي العراة من أفضاله

أنت أدرى بما يضير، وما يجدي، ومُغني السؤولِ عن تسآله

طالَ عهدُ الشقاء هل من سبيلٍ لرجـاءٍ، أو مسحةٍ لخياله

الصريف

في مَهبِّ الأضغان بات الغاصبْ حولَه الثأر كامناً والمعاطبْ
نام شيخُ الكويتِ، ما نام إلّا هجعةَ الفُلْكِ في العباب الصاخب
القتيـلان، الشقيقان ظَلّا جذوةَ الحقد في صدور الأَقارب
النسيب «القارونُ» يوسفُ إبراهيمَ، خلفَ الدماء ليث غاضب [١]
صدرهُ ملءُ ما يرومُ انتقامٌ مالُه فوق ما يعدُّ الحاسب
مَنْ سِوى الترك يرتجي لانتصار وسوى ابن الرشيد سيفاً قاضب

. . .

جاءهُ فانتخى وسَفَّهَ رأياً كان كالرِمْيةِ السديدة صائب

---

١ يوسف آل ابراهيم خال ابناء القتيلين شقيقي مبارك كان أكبر تجار اللؤلؤ في أيامه وأغنام وقد بذل ثروته كلها ووقته وجهده مجازفاً بحياته طالباً الانتقام . سافر الى قطر والبصرة وحائل والحجاز يحرض الأمراء والحكام على الشيخ مبارك . واستنجد محمد الرشيد وهو يومئذٍ كبير العرب عقلاً وحنكة واقتداراً فما استغوته أموال ابن ابراهيم . وقيل انه أوصى وهو على فراش الموت ابن أخيه عبد العزيز الذي تولى الإمارة بعده، ألا يطمح بأنظاره الى الكويت، وألا يباشر صاحبها العداء . ولكن الأمير عبد العزيز لم يحفظ وصية عمه . وعندما جاءه يوسف آل ابراهيم وأحد الموتورين خالد بن محمد يحرضانه على مبارك نهض للأمر يشنّ الغارات على الكويت تمهيداً للهجوم والاستيلاء . (ت . ن .)

جازَ عبدُ العزيزِ نُصحَ نَصوحٍ قلَّ من بذَّ فهمَهُ في الأعارب
قال، في يوم موتهِ، ومَقالُ المرء، في النزع، فُضليات الرغائب
«لا تحاربْ شيخ الكويت» إذا ما رُمتَ عيشاً خَفْضاً عزيز الجانب
ذلك الثغرُ إن تَنلْهُ بِشَرٍّ تَتفجَّرْ عليك منه المصائب
هو لابن «الصَباح» بَحرُ جُمانٍ ولبيت «الرشيد» بحر نوائب

. . .

غرَّ عبدَ العزيزِ قُوَّةُ زنديهِ، وصدرٌ كالطود، صُلْبُ الترائب
ومُرودٌ على الشعورِ، ولو دَبَّتْ، على وجنتيه، شُقْرُ العقارب[1]
وحسامٌ مثل المنيَّةِ خطَّافٌ، رهيف الغرار، صَدْقُ المضارب
إستجار الشيخُ المباركُ «بالسعدونِ» من ذلك العدوِّ الراعب[2]
وبعبد الرحمنِ، آنَ أوانُ الضيف أن يُصطفى لدرء المَراهب[3]
وبذاك الشبل الذي يتلظَّى للمواضي، شوقَ الفتيِّ لكاعب

. . .

وأغار الأمير يطلب «قحطاناً» وقد أسعرت شَباها القواضب

---

١ كان عبد العزيز الرشيد ذات يوم جالساً للناس في الفلاة فأحسّ بشيء يلدغه في ظهره فخاف ان تكون حشرة لا تستحق الاهتمام، فسكت وتجلد حتى انتهى من عمله. ثم دخل الخيمة وطلب أحد عبيده فرفع العبد ثياب مولاه فاذا بين كتفيه عقرب كبير يقرض جلده فصاح العبد مذعوراً وخشي ان يمسّ العقرب. فتناوله ابن الرشيد بيده ورماه خارج الخيمة ثم أمر العبد أن يذرّ على مكان اللدغ رماداً حامياً ففعل ونام الامير بعد ذلك كأن لم يكن شيء. (ت. ن.)

٢ استنجد مبارك بتركيا فرفضته، اذ كان يوسف آل ابراهيم قد سبقه اليها فحالفت ابن الرشيد عليه. ولبَّاه أبو عجيمي السعدون الزعيم العراقي رئيس قبائل المنتفق

٣ المراهب: الأهوال.

عَادَ من غزوة العشائر منصوراً، رفيعَ الجبين، جذلانَ كاسب
صَدّهُ عن زيارة الأَهل شيخٌ يطلب الصلح خلسةً ويوارب
يستثير الدنيا على ابن رشيد ويُماريهِ وهو في السلم راغب
«فعلى سطحه شتاء وصيفٌ» وُلد الشيخُ بالمواثيق لاعب
مَجهلٌ خلف مَجْهَلٍ بين جنبيهِ، فأكرِمْ به خِضَمَّ غرائب
وَاكبتهُ «العجمان» ثم «مطيرٌ» وبنو «مُرَّةَ» الحداد المخالب
ورجال «السعدونِ» فاختلجَ «الصمّانُ» من وطأة الخميس الجالب
وأجازَ «الدهناء» حتى أتى الماءَ، على «الشوكَةِ»، الكماةُ الكتائب
وأساغَ الوليُّ لابن سعودٍ أن يخوض الوغى بألف محارب

. . .

قادَهم ذلك الفتيُّ المُرَجَّى مثلما النسرُ أمَّ غُلبَ العصائب
يهتـدي «للرياضِ» بالشوق لَهّاباً، وبالطيب من عرارٍ سارِب
وَدَّ لو كانت الرياحُ المطايا أو مُتونُ البروق كانت ركائب
وكأنَّ النياق حَسَّتْ فخَفَّتْ مُرسَلاتِ الأرسان فوق الغَوارب

١ خرج الامير عبد الرحمن بجيش من الكويت وأغار على عشائر قحطان الموالية لابن رشيد . أما الشيخ مبارك فكان قد رمى بشبكتين يستنهض النجديين ويفاوض ابن الرشيد بالصلح . وعندما عاد عبد الرحمن من غزواته أمره مبارك ألا يرجع للكويت ولم يأذن له أن يدخلها ليشاهد عائلته . ولما رفض ابن الرشيد الصلح عاد مبارك يجهز الجيوش ولبّاه العجمان وال مرة وغيرهم من بوادي الجنوب والسعدون من الشمال وآل سليم أمراء عنيزة وآل مهنا أمراء بريدة . فزحف الجيش وعدده عشرة آلاف يقوده مبارك فقطع الدهناء ونزل على ماء دونها يعرف **بالشوكي** وهناك أذن لعبد العزيز إجابة لطلبه أن يسير بفرقة قـــدرها ألف محارب من البدو لأخذ الرياض . فزحف اليها عبد العزيز ووصلها بعد يومين وكان في باكورة غزواته موفقاً فاحتلها عدا الحصن الذي تحصنت فيه حامية ابن الرشيد فعزم على حفر نفق اليه وباشر رجاله العمل . (ت . ن .)

أَجفَلَتْ من عجيجها أسبعُ الوحش ، وَكَفَّتْ عن الصرير الجنادب
وتَحامى إسراءهم كلُّ ذي روح ، فما لاحَ في الظلام حُباحِب[1]

. . .

شاقَ عبدَ العزيز مَوطِنُ أجدادٍ ، وأرض حبيبةٌ وَملاعب
في ثراها من خطّ رجليه بالرمل ، ومن ردنه الطويل مَساحب
جاءها وامقاً ، فهل تتناساه ، وتغدو المنى نسيجَ عناكب[2]
جاء فاحتلَّهـا ، فضربتُهُ البكر كضرب القرمِ العميق التجارب
صَمدَ الحصنُ شامخاً يتحدّاهُ ، ولا دربَ من خلال السحائب
صَدَّهُ الجوُّ ، فليشقَّ أديمَ الأرض ، ولْيَفْتَحِ الصعيدَ مَسارِب
نفقاً مُوصِلاً فإن أسلموه فسلامٌ ، أو فالبروج خرائب
بدأَ الحفرَ فاستحرَّتْ زنودٌ وأشرَأَبَّتْ من الكفوف الرواجب[3]
واستشاطَ الأبطال ، فالنصرُ مرهونٌ بما تفتقُ العِراضُ المناكب
أوَ ليسَ الُجندُ المظَفَّرُ في نجدٍ يخوض البلاد نزهةَ جائب
لاسمِ عبد الرحمن تُفتحُ أبوابٌ ، وتفترُّ أَنجدٌ وسباسب
فكأن الآكام تبعث ريَّاها وتستقبل الأمير مواكب
طال عنها غيابُهُ ، فعيون الزهر تمشي الى الإمام الغائب
في غياب الربيع يُفتقد الوردُ وقد يَجهلُ الربيعَ المُصاحِب

. . .

---

١ الحباحب : ذباب ذات ألوان يطير في الليل ، في ذنبه شعـاع كالسراج . ٢ وامقاً : محبّاً .
٣ الرواجب : العروق التي بين الأصابع .

ظنَّ شيخُ الكويت وهو الذي ما عرفَ الحربَ غيرَ صيدِ مَكاسب
أنهُ الظافِرُ الذي يتقصَّى إثر خصمٍ مُروَّعِ القلب هارب
جرَّهُ « للقصيم » ليثٌ رهيب له بالكرِّ والفرار مذاهب
قد يَنامُ السرحان غيرَ جريحٍ فإذا أطمع الخصيم يُواثب
انما الحرب خدعةٌ ، وبعيدُ الرأي لا يسلكُ الطَريقَ اللاحب[1]
بل يقاوي خُصومه ويُماريهمْ ، ويبدي نُيوبَهُ ويوارب
عند « طرفيَّةٍ » تحصَّنَ مهزومٌ ، وعاد الطِلبُ المخاتل طالب[2]
يا لَيومِ « الصريفِ » كم من حديدٍ ذاب في ذلك الغطَمِّ اللاهب[3]
« أَلْبواريدُ » بالحتوف حبالى وَمواليدُها اللهيبُ الحاصب
مُرعداتٌ حُمر القذائف والأنواء ، في غمرة الصدى المتجاوب
مسبلاتٌ على العجاج قتاماً ناشراتٌ من الدخان غياهب
الرصاصاتُ في خضمِّ المنايا عائماتٌ وفي القلوب رواسب
كم جوادٍ مُغبَّرِ العرف ، مخضوبِ الأطاريف ، شاردِ الوعي سائب

---

١ اللاحب : الواسع . ٢ احتل الشيخ مبارك بلداناً عديدة في نجد بدون قتال، بل كان أهلها يرحبون به لعلمهم انه حليفَ ابن سعود . أمـــا ابن الرشيد فكان قد تقهقر، وهو لا يريد أن ينازل جيشاً أكبر من جيشه . ظلّ يتقهقر حتى جرّ العدو الى قلب القصيم فوقف له عند الطرفية على مقربة من بريدة .

(ت . ن .)

٣ الغطمّ : البحر . في مكان يدعى الصريف اشتبك الجيشان وكانت الوقعة من أعظم وقائع العرب الحديثة . وانكسر مبارك وحلفاؤه انكساراً هائلاً وكان ابن الرشيد قاسياً عتيّاً فأمر بقتـــل الأسرى أجمعين . ونكل بالرؤساء النجديين ونزع سلاحهم وأرهقهم بالضرائب وعاد عبد العزيز آل سعود الى الكويت بعد ان احتـــل الرياض أربعة أشهر .

مارَ سهلُ « الصريف » من صَقعَةِ الموت، ومن كَرّةِ الخيول الشوازب [١]
طائراتٍ لغير حلبة سبقٍ ليس فوق السرج المضَرَّج راكب
فالرعيل اليتيم يتلو رَعيلاً خلفه تنشد الفرارَ مَقانب [٢]
وأَغشَّ «العجمانُ» ، وانقلب السعدونُ ، فالجيش كالغمام الذائب
ليس في الناكصين غيرُ أجيرٍ أو مُداجٍ ، أو مُكرَهٍ ، أو ناهب
أتراهم يستبسلونَ ؟ لماذا يرتضون الأذى وخوضَ الكرائب [٣]
أذياداً عن الكويت ، ومن فيها ؟ وهم رُحّلٌ عِرابٌ أجانب
أم غراماً بقائدٍ لم يَروه بسوى الناس والجمان يضارب
لم يَصُفَّ الرجال إلا لِنفعٍ حول رقص مُعَربدٍ ومآدب
وصراعُ الأبطال أبعد شيءٍ في الأفانين من صراع الكواعب [٤]

. . .

بَلَغ الفاجعُ الرياضَ فأنّتْ واكفهرّتْ بعد الشروق الحواجب
وتَرَاخى العربانُ من حول مَولاُهمْ ، وعادت حُمسُ النمور أرانب [٥]
كاد عبد العزيز ينشقُّ غمّاً أيعود المنصورُ لهفانَ خائب
ليته ظل في الكويت قعيداً لم تُلَوّحْ له الرؤى والأطايب
آلَمُ الظَمءِ ان يقطِّرَ سَلسالٌ ، ويُنفى عن مائه العذبِ لائِب [٦]
عاد شبل السعود للثغر مدحوراً ، خسوفَ الهلال غطّاه حاجب

. . .

١ الشوازب : الضوامر . ٢ مقانب : جماعات الخيل . ٣ الكرائب : الأهوال .
٤ الأفانين : مفردها فن . ٥ حُمس : شجعان . ٦ اللائب : الظمآن .

سكر ابن الرشيد بالنصر حتى نصره باتَ مطلعاً للمثالب
نكَّل الظافر الوحيشُ بأسراهُ،[١] فبئس النمرُ الغدور الغالب
أسلموه السلاح يرجون أمناً فإذا قلبه من النبـل ناضب
انما العفو شيمة الأسد الرئبال، والبغيُ في طباع الثعالب
كنت ليثاً يا ابن الرشيد ولكن كنت جلفَ الجنان غثَّ المواهب
بين جنبيك قلبُ فرعونَ ذي الأوتادِ، والرافع الجذوع الصالب[٢]
قد أذلَّ الأتراك نجداً فهلّا صنت نجداً من الحليف المعاقب
دخلاءُ يروّعون الحبالى والعذارى، فالظفر بالعرض ناشب
أضرموا النار في البيوت فما لم يحترقْ فهو للخيول زرائب
وأبادوا النخيلَ فالغيضة الشجراء، والجنيُ كالمنـام الذاهب
ثم طمُّوا الآبارَ وهي بنجدٍ رحمة الله والحنـان الساكب
ليس إلّا الأوحال، والحمأة الغضراء، والآسِنُ المسيط الراسب[٣]
علَّ فيهـا طراوةً أو عصيراً يخمد النـار في لهاة الشارب
أحسامٌ لمن يحبُّ سعوداً ؟ وحريقٌ وجزيةٌ وضرائب

١ الوحيش : الوحش . ذكر المؤرخ انطون زيشكا صفحة ٥٦ – ٥٨ الفظائع التي ارتكبها ابن رشيد وحلفاؤه الاتراك في نجد وكيفية الانتقام البربري مما يسود صفحة عبد العزيز الرشيد على الرغم من بسالته النادرة . وقد أثبتت هذه الوقعة ان ابن رشيد كان سفّاحاً لا تعرف الرحمة الى قلبه سبيلاً فان اكثر من قتلوا لم يقتلوا في المعركة بل بعد ان سلموا سلاحهم .

٢ فرعون ذوّ الأوتاد : كان يتفنن في التعذيب وخصوصاً في الصلب وتمزيق أعضاء المحكوم عليهم .

٣ المسيط هو الماء الكدر، والحمأة الغضراء الطين .

فقْتَ «جنكيز» في المشارق ظلماً و «أتيلا» ضراوةً في المغارب[1]

ناكِبَ الشِيبِ والأَرامل والزَّمنى، ومجري على الضلوع السلاهب[2]

لم تخلّفْ بين الكويت ونجدٍ منزلاً لم تضجّ فيه النوادب

كل بيتٍ ينوح من حكمك الضاري، ومن سيفك الأثيم الخاضب

رُبَّ نصر أجلُّ منه انكسارٌ إن يكُ النصرُ مَدْرجاً للمعايب

سيفك المستبدُّ أرهبُ منه قلَمُ الحقِ في بنان الكاتب

ليس يمحو الزمان فعلَ أثيمٍ في فم الناس جرمه متعاقب

يصحب المرءَ فعلهُ أبدَ الدهر، فنعم الخلقُ الرفيع الصاحب

ليس إلّا الأخلاق تفتتح الخلدَ، فمنها العلى، ومنها العجائب

بطل الحرب عارياً من خَلاقٍ جدول الماء رنّقتهُ الطحالب[3]

يكسف العارُ مجدَه، ويواريهِ ظلامٌ لذلك الصبح شائب

فاسمُهُ رُغمَ بطشه ومزاياه، بغيضٌ محلولك اللون شاحب

إنَّ عمر الأخلاق غُرًّا حساناً هو عمر المخلّدات الكواكب

تعلق النفس بالشجاع صفوحاً وافر النِيل والحجى والمناقب[4]

وتعاف الجزّار، والأهوجَ الغطريسَ، والجاحد الهدى والواجب

إن للحرب منهجاً كوضوح الصبح، لا غيهباً وليلة حاطب

المناجيد قدَّسوا مقبض السيف، كما قدَّس الدُورةَ راهب

---

١ جنكيز : هو جنكيزخان المعروف بقسوته وميله الى التهديم . وأتيلا : هو الفاتح الفرنجي القائل : حيث يمرّ حصاني لا ينبت العشب . ٢ الزمنى مفردها زمين وهو المصاب بعاهة . السلاهب : الجياد الطويلة . ٣ رنّقته : كدّرته . الطحالب مفردها الطحلب وهي خضرة تعلو الماء المزمن .
٤ النِيل : العطاء .

يشرُفُ العضب أو يذلُّ، فما البتّارُ إلّا مرآة خلق الضارب
ويكاد الغِرارُ يمقُتُ ربّاً ليس من ربِّه الإله بهائب
فيوآتيه مكرهاً كفتاةٍ جرَّها الأهل للعجوز الخاطب

. . .

وأتى يطلب «الكويتَ» ليفنيها، وطارت بابن الرشيد النجائب
يجلب البؤسُ مثله، وكذاك الفوزُ للفوز والمغانم جالب
روَّقَ الذعرُ في الكويت، فقلب اللؤلؤ الرّطبِ مُستطارٌ هارب[1]
سالبُ الماء من شفاه الصوادي كيف يعفو عن الجمان الخالب
أو تُثنيهِ حرمةٌ لحريمٍ أو حِفاظٌ يمليه قلبٌ حادب
أم يُولّى أحلافَهُ الترك صونَ الطهر في ذلك السعير الحازب
وهمُ الطامعون بالثغر، فالألمان والترك في الخليج أقارب
«يلدزٌ» تبعث الجيوش لإفناء، وغليومُ في الخفاء المحارب[2]
ألّف الدولتين شهوةُ نفطٍ وعهودٌ قديمةٌ ومَشارب
لم يُروَّعْ شيخ الكويت، ولم يبدل سَنيَّ الرؤى بهمٍّ ناصب
ملء عينيه نامَ غير حَفيٍّ بخطوب، أو خائفٍ من عواقب
يقطع الليل هانئاً، ولَتَلْقاهُ قريراً في صبحه متثائب
قيل هذا نظيرُ عنترةَ العبسيِّ، فوق الأهوال، فوق المصاعب

---

١ روّق: مدّ رواقه.
٢ يلدز: قصر السلطان عبد الحميد والمقصود هنا السلطان نفسه. وغليوم: هو أمبراطور ألمانيا.

لا تصدّقْ ما يأفكونَ، فعزمُ الشيخ أوهى من واهيات العناكب
كان حِلفاً للإنكليز، فكان الثغرُ كالأبْلَقِ المنيع الجوانب
هم غزاة البحار منذ استجدَّ البحر واستعبد البخارُ المراكب[1]
كلُّ ماء على البسيطة غَمرٍ فلهم فيه مركب ومآرب
وعيونٌ على المضايق أرصادٌ، وفي الأرض والسماء جوائب
أتراكَ ابنَ «مُتعبٍ» تدفعُ الأسطولَ، أو ألسنَ الجحيم السواكب[2]
وسفين الأتراك والروس والألمان في جنبه صغار القوارب
فارجَعِ ابنَ الرشيدِ عن حلمك الزاهي، فنصر «الصريف» بدء المتاعب
ربَّ نجم يضلّلُ الهائمَ الساري، فذاك الضياء، صبح كاذب

---

١ استجدّ : صار جديداً والمقصود سيادة الانكليز على البحار في العصور الحديثة . ٢ عندما حاقت (بالحوّاقة) الأخطار اي بالشيخ مبارك فتح قلبه للانكليز فجاءه مركب حربي ورسا في الثغر عشرين يوماً، ولم يطلق مدفعاً واحداً . إلا ان الربان أذن ببعض المدافع الرشاشة، فأنزلت في الزوارق الى البر ومعها ضباط علموا الكويتيين استخدامها . ثم خطر للربان الذكي ان يرهب العربان بالأسهم النارية فأرسلها ليلاً في الفضاء وكان لها التأثير المطلوب . قيل : ان ابن الرشيد ورجاله لاذوا بالفرار عندما رأوا النيران تشتعل في كبد السماء .

واحة جبرين

جاوزَ الدهرُ حدَّه إيلاما فالملمّاتُ قد حطَمْنَ الإماما
غلّفَ الهمُّ أصغريهِ فلا يُبرِمُ رأياً، ولا يطيق كلاما
واذا جلَّلَ الظلامُ فؤاداً أبصر الشمس في ضحاها ظلاما
لا ترى العينُ غير ما لوَّنَ القلبُ، كما لوّن الضياءُ الغماما
ألهذا المصيرِ غالَبَ صرفَ الدهر جيلاً، وصارَعَ الأيّاما
أمسهُ كان فقدَ عرشِ أبيهِ يومه عادَ خيبةً وانهزاما

. . .

علقمُ اليأس في إمامٍ كسير هاج في شبله المريد الضراما
غضبٌ أيقظَ السهادَ بعينيه، فما تغمضان إلّا لماما
وصمة الذُلّ إن أصابت أنوفاً حرمتهُ طعامهُ والمناما
ما انتفاض النِمر الجريح مغيظاً سلبوه الفرائسَ الأغناما[1]
ما الخصمُ الهدّار غضبانَ مجتاحاً يدكُّ السدود والآطاما

---

١ الفرائس : مفردها فريسة .

ما أسود الشرى بأرهبَ منه قائماً قاعداً يَودُّ انتقاما

مَنْ حواليه؟ ما حواليه إلا عصبة خُلَّصٌ صِحابٌ قدامى

عدُّهمْ أربعونَ من أنسباءٍ وعبيد ما أخلفوه الذماما[1]

وأجلُّ الكنوز قدراً وأغلى صاحبٌ إن جفا زَمانُكَ داما

عُصبةٌ عُزَّلٌ وليس بِمُغنٍ انّ في كل مهجة صمصاما

جوهر الليث مخلب ونيوبٌ كيف يدعى بدونها ضرغاما

جاء عبدُ العزيز يرجو عتاداً من وَليٍّ أمواله لا تُسامى

فنفى الشيخُ أربعين ذلولاً أكل الداءُ حيلَها والسناما

وقليلاً من البنادق والزاد، كما يرفد الشحيحُ اليتامى

. . .

وَدَّع الوالدين، فالغصَّةُ الحرَّى بصدريهما شِواظٌ أقاما

إنَّ سلخَ الشغاف من قلب أمٍّ كان أدنى من هجره إيلاما

«مَانِعِيٌّ» يستعجل الموت جذلانَ، كأنّ الحياة باتت حراما[2]

أتراهُ بالأربعين يُقاوي ضيغماً راعباً وجيشاً لُهاما

تشهق الأرض في «الصريف» من الطاغي وتبكي، وفي «الكُوَيْتِ» الأيامى

كلّ ما حاقَ بالأمير من الأرزاء والهول منذ كان غلاما

---

[1] كانت عصبة الامير عبد العزيز مؤلفة من أربعين رجلاً من عائلة آل سعود وخدامهم السابقين، لا يلزمهم غير الركائب والبنادق والزاد وشيء من المال فأعطاهم الشيخ مبارك اربعين ذلولا وثلاثين بندقية ومئتي ريال وبعض الزاد. (ت. ن.)

[2] مانعيّ: في النسبة الى مانع جد السعوديين.

لم يُعادلْ تلك المنيهة حزناً   شَرِقَ الطرفُ بالدموع وغاما
أجهشت «سارةٌ» ودمع اللُّباء «الدوسَرِيَّاتِ» لا يهلُّ سجاما[1]
هو عبد العزيز إن ثكلتهُ   فقد البيت نوره والدعاما

. . .

بَارِكاني: قال المغامر، جيَّاشَ الحنايا، مُعبِساً بَسَّاما
إن أُوَفَّقْ فدارة العزِّ داري   أو أُمتْ مرَّةً بلغت المراما
كلَّ يوم أموت شيئاً فشيئاً   آهِ ما أعذبَ المماتَ الزؤاما
بين جنبيَّ خافقٌ يأنف الذُلَّ، ويأبى على الهوان المقاما
«وَيْكَ عبدَ العزيز» يصرخ في صدري، ألا قُمْ فجاوبِ الأعماما»
من خلال العَجاجِ ألَمحُ جَدِّي   فيصلاً، كيف يستطيب الحِماما
فيدقُّ الفرسان صفّاً بصفٍّ   ويُذرّي على الحضيض الهاما
ولمحت الأجداد، وُلْدَ نزارٍ   يوم «ذي قارَ» تحصد الأعجاما
وَكُلَيْباً يحمي الحِمى فيخرُّ النسرُ، من هول بطشه، لو حاما
وَحِمانا! لابن الرشيد مشاعٌ   وتُريدانِ همَّتي أن تناما
خَلّياني فإن أُمتْ مُتُّ ليثاً   دمه السمح يخضب الآجاما
لا على البحر خاملاً حيث ينسى النسرُ أجواءه فيُودي حماما

. . .

[1] سارة: اسم والدة الامير عبد العزيز، وهي من قبيلة الدواسر الاشداء على ما أكّده المؤرخ انطون زيشكا.

ومضى والرفاقَ في هجعة الليل ، وقد طوّقَ الكرى النُوّاما
جمرةً في الدجى تثير البوادي زادها القفر والهجير احتداما
عطفت «مرّة» وهبّت «سُبَيع» وفرادى ألقوا اليه الزماما
فإذا العصبة الصغيرة جيشٌ باسمه ، سار يرفع الأعلاما[1]
كِرَةُ الثلج لملمت ، من حُنيِّ الطود ، ما قرَّ في السفوح رُكاما
وأجاز «الدهناء» حتى أتى نجداً عقيداً مظفّراً قحّاما
جاء «قحطانَ» غازياً فرأوه وهمُ السربُ في الكرور ، قطاما
ورآه أنصاره كيف يرضي تابعيه ، وكيف يرضي الحساما
لرفاقِ الوغى مغانمُ شتّى ويُبَقّي مطيّةً وطعاما
وأذلَّ الغازي «مُطيراً» فزاد الجيشُ عدّاً ورأسهُ إقداما
أوجس ابن الرشيد ، بعد ازدراءِ من خصيم سحابُه يتسامى
كان بالأمس في السفوح بخاراً وهو اليوم يغمر الآكاما
أيلاقيه في القتال فيرديه؟ ويغدو ذاك الصباحُ ختاما
إنّه ابن الرشيد جلّ مقاماً فليُسَخِّر لطرده الحُكّاما[2]

---

[1] خرج الامير عبد العزيز في آخر صيف سنة ١٩٠١ بهذه الشرذمة من الكويت يقصد البوادي علّه يزيد في الأقل عدد رجاله . وقصد العجمان فتردّد رؤساؤهم وانضم اليه كثيرون من العامة وكذلك آل مرّة وسبيع والسهول فاشتد ساعده وأصبح معه بدل الأربعين ذلولا ألف ذلول وأربع مئة خيّال ، وهو في البادية جيش يذكر . (ت . ن .)

[2] عندما علم ابن الرشيد بغزوة قحطان هجم في أطراف الكويت على قبائل عريبدار (وهم خليط من القبائل) ليظهر انه لا يبالي بابن سعود. ولكن لما تكاثرت الانتصارات أرسل الى الشيخ قاسم ابن ثاني يستنهضه على العدو الجديد . ثم كتب الى حكومة البصرة لتوعز الى حكومة الحسا بطرد ابن سعود من تلك النواحي ، وبتحريض البوادي عليه . (ت . ن .)

زَمْجَرَ الترك منذرينَ فعادَ الجيش، في غضبة النمور سَواما[1]

كِرَةُ الثلج في الهجيرة ذابت ثبت الاربعون والجيشُ هاما

ليس يبقى إلّا العتيق، على الخطب، فعَتِّقْ أَحبَّةً وَمُداما

الأجير الزنيمُ[2] يرعبه الذئبُ، فيمضي ويترك الغَنّاما

إن يَكُ النهب قِمّةً للأَماني فالأماني ما بَرَحنَ قِزاما

لم يغزِ الأَميرَ طُلّاب غزوٍ نشأوا قُلَّباً رعاعاً طغاما

وتراهم في السلب والنهب آساداً، وفي غمرة الوغى أرقاما

. . .

وأحاقت بالأربعين الدواهي كلُّ أُفقٍ بدا عبوساً جهاما

أينما يمَّموا سحابةَ خيرٍ فوَّقتْ ديمةُ الرَّجاء سهاما

ليَكاد الثرى يكون خصيماً إن يُمرُّوا من فوقه الأقداما

هال عبدَ الرحمن طودُ همومٍ خدَّ[3] في قلبه الحزين كِلاما

فابنه عن مَنازل الناس مقصيٌّ يعاني مجاعةً وأُوَاما

بَثَّ وفداً الى المجازف يُغريه بِعَودٍ، ويغلظ الأَقساما

«قل لهم لن أعودَ إلّا أميراً أو قتيلًا واقرأْ **عليهم** سلاما

هكذا جاوب الطّريدُ وزَكَّى زأرةَ الليث أربعونَ قِياما

. . .

[1] السوام: الماشية. [2] الزنيم: الدعيّ او اللئيم. [3] خدّ: فتح، والكِلام مفردها الكَلْم وهو الجرح.

نَبَذتهم مأهولةُ الأَرض منها مثلما حاذَر الصحيح الجذاما[١]

لا مَلاذٌ لهم سوى ربعها الخالي، فقد أترعَ الشقاءُ الجاما

ليس في الواحِ غيرُ واحة «جِبرينَ» تؤدّي لِمُطْرَدٍ إكراما[٢]

ينهل الضوء من مناكبها حُرّاً، وحُرّاً في الليل يأوي الرغاما

فكأنَّ الحرّية البكر يذوي طهرُها حيثما تلاقي أناما

يا ابن عبد الرحمن إنَّ لتلك البئر بالبؤس والخلود غراما[٣]

جئتَها والهمومُ بعدُ صِغارٌ والزوايا تُقارِنُ الأحلاما

فاجلس الآن للنصيحة والشورى، فقد صارت الخطوب جساما

صَحبُكَ المخلصون غارت أمانيهم، وقد يورث الشقاءُ الخصاما

حلموا بالفتوحِ والعيش مرضيّاً، وَها هُم لا يملكون خِطاما

يكتمون اليأس المزمجر فيهم عنك حبّاً ورأفةً واحتشاما

القعودُ الطويلُ، والسأمُ الموصول، داءٌ يجاوز الأسقاما

البطولات لا تطيق ركوداً أزنوداً تكون أم أفهاما

فنعيمُ الأفهام فكرٌ بديعٌ ونعيم الأبطال أن تترامى[٤]

---

١ أجابت الحكومة طلب ابن الرشيد فشرد خوفاً منها ومنه أكثر من الف هجان ومئة خيال من جيش ابن سعود فلم يبالِ بذلك لأنه لم يكن ليركن إلا لرجاله الأربعين الأولين. وكتب اليه والده والشيخ مبارك يسألانه الرجوع للكويت فأبى. وعندما اشتدّ عليه ضغط الحكومة انتحى ورجاله ناحية واحة جبرين. قطعت الدولة معاش عبد الرحمن وسدّت أبواب الأحساء على عبد العزيز فلم يبقَ أمامه سوى الربع الخالي.
(ت. ن.)

٢ المطرد: هو من أمر بطرده فصار طريداً. ٣ اشارة الى مجيئه مع الأمير عبد الرحمن وأخيه محمد وابن عمه عبدالله بن جلوي يوم قدموا على بني مرة فأقاموا بينهم كما تقدم. ٤ البديع: المبدع والمراد هنا الفكر المولّد.

أو تُجِدَّ السيوف للمطلب العالي، وتستقدمَ الأمور العِظاما
لا تَقَرُّ الهمّات في المفرغ الخالي، ولا العُدم يبدع الإلهاما[1]
جَدّدِ العزم في القلوب الحيارى فالأمانيُّ تخلق المقداما
مَنّهمْ بالفلاح، والضربة الكبرى، وبيضِ الرؤى، ولو أوهاما

. . .

صاح عبد العزيز بالصَحبِ هَيّاً أتشاؤون أن نموت كراما
أو ننال الخلودَ والعزّ أبطالاً، ونستنقذ «الرياض» اقتحاما
سَنَحت لي غنيمة فهلمّوا أطيبُ الرزق ما يُنال اغتناما
نتخفّى فليس يدري بِمَسرانا، سوى الساهر الذي ما ناما
نَتحامى الأناسَ، أو حيث مَرَّ الناسُ مَرّاً، فأزعجوا الأنساما
نتحاشى إطلاقَ نارٍ على صيدٍ، فنغضي ونترك الآراما
نحن صحبُ الظلام، لا الشمس تُفشينا، ولا البدرُ، فاضحاً تمَاما

. . .

وتواروا فشاع في نجدَ انَّ القوم بادوا أو أصبحوا هُيّاما[2]
في هلال الصيام أدلج صُوّامٌ، ويومُ البؤسى يعادل عاما

---

١ العدم: بضم العين كالعدم بفتحها. ٢ الهيّام مفردها الهائم وهو الحائر الموسوس. غادر الأربعون واحة جبرين في طريقهم الى الرياض التي تبعد عن الواحة مسافة اربع مئة كيلومتر. وكان ذلك في غرة رمضان وتماوتوا ونكبوا عن كل طريق مسلوك ولقوا من الجوع والأهوال ما لا يوصف. فبلغوا ضواحي الرياض بعد مسير شهر كامل وهم من جراء الحرمان والتخفي على أشد ما يكون الضنك.

فِطرُ أهل اليسار كبش سمينٌ فعلامَ الفِطْرُ السعيد عَلاما
أَعلى تمرةٍ وقرص شعيرٍ أو ضُبيبٍ نيٍّ يكون إداما[1]
أين تشوونه، وتفضحكم نارٌ، وأنتم تبغون ستراً قتاما
كم عدلتم عن الطريق رحيباً كسليمٍ، جُربَ الرجال تحامى
أو ظميءٍ مُفلَّجِ الحلق مكروبٍ، عن الجدول النمير تعامى
تسلكون الشعابَ حيناً، وحيناً تقطعون الأرض البَراحَ الصَواما[2]
وتسيخ الأقدامُ في الدَعْص لهَّاباً حميماً فتكره الحَمّاما[3]
والزَمهريرُ في المساء يشلُّ الكفَّ حتى لتجهل الإبهاما
يُجمدُ البردُ في الأنامل شرياناً، فما تملك البَنان استلاما
فتراهُنَّ كالضرائر جاراتٍ، ويَأْبَينَ لحمةً وانضماما
شئتَ عبد العزيز رغم العذاب المُرِّ والضنك تلزم الإحراما
يا لك الله من تقيٍّ عجيبٍ راحَ يبغي فوق الصيام صياما[4]
ليس بدعاً أن تقتدي بإمامٍ صرَفَ العمر قانتاً قوّاما
نقل الصحب عنك غُرَّ السجايا مثلما الرسمُ يلهم الرَسّاما
هكذا سارَ كلُّ من شادَ دنيا دَعْ فراغَ الطبول والأوراما

. . .

وَنَما الشهر فالهلال، على الصحراء، يلقي من الضياء خياما

---

١ الضبيب : تصغير الضب . ٢ اذا اتسعت الأرض ولم يتخللها شجر فهي البراح والأرض الصوام هي اليابسة التي لا ماء فيها . ٣ الدعص هو كثيب الرمل . ٤ فوق الصيام صياما المقصود بالصيام الأول ما فرضه الجوع والثاني ما فرضه الدين .

فارفعِ الطرفَ يا سميرَ الدراري لا سمير الهوى، وإلف الندامى
كان هذا الوضاءُ مثلك مهزولاً، فعلّى وصار بدراً تماما
سَقفك الأزرقُ الرفيع، نسيج الله، فاجمع نجومه أكواما
سرِّحِ العينَ في مباهجه الغرّاء واغسلْ بصحوه الآلاما
وأصِخْ! إنَّ للكواكب إيقاعاً وجرساً ورونقاً وانسجاما
وتزوّدْ من الليالي الزواهي واستمع كيف تهمس الأنغاما
أنت في عزلةٍ وإنْ كنت مصحوباً، فدعْ رفقة الجهاد نياما
وحدة المرء في التأمّلِ أيّاماً تُملّي من عمره أعواما
طالما موّنَ التأمّلُ عزماً ومضاءً وألهمَ الأقلاما
فادّخِر من قرارة الليل عمقاً ومن الأزرق العريض ابتساما
إنَّ في مرقص الطبيعة أبكاراً فزحزِحْ عن حسنهن اللثاما

. . .

واشتكى رفقةُ الأمير من الضنك، وبثّ الشيطان فيهم سِماما[١]
ليس مثل السغابِ يهدم أرواحاً، فيضني من قبلها الأجساما[٢]
أَسِنَ الماء في السقاء، وجفّ التمرُ، واصفرّتِ الوجوه سقاما
وانبرى الشكُّ في النفوس يلاشيها فيوري إبليسها الهدّاما
آمنوا بالعقيد فاتّبعوه واتى الريبُ يُنطِق اللوّاما
ليس إلّا الإيمان يجترح السحر، ويُحيي بعد الجفاف الحطاما

١ السمام: مفردها السم . ٢ السغاب: الجوع .

انما المعجزاتُ تعقبُ إيماناً، كما تعقبُ الثمارُ الكماما

كانَ، بعد الإيمان، عيسى يعيد الميتَ حياً ويقلب الأجراما

وعميق الإيمان شقَّ لموسى البحر والصخر والعمود الغماما[1]

وأتى بالوليد إسحاقَ للذبحِ، مشيراً لذبحه «أبراما»[2]

والفراعينُ آمنوا بخلود وعلى الخلد ركّزوا الأهراما

آمنَ الفاتحون، رفقةُ كولمبٍ بكولُمْبِهِمْ فصاروا عظاما[3]

أنت «كولُمْبُسُ» القفار فجدّدْ يا ابن عبد الرحمن فيك اعتصاما

في مُحيّاكَ يقرأون فحاذِرْ أن يروا في سطورك الإحجاما

ليلة القدر، أن تعيد الى الغرقى رجاءً، وللظماء نساما

. . .

يا رفاقَ الجهاد صاحَ: أصيخوا وأجيبوا فقد سَئِمتُ الملاما

أولَستُم أعقابَ من طاولُوا النجمَ فشقُّوا بصدره أثلاما

هم عِلامُ الإقدام، ليس لهم خلفٌ، فما يعرفون إلّا الأماما[4]

لَفتَ الشرقَ بطشُهم، وطوى القُطبَ، فأعلَوا من فوقه الإسلاما

في مقام الفرار أبطأ من صخرٍ، وفي الكرِّ يسبقون النعاما

المنايا تفرُّ منهم، كأنَّ الموت، في وجههم، يسدُّ الرجاما[5]

أو يهابُ الجراحَ إذ كلُّ جرحٍ في صدور العراة يبدو وساما

---

١ عمود الغمام الذي رافق الإسرائيليين في صحراء التيه . ٢ أبرام هو في الأصل اسم ابراهيم الخليل.
٣ هو كريستوف كولمب مكتشف أميركا . ٤ العلام : مفردها علم وهو شيء ينصب فيهتدى به أو هو المنارة وهو المقصود هنا . ٥ الرجام : القبور .

يحقرون الدروع يوم «ضِرارٍ» عارياً صَدرُهُ يصدُّ السهاما[1]

وبذات «الرِقاعِ» حفنةُ أبطالٍ يلفُّونَ بالرقاع الكِلاما[2]

يطفئون الرمضاءَ بالعَرَقِ المصبوبِ، يجري على الرمال سجاما

ما تَشكَّوا من قِلّةٍ فالسرايا منهمُ تصدم الخميس العراما[3]

جذوة النار تأكل الغاب ألفافاً، وتأتي على الهشيم التهاما[4]

كلّ فردٍ منهم يقاس بجيشٍ حين يستلُّ سيفه الصرَّاما

وكذاك الدينار يعدل ألفاً من فلوسٍ اذا المساومُ ساما

يرجحُ الكيفُ بالموازين، ليس الكمُّ للمعدن النفيس قِواما

ولو أنَّ الجعلان كانت ألوفاً لا تبيد الغضنفرَ الهمهاما[5]

كان أجدادكم يرون بخفض العيش، واللين للهوى آثاما

ذلك العزم ثلَّ إيوان كسرى وهِرقلٍ وحَطَّمَ الأصناما

وسَّعوا رقعةَ الحجاز الى الهندِ، ومَدُّوا الى فَرنسا الشآما

الحفاة العراة، من هذه الآفاق، ألقوا الى الزمان لجاما

فكأنَّ الحفاءَ والجوعَ والحرمانَ كانت لعزمهم أرحاما

وتَحدَّوا ريبَ الزمان فداسوه ليوثاً، وألَّموا الآلاما

العوادي مَنابتُ الغُلُبِ الأبطال، كالغصن ينبت الأكاما

---

١ ضرار ابن الأزور وكان يقاتل عارياً . ٢ الكلام بكسر الكاف الجروح وذات الرقاع احدى غزوات النبي وكان اصحابه نفراً لا يملكون سوى بعير تنقبت أقدامهم وسقطت أظفارهم ولفوا على ارجلهم الرقاع . ٣ العرام : الجيش الكثير . ٤ الألفاف مفردهـا اللف وهو المكان المجتمع الشجر .
٥ الجعلان : الخنافس، والهمهام : الأسد.

إنما يسبق الربيعَ شتاءٌ فالزمهرير مطلعٌ للخزامى

انظروا هذه السماء، فجنح الليل أبدى نجومها والنظاما

ولَظَلّ النهار يخفي سَناها مثلما العيد يحجب الأيتاما

فأجابوا : لبَّيكَ لا تَجدنَّ الصحبَ في الجانب الخطير لئاما

سنخوض الدنيا حفاةً، إذا شئتَ، ونحتلُّ قطبها صُوَّاما

عيد الرياض

أَفِلَ الصومُ والهلالُ أضاءَ فأجدَّ المنى ومدَّ الرجاءَ

وَ « طُويقٌ » بَدا قريرَ الحواشي من عيون الرؤى يعبُّ السناء[1]

لبس العيدَ في الضحى عسجدياً وارتدى الليلَ حلَّةً زهراء

أيّها الصائمون إمّا حُرِمتمْ طُرَفَ العيد فاستحلُّوا البهاء

يمِّموا جبهةَ الشمال وجوزوا جبلاً يُنبت العرارَ سخاء

واعبروه خُرسَ الشِفاهِ، خفافَ الوطءِ، لا نبأةً ولا ضوضاء

في خشوع اليهودِ، يومَ أتى موسى، يقلُّ الألواحَ من سيناء

. . .

مثلما يهبط الغمامُ على التلِّ، وتستقبل القفارُ المساء

---

[1] طويق : اسم الجبل الذي يكتنف العارض ومنها الرياض . وقد وصل الأمير عبد العزيز ورجاله ليلة عيد الفطر الى مكان يدعى « أباجفان » . وساروا منه في اليوم التالي فوصلوا في ٤ شوّال الى حدود الرياض ونزلوا في الساعة الثالثة عربية « التاسعة ليلاً » في ضلع يبعد ساعتين عن العاصمة . وترك الامير هناك عشرين من رجاله كجيش احتياطي . « وهؤلاء العشرون كانوا قد انضموا اليه فضلاً عن الاربعين الرفاق الاصليين». وتقدم بالاربعين الآخرين وفيهم أخوه محمد وعبد الله بن جلوي . فلما وصل الى البساتين خارج السور أقام أخاه محمداً ومعه ثلاثون رجلاً هناك ومشى بالعشرة الباقين الى غرضه . ولكنه لم يتمكن من الدخول الى الحصن الخارجي، اي حصن السور، إلا من البيت المحاذي وهو لفلاح يتجر بالبقر . (ت . ن .)

في جوار « الرياض » حلّ أميرٌ ورفاقٌ توشّحوا الظلماء
ظلّ عشرون منهمُ في الضواحي حرساً، أو نواظراً رقباء
« قال عبد العزيز: إن لم اجئكم في غدٍ فاعلموا: لقيت القضاء »
وعزاءٌ للمجد مصرع نسرٍ مات قتلاً، ولم يمت إعياء
ومشى الأربعون للسورِ، مشي العاشقِ اللابسِ الخفاء رداء
يتوقّى العيونَ والنسمَ الواشي، فمن دربهِ يُزيح الهواء
لا سُعالٌ، ولو تكسّرَ في الصدرِ، وهدّ الشغافَ والأحناء
لا عطاسٌ، ولو تمزّقتِ الأوداجُ، أو شبّتِ العيونُ الصلاء

. . .

واصطفى عَشْرَةً، وبقّى على الباب ثلاثين، نجدةً خفراء
يستجيبون صوته حين يدعو ويلبّون للحمام نداء
عشرة سُبّقٌ فإمّا يزولوا فالثلاثون لن يروموا البقاء
عشرة أسندوا الى السور جذعَ النخلِ، يمشون للمنون ارتقاء[١]
أيّها الجذعُ كنت معراجَ خُلدٍ فمن الحيف أن تعود هباء
كان أولى بك البقاءُ، فلا تفنى أداةٌ تُبلّغُ العلياء
عجباً كيف لم تَئِنَّ من الوقرِ، فهل كنتَ صخرةً خرساء
جاز من فوقك الأسودُ، ولو مرّوا بطودٍ من الجبالِ لناء
تخذَ الدهرُ في جذورك مأواه فجمّعتَ قوةً غلباء

١ كان السور عالياً فعمد الرجال الى جذع نخلة فأسندوه الى السور وتسلقوا عليه .

زَيَّنَ اللهُ بالنجوم السماوات، وبالنخلِ رَصَّع الصحراء
وتَفَرَّدتَ سُلَّماً يعربياً للمعالي يُعبِّرُ العظماء
إنَّ عَبْرَ الصراط، لاحَ كحدِّ السيف، ضيقاً ورِقَّةً ومضاء
تحته لُجَّةُ الظلام، فلو مَسَّتْ ذُكاءَ لأصبحت سوداء
الأفاعي تنيرها بعيونٍ وجلودٍ تعرَّجتْ رقطاء
فاغراتٍ أشداقها، باعثاتِ النتن كالقبر، إذ يُفضُّ مساء
فَحُّها يصدع الغياهبَ حتى تتهاوى سدولها أشلاء
وتمنَّى الآذانُ لو أصبحت غُلفاً، وعادت صفائحاً صمَّاء
دون عبر السور، الذي خلفه المجهول، يوحي لعابريه الفناء

. . .

شيمة الدهر أنه حين يبغي في لياليه ليلة غرّاء
يؤثِر البائع الحياةَ لعزٍّ أو لِموتٍ، ويغفل الرصناء
وكذا الجهلُ يفضحُ العقلَ أحياناً، ويرمي بالذلَّة العقلاء
آيةُ الأسد أن تُمَجِّدَ هوجاً أو غضاباً وتُزدَرى ودعاء
لم تُحاذر تلك العصابةُ، إذ ترقى الى السور، ما تلاقي وراء
كلُّ شيء ينمُّ عنها، فإن تُفْضَحْ، فنهرٌ يُغالبُ الدأماء
سرُّها عالقٌ بنبحة كلبٍ أو بهرٍّ يُشَهِّرُ الغرباء
يا مصيراً يَغيرُه الكلب نبّاحاً، أو الهرُّ لو أراد مواء[1]

[1] غار يغير بمعنى غيّره وبدله . ولا يخفى ان هذه الساعة كانت من أرهب الساعات التي مرّت بالامير ورجاله وقد كانت أقل حركة تقطع الصمت منذرة بالفشل الذي لا فلاح بعده .

كنتَ أوهى من الدخان، إذا هَبَّتْ رياحٌ فَصارعَ النكباء

يا لها ساعةً تبدَّت ثوانيها قروناً، بالمدهشات مـلاء

في ثنايا الآناء مولد تأريخٍ يهزُّ الجزيرة العرباء

ألمُ الوضع في المخاض يساوي ألمَ النزع يسلب الحوباء

ساعةٌ من غَيابَةِ الدهر ذرّت كشهاب يمزّقُ الدهماء[1]

شهدت مثلها الفتوحُ ولكن لم ترَ مثل وهجها لألاء

لم تشاهد مثل الأمير بعدِ الأنملِ العَشر يبدهُ الأرزاء

يقصد الحصنَ حصنَ آلِ رشيدٍ والحماةَ الأشاوس البسلاء

سَيَّجوه بكلِّ قذّافِ نارٍ يسكب الموتَ ديمةً وطفاء

فإذا حاول الهواءُ عبوراً ما أجازَ البنادقَ السمراء

تتراءى من الكُوى، أو عُيونِ الموت، للطرف غابـةً شجراء

لا سبيلٌ اليه إلّا مقرُّ الجار، والجارُ يفضح الدخلاء[2]

أدمُوراً فَضجَّةً فعويلًا فصريخاً يؤلِّبُ الغوغاء[3]

أم دخولًا بحيلةٍ فيظلُّ الطرفُ يقظانَ واللُّها خرساء[4]

صاحبُ البيت كان تاجرَ أبقارٍ فمفتاحه : نريد الشراء

---

١ الغيابة : القعر . ٢ وهو باب الجار تاجر البقر المحاذي للحصن والذي لا سبيل الى الدخول بدونه ولما قرعه الامير أجابت من الداخل امرأة تقول من أنت ؟ فقال عبد العزيز : رجل من رجال الامير عجلان «أمير الحصن» وأريد من زوجك ان يشتري لنا بقراً صباح الغد . فقالت المرأة خسئت يا شبه الرجال ما جئت تبغي البقر يا فاجر، بل جئت تبغي الفساد . قال الامير : لا والله ليس هذا مأربي بل أبغي صاحب هذا البيت، فاذا لم يخرج اليّ الآن فإن الامير يقتله صباح الغد . فلما سمع الرجل التهديد قام يفتح الباب وكان عبد العزيز يعرفه من الهجوم الاول في السنة الماضية ويعرف حريمه، وفيهنّ من كنّ خادمات سابقاً في بيت آل سعود فلما خرج أمسكه بيده قائلًا اذا تكلمت قتلتك في الحال. ٣ دمَر دموراً : دخل البيت بدون اذن وهجم هجوم الشرّ . ٤ اللها : مفردها اللهاة وهي اللحمة المشرفة على أقصى الحلق .

طَرَق الباب حاذراً فأجابت رَبَّةُ الدار : مَن غريبٌ جاء
قـال عبد العزيز : أوْفَدَني «عجلانُ» قومي وحاذري الإبطاء
وهو يبغي الثيران، أسرعَ ما يُشرى فقالت : خَسِئتَ رُمْتَ الزناء
أبهذا الآنِ المُريبِ اتّجارٌ؟ رُحْ فما غرٌ خادعٌ حواء
فاجِرٌ أنت! «لا! وربِّي، أجاب الصوت، ما ابتغي بكم أسواء»
«فليقمْ زوجك النؤومُ، فإن يُحجمْ يَذُقْ من يد الأمير البلاء»
سَمِعَ الزوجُ لهجةَ المُوقَدِ الشاري فخافَ النَكال والبُرَحاء[1]
ذكرُ «عجلانَ» والذي خلف «عجـلانَ» رعودٌ تزعزع البيداء
وهْي أحرى بأن تُروّعَ فلّاحاً ضعيفاً، وتُذهـلَ الفقراء
طالمـا انهالَتِ السياط عليهم قاتماتٍ فَأُصدِرَت حنّاء
تتلوّى أذنابها كالأفاعي وتخـدُّ الجلود والأعضاء
وارداتٍ عُجفَ الظهور عطاشاً صادراتٍ من الدماء رِواء

. . .

فُتِحَ البابُ والرَجاءُ لوفدٍ لا اتّجاراً بغى ولا إثراء
كادَ ذاكَ الفلّاح يصرخ ذعراً وعلى الليل ينشر الضوضاء
أخذته كفُّ الأمير بإنذارٍ، فعادت لُهاتُـهُ شلّاء
كاد لولا التأمينُ يفقد وعياً حسبه الآن، يفقد الإيماء
وأطَلَّتْ حريمـه، وأطلَّ الليثُ، لا تاجراً ولا زنّاء

---

[1] البرحاء : الأذى والشرّ .

راعَهُنَّ الأصيلُ شبلُ سعودٍ ولقد كُنَّ للسعود إماء
عَمّنا صاحت النساء، وما يدرينَ هَلْكاً أَصبْنَهُ أم نجاء[1]
قال: لا خوفَ إن لَزِمْتُنَّ صمتاً ليس غير اللسان يردي النساء[2]
حجز الكلَّ في مكان حريزٍ مثلما يحجز الضنينُ الشاء[3]
وتعلّى على الجدار إلى بيتٍ حَريزٍ فأَمَّه واستضاء
وَلِجَ الدار، كالنمير إذا يجري بجذعٍ، فلا يضير اللحاء
فرأى نائمينِ تحت لحافٍ لم يكدِّرْ هبوطَه الإغفاء
رَزَم النائمينِ رزماً رفيقاً ثم أرخى بعد القفول الغطاء
حانَ أن يدعوَ الثلاثين، خلف السور، ذابوا تطلُّعاً والتظاء
الهنيهاتُ عندهم، بعضُ أجيال، ورَتْلٌ من القرون تراءى
إنّما الوقت، للمعذَّبِ، غير الوقت يمضي مباهجاً وصفاء
هو صِنوُ الضمير طولاً وقصراً وابتهاجاً، أو سحنةً دكناء
جاء يدعوهمُ الرسولُ فخفّوا هبطوا الدار واستباحوا الفِناء

• • •

١ في نجد والحجاز ينادي الخادم سيده عمي . ٢ قال عبد العزيز للنسوة : لا بأس عليكن اذا سكتنّ . قال هذا وقد أدخلهنّ الى غرفة وأقفل عليهن الباب . ٣ الشاء : مفردها الشاة . تسلق الامير الجدار الى البيت الآخر عند الحصن فاذا فيه شخصان نائمان على فراش واحد فلفهما بالفراش وحملهما الى غرفة صغيرة فأودعهما هناك وأقفل الباب. عندئذٍ اطمأن باله فأرسل يطلب أخاه محمداً والباقين فجاءوا دون ان يشعر بهم أحد واجتمعوا كلهم في ذلك المكان . وكان البيت الآخر الى جانب حصن الامير عجلان وفيه احدى نسائه . وهو يزورها تارة في الليل وطوراً في النهار . مشى عبد العزيز وعشرة من رجاله الى ذلك البيت فدخلوه وطافوا بغرفه فوجدوا في إحداها اثنين نائمين على فراش واحد ظنهما الامير عبد العزيز عجلان وامرأته . ودخل متسلّلاً ومعه رجل يحمل سراجاً وأيقظ الشخصين فاذا هما امرأة عجلان واختها واستوتا جالستين دون ان يعروهما شيء من الخوف . (ت . ن .)

لم يزل بينهم وبين رتاج الحصن بيتٌ حوى الجمالَ فضاء
زوجُ «عجلان» بَثَّتِ الأنس فيه وجهها الطلق نوَّرَ الأمساء
زوجُها كلما تصرَّم ليلٌ أو نهارٌ الى المليحة فاء
دَمقوه كما تنزَّلَ طلٌّ أو كما ينسخُ الضيا الأفياء[١]
وَجد اثنين في فراشٍ، ترى «عجلانَ»؟ أغفى يقارن الحسناء
لا! هما زوجُه وبنت أبيها فتجافى طرف الأمير حياء
شيمة الأكرمينَ، ما عنترَ العبسيُّ أوفى عن حُرمةٍ إغضاء[٢]
أيقظ المرأتين إيقاظَ أمٍّ جلَّ شهمٌ أن يفزع الضعفاء
القواريرُ! بالقوارير رفقاً هكذا الله عَلَّم الأنبياء[٣]
واستوت بالفراش، زوجُ أمير الحصن لا نذلةً ولا فتخاء[٤]
ولكانت معذورةً لو عراها نافضٌ يأخذُ الغصونَ شتاء
أو ذُبولُ الأوراقِ في هَيْج كانونَ، يهزُّ المطارفَ الصفراء
منظر الدامقِ الرهيب قمينٌ أن يُمشِّي بعظمها البُرَداء[٥]
مارداً لاحَ، والسراجُ يزيد الحجم قدراً فيكبر الأشياء
لم يَرُعها الوهمُ المجسِّمُ والليثُ المفاجي بليلةٍ ليلاء
أتُراها شُجاعَةً أم تراها كالحبارى غبيَّةً بلهاء
إنَّها الحرَّةُ اللبيبةُ راءتْ خلفَ هذا الطود المنيف إباء

---

١ دمق البيت: دخله بغير إذن. ٢ اشارة الى قول عنترة:

وأغضّ طرفي ما بدَت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها

٣ إشارة الى حديث مسند: رفقاً بالقوارير. ٤ فتخ: استرخت مفاصله وضعف ولان.
٥ البرداء: الحمى التي تصحبها قشعريرة البرد.

ترهب النعجةُ الذئابَ وهذا   أسدٌ يملأ المكانَ رُواء
ترهب الغادرين مُحصنةٌ فضلى، ولكن تعظّمُ الأقوياء
قرأتْ، في الجبين والمعطس الأقنى، سماتٍ تُعرّف الكبراء
لم يُدَنِّسْ هذا الغريبَ صَغارٌ   لم يقارفْ هذا الجبينُ رياء
جَلَّ عن وصمةِ المجونِ، فلم يُصرَعْ بخمرٍ، أو يصحَبِ الخلعاء

. . .

لَمَحَتْ خلفَ عتمةِ اللحظِ نفساً   شبهَ مثلوجةِ الرُبى بيضاء
ليس مثل النساء حدساً وإدراكاً، لما يقصد الذكورُ خفاء [1]
تدرك الخاطر المريبَ، ويستخفي على أرهف الرجال ذكاء
تحدس الحبَّ والحفيظة أدناهُنَّ علماً، أشدُّهن غباء
أودع اللهُ قلب حواء حساً   قد يضاهي في عمقه الإيحاء
أنت عبد العزيز: قالت يقيناً   فأعزَّت بذكره الأسماء [2]
«أنا عبد العزيز». قالت: «فما تبغي؟» وأرختْ جفونَها استحياء
قال: «أبغي عجلانَ. قولي متى يأتي من الحصن» كي يَزورَ الخباء

---

١ الحدس: الوجدان الذي يقابله في اللغة الفرنسية لفظة (Intuition).   ٢ عرفت زوجة عجلان الرجل فبادرته بالقول: انت عبد العزيز فأجابها نعم. فقالت من تبغي. فقال أبغي زوجك فقالت وهي تقسم بالله اني أحب ان تقتل كل من في البلد من شمَّر إلا زوجي. ولكني أخشى عليك منهم أخشى ان يقتلوك يا عبد العزيز. فقال الامير، ما سألناك عن هذا الامر انما نريد أن نعرف متى يخرج عجلان من الحصن الداخلي. فأجابت لا يخرج إلا بعد طلوع الشمس بساعة. قال هذا كل ما نبغيه منكن ولا بأس عليكن. ثم ساق النساء جميعاً وحبسهن في غرفة واحدة. واجتمع الرجال كلهم في بيت عجلان.

(ت . ن .)

أشفقت مهجة الوفيّةِ أن تُمنى بمـا يُفقدُ الحصانَ العزاء[١]
إنّما الزوج هامة المرأة الفضلى، فإمّا قضى غَدَتْ بتراء

. . .

وأَحسَّتْ بمثل مبضع جرّاحٍ، يحزُّ الأوصال والأحشاء
غيّضَ الزعفران نضرة خدّيها، وغضَّ الشُفيهةَ اللمياء[٢]
قالتِ «اذْبَحْ ولا تدع شَمَّرِياً غيرَه في الرياض يلقى الضياء»
بيدَ انّي أخشى عليك «الدواهي» قسماً بالـذي أَنارَ السماء
وحرامٌ على الشجاعة أن تَعمى فتودي فَتوحِش الأَحياء
جمعت في مقالها رقّةَ الراجي، ونصحَ النَصوحِ والإغراء
شاعَ في صوتها خشوعُ مريضٍ راكعاً يسأل السماء الشفاء
«ما لنصح جئتُ الرياض وجاوزتُ الفيافي والنجدَ والأَوداء»
«أصدقيني متى من الحصن يبدو» وَدَعي للمُغـامِرِ الآراء
شعرةٌ لا تزول إلّا بإذن الله، فالكون كلُّهُ أن يَشاء
«ساعةً بعد طلعة الشمس» قالت يترك الحصنَ خلفَه وذُكاء

. . .

عُزِلت نسوةٌ وأوصِد بابٌ وغدا البيت للرجال وقاء

---

١ الحصان : المرأة العفيفة . ٢ الشفيهة : تصغير شفة . واللمياء : السمراء .

أكلوا أكلةَ المُقلِّ وناموا   نَومةَ الفُلكِ صارع الأنواء[1]

يلمسون السلاح لمس شقيقٍ   خبروه فلم يكذّبِ إخاء

دغدغت سبَّةٌ زناداً فبَثّتْ   في خلايا فولاذها الإحماء[2]

ولعلَّ الحديـد بَرّدَهُ الليل،   فردّت لقلبه الإدفاء

الرماةُ الألى اذا مرَّ صقرٌ   صيَّروه في الجوِّ لحماً شواء

قلَّما يحذقون كَتْباً ولكن   برصاصٍ ينقّطون الثـاء[3]

لا يغضّـونَ للرماية طرفاً   عوَّدوا النار أن تصيب السواء[4]

فكأنَّ الرصاص أصبح، عفواً   حين يبغون، يقصد الأعداء

فإذا سدَّدوا السلاح لخصمٍ   فهو أمرٌ للموت يمشي استواء

وأقاموا الصلاةَ سُورة يس،   وصبُّوا على الجسوم الوضاء[5]

فإذا يلتقون في الغدِ ربّاً   فطهـارى وخُلّصاً أنقياء

• • •

١ بعد حبس النساء في غرفة واحدة، اجتمع رجال الامير عند الساعة الثامنة عربية « الثانية بعد نصف الليل » في بيت عجلان . فاستراحوا وأكلوا التمر وشربوا القهوة وناموا قليلاً . ثم شرعوا عند انبثاق الفجر يدبرون طريقة للهجوم على الحصن الداخلي . وبعد قليل فتح ذاك الحصن فأخرج بعض العبيد الخيل الى الشمس. فلما رأى عبد العزيز البوابة مفتوحة خرج عادياً فتبعه من رجاله خمسة عشر فقط . واتفق ان عجلان كان قد خرج من الحصن عند هجومه عليه وهو قادم الى بيته . فلما رآهم عراه الدهش والرعب فنكص ورجاله على أعقابهم وهم يبغون الرجوع . ولكن البوّابة إلا الخوخة « الباب الصغير فيها » كانت قد أقفلت وبينا كان ورجاله يدخلون من ذاك البويب، أطلق عبد العزيز البندقية عليه فأصابه ولم يقتله . ثم أدركه وقد صار نصفه داخل البوابة فأمسكه برجله وسحبه الى الخارج فتصارع الإثنان حيناً . (ت . ن .)

٢ السبّة : هي الإصبع التي بين الإبهام والوسطى وزناد البندقية او المسدس مفردها زند هي الحديدة التي يضغط عليها بالسبابة، في اصطلاح المحدثين . ٣ من الرماة من يستطيع كتابة اسمه بالرصاص ويروى ان السلطان عبد الحميد كان لكثرة تمرسه بالمسدس يستطيع ذلك . ٤ سواء الشيء منتصفه . ٥ الوضاء: مفردها الوضوء .

طلع الفجر مبطئاً يتهادى كعروسٍ تحصي الخطى إحصاء
قَصَرَ الخطوَ هيبةُ الليلة الأولى، وما يعقب الهوى واللقاء
فهي في مُستهلِّ يوم تَمَنَّتهُ، وظلَّتْ من أجله عذراء
وَتَمَنَّتْ على الجمال يؤاتيها، ومدَّتْ حِبالَها إغواء
واستعارت من المفاتِن ما مِنْ أجله يكره الكفيفُ العماء
نذرت للجمال صوماً، وحرماناً مديداً يعيدها هيفاء
عرسُها كان حُلمها، منذ هاجَ السحرُ قلباً ومقلةً دعجاء
مثلها الفجر في «الرياض»، بذاك اليوم، أبدى تدلُّلاً وانثناء

...

وأشعَّتْ شمسٌ، وَشعَّ رِتاجُ الحصن أبهى من وهجها وُضَاء
فَتَحَ الموتَ والحياة لمن يهوى، وَلَزَّ الغطمطمُ الرمضاء[1]
ما وُثوبُ الرئبال من قفصٍ ضنكٍ الى ظِلِّ مرجة فيحاء
سَرَحَتْ في ربيعها النعَمُ الحُمرُ، وقد سالَ ريقُه إطواء
مثلَ عبد العزيز كرَّ على الحصن، ولا مثل عَدْوهِ عَدَّاء[2]
وتلاه الرجالُ، خمسةُ عَشرٍ للمنايا يُسابقون اللواء
هالَ «عجلانَ» مقبلاً، يعرض الخيل، أسودُ الشرى تهبّ افتجاء[3]
فانثنى راجعاً وأُقفِلَ بابُ الحصنِ، إلّا عن «خوخةٍ» فجواء

---

١ الغطمطم: البحر. لزّ: لاصق. ٢ عدّاء: مشّاء. ٣ فجاء افتجاء الرجل: هجم عليه أو طرقه بغتة.

قبلما جازها أتاه رصاصٌ من يدٍ تغلبيَّةٍ أدماء
تسكب الجود في القتال رصاصاً وهي في السلم تسكب الأنداء
لم يضره جرحُ الأمير، فندَّ الصيدُ، وأنهالتِ الكُوى حمراء[1]
مرسلاتٍ على المهاجم وَبْلًا قبل شَيِّ الصدور يشوي الجواء
يأخذ الخاسرينَ أخذَ ضرامٍ يستبيح السنابلَ الحصداء
يسترُ الدافعينَ جُدرانُ حصنٍ وبروجٌ تخيَّلتْ شمَّاء
ودروع المغامرين صدورٌ نصفها كان عورةً أو عراء[2]
هي لولا حميَّةٌ وازدراءٌ بالعوادي كانت قفاراً خلاء
لا دروعٌ سوى نفوسٍ كبارٍ لبست بُرْدَةَ المنون كساء
وإذا المجد رامَ عرساً فريداً فمن الأسْدِ ينخب الشهداء
رقصةٌ لحنُها البنادق أزَّت فتراءت معازفاً وغناء[3]
يسمع الفِسلُ قصفةَ النار نَعياً ويراها الليث الهمام حداء[4]
ينتشي من دَوِيِّها كانتشاء الشَّبِّ، في العرس عاقرَ الصهباء
يستبيه الهوى فيسقي ويُسقى أرجوانيَّةً ويحسو الدماء
لا انتصارٌ ما لم يجاوِرْهُ موتٌ ونجيعٌ يُخضِّبُ الحصباء
انما الأجرُ للمشقَّةِ، والأخطارُ كانت للغُلَّب استهواء
يستمدُّون للجسوم ارتياضاً وصقالاً، وللقلوب غذاء
النفوس العُلى بدون صراعٍ تجد العيشَ رحلةً قفراء

---

١ الكوى الحمراء: هي المنافذ التي تفتح في الحصون لتصوب منها البنادق. ٢ العورة: هي موضع الخلل يخشى أن يصاب. ٣ المعازف: آلات الطرب. ٤ الفسل: الجبان.

شبه قلبِ الحسناء، مرَّ بلا حُبّ، فجاز الحياةَ أرضاً عفاء

وُلِدَ الليث للعراك، فإنْ يهجعْ أحسَّ البلى، أحسَّ الخواء

ويساوي الموتُ البطيءُ، على ذُلٍّ، حياةً خليَّةً جوفاء

. . .

صمدَ الأربعون صمدَ جدارٍ حلَّتِ الريحُ بعضَه أجزاء[1]

ستّة في الصعيد قتلى وجرحى وسواهم تمايلوا إعياء

تَعِبَ اليمُّ بعد ما لاطمَ الصَلْدَ، وحَنَّتْ حُمرُ الصخورِ الماء[2]

شخَصت عصبة الأمير اليه أوداعاً رامت أم استفتاء

أم يلوذون بالمؤمَّلِ، بعد الله، يبغون في ذراه احتماء

وهوَ أدنى الى الرزيئة منهم فالمنايا تستهدف الرؤساء

فطرة في النفوس، يأخذها اليأسُ، فتأتي الموائلَ الزعماء[3]

وحده يحسب الزعيم خميساً وجهه يكسب الشِفار مضاء

فكأنَّ الجنودَ أسلاكُ برقٍ يفعمُ الرأسُ متنَها كهرباء

إنَّ للحرب، مثلما لسواها عند أرباب فنِّها كيمياء

---

١ انهالت النيران من كوى الأبراج المشرفة على السوق على رجال ابن سعود فجرح منهم أربعة وقتل اثنان . وقد تراجع الهاجمون إلا عبد الله بن جلوي فكان أول من دخلوا الحصن . وراح يعدو خلف عجلان الذي كان قد تفلّت من عبد العزيز فرماه بالرصاص فخرّ لوجهه قتيلاً . نادى عبد العزيز رجاله واستفزّهم فاقتفوا أثر عبد الله. هجموا على الحصن هجمة واحدة فصاحوا بمن فيه وفتكوا بهم، إلا عشرين رجلاً كانوا قد تحصنوا في جهة منه . ولكن عبد العزيز أمّنهم على حياتهم فسلّموا . وبعد سقوط الحصن في الخامس من شوّال سنة ١٣١٩ الموافق ١٥ يناير سنة ١٩٠١ تم الاستيلاء على الرياض . (ت . ن .)

٢ اي جعلت الماء حمراء بلون الحنّاء والحناء هي الخضاب المعروف .

٣ الموائل : مفردها الموئل وهو الملجأ .

إذ تُحيلُ الجرح العميقَ وساماً   وتحيل الموتَ الذريعَ افتداء
قُوَّة الروح تورث الجسم حَيْلًا   بعد ما فالَ عزمُـه استرخاء[1]
ولقد تبدع الأعاجيبَ نفسٌ   جسمها عاد رِمَّةً أو داء
وأجلُّ الفُؤَّاد من حَذَقَ العدوى ، فأعـدى قلب الجبان ثراء
وأشاعَ الإخـلاص في القول فصَّالا ، وفي الخلق نفسَه السمحاء
إيه عبدَ العزيز والوقت هولٌ   ظَفَراً ، أم هزيـمةً شنعاء
لن ترى مثلها هنيهاتِ روعٍ   لَمْلَمتْ في غُضونها الآناء
شَخَصَ الدهر نحو عينيك فأزأرْ   وأثِرْ من رمادها الهيجاء
فلتكن مهجة الرجال وقوداً   لا نجيعاً يولي الجمارَ انطفاء
ها هو المجد عند رجليك جاثٍ   كاد يلوي جبينَه استِجْداء

. . .

زأرَ الليثُ زأرةً هزَّت الحصن ، وهاجتْ رفاقه القدماء
أدركوها ، مقالةَ الموتِ فصحى   ببيـانٍ يُروّع الفصحاء
لغة تفهم الليوثُ معانيها ، ويُعيي بيانُهـا القُرَّاء
فكأنَّ الأمير قال هلمُّوا   ولْنمُتْ ، عُصبةَ العلى ، شرفاء
قد نشرنا بُرْدَ الصبوةِ حيناً   فَلْيُكَفَّن شبابَنا رفقاء
شيمةُ الشمس أن تسيرَ الى الغرب ، فما يعرف الضياء انـكفاء
يعلمُ النورُ أنَّـه لزوالٍ   ثم يفني سَنـاءَه إزراء

---

[1] فال : ضعف .

مَن يُصَبْ مدبراً الى النار أهوى وإلى «مالكٍ» بذُلٍّ باء[1]
مُضمَرَ الشتم والهجاء، على الدهر، إذا شاعرٌ أراد هجاء
إن نَمُتْ مقبلين نَطهرْ بنيرانٍ تشقُّ الضلوع والأصلاء[2]
مثلما الرندُ، إن يُقصَّ، يَفُحْ طيباً زكيًّا يُعطِّرُ الأرجاء
دَمُنا السمح يستفيضُ أريجاً والى العرش يرفع الأشذاء

. . .

وَمشى. والرجالُ خَفَّتْ الى الحصن وقد زادَها الدويُّ انتشاء
دونك الليثُ هِمّةً يا ابن «جَلْوي» ولـك الله طائراً مَشّاء
زلزل الحصنُ حين أرديت «عجلانَ» وردَّت سقوفُه الأصداء
من سعودٍ دمٌ بصدرك يغلي حسبك الخلدُ رتبةً وانتماء
يا لكم عصبة الأمير صناديدَ صِحاباً يقدّسون الوفاء
إذ تكرّونَ للرصاص رَمايا وعلى النار ترتمون ارتقاء
لم تكن غير ساعةٍ وَفتحتمْ معقلاً كان يحضن الكبرياء
يَتحدّى حُماتـه الفيلقَ المجرَ وريبَ الزمان والأنواء
فصدمتم تلك البروج حُفاةً وكسرتم في عزّها الخيلاء
وتَردّى حُماتها فاستجاروا فأجرتم بقيّـةً أسراء
قيل بُعداً للظالمين ونودي والملاوات أرهفت إصغاء[3]

---

١ مالك: خازن النار. ٢ الأصلاء مفردها الصلا وهو وسط الظهر. ٣ الملاوات: مفردها ملاوة وهي البرهة من الدهر.

حين نودي : ألله أكبر ، إنّ الله وَلّى « رياضه » الأمراء
عادَ عرشُ الأجداد لابن سعودٍ فهناءٌ أهلَ الرياض هناء
فأجابوا آمينَ ، والنخلُ حيّاه ، ودلّى الذوائبَ الخضراء
قد أظلّ الصبيّ طفلاً لعوباً فليسلّمْ على الأمير انحناء
غرسُ أجداده ، رفيقُ مآتيهم سخاءً ونضرةً واعتلاء
مُدَّ يا نخلُ في الصعيد جذوراً فرحاتٍ ورقّص الغبراء
مُدَّ هذي الجذور شرقاً شمالا وتخيّلْ وظلِّل « الدهناء »
طُلَّها بالندى فعمّا قليلٍ ستَرُشُّ « القصيمَ » والأحساء
أيها النخلُ عيدُكَ اليوم فانشُرْ أرَجَ العيد وانفحِ الأجواء
وُلِدَ اليوم للأمير غلامٌ فعلى الطير قطّرِ الحلواء
إنّ هذي العنادلَ اللُسنَ وافتْ من « كويتٍ » سواجعاً بُشراء
بسعودٍ تبشّرُ الأُفقَ الزاهي ، وتروي القصيدة العصماء[1]
إن يفتْها من القصيد القوافي فلقد بذَّ جرسُها الشعراء
حالفتْهمْ على سرورٍ وبثٍّ خالفتْهمْ عبارةً وأداء
هم رواةُ الوحي البديع كلاماً وهي ترويه رقصةً وغناء
فكأنّ « الرياضَ » في عريِ كانونَ تجلّت حديقةً غنّاء[2]
وكأنّ السواجع اللُسنَ مسّتْ كلَّ قلبٍ بنغمةٍ عذراء
قرأت في جبينه السعد وضّاحاً ، فخفّتْ تهنّئ السعداء

---

١ وافق احتلال الرياض مولد صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز في الكويت . ٢ وقع الاحتلال في ١٥ كانون الثاني سنة ١٩٠٢ .

إيه عبدَ الرحمن هـذا حفيدٌ كأبيـه، فاهنأ بنجمٍ أضاء
بدَّلَ اللهُ غمرةَ البؤس فانعَمْ موكبُ الحظّ مع سعودٍ جاء
عتماتُ الليل الضرير تولَّتْ واستحالت أَسدافُها أَضواء
حانَ أَن تترك «الكويتَ» الى العزِّ، فقصر الرياض ملَّ الجفاء

...

وأتاها ابنُ فيصلٍ بعد عَشرٍ غربةٌ أسبغت عليه الشقاء
فقضاها عشراً وبعض شهور عيشة علقميَّـةً عجفاء[1]
طوَّحتك الهوجُ الرياحُ شِراعاً فَعُدِ اليوم وادخلِ الميناء
أدخلِ اليوم بابَ مجدك وانزلْ جوسقاً ضمَّ أهلكَ النبلاء
ذلك البابُ رحتَ منه طريداً تتهاوى بليلـةٍ دهماء
لم تُصِبْ من تُراثك الضخم إلّا بعض زادٍ وناقـةً جرباء
وتلفَّتَ للوفاء فلم تَلْقَ، عـلى كثرة الورى، أوفياء
قُصَّرٌ حولكَ العيالُ، وفي الرحْـلِ غلامٌ يكاد يقضي عياء
إنَّ ذاكَ الصبيَّ ردَّ لك الملكَ، فعجِّـلْ وعانقِ الجوزاء
تخطر الأَرض خلف موكبك الفخمِ كبغدان تلتقي الخلفاء
بابنك البدْرِ صفحةُ العُرْب شعَّت وتعالت سطورُهـا خُيلاء
مَن «أخيلٌ» حيالَهُ، مَن «أذيسٌ»؟ ما الأساطيرُ غيرَ وَهْمٍ تناءى[2]

---

١ قضى الامير عبد الرحمن حوالي احدى عشرة سنة منفياً عن عرش آبائـه واجداده وقد عانى من المشقات في خلالها ما عرفه القارىء في الفصول السابقة . ٢ أخيل : أعظم أبطال الالياذة وأذيس او ايليس بطل اشتهر بالدهاء وعليه ادار هوميروس ملحمة الأوديسه .

زَخْرَفَتْهُ يدُ الخيالِ ورَقَّتْهُ ، فجاز الحقيقة استعلاء

وعجيبٌ أن يشغلَ الكونَ وَهْمٌ هَلَّ وحياً بمقلةٍ عمياء [١]

أبلَغتْهُ السماكَ ريشةُ مكفوفٍ عديمٍ فصَغَّر البصراء

فأدارَ الحروبَ من حولِ أنثى لوَّثَتْ صفحةَ «الأتيك» بغاء [٢]

الأساطيرُ دون نجلك بُعداً وعُلُوّاً وروعةً وامتلاء

هو يَمٌّ رحبُ الشطوط عميقٌ هُنَّ من قطرةٍ ملأْنَ الإناء

. . .

يا لها ساعة اللقاء هنيهاتٍ تحولُ الأفراحُ فيها بُكاء

إذ تضمُّ الأُبوَّةُ الطلقةُ السمحاء نجلًا يُشرِّفُ الأبناء

أدمعٌ أوجزتْ مشيباً رحيماً وشباباً بَرّاً ، ومجداً فاء

قال : أنت الأميرُ ، وابنك جنديٌّ ، فَمُرني أَطِعْ ، كفى أن تشاء

لا ! أجاب الأبُ الرحيمُ وحسبي أن أرى فوزكَ العظيمَ جزاء [٣]

قد نسينا الأمسَ المُثقَّلَ همّاً وغفرنا ذنوبَ دهرٍ أساء

---

١ المقلة العمياء : اشارة الى هوميروس، وكان أعمى . ٢ الأنثى هيلانة التي تركت زوجها والتحقت بعشيقها باري ابن ملك طروادة . والأتيك : منطقة في بلاد اليونان أطلق اسمها على بلاد اليونان كلها .

٣ خرج الامير عبد العزيز ورجاله فساروا مسافة ثلاثة ايام ليستقبلوا الإمام الذي عاد الى الرياض عودة الظافر . ثم حدث خلاف بين الاب والابن نادر المثال . فقد أرسل عبد العزيز من القصر الى الوالد في بيته يقول : الإمارة لكم وانا جندي في خدمتكم فجمع الوالد العلماء وأعلمهم بالأمر، ثم أرسل الى ابنه يقول : اذا كان قصدك في استدعائي الى الرياض ان أتولى الإمارة فهذا غير ممكن، ولا اقبله مطلقاً، ولا أقيم في المدينة اذا ألححت به، تدخّل العلماء في الأمر فقالوا لعبد العزيز على الابن ان يطيع أباه، وقالوا لعبد الرحمن أنت كوالد عبد العزيز رئيس عليه وبالتالي على أهل نجد . فقال عبد الرحمن : ولكن الامارة له . فقال عبد العزيز : اني قابلها بشرط أن يكون والدي مشرفاً على أعمالي دائماً فيرشدني الى ما فيه خير البلاد، ويردعي عما يراه مضرّاً في مصالحها . وكذلك تمت البيعة لعبد العزيز . (ت . ن .)

بَلغا في العلوّ ما يُحسرُ الطرفَ ، ويوهي البصائر الرمداء
أدركَ النجلُ ، أنّ بعدَ سَماء الله ، للوالد الجليل سماء
أنه فرعه فهما تسامى فإلى أصله يعود انتهاء
أنَّ مجد الأبناء مجدٌ مشوبٌ حين يُقصي بهاؤهُ الآباء
ليس أسمى من البُنُوَّةِ إذ تبغي ، بجنب الأَب الشفيق امِّحاء
يا لها من وداعةٍ بَذَّتِ البدرين شأواً ، والقبَّةَ الزرقاء
كان يدري فَضلَ الأَبينَ أبو «تركي» ، وبرَّ الأبناء والإيفاء[1]
يدركُ المرءُ غيرَه حين يخلو بِحجاهُ تأمُّلًا وانطواء
يقرأ الكون واضحاً في مراياه ، فطوبى لمن أجاد الجلاء
فنفى عن صقالها كلَّ عيبٍ وأزالَ الشوائبَ الكدراء

...

ورأى الوالدُ الأميرُ سُمُوَّ النجل فازدادَ في الحنان غلاء[2]
كيف يرضى إمارةً شادها الشبلُ ، ولاقى من أجلها اللأواء
سلَّها من مخالب الليث أشلاءً ، فسوَّى دعامَها والبناء
مثل هذا النجل الفريد قمينٌ أن يُولَّى النجود والبطحاء
ويُولَّى جزيرةَ العُربِ ، من بيداء سينا الى ذرى صنعاء
ومن الخير أن يُحجَّبَ بَدرٌ حينما الشمسُ تعتلي شقراء

---

١ الأبين : مفردها أب، والمقصود ان الابن يدرك على الاخص منزلة أبيه عندما يتزوج ويصبح أباً . وتركي هو بكر الامير عبد العزيز وقد توفي رحمه الله سنة ١٣٣٧ هـ . ٢ غلاء : غلواً .

غبطةُ الوالدِ الكريم بَنوهُ إنْ يكونوا لذكره أكفاء
يتوارى ليظهروا، ويحبُّ العيش، من أجل من يحبُّ، اختفاء
مثل عبد العزيز سيفٌ رهيفٌ كيف يلقي على سَناه الغِشاء

. . .

وأتى يحسمُ الجدالَ شيوخٌ حذقوا في المجالس الإفتاء
حملوه الى الإمارة حملًا فأهلّت زُهرُ النجوم احتفاء
عاش عبد العزيز! فانطلقَ البشرُ وأدّى المؤذّنُ الأنباء
فرِحَ الشيخ في «الكويت» وأبدى للمجلّي فوق الوَلاء ولاء
ذكَر الزاد والنياقَ، كأنّ النوقَ أبلَت فأحسنت إبلاء
حسبَ العِيرَ وحدها رأس مال وانتصارَ المغامرين رباء[1]
حُبُّ عثمانَ نكأةٌ لعليٍّ ربَّ حُبٍّ تقمّصَ البغضاء
آية الشيخ أنه في التلوّي والتثنّي يسابق الحرباء

. . .

وإذا الناس في «الرياض» نَشاوى بعدَ جَورٍ تنفّسوا الصعداء
عاد بَهْجُ الربيع بعد عُبوسٍ وانبرى الزهرُ ينسخُ الإشتاء
كل ما في الرياض، في عيدها الأسنى، تبدّى سروره فأضاء

---

١ العير : القافلة من الجمال وغيرها .

الخرج والقصيم

لم يبدِّل زَهوَ الرشيد انكسارُ وَدَويٌّ تداوَلَتْـه القفارُ
لم يكن قلبه كبيراً ولكن مَدَّه في عُتُوِّه استكبار
وكمِ العُجْبُ أنبت الريشَ للناس، فبارَوْا ذات الجناح وطاروا
رَفعتهم هُوجُ الرياح، الى الجوِّ، فتاهُوا وزاغتِ الأبصار
ذروة المجد قِمَّةٌ تنبت العزَّةُ فيهـا، وتنبت الأخطار
يعتريها، بعد الغرور، ضبابُ الوهم حتى لا يصدق المنظار
كم عقابٍ مُعطَّلَ الحيلِ أهوى وعظيمٍ أتى عليـه الدوار
مَـلأَ الزهوُ كُلَّه فسواهُ عدمٌ، في اغتراره، أو غبار
من يُحسِّ الكمال والملءَ يَنفِ اللهَ، ما بعـدُ للإله افتقار
كلُّ عصر يُبلى بنمروده الطاغي، وما غير ربِّكَ الجبَّار

. . .

تِهْتَ يا ابنَ الرشيد إذ قُلتَ: هذي أرنبٌ أُحْجَرتْ فأين الفرار[1]

أزْدِراءً بفاتحٍ؟ فَجأَ الحصنَ، فَريعت لبطشه الأَحجار

أرنبٌ قلت! وهو فوق العَفَرنى ذلك الفارس الفتى الزأّار[2]

لَتروعَنَّك النيوبُ حِداداً ولَتفري دُروعَك الأَظفار

إنَّما الكبرياء نشوةُ مغرورٍ، فسكرٌ، فزَلَّةٌ فانحدار

فعلها، في النفوس، أشأم من بحران حُمَّى، أو ما يثير الخُمار[3]

...

لِمَ يا ابن الرشيد أحجَمتَ عن جُحرٍ؟ وما راعَ مثلك الأَجحار

كنت بالأمس تقنص الأُسْدَ مقداماً، وتعنو لذكرك الأَخدار

فلماذا تستنجد التُركَ حتى يُدركَ الثأرُ، أو يُزاح العار

«يلدزٌ» وَدَّ لو اتيت «كويتاً» فهناكَ المرام والإِثآر[4]

هَمُّهُ الثغرُ «فالصباحيُّ»، حولَ اللؤلؤ الرطب، لولبٌ دوَّار

يا لَسعدِ «المُباركِ» النعتِ يحميه، من البرِّ، خصمك القهَّار

ومن البحر «لندنٌ» ولَديها المال، والمكر، والحجى، والبُخار

---

١ سمع ابن الرشيد خبر احتلال الرياض غير مكترث به وضرب له الأمثال فقال: «أرنبة محجرة وأهلها مقيمون» اي انه يستطيع أي يوم شاء ان يخرج ابن سعود من الرياض. لذلـك لم يتزحزح من الحفر فأقام هناك أربعة اشهر يفاوض الترك في بغداد وهو يعلل النفس باحتلال الكويت. (ت. ن.)

٢ العفرنى: الأسد. ٣ الخمار: الصداع من الخمر. ٤ الشيخ مبارك والى الانكليز فعاهدوه على حماية بلاده، فاستحق نقمة الدولة العثمانية، ولكن تركيا كانت عاجزة عن إظهار تلك النقمة في مظهر من القوة يليق بعظمتها. فاكتفت بموالاة ابن الرشيد ومفاوضته في محاربـة مبارك. الشيخ مبارك المسعد! حماه الانكليز من البحر وابن سعود من البر. (ت. ن.)

خصمكَ الليثُ غادَرَ الخدر للفتح، فلا أرنبٌ ولا أوجار

الصناديدُ، نخبة «العارض» الفرد، على «الخرج» و«الحريق» أغاروا

فاستَردُّوا «الأَفلاج»، وانحازَ للبَنْدِ الُمرَجَّى الدَواسِرُ الأَنمار[1]

وأَذلُّوا «قحطانَ» بعد قتالٍ أوفرَ الحظ فيه كان الإِسار

...

يَئِسَ ابنُ الرشيد من غوث تركيًا، وَهالتهُ أرنبٌ مِحضار[2]

أَوَ هذي أَرانبٌ أم ظباءٌ أم خُيولٌ سَلاهبٌ أم عِشار[3]

لا يصير الشهمُ العظيم صغيراً إن يجئهُ من خصمه استصغار

تمحق النارُ كلَّ دوح مَريدٍ وهي في أَوَّل الضرام شرار

...

«حايلٌ»! أين «حايلٌ» و«سُديرٌ» و«قصيمٌ» و«شمَّرٌ» والديار

عاد مُستنفراً يعبِّئُ جيشاً لم يَصُدِّ الخصمَ الكبيرَ احتقار

فأتتـه الأعوان كالمطر الهامي، فأمسى وجيشه جَرّار

---

١ مشى عبد العزيز الى غرضه فاستولى على الخرج والحوطة والحريق والأفلاج والدواسر. ثم أغـار على قحطان في حلبان فأخذهم. ولكنه مرض وهو على ماء الحسى شمالي الرياض. ثم خرج أخوه محمد غازياً لفخذ من عتيبة يرئسهم ابن ربيعان وهم في مكان قرب الشعرى. أمـا ابن الرشيد فلما يئس من مفاوضات الترك وبان له من أمر «الارنب المحجرة» ما لم يكن ليخطر في باله أمر بشد الرحال عائداً الى حايـل فعبأ جيشاً جديداً من شمّر والقصيم وسدير والوشم وزحف به في ربيع الاول من عام ١٣٢٠ هـ ١٩٠٢ م. قاصداً الرياض. (ت. ن.)

٢ محضار: مسرعة في عدوها. ٣ العشار: مفردها العشراء وهي الناقة التي مرّ لحملهـا عشرة أشهر أو ثمانية والمقصود بهذا البيت تعاظم الحجم من الأرنب الى العشار.

ومشى يقصد «الرياض» وكانت قلعةً دون سورها أسوار
المنايا في بُرجها تُحرِمُ الجوَّ[1] فما إنْ تمرُّ فيه النِسار
حَدَبَاتُ السيوف حول ضواحيها، وتيَّاهُ نخلها زُنَّار
سطعت كالجمان في جلوة الشمس، وقد فوَّفَ البريقَ اخضرار
حلوةٌ هذه العروس ولكن دونها السيف حارساً والنار
ركدت همَّةٌ ومالَ عنانٌ فعلى طالب العروس انتظار
فلعلَّ الأتراكَ تصدق وعداً أو توآتي رياحه الأقدار
وأطال المكوث في «المحمَل» الداني، وفجّاً ظلَّ الجنى والثمار[2]
كلّما ازداد للقطوف ارتقاباً أمعنت في سُموقها الأشجار
فَلْيُحاوِلْ حجب المؤونة عنها فتجفَّ الرياض والأزهار
قطْعُ درب «الكويت» أو سُبُلِ «الأحساء»، فليهزم السعودَ الحصار

. . .

ودري نيَّةَ الرشيد أميرٌ ساهرٌ لا تُريغه السِّمَّا[3]
فرأى أن يعجِّلَ الحرب كيلا يفعل الجوعُ ما أبى البتَّار
إنَّ شأنَ الرغيفِ، من بعد شأن الله، أولى ما تعلق الأفكار

---

١ تحرم الجوّ: تجعله حَرماً . ٢ نزل ابن الرشيد في رغية من بلـــدان المحمل وقصد محاصرة الرياض ولكنه بعد محاولات عديدة عجز عن ذلك فأقام شهرين في رغيـة واسبوعين في الحسي فلما يئس من احتلالها رحل الى الحفر ليحول دون تموين العدو من الكويت . (ت . ن .)

٣ لما علم الامير ان ابن الرشيد ينوي مصادرة الأرزاق التي تجيء الى نجـــد من الكويت والحسا تذاكر ووالده فعقدت النية على حيلة تقربه منهم، فيتلاحون وإياه ويقضون عليه، أو في الاقل يحولون دون تنفيذ خطته . (ت . ن .)

انما القوتُ للجسوم قِوامٌ فهو صنو الحياة، وهو المدار
في سبيل البقاء يستبسلُ الناسُ، ويُبغى العقارُ والدينار
الرغيفُ الرغيفُ! ينشده الجاني، وما إنْ تعافهُ الأبرار
كيف يسمو نحو الألوهة قلبٌ خائرٌ هدَّه الطوى والسُّعار
حيثما تفرغ الجسومُ من القوت، فشيءٌ من الحجى ينهار
في سبيل الغذاء، جلجلت الأقلامُ، قِدماً، وهبَّتِ الثُّوَّار

...

أفيرضى عبدُ العزيز بعزلٍ ؟ ورحابٌ من حوله الأمصار
يشرب الضيغمُ النجيعَ، اذا غارت مياهٌ، وأجْلَدَتْ أنهار [1]
فليجرِ العدوَّ للحرب في «نعجانَ» فالصيد كلُّه الصقَّار [2]
وهناك الليث «السديريُّ» حامي «دَلَمٍ» «الخرج» حيدرٌ هصَّار [3]
من «سُديرٍ» طابَتْ خلاقاً وخلقاً فَلْيَعْزَّ الأخوالُ والأصهار [4]

...

١ أجلدت : أصابها الجليد. ٢ الصقَّار : هو الذي يدرب الصقر ويدير الصيد. ٣ خرج الأمير من الرياض ووجهته الجنوب. وأشاع انه هارب من ابن رشيد، فأسرع خصمه ونزل على ماء بنيان، على عشرين ميلاً من الرياض ثم جاءه الخبر اليقين ان الرياض محصنة وان سميَّه في الخرج. فراح يهاجم الدَلَم عاصمة الخرج حيث لابن سعود سرية بقيادة أحمد السديري. فخفَّ اليه الامير بألف وخمس مئة مقاتل اجتمعوا في ماوان وأسروا فوصلوا الى الدلم قبل انبثاق الفجر. وكان ابن الرشيد قد نزل في نعجان على مسير ساعتين من البلدة فلم يدر بدخول ابن سعود اليها، على انه في عصر ذاك النهار أرسل سرية مستكشفة فخرجت لها خيل ابن سعود فتهاجم الفريقان فانهزمت خيل ابن رشيد. (ت. ن.)

٤ السديريون : هم أنسباء آل سعود عن طريق المصاهرة.

وتلاقى الخيلان، خيلُ السرايا أنبأ الفجرُ ما يكون النهار
أدبرت «شَمَّرٌ»، وهمُ الأبطالُ في الروع، ما بهم خوّار
وتلاها بين «العزيزين»، تحت النخل، حربٌ فلم يُبَلَّ أُوار
لم تفز «حايلٌ» ولم تتخلَّفْ عن صراط المجد الأثيل نزار[1]
ثبتت سلطةُ السعود على «الخرج»، وفرَّ الغضنفر الكرّار[2]
هزمت قِلّةٌ خميساً لهاماً حمحمتْ في جناحه الأمهار[3]
أقبلت صُهَّلاً فلما تولّتْ قيل ماذا؟ تصاهلٌ أم خوار
أخيول الرشيد عادت قطيعاً؟ أشياهٌ تلاحقت أم صوار[4]
جوهر الشيء كيفه، غلب الكيفُ، وخاب العتاد والمقدار[5]

...

راحَ ذاكَ المهزوم يبغي «كويتاً» يطلبِ الشيحَ من يَفُتْهُ العرار
وتعزّي الصيّادَ قنبُرَةُ الحقل إذا ندَّ بلبلٌ وهزار
خاف شيخ «الكويت»، وارتعد الشطُّ، وآوى للزورق البحّار

---

١ نزار : جد السعوديين . ٢ الغضنفر الكرار: ابن رشيد ولا ينكر أنه كان من أفرس فرسان العرب . ٣ الخميس اللهام : الجيش الكبير . ٤ الصوار : قطيع البقر . كانت المواجهة الأولى بين العزيزين، خارج الدلم وسط النخيل واستمرت المعركة ست ساعات ولكنها لم تسفر عن شيء خطير . ولم تكن الذخيرة متوفرة عند ابن سعود فنفدت أو كادت في تلك الوقعة فأرسل يطلب قسماً من الحوطة . أما ابن الرشيد فشدّ في اليوم التالي ورحل الى السليمية التي تبعد ست ساعات عن الدلم . فتقفّاه ابن سعود بعد وصول الذخيرة، ونازله في السليمية فأخرجه منها . ولكنه لم يتمكن من تعقبه لقلة خيله وركائبه وكثرتها مع ابن الرشيد فقد كان الجيش الشمّري مؤلفاً من أربعة آلاف ذلول واربعمئة خيال . بيد ان الجيش السعودي لم يكن يتجاوز الألفين، ولم يكن فيه غير أربعين من الخيل . ومع ذلك فقد انهزم ابن الرشيد في الخرج وثبتت سيادة ابن سعود فيه، بل في النواحي الجنوبية كلها . (ت . ن .)

٥ الكيف او الكيفية نقيض الكمّ والكمية والمقصود ان قيمة الشيء بجوهره لا بكثرته .

واستغاثت أراملٌ ويتامى ‌ ‌ مَن تراه يغوثُ أو يستجار

من على ابن الرشيد يستلُّ سيفاً ‌ ‌ وهو ذاكَ المدمِّرُ الجزَّار

لم يزل «للصريف» بالثغر جرحٌ ‌ ‌ فعلى كُلِّ أَيِّمٍ آثار

من سوى بيرقِ السعود يُظِلُّ الجارَ، إنْ يَفقدِ الرجاءَ الجار [1]

عسلانُ الشيخِ «المُباركِ» ذئباً ‌ ‌ غير ما يعسلُ القنا الخطَّار

«إولدي» يصرخ المباركُ أَدْرِكْ ‌ ‌ قاب قوسين صار مني البوار [2]

فيُلبِّي الوَحى، بعشرة آلافٍ، وحيدُ الجزيرة المغوار [3]

مستعيرُ الأباعر الجُرْب وافى ‌ ‌ وعليه من الوفاء شعار

درهماً قد أعاره الشيخُ فَلْيَنعَمْ! أَيُرضي طِماحَه القنطار

لا! وإنَّ الخلاقَ في جوهر النفس، فلا يشترى، ولا يستعار

...

لبس الثغرُ حلَّةً لقدوم الليث، وافترّ للأمير الغار [4]

عاد ذاكَ الليل المبطَّنُ بالأكدار، نوراً تحفُّهُ الأنوار

قيل ذاكَ اللقاء، والكرم الضافي، عن الأمس والقصور اعتذار

---

١ باشر ابن الرشيد محاصرة الكويت فأرسل الشيخ مبارك يعلم ولده بذلك ويستنجده ، فقد صار منجداً من كان بالامس مستنجداً . فلبى الامير الدعوة وخفّ الى الكويت بجيش لا يقلّ عن العشرة آلاف وهو الذي خرج منها بأربعين ذلولا أجرب منذ سنتين . فرحبت به الكويت وهللت له، وانضمّ منها الى جيشه ما كان قد جنّده مبارك، بقيادة جابر الصباح . ثم خرج الاثنان بهذا الجيش الجرار طالبين ابن الرشيد . (ت . ن .)

٢ إولدي، تحريف «ولدي» ولقد همزناها لتعذر الابتداء بالساكن وسترى كم من مرة غدر الشيخ بولده النبيل ورماه في المهالك . ٣ الوحى : الصوت ويقال في الاستعجال : الوحى الوحى : اي البدار البدار . ٤ الغار : إكليل الغار يقدم للمنتصرين .

ومشى فَيْلَقُ الكويت، يزيد الجيشَ مَدًّا، عُبابُه الزخَّار

« حفراً » يقصدون حيث رشيدٌ ورشيدٌ مخادعٌ غرَّار [1]

يَلزمُ الشطَّ، حين يصطخبُ اليمُّ، ويُلقي آذيَه التيَّار

راح يبغي « الرياضَ » إمَّا يَنلْها فعلى دولة السعود الستار

وإذا « شمَّرٌ » بضلع « بمُخروق » وبالنخل و « الرياض » استداروا [2]

جَنَّهم حالكٌ تعالى سدولًا حَبْكُهُ مُحكم النسيج مُغار [3]

وإذا شاردٌ يصيح، وفي عينيه رعبٌ، ووجهه إنذار

« جاءكم سيد الرشيد، فظلُّ الموت منكم تحدُّه أشبار »

• • •

هَبَّ عبدُ الرحمن من ربقةِ النوم، عليه، من الكمال إزار

المشيب المهيب، والزهد والتقوى، لرأس الشيخ الجليل إطار

أنجدَتهُ الكماةُ من كلِّ صوبٍ هزَّها الحلم والنهى والوقار

خارجَ السورِ، نازَلَ الخصمَ، فارتدَّتْ سروجٌ وأدبَرَتْ أكوار [4]

بين « شَقرا » و« ثَرمدا » و« سُديرٍ » خاب فأل الغرور، والأغرار

---

١ غادر ابن الرشيد الحفر عندما علم بقدوم الجيش وقصد الرياض، والحرب خدعة . ٢ نوى ابن الرشيد مفاجأة العاصمة ليلاً فلما دنا منها عسكر عند ضلع المخروق .دون ان يعلم بذلك أحد من أهل المدينة. ولكنه عندما أصبح في ظلال نخيلها شرد رجل من عسكر الرشيد ودخل يصيح : العدوّ قريب منكم، العدو عند السور . ٣ مُغار : مفتول . ٤ نهض الإمام عبد الرحمن بأهل الرياض للدفاع فنازلوا العدو خارج السور وردّوه خائباً .

العوالي «مُساعدٌ» و«ابن جلوي» و «السديريُّ» للسعود جدار [١]
من يُلامِسهُ يَلمسِ الموت، فَليُعدد ضريحاً ولْيشرع الحفّار

. . .

طَمحَ الليثُ «للقصيم» ولكن هل تؤاتي فتقطف الأثمار
الأمانيُّ في الصدور كبارٌ والمغبّات دونهنّ كبار
أعوزتهُ الأزواد والنوق، فالأمطار ضنّت، وشحّتِ الآبار
والثرى مجدبٌ كوجه بخيلٍ يلتوي في غضونه المسمار
البساتين والحقول عفاءٌ كرغيف اللئيم يَبْسٌ قفار
سألَ الشيخ نجدةً من «كويتٍ» فأتاه مما بغى أنفار
مِئتا راجلٍ! بعشرة آلاف، فنعِمَ «المباركُ» المدرار [٢]

. . .

«القصيم» البهيج حلمٌ لذيذٌ ولو ان المسعى إليه عثار [٣]

١ في مناوشات عديدة جرت بين العزيزين في شقرا وثرمدا وسدير استبسل مساعد بن سويلم فاستولى على المحمل والشعيب وقتل الصويغ في ثرمدا وألقى القبض على العنقري أميرها. ثم أخرجه منها عبد العزيز الرشيد فاستعادها عبد الله بن جلوي واستولى أحمد السديري، خال الامير، على الروضة بعد ان كسر سرية ابن الرشيد فيها واستولى على سدير كلها، عدا المجمعة التي حافظت على سيادة ابن الرشيد. (ت. ن.)

٢ إشارة الى العشرة آلاف التي أنجده بها الامير عبد العزيز يوم هدّد ابن الرشيد الكويت كما قدمنا.

٣ القصيم من أجمل المناطق السعودية وأجمل ما فيه عنيزة وبريدة. وما برحت فكرة احتلال القصيم تلازم ابن سعود وكان جيشه مؤلفاً يومئذٍ من سبعة آلاف من المشاة وأربع مئة ذلول. فمشى به الى الغاط ثم الى الزلفى وكتب من هناك الى الشيخ مبارك يسأله أن يرسل اليه من كان عنده من أهل القصيم مثل آل الخيل وآل سليم وما يستطيعه من المدد. فأرسل مبارك أولئك الذين لاذوا بالكويت بعد وقعة المليدة ومعهم مئتان من الرجال فقط. وكانت تلك السنة قليلة الامطار حتى أكل الناس لبّ النخل لفرط الجوع هذا فضلاً عن قلة الركائب. ثم ان ابن الرشيد كان مستولياً على القصيم كله، ناهيك بالطريق وليس فيه بلد يأوون اليه. وقد كتب الامير الى بعض الموالين له في القصيم ليؤلفوا سرايا تهجم على بعض البلدان تمهيداً لدخوله فلم يلبّوه. ولما تيقّن انه لا يستطيع مهاجمة القصيم ولا البقاء في الزلفى لشدة القحط وضيق العيش عاد الى الرياض.
(ت. ن.)

ألا أبيّونَ مولَعونَ بخوضِ الغمرِ، إمّا يُجلجلِ الإعصار
ذاك ان الإعصار في دمهم يغلي، ففي أنفس الكبار بحار
لا ينام الأمير إلّا غراراً ما لِفُلكٍ على الغدير قرار
أومأ الروض في القصيم فعجّلْ وهفتْ نحو دَوحكَ الأطيار
فهناك النسيمُ والجدول الشادي، يُغنّي فترقص الأوتار
والمساء الساجي يذرُّ من الأنداء، ما ترقدُ العيونُ الغِزار
كلُّ أفقٍ على «عُنيزةَ» حانٍ كلُّ صُبحٍ في روضها نوّار
وتَشوّفْ الى «بريدة» وانعمْ بسماء نجومها أقمار
وكأنّ البهاء ما غاب عنها فالليالي ما بينهنّ سِرار[١]
وتُخال الأثيرُ، في جوّها الصاحي، بخوراً، فنفحه معطار
فلكُ السحر في «القصيم» ينادي أين عبد العزيز، أين المنار

. . .

كان من عِلْيةِ «القصيم» «بِشقرا» لسعودٍ بواسلٌ أنصار[٢]
أفلوا عن خدورهم، يوم دانتْ لرشيدٍ، ودالت الأدوار
الأبيّونَ من «سُليمٍ»، وهل يُنسى ليوم «المليدة» التذكار
فأشاع الأمير فيهم: هلمّوا لِنزور «الكويت» نعمَ المزار
كان ينوي «القصيم» والحرب مكرٌ وكثيراً ما تغلب الأخبار[٣]

---

١ السرار: آخر ليالي الشهر القمري. ٢ صمم الامير على احتلال القصيم في آخر شهر ذي الحجة فأرسل الى أهل القصيم في شقراء وأخصّهم آل سليم ان يوافوه الى ثادق لانه يريد ان ينحدر الى الكويت. وكان هؤلاء ممن أجلي عن القصيم بعد وقعة المليدة المشؤومة التي انكسر فيها أنصار الإمام عبد الرحمن. ٣ إشارة الى الحديث: الحرب خدعة.

حيث لا تنجد السيوف، ولا سمر العوالي، والمدفع الهدّار
ينفع الرأيُ والأقاويلُ، يزجيها حصيفٌ، رسوله مهذار
طالما سُخّر الأثيرُ لمذياعٍ، وهزّ الممالكَ الإخبار
واستطار القلوبَ، من شدّة الذعر، حديث مُنمّقٌ طيّار

. . .

وصل الجيش «للنفود» لُهاماً أوَ جيشاً يؤلّف الزوّار[1]
فَطِنَ البدو انهم لقتالٍ يصبغ الأفقَ من جراه احمرار
انه النقعُ حيث يعلو قتامٌ لا «كويتٌ» حيث القرى والقُتار[2]
حيثما تزخرُ الفطائرُ والحلوى، ويسخو الضريبُ والمُشتار[3]
ما لَهم والرشيد؟ هم حيث دارَ الغنمُ والمطعم المُدسّم داروا
ما لَهم عند «حايلٍ» أيّ ثأرٍ بل على الرزّ والكباش الثار
الأعاريب، حين تعترك الأدواح، في شامخ الذرى، منشار
صاعداً هابطاً، يخفّ من الجنبين، لا خُلّصٌ ولا أحرار
فطرةٌ في نفوسهم ما عساهُ من غراب يُبيّضُ القصّار

. . .

١ راح ابن سعود بجيشه قاصداً ماجد الرشيد قائد دفاع القصيم. فلما وصل الى مـاء الشريمية في وسط النفود، علم من كان معه من البدو انه يريد ابن الرشيد فشردوا، فما بالى بذلك بل استمرّ مسرياً. فضلّ الدليل وتاهوا في النفود طول ذلك الليل ثم خرجوا منه فاذا بكشافة لماجد على حواشيه. ٢ القتام: غبار الحرب. والقتار: دخان الشواء والطبيخ. ٣ الضريب: العسل.

شردوا والأميرُ غير مُبالٍ بدروعٍ فولاذُها فخَّارُ

ما يضير الثوب الحرير المُوشّى إنْ تراخَتْ في رُدْنِهِ الأزرار

وسرى الجيش في «النفود» فتاهوا بخضمٍّ عُبابُه موَّار

زاغَ طرفُ الدليل بالوَعْسِ والأشباه، والسَبسَبِ الفضاء فحاروا[1]

وتجلّى الصباح، فانكشف التيهُ، فأُمّوا شطر «القصيم» فساروا

عسكروا في النخيل والشمسُ مالت وتدلّى مع الرِطابِ النضار[2]

وتراءت «عنيزةٌ» كعروسٍ وعليها من الأصيل سوار

أمَرَ الليث أن يُسارِعَ بالكرّ، وأن تشربَ السيوفُ الحِرار

صَدِئَتْ في غمودها، وطهورُ السيف، أن ينهلَ الدماءَ الغَرار[3]

صومُها طال، والمساءُ مساءُ العيد، فرضٌ على الظُبى الإفطار

هجمت أنسر القصيم «سُليمٌ» ولهم في المعامع الأسفار[4]

صدمتهم من آل «يحيي» و «بَسَّامٍ» طيورٌ ما فاتَها المنقار

وترامت قوادمٌ وخوافٍ وتهاوى من الطعان الدثار

«شمَّرٌ» تمنع الوكورَ، وقد غاصت، فعامَتْ على الدم الأوكار

---

١ الوعس : هو الرمل الذي تسيخ فيه الأقدام ويصعب السير عليه . ٢ نزل ابن سعود في ذلك النهار قصر الحميدية، من قصور عنيزة على مسير أربع ساعات منها . وتقدم ساعة الغروب فوصل نخل المدينة وأمر من كان معه من أهل القصيم وفيهم آل سليم بمهاجمة عنيزة تلك الليلة . وكان يومئذٍ بعض زعمائها كآل يحيى وآل بسام مع ابن الرشيد ورئيس سريته فهد السبهان. أما ماجد فكان نازلا قرب المريبط وهو باب من أبواب المدينة . ٣ الطهور : ما يطهر به . وغرار السيف : حده . ٤ عندما هجم أهل القصيم على عنيزة اصطدموا بطلائع ابن الرشيد من أهلها ومن شمّر . فتلاحم الفريقان فقتل فهد السبهان ، وما سلمت رجاله فطلب السعوديون المدد فارسل عبد العزيز مئتين من رجاله بقيادة عبد الله ابن جلوي . وكان عبد الله قد اشتهر بالبطولة فلما سمع أهل عنيزة بالنجدة التي جاء يقودها سلموا حالا الى آل سليم .

(ت . ن .)

شهدتْ رأسَها يخرُّ قتيلًا فاعتراها تفجُّعٌ وانفجار

جُندلَ «ابن السبهان» درعُ رشيدٍ فَلْتُقَصَّر من أجله الأعمار

وأمدَّ الأميرُ آلَ «سليمٍ» بابن جلوي . أللبدور استتارُ

سمعت باسمه «عُنيزةُ» فانهارت قُواها ، وجأْشُها الفوّار

يفعل الصيتُ في النفوس كفعل السحر ، فالباب للخلود اشتهار

من جرى ذكره بكلِّ لسانٍ لا انتهاءٌ لعمره واندثار

يفرح القلب حين تخطر ذكراه ، كما هزَّ مسمعاً قيثار

لا تريد الأجيالُ في قدره العالي ، فمنه تُعطَّرُ الأعصار

عرفوا أنَّه المظفّر ، لا يُثنى ، وأنَّ المغامرات انتحار

أنَّه الموت قد تقمَّصَ إنسيّاً ، وأنَّ السيوف عنه قصار

فلماذا تغدو المدينةُ أنقاضاً ، ويجتاحُ ساكنيها الدمار

أسلمت أمرها لآل «سليمٍ» عليةٍ زانَهُمْ حجًى ونِجار[1]

تشرُفُ الغادةُ العروسُ بأن تُهدى ، الى خاطبٍ خلاه العار

وأليمٌ هَوانُها في السبايا حيث يهوي حياؤها والخمار

. . .

أسلمت غيرَ «ماجدٍ» ، ولقد ظنَّ تقيهِ الحصونُ والأغوار

غرَّه أنَّه أميرُ السرايا وله في الوغى نُهىً واقتدار

---

١ النجار : الأصل .

باكرَ الليثُ خصمَهُ، بعد ما صلّى، ونَدَّت أوْرادَه الأسحار[١]
معه الله أينما حلَّ صقعاً كلُّ دارٍ لباريء الكون دار
والإمامُ المختار لله درعاً للمبرّاتِ والتقى مختار
ماجدٌ أين ماجدٌ؟ فرَّ مهزوماً، ولمّا يُغبّرِ المضمار[٢]
يقسمُ الذئبُ أنَّه يقنص الليث، ويُصمي فؤاده التزآر
ما حميتَ الأعوان يا «ماجدَ» الأصل، دَهَتْهُمْ ضرائبٌ أبكار
أخذَتْهم سنابكُ الخيل أشلاءً، وغطّى وجهَ الحضيضِ النِثار
قامَروا في العراك، دارينَ قبلَ الكرّ، أنَّ الوغى عليهم خُسار
قاتلوا عن بيارقٍ فرَّ حاميها فخابوا، وفي سبيلكَ باروا
و «عُبَيداً» تركت في قبضة الليث، فحاقت بعُنقكَ الأوزار
أوَحيداً دفعته للمنايا؟ ماله كان في النزال خيار
أسكرتك العلياء أمسِ فلمّا عسعس الليل ندَّ عنك العُقار[٣]

. . .

قيل عاد المهزوم. هل عاد حقّاً؟ أم أراجيفُ بثّها ثرثار
وعجيبٌ أن يُثمرَ الغصن عريانَ، وأن يعقب الجليدَ النار

---

١ الأوراد مفردها الورد وهو الجزء من القرآن أو الأدعية المأثورة يقوم بتلاوته الانسان كل ليلة .
٢ ركب الامير بعد ان صلى الفجر على رأس سرية من الخيل وقصد المكان الذي كان فيه ماجد الرشيد فلما رأى ماجد خيل ابن سعود لاذ بالفرار فتعقبه واستولى على مركزه بعد أن قتل اكثر قومه وفيهم أخوه عبيد .
(ت . ن .)

٣ عسعس: مضى . والعقار : الخمر .

جَاءَ لكن خلف «العرايف» مُحمياً، كَعينٍ تصونها الأَشفار[1]
قَدَّم الأقربين، آل سعودٍ عَلَّ بالأقربين يُحمى الذمار
فتكون الأسرى مِجنَّ عدوٍّ يَئِسَ الترسُ من دمٍ يختار
ويظلُّ الرشيد يَرمي ولا يُرمَى، وتُخفي رجاله الأستار
ومن الهزل أنَّ خصم سعودٍ بسعودٍ من الأَمير يُجار
حيلةٌ كان، في مَغابِنِها الشيطان، يملي فتنفذ الأَوطار

. . .

لمح النسر في الطليعة فرساناً عليها، من الجدود شِعار
«مانعيّينَ» هَدَّهم ألمُ المنفى، فغاض الروِيّ، وشاب العذار[2]
الوجوه السماحُ حالَتْ غضوناً والجباهُ العُلى عراها انكسار
سئموا العيش في ظلالِ رشيدٍ حيثما العيش سأمةٌ واجترار
للرياحين في الإناء ذبولٌ فضمور فذلَّةٌ فاصفرار
ليس يجدي الورودَ صقلُ إناءٍ فحياة المقيَّدين احتضار
ساقهم ماجدُ الرشيد جداراً أسعودٌ لدى الرشيد الجدار
خيلُهمْ لا تكاد تمشي الى الخَتْل، فزحفٌ مسيرها واضطرار

---

١ عاد ماجد ابن الرشيد الى المعركة ومعه بضع وعشرون من الخيل والركائب، وفيهم نفر من آل سعود الذين كانوا منفيين في حائل . جاء بهم ليرد العدوّ المنتصر لانه اذا عرفهم وهم من آل سعود قد يمتنع عن القتال فلا يقتل أحداً منهم . ولكن عبد العزيز عندما عرف أهله . ولقد أمر بعقر خيلهم ليتمكنوا من خرصهم وكذلك كان فقد فازوا يومئذ بعد عقر الخيل أثناء المعركة بسعود بن عبدالعزيز وسعود بن محمد وفيصل بن سعد فخلصوهم من القتل ومن الأسر .

٢ مانعيين في النسبة إلى مانع والروى هو الماء المروى .

عَرِقبوها: قال الأَمير لإِنقاذ الكرام الأَعمام، طال الإِسار
أوَيَنسونَه وَقد حفظتهُ في مطاوي آنائِها الأُدهار
إنَّ من ينكر المروءة وغدٌ ولئيم مضاعفٌ غدَّار
إن تَناسَتْ صَنيعهُ أقرباءٌ نشر الفضلَ كوكبٌ سيَّار

• • •

ومضى ماجدُ الرشيد ولا مجدٌ، فقيل المشرّد الغرَّار
وتراءت «عنيزةٌ» في ربيعين: انتصارٌ إطارُه آذار[1]
طَيِّبَ الوردُ والعرارُ حواشيه، وألوى على الأَمير البَهار
أسلمت بعدها «بُريدةُ» إلَّا حصنها الشمخ فاحتواه الحصار
دام شهرين ثم دانَ له الحصنُ، ودان «القصيم» والأَنصار

---

[1] في ٢٣ آذار سنة ١٩٠٤ بعد انكسار ماجد وفراره الى حايل تم فتح عنيزة فدخلها ابن سعود وأقام فيها بضعة أيام. ثم شد على بريدة فسلم أهلها ولكن أمير ابن الرشيد والحامية فيها تحصنوا بالقصر فحاصرهم ابن سعود فثبتوا شهرين في الحصار ثم سلموا في ١٥ ربيع اول فتمّ بتسليمهم الاستيلاء السعودي على بريدة وعنيزة وبالتالي على القصيم كله. (ت. ن.)

البكيريَّة

أَوجسَ التركُ من سريع ارتقائهْ   فأسرَّ السلطانُ خَنقَ رجائهْ

هالَ عبدَ الحميد أنَّ سُراةَ العُرْبِ   تدعو لِنَبْذهِ وَجلائه

كلُّ قطرٍ لهم عدوٌّ مبينٌ   أو صديقُ اللدودِ من اعدائه

ويقولون: ظالمٌ أنتَنَ «البُسْفُورُ»   من غدرهِ، ومن أَسوائه

يومُهُ مِلؤهُ الجواسيسُ والغُدّارُ،   والليلُ مَرقصٌ لنسائه

«بادِ شاهِمْ وَجُقْ يَشا» نغماتٌ   سَئِمَتْها النفوسُ من جرَّائه[1]

فإذا يُكرَهُ الأبيُّ عليها   فلقد تنتهي الى إغمائه

ولِمِ العُربُ تعبد الصنمَ الهاوي،   وسُوسُ الفساد في أَحشائه

هم يَودُّون مشرقاً عربيّاً   من فلسطينه الى دهنائه

من لُجين الفرات، من حلبَ الشهباء،   حتى العقيق من صحرائه[2]

---

١ باد شاهم ُجق يشا : عبارة تركية معناها فليعش السلطان . ولا يخفى ان الثورة كانت تحتدم في صدور أحرار العرب على اختلاف أقطارهم ومللهم وقد ذهب ضحية لحركة التحرر كثيرون منهم وبخاصة في عهـد السفاح أحمد جمال باشا .

٢ العقيق : يقصد به وادي العقيق في صميم الجزيرة .

من غصون أخت الزمرُّدِ، في الأَرز لروض الرشيد في زورائه[1]
كان بالأمس مشرقُ العُرب وَهَّاجاً، وعرشَ النبيِّ في خُلفـائه
وبِمَ الحكْمُ «لِلْخَواقينِ» لولا نهجُ «فَرِّقْ تَسُدْ» على غوغائه[2]
يَشْحذونَ الدين ـ الذي يُسعدُ الإنسان ـ سهماً يعيده لشقائه
طالما سَخَّر الألوهة زنديقٌ، وروحُ الشيطان ملء كسائه
من يتاجرْ بدينه يجحدِ اللهَ، وَيَعْصَ الرحمن في أنبيائه
انما العُربُ دينُهمْ وطنٌ حرٌّ، يضمُّ الأَحرار من أبنائه
ولسانٌ يُرتِّلُ اللفظ ترتيـلًا، كأنَّ العُزّاف من قُرّائه[3]
يفصل الله بينهم. لا نكيرٌ شغَفُ العيسويِّ في عذرائه
وصلاة المُسلِّمينَ عـلى طه، وحبٌّ النبيِّ في زهرائه[4]
وكتابٌ مُجَنَّحُ القول، أدّاهُ كَلِيمُ الإله في سينائه

. . .

وتنادت صِيْدُ العروبة تبغي يعربياً تسـير تحت لوائه
أَرْوَعاً بالحسام يحمي حِماها حـاتمياً يلفُّها بردائه
لا وزيراً لله يطغى ولـكن آدمياً يـكون في أُجرائه
قرأ التركُ في الأَمير هلالًا وائلياً تَشاءموا بضيائه

---

١ الزوراء: بغداد. ٢ الخواقين مفردها الخاقان وهو السلطان. وكانت تركيا السلاطـين تزرع بذور الشقاق بين رعاياها لتصرفهم عن مناهضة السلطنة الموبوءة، فتضرب على الوتر الديني وتشعل الطائفية.
٣ العزّاف: هو اللاعب بالمعازف، اي الموسيقي. ٤ الزهراء: فاطمة بنت النبي زوج علي والدة الحسن والحسين.

هالَهمْ أَن يصير بدراً تماماً يغمر المُدلَجينَ فيضُ بَهائه
فأمدّوا ابن «متعبٍ» بعتادٍ وسيوف تُركيَّةٍ من ورائه [1]
ونضارٍ يُغني الفقيرَ بنجدٍ لو رشيدٌ حنا على فقرائه
وأعزَّ الغطريسَ أنّ رسالات المنايا، والتركُ في حلفائه
حلفُهُ عاهلٌ عظيمُ تُراثٍ لا يغيب النهارُ عن أرجائه
سَيُديرُ الرَحى على ابن سعودٍ فيكون الهباءُ في أَرحائه [2]
أَعجميٌّ يبيد ذكرَ ابي «تركي»، ويمحو العريقَ من عَرْبائه
ما يهمُّ الرشيد من شَرفِ العرب، فإن الشِراعَ وَفْقُ هوائه

. . .

وتلاقى عند «البكيريَّة» الجيشان بحراً، عزريلُ خَوَّاضُ مائه [3]
يقذفُ الموتَ من أَواذيِّهِ الُحمرِ وجيشُ السعود في حصدائه
لُجُّه دائمُ الهدير، فلا جَزْرٌ، يُقيلُ النفوس من حمرائه
فتردُّ «الرياضُ» بالسُمر، أرماحاً دقاقاً، تحدُّ من غلوائه

---

[1] متعب : هو والد عبد العزيز الرشيد . والعتاد : هو آلات الحرب من سلاح وسواه . [2] الرحى : حجر الطحن . [3] في وقعة البكيرية في الليلة الاولى من هلال ربيع الثاني ١٣٢٢ ﻫ ١٩٠٤ م اصطدمت الجيوش صدمة هائلة كانت خسارة الفريقين فيها عظيمة . فقد تواجه في تلك الساعة عسكر الدولة وفيه كثيرون من السوريين والعراقيين بعسكر ابن سعود الخاص اي بأهل العارض . فأطلقت البنادق والأطواب (المدافع) ولمعت في نور الهلال الضئيل السيوف وكانت المذبحة هائلة فقد قتل من جيش ابن سعود تسع مئة وفيهم ست مئة وخمسون من أهل الرياض . وقتل من جيش الدولة نحو ألف، وفيهم أربعة من كبار الضباط . وخسر أهل حائل نحو ثلاث مئة وفيهم اثنان من بيت الرشيد هما ماجد بن حمود وعبد العزيز بن جبر . وفي تلك الوقعة أصيب عبد العزيز بن سعود بشظايا قنبلة في يده اليسرى، ووقع ابن الرشيد عن فرسه فآلمته الوقعة ولم تقعده . (ت . ن .)

من هنا دولةٌ و«شَمَّرُ» تحدوها، وبندُ السلطان في خيلائه
من هنا أَنسرُ العروبة يحدوُهمْ أَميرٌ بلَّ الثرى من دمائه
خانَه الترسُ فانتضى كَفَّه اليسرى، يصدُّ البركان عن خلصائه
إنَّ للمجد بالجراح غراماً كغرام الشيعيِّ في كربلائه
الرجال الغرُّ الكِرامُ رَماياهُ، فما رامَ قُعْدُداً في اصطفائه
بُترَت إصبعٌ وَسحَّتْ دماءٌ والأَمير الجريحُ رهن صفائه
لم يجُد بعدُ «للقصيم» برِفدٍ دمُـه فليكن بكورَ سخائه
مثله الليث حين يفقد عضواً لا تحسُّ الغاباتُ فرطَ عيائه
لا يمسّ الثرى بعرنينه الشمخِ، لِفَحصِ التراب عن أَجزائه
إنَّما تعكِرُ الغديرَ حصاةٌ ويظلُّ العُبابُ في زرقائه

. . .

راءَه جُندُه صبيغَ دماءٍ يَبرقَ الأَرجوان في لألائه
فازدَرَوا بالحياة واغتنموها فرصةَ الموت حلوةً لافتدائه
وتلَقَّوا قنـابلًا هادراتٍ يتباهى مثيرُهـا باختفائه[1]
ويكون الرامي جباناً ولكن مِدفعُ الترك جُنَّةٌ لاحتمائه[2]
يتوارى، خلف الحديد، اختفاءَ الثعلبِ الجِبْسِ، خاف من إعوائه[3]
ما البطولاتُ للقنابـل والسمِّ، فبئسَ المدمِرات الكرائه
البطولاتُ معصمٌ قُدَّ من صخرٍ، وسيفٌ على الكواكب تائه

١ نؤثر لفظة قنبلة وقد صقلتها الأذهان على قنبرة . ٢ الجنة : السترة . ٣ الجبس : الجبان .

وَجنانٌ ملءُ الخيال وصدرٌ حَشَد المكرماتِ في عُشَرائه
غمرة الموت خاضها «العارضُ» الشهمُ، فآوى الرصاصَ في أحشائه
ساخِياً بالدماء غير سخيٍّ بدموعٍ تهمي على شهدائه
يا لَعَينَيْ عبد العزيز! يصيحونَ ويهوي الفتى على أقربائه
فجدارٌ ينهار خلف جدارٍ ورؤوسُ الكُماةِ في حَصبائه
وقضى «ماجدُ» الرشيدُ، وقوّادٌ من التركِ، غامروا لندائه[1]
وتبدّى عبد العزيز بن جلوي نسرَ حربٍ يجول في أجوائه
إن عَداهُ على العدو انتصارٌ فلقد ظلّ رائعاً في انكفائه

...

عادَ أهلُ «القصيم» بعد عِراكٍ أغرق الضفّتين في أرزائه
فتولّوا ببعض غنمٍ ولكن شكّ عبد العزيز في أصدقائه
فابتلاهم في رَيْبِهِ فإذا هُمْ كالصَياصي مُدِلّةً بولائه[2]
هلّلت دُرّة «القصيم» لمرآهُ، وزانَتْ أبصارَها باجتلائه
وتعالت أبراجُها واشرَأَبّتْ وتَباهَتْ أسوارُها باحتوائه
الحسان المخدّرات تبارَتْ في الزغاريد فَرْحةً بلقائه

---

١ هجم أهل القصيم وعرب مطير بقيادة عبد العزيز بن جلوي على جناح العدو فبعجوه. ثم أغاروا على بادية شمّر فغنموها. لكن الشمريين كانوا قد هجموا على معسكر ابن سعود فنهبوه، واحدة بواحدة. وظلت قوات ابن الرشيد متماسكة بسبب العسكر التركي النظامي . على أن أهل القصيم غنموا سلاح سرية تركية وعادوا الى بريدة وعنيزة فشكّ عبد العزيز بأهل القصيم وكتب اليهم ممتحناً فأجابوا، وخصوصاً أهل عنيزة، نقدم أنفسنا وأولادنا وأموالنا بين يديك . ودخل الامير المدينة فخرج أهلها يستقبلونه معتزين وأخرجوا المخدّرات فرحين به مزغردين ثم عززوا أقوالهم في ما قدموه من مال ورجال . (ت . ن .)

٢ الصياصي : أعالي الجبال .

لم يشاهد جوُّ القصيم، كذاك اليوم، بَهْجَ العشيِّ في أمسائه
جَلَّلَ البدرُ بالجمال صباياهُ، سكوباً من طهره ونقائه
واستقرَّت على الرُّواء الدراري كلُّ نجمٍ ألوى على حسنائه
فَلَكٌ زادَ رونقَ العيد أعياداً، أليسَ الأميرُ من سُمرائه
بذلت قلبها «عُنَيزَةُ» مالًا ورجالًا تجري على إيمائه
فاقتفتها «عتيبةٌ» و«مُطَيرٌ» هَادِرُ الموج ضجَّ في دأمائه[1]
فتوارى ابن «متعبٍ» يقصد «الخبرا» فتلك الأوشال قدر إنائه
عزمُهُ يطفِئُ الوَقُودَ شراراً ويهابُ الوقيد عند التظائه
صدمته الأبطال حامية «الخبرا» وأزرت بمدفعٍ وصلائه
فأدار العنان «سلطانُ» «حَمّودٍ» يغيث النسيب في بُرَحائه[2]
فالتقتـه سَرِيَّةٌ فتولّى وتبارى رجاله في اقتفائه
وتلتها مُناوشاتٌ، تَلاها غضبُ الله بادياً في وبائـه
أصفراً سُمِّيَ الهواءُ، فبئسَ الداءُ، لونُ الخبيث في أسمائه
البوادي، مثل الحواضر ضجَّتْ من عدوٍّ لا حيلةٌ في اتّقائه

١ اجتمع لدى الامير في ستة أيام اثنا عشر ألف مقاتـل، فبادر الى البكيرية . ولكن ابن الرشيد كان قد رحل منها الى الخبرا، فهزمته سرية ابن سعود رغم مدافع الترك . ولكنها وقعت في بلاء جديد وهو الهواء الاصفر انتقل اليها من عسكر ابن الرشيد بل من جنود الاتراك . وعندما علم ابن الرشيد بزحف ابن سعود الى البكيرية وفيها مؤن وذخائر الجيش أرسل بقيادة سلطان الرشيد الف وخمسمئة خيال فتصادموا وخيالة ابن سعود وعددهم ستمئة وخمسون فانهزم الرشيديون . ثم دخـل ابن سعود البلدة وفتك بحامية ابن الرشيد فيها فقتل اكثرها وانهزم الباقون ثم طارد العدو الى الخبرا فرحل العدو الى الرس فهجموا على بواديه فغنموها . وعقب ذلك مناوشات وخاف أهل نجد سريان الهواء الاصفر فرفعوا أصواتهم شاكين وطلبوا وقف الحرب من الجانبين . (ت . ن .)

٢ البرحاء : الشدة والأذى .

واستقالوا الحربين، فاضطربَ الشهمُ، وضجَّ الإنسان في أحنائه[1]

يجمع الأعلَيَيْنِ: هِمَّةَ ليثٍ وشعوراً مُجَنَّحاً كوَفائه

يُعمِلُ السيفَ بالعدوِّ مَريداً وشفيقاً يبكي على ضعفائه

هو غوثُ العاني أكان صديقاً أم عدوًّا مكابراً في عدائه

أوفَدَ السيِّدَ «الرُشودِيَّ» «فَهداً» وهو فَطِنٌ يُجرى على آرائه[2]

يطلب الصلح من رشيدٍ فلم يُلفِ سوى نَضبِ خيره وحيائه

وانتفاخِ الجهول إمَّا يُرجَّى لصلاح يشيلُه من غبائه

مَضَّ «فهداً» تهديدُه العربَ بالتركِ، وزهوٌ وخسَّةٌ في ازدرائه

كان «فرعونُ» دون قسوته شرًّا، ودون اعتداده وامتلائه

قال: «عبد العزيز غرٌّ، يريد المال، يبغي تسخيركم لثرائه»

يبتغيه لأمِّهِ، مَضَّها الفقرُ، فآلى إغناءها باعتدائه

كذبَ الجلفُ ما الفقيرة أمًّا نَجلُها جاوز المنى بغَنائه.

هالَ فرعونَ «حايلٍ» وهو أعشى دفقاتٌ من برقه وسنائه

الفقيرُ الفقيرُ، من فقد الحبَّ فذاب الأنام في بغضائه

من يصمُّ الجَنانَ عن هاتفِ الخيرِ، مدلًّا بلؤمه وخلائه

---

١ استقال البيع: طلب اليه ان يفسخه. ٢ أوفد ابن سعود رجلاً من كبار بريدة اسمه فهد الرشودي يطلب الصلح من ابن رشيد فضحك وقال متهكماً: من يبغي حكم نجد لا يتضجر. وهل يصالح من بيده قوة الدولة؟ لا والله، لا صلح قبل ان اضرب بريدة وعنيزة والرياض ضربة لا تنساها مدى الدهر. وانتم يا أهل القصيم لا يغرنّكم شاب طائش جاء يبغي الدراهم ليأخذها الى أمه الفقيرة. رجع فهد وألقى هذا الكلام في مجلس ابن سعود دامع العين وختمه قائلاً «والله يا أهل نجد ما رأيت هناك إلا ظالماً عتياً كفرعون ولا يبغي لنا غير ما كان من فرعون لبني اسرائيل. وكان الرشودي رجلاً حصيفاً رصيناً يحترمه الناس فأثرت كلماته فيهم تأثيراً شديداً. ولكن بادية ابن سعود كانت قد تفرقت لرعي المواشي في الربيع.

(ت. ن.)

من يعدُّ الناسيَّ بعض مطاياهُ، وشيئاً يزيد في أشيائه
من إذا ماتت البرايا جميعاً لا يُعكِّرنَ ذرَّةً من هنائه
من يدارونه اتّقاء معاصيه، فإن غاب أمعنوا في هجائه
من إذا ماتَ أمسكت عبراتٌ واشمأزَّت يراعةٌ من رثائه
وأعاد «الفهدُ» الجليل كلاماً هاجَ مثلَ الدموعِ من جلسائه

. . .

ومضى ابن الرشيد ينزل في «الجوعي» ويمضي الأتراك في إغرائه[1]
حاشداً فيلقاً لقصر «عقيلٍ» ليس إلّا سريَّةٌ بإزائه
سبقَتْهُ اليه آل سعودٍ يبعثون الآمال في نُزلائه
واستجاروا الأمير ينجد حصناً نطَّقتهُ الأرزاء من أنحائه
طوَّقتهُ مدافعُ التركِ، أفواهُ الشياطينِ، لعلعت لا محّائه
الشظايا الصغرى لمحو أهاليهِ، وهولُ الكبرى لدكِّ بنائه
وتحاشى الأميرُ نشرَ مقالٍ قد يخيف الجسورَ من بسلائه

---

١ نزل ابن الرشيد في «الجوعي» ودنا من قصر هناك يعرف بقصر ابن عقيل فيه سريّة لابن سعود فهمّ بالهجوم عليه، صباح اليوم التالي. وكان، وفقاً لأمر الامير، قد سبقه اليه نخبة من آل سعود ليشجعوا أهله ويمدوهم بالنجدة. وأرسلوا يخبرون الامير عبد العزيز بأن ابن الرشيد نصب مدافعه للحصار وشرع يضرب القصر. وكان الامير حينئذٍ في الرس فصاح برجاله قائلاً «انهزم ابن الرشيد ونريد ان نعمل مناورة خارج البلدة». فاستبشروا وخرجوا للمناورة فكشف النقاب اذ ذاك عن قصده الحقيقي، وأمرهم بالزحف الى قصر ابن عقيل. فترددوا لانهم لم يكونوا متأهبين للرّحيل فلم يكن لديهم شيء من الماء والزاد. وقد كانت الساعة الاخيرة من النهار والمسافة لا تقلّ عن عشرين ميلاً. خطب ابن سعود فيهم محرّضاً مستنهضاً. ثم قال أنا واحد منكم ومثلكم انتم ماشون وأنا ماشي. أنتم حفاة وانا والله لا انتعل وهذا نعلي وهذا ذلولي. قال ذلك وهو يضع النعل في الخرج ويلقي بحبل الذلول على غاربه ثم مشى أمامهم حافياً فمشوا وراءه متحمسين.

(ت. ن.)

لمْ تخنهُ الأعصابُ، في حازبِ الأمرِ، فألقى قيادَه لذكائه

«هزِم ابنُ الرشيد صاح َفقوموا نحتفي بانتصارنا وانطفائه»

«ولْنْنَاوِرْ» في خارج «الرسِّ»، إيذاناً بإشراق عهدنا وانتهائه»[1]

خرجوا بالسلاح يبغون عيداً تستفيضُ الأفراحُ من أثنائه

واذا بالأمير يسفر عن وجهٍ، رُكامُ الهموم في سيمائه

قال: هيَا فالقصرُ، للذَودِ يدعوكم، ويأسُ الغريق في استدعائه

بَغتَتْهمْ فُجاءَةٌ كنيوب الأُسدِ تستقبل الشريدَ التائه

ما أعدُّوا لها الركائبَ والأزوادَ، والحربُ لا تكون بَدائه[2]

ولقد أوشك المساء، ودون القصر بَونٌ، يُملُّ من وعثائه[3]

وكأنَّ الأميرَ، في النخوة القصوى، تجلَى سحبانُ تحت عَبائه

قال: ما أوْجزتْ معانيـه، ألحاظٌ كومض البتَّارِ، عند مضائه

أذكروا وقعةَ «الصريف» وذُودوا يا مَيامينَ يعربٍ عن علائه

أذكروها، إذ كلُّ بيتٍ بنجدٍ علويٌّ يبكي بعاشورائه

أذكروا الترك والثكالى الأيامى ولْيدافعْ حُلاحِلٌ عن خبائه[4]

لا يهمُّ ابنَ «متعبٍ» شرفُ العُربِ، اذا ما قضى على خصمائه

وَيْـلَ قومٍ يُذلُّهم أجنبيٌّ وَيْلَ شعبٍ ذئابه من رُعائه

ويل راعٍ يُشرِّعُ البابَ للذئبِ، عزوفاً عن كبشه وثُغائه[5]

---

١ ناوَر: لغةً تعني شاتمَ وانما أوردناها على الحكاية ولا بأس أن تعرّب ما دامت الألسن قد صقلتها.

٢ بَدائه مفردها بديهة وهي المفاجأة. ٣ البون: البعد والمسافة. ٤ الحلاحـل: الشجاع.

٥ عزوفاً: صادفاً غير مبال. والثغاء: صوت الكبش.

وتزيدُ الكُلومُ في قيمة الراعي، جريحاً مُناضلاً عن شائه[1]

نجدُكم طالما تَغَنَّتْ «بليلى» أين شهمٌ يذود عن ليلائه

فَيُحنِّي العرارَ بالدم وهاجاً تعبٌ الأشفاقُ من حنائه[2]

يومُ «ذي قارَ» من بعيدٍ يناديكم، فنُصُّوا أسماعكم لندائه[3]

يسمعُ المرءُ، لا على قدرِ الصوتِ، فإنَّ المقدارَ في إصغائه

روحُ عدنانَ يا رفاقُ يناديكم، فَيَعْني الأباةَ من حُفدائه

دمُه فيكمُ حميمٌ وحاشا أن تكونوا الأذيالَ في نُصرائه

مُنيةٌ للزمان تخليدُ ذِكراكُمْ، بهذا العصيب من آنائه

فاقحموا غمرَهُ فسؤددُ سبَّاحٍ رهينٌ بوثبهِ وارتمائه

لست أدعوكمُ لِحَسوِ شرابٍ وَفمي غير باديءٍ باحتسائه

أنا منكم، دعوا الأميرَ الى حينٍ، فعبد العزيز في رفقائه

قالَها راجلاً، يُشمّرُ عن ساقٍ، الى الخُرج، رامياً بحذائه

ومشى حافياً فكان نشيجٌ ودموعٌ محمومةٌ لِحَفائه

ضحضحوا خلفَهُ كما اندفعَ السيل المدوّي، ينصبُّ في أودائه

أسدٌ كلُّ تابعٍ أذهلتْهُ كلمات الأمير عن إطوائه[4]

بلغوا القصر بعد منتصف الليل، وراموا قبورهم في فِنائه[5]

---

[1] الكلوم: الجراح. والشاء مفردها شاة. [2] الأشفاق: مفردها شفق وهو بقية حمرة الشمس في المساء. [3] نصّ: رفع. المقصود أصيخوا سمعاً. [4] الإطواء: الجوع. [5] بلغوا القصر قبل نصف الليل بساعة وأرادوا الهجوم حالا فمنعهم الامير لما يعلم من تعبهم وجوعهم فدخلوا القصر واستراحوا تلك الليلة.

لم يدكِ الرشيد حصناً أبيّاً عزم أهليه كان صنوَ إبائه

* * *

خيّم العسكرانِ في جبهة الوادي، وبثّ الرشيدُ من أعيائه
ناصباً في أكامِهِ طُنُبَ الحرب تشدُّ القلوبَ من جَيَشانه[1]
شمخَتْ فوقها المدافع تلّاً من حديدٍ والنار في شجرائه
طُقّ وادي جهنّمٍ وعزيفٌ للشياطين مدّ في ضوضائه
حيث يهوي القرمُ «الرياضيُّ» ميتاً وتثيرُ الأمجاد في أشلائه[2]
فالجناحُ اليمين لابن سعودٍ كجناح البازيّ عند انطوائه
واذا بالأمير يرسل صوتاً يرجفُ المدفعيُّ من أصدائه
زأرة الليث شامَ أشبُلَهُ صرعى، فأجّ الوقيد في أعضائه
يا «أنورا» يصيح والسيف قانٍ مصلتٌ يلهب الثرى بصلائه[3]
يا «لنورا» ويكتني بأبي «تركي»، وأسدُ الشرى وراء اكتنائه
مثل عبد العزيز حقّ له الفخر، فمجد الحسام في آبائه

---

١ بعد ان عجز ابن الرشيد عن احتلال القصر، شدّ في صباح اليوم التالي للرحيل فتركه ابن سعود يرحّل إبله ويحمل «أطوابه» مدافعه. وعندما مشى هو ورجاله وعسكر الترك خرجت الخيل للمفاجأة ومشى الجند السعودي من القصر وراءها فأدركوا العدو في وادي الرقة. فأناخ ابن الرشيد ثم نصب المدافع وبنى بيوت الحرب. وهي بيوت من الشعر تنصبها القبائل لترمز عن ذمارها والذود عنه. فتهاجم الفريقان وتقارعا حتى منتصف النهار وكانت الغلبة لابن الرشيد. ولكن ابن سعود عندما رأى جانحه الأيمن متقهقراً هجم بقومه هجمة الاستبسال وهدم بيوت الحرب، فاشتد الضرب والطعان فولّت عساكر الترك الأدبار ثم انهزم ابن الرشيد وفرّ ورجاله هاربين.
(ت. ن.)

٢ الرياضيّ: في النسبة الى الرياض. ٣ نورا: أخت الامير عبد العزيز، وكثيراً ما كان ينتخي باسمها وباسم ابنه البكر تركي في المواقع الخطيرة.

فيصلٌ جدُّهُ العظيم وتركي وكُلَيبٌ ووائلٌ من ورائه

يا «لَنُورَا» ! فلتلبس المجد «نُورَا» ليس أولى من ذاتها بارتدائه

الأميرُ النسر المنيعُ أخوها فَلْتُفاخِرْ هذا الورى بإخائه

صدم الجيشَ ، صدمة الأَسدِ الضاري ، فما الموت كافياً لانثنائه

يهرب الموتُ من مَجال كميٍّ حين يسخو بروحه لشرائه

ريعَ قلبُ الحديد ، وانهزم الترك ، وهامَ الرشيد في بيدائه

خانه السيفُ ، عندما هجم الليث ، وَمادَتْ «شنَانَةٌ» لانتخائه [1]

نَسِيَ السيفَ في القِراب ، من الذعر ، وقد كان حجَّةً في انتضائه

أين بالأمس عُجبُهُ وتجافيهِ ، ولؤم السفيه في إزرائه

رُبَّ طاغٍ جلف اللسانِ عتيٍّ كان يطوي أكفانه في ادّعائه

وأراد الأميرُ أن يلحق الباغي ، فيردي الأخير من قُرنائه

فثناهم عن الإغارة مالٌ أتعبَ الحاسبين في إحصائه

فهنا المالُ خضرمٌ من جمالٍ صكَّ سمعَ «القصيمِ» عند رغائه [2]

وهناك الأغنامُ كلّ قطيعٍ كهضاب الثلوج بيضُ فِرائه

وعتادٌ وملبسٌ ونضارٌ خُيلاءُ السلطان في طغرائه [3]

ولَتلك النقود صكٌّ انتصارٍ بانَ ذلُّ المهزوم في إمضائه

مغنمٌ رنّحَ العرارَ بنجدٍ وأفاض الريحان في بطحائه [4]

---

١ شنانة : اسم موقع المعركة وبعضهم يسميها البكيرية . ٢ الخضرم : البحر . والرغاء : هدير الجمال . ٣ الطغراء : علامة ترسم على النقود السلطانية . ٤ كان المغنم عظيماً حتى ثنى أهل نجد عن متابعة المنهزمين فظلوا عشرة ايام يجمعون مما تركه عسكر الدولة وابن الرشيد في ساحة القتال من الأمتعة والذخائر والأسلحة والمؤن والثياب ناهيك بالإبل والغنم . وقد وجدوا بين تلك الأحمال صناديق من الذهب وزّعها ابن سعود على رجاله مثل بقية الغنائم ، ولم يأخذ منها شيئاً لنفسه . انها لغنيمة عظيمة فقد كانت قسمة الواحد من الذهب والجمال فقط تتراوح بين المئة والمئة والخمسين ليرة عثمانية ذهباً وبين العشرة والعشرين بعيراً . (ت . ن .)

زادَ نصرُ الأَميرِ في طيبه طيباً، وفي عزّه وفي إثرائه

يهبُ الأصفر النضار سخياً مثل بذل الخيرات من أهرائه[١]

سَمِنَ الجيشُ بالغنيمة حاشا سَيّدَ الجيش ظلَّ في إضوائه[٢]

والذي أَشبعَ الأُلوفَ نداهُ ما وعى غيرَ كسرةٍ لعشائه

يَدَعُ الطيبَ للعناقيدِ جذعُ لا يبالي بلبّه ولحائه

يحرم النفس من جنيٍّ شهيٍّ وتُصيبُ الطيور من حلوائه

ذكر الذاكرون يوم «حُنَينٍ» يومَ طه غطّى الثرى من عطائه

يمسكُ الحلقَ عن فرات قراحٍ وتعبُّ الصحراء من أندائه

كاد من فرط جوده يتخلّى عن أحبِّ الركاب، عن قصوائه[٣]

. . .

شرد التركُ في القفار معيزاً أعملَ السبعُ نابَه بجدائه

بين يوم «الصريف» واليوم فرقُ فرقُ ما بين ظالمٍ وجزائه

فاجراً كان عاتيَ القلب فظّاً تستجير الرمضاء من رمضائه

وهُو اليوم ناشدٌ، في صقيع الليل، بالقفر، جذوة لاصطلائه

---

١ أهراء : مفردها هري وهو البيت تجمع فيه الحبوب . ٢ الإضواء : الهزال والمقصود هنا التعفف . ٣ القصواء : الناقة المقطوعة طرف الأذن وهو اسم ناقة النبي ومثلها العضباء . ولم يكن لديه سواهما من الإبل التي وزّع منها ومن الغنم وسواها من الماشية ألوفاً يتألف بها الرفاق الذين في قلوبهم مرض ، يوم حنين في الجعرانة . ولما تألب عليه الناس يبغون المزيد في العطاء قائلين يا رسول الله أقسم علينا ، ألجأوه الى شجرة فاختطفت رداءه فقال ردّوا ردائي ايها الناس فوالله ان كان لي فيه شجر تهامة نعماً قسمته عليكم ثم ما ألفيتموني بخيلاً ولا جباناً ولا كدوداً . ثم قام الى جنب بعيره فأخذ وبرة من سنامه ثم رفعها . ثم قال ايها الناس والله ما لي من فيئكم، أي غنيمتكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس والخمس مردود عليكم الخ . . .

(السيرة الحلبية)

يتشهى ولو فتات رغيفٍ وعجوزاً ترقُّ لاستجدائه
يتمنّى زريبةً للمواشي أو مَغاراً يصونه في عرائه
ولقد كان بالعشيّة مزهوّاً، يصفُّ النجومَ في جوزائه
ركنه «يلدز» ! فَمنْ جندُ نجدٍ ؟ أحفاةُ الأعراب من أكفائه[1]
سيردُّ المخدّرات سبايا أو إماءً خوادماً لإمائه
رُبَّ كبشٍ تشوّفَ الليل للمرعى، فلاقى الجزّارَ في خضرائه[2]

. . .

بعضهم عاد كاسفَ الوجه نضواً يستجير الأمير في إيوائه
أكل القفرُ نصفَه، ويكاد الجوعُ يأتي على نحيل غِشائه
كلُّ خصمٍ جاءَ الأميرَ لعونٍ جاء بحر السخاء في مينائه
عرفوهُ في الحرب صنو الرواسي لا سبيلٌ لأجدلٍ في ارتقائه[3]
ورأوه في السلم روضاً جنيّاً تطمئنُّ العفاةُ في آلائه[4]
في جلال الأدواح بسطة ظلٍّ وحياءُ النسرينِ في استحيائه
كلُّ من ضامه الهجيرُ يوافيه، فيلقى البليل في أفيائه

. . .

١ يلدز : قصر السلطان والمقصود هنا قوة عبد الحميد . ٢ بعد وقعة «الشنّانة» المذكورة تشتت ما بقي من جنود الترك فكانت حالتهم محزنة . فقد فرّ بعضهم مع ابن الرشيد، وهام الآخرون في الفيافي كالسائمة، ومنهم من لجأوا الى ابن سعود فأواهم وكساهم وأعطاهم الأمان . (ت . ن .)
٣ الأجدل : الصقر . ٤ العفاة : مفردها عافٍ وهو طالب المعروف . والآلاء : هي المنح والأعطيات .

ومضى ابن الرشيد «للكهفة» القصوى شكوراً حصانَه لِنجائه[1]
يستجير الأتراكَ، صرخةَ ملسوعٍ، ينادي طبيبَه لشفائه
الطبيب الذي تَولاهُ يأسٌ لا يجاري مريضه في عمائه
بل يُعيدُ الرجاءَ للمُدنَفِ العاني، حكيماً، والوهمُ جُلُّ دوائه
أوهمَتْ نجدَ تُركيا بعتادٍ زاخرٍ سَدَّ أفيحا من فضائه
لا لِحربٍ جاءتْ به بل لِصلحٍ أبرزتْ هَولَ نابِها لاجتنائه
وتوالت من «يلدزٍ» خُطَبُ الودِّ ولطف الدهاء من سفرائه
هم يودُّون «للقصيم» حياداً ويغطِّيه «يلدزٌ» بغطائه[2]
حيلة دُبِّرتْ لنفع رشيدٍ فبقاء الأتراك ركن بقائه
ويظلُّ السلطان مولى رشيدٍ ورجالُ السلطان من خفرائه
قَرَنَتْهُمْ اليه دُهمُ خطوبٍ فَعلاهُمْ ملازم لاعتلائه
ويريد ابن «متعب» منهج القسرِ، و «فَيْضي» يحوطه بدَهائه

١ الكهفة : قرية من قرى حايل فرّ اليها ابن الرشيد وأرسل يستنجد الدولة مرة أخرى . وكانت الدولة كمن خسر في المقامرة فغامر بقسمٍ آخر من أمواله أملاً باسترجاع الخسارة . وقد غامرت بقسم كبير هذه المرة فأرسلت أحدَ رجالها الكبار «فيضي» باشا وشفعته بصدقي باشا وبخمس طوابير عسكروا قرب القصيم بقصد التهويل والترويع، لتصل الى حلٍّ سلميّ وبدأت تفاوض الإمام عبد الرحمن بواسطة الشيخ مبارك .

(ت . ن .)

٢ اجتمع الإمام عبد الرحمن بوالي البصرة في الزبير . وبعد المفاوضات طلبت الدولة حياد القصيم فيكون حاجزاً بين ابن سعود وابن الرشيد، ويكون للدولة فيه مركز عسكري ومستشارون فلم يوافق الإمام على هذا القرار . ولكنه رضي إكراماً للشيخ مبارك أن يعرضه على أهل نجد . وقد رفض النجديون حماية الدولة ورفضت عنيزة استقبال المشير أحمد فيضي باشا عدا صالح الحسن فقد كان يكره آل سعود . وراسل أهل عنيزة وبريدة الأمير عبد العزيز، يستشيرونه في المقاومة . وراسله المشير مبدياً نيته السلمية وبدأت المفاوضات ثم انقطعت لأن المشير اضطر لانجاد العسكر التركي في صنعاء اليمن، لان الإمام يحيى طوقها برجاله محاصراً الأتراك فيها . فذهب وترك الامر لصدقي باشا الذي وقف متفرجاً . وظل ابن سعود وابن رشيد في حالة حرب.

(ت . ن .)

يستميل السَراة في البلد الحرّ ويضفي الثنا على وُجهائه

...

ما أراد الأُباةُ سلطان تركيًا، فبُعداً لعرشه ورُوائه
ولذاك «الطربوش» لون دماءٍ سفحتها ذِئابُه لارتوائه
ما مَحَتْ جُرمَه مدائحُ «شوقي» شاتِمِ الخيّرينَ في إطرائه [1]
مرحباً بالعقال صاح «قصيمٌ» لا بظلِّ الخاقان أو وزرائه
لَفَظَتْهم «عنيزةٌ» غيرُ نِكسٍ صُفرة الزعفران لونُ ريائه
يبعثُ السمَّ فضلةً للافاعي ويواري النيوبَ من رقطائه
«صالحٌ» يؤثر الدخيل على العُرب، ويبدي صَغاره بانحنائه
ويهين «القصيم» في لؤمه البادي، ومَخذولِ رأيه، وانضوائه
بَلَدٌ في صروده كلّ صخرٍ حممٌ لاهبٌ على دخلائه
حُبُّ عبد العزيز في زهرهِ الفاغي، ولحن التطريب في ورقائه
راسلتهُ الأقطابُ من قادة الرأي، عيونُ الأعيان من شرفائه
أَيُحدُّونَ للدخيل سيوفاً؟ مرهفات تحدُّ من كبريائه
وأَحسّ «المشيرُ»، وهو حصيفٌ أنَّ ناراً تضرَّمت لبلائه [2]
بعث الوفد للأمير يداريه، يبثّ الدهاء في استرضائه

...

١ نصب أحمد شوقي نفسه لمدح عبد الحميد في مناسبات عديدة متناسياً فظائع ذلك السلطان ومخازيه .
٢ المشير هو فيضي باشا والمشير : رتبة عسكرية كبرى .

قطعَ الصلحَ والنقاشَ حديثٌ جاء «فيضي» فزاد في بلوائه
قيلَ «يحيى» الإمامُ ثار على الترك، فويلٌ للترك من «صنعائه»
فمضى ينشل الغريق ويخشى سَرَيانَ العدوى الى «أَحسائه»
تاركاً في «القصيم» بضعة أحزابٍ، وشعباً يئنُّ من جَرّائه
و «العزيزين» في احتراب رهيبٍ يستفيق الملا على أصدائه[1]

---

[1] العزيزان: عبد العزيز آل سعود وعبد العزيز الرشيد.

مصرع النمر

زُرِع الشرُّ في «القصيم» فطالا ... وتعالت أشواكُه أدغالا

فغدا بابلَ الزمانِ مُيولا ... وبدا واهِنَ السحاب انحلالا

نثر التركُ في العُيون رماداً ... حامياً زادَ وهجُهُ استفحالا

فلهم حزبُ «صالحٍ» ورَشيدٌ ... حِزبُهُ كلُّ من أحبَّ الشِكالا[1]

ولعبد العزيز كلُّ سريٍّ ... عشقَ الجودَ والعلى والخلالا

وفريقٌ تذأَبوا، كاختلاف الريح، تعتلُّ يمنةً وشمالا

فأغاظَ الأميرَ فوضى عقولٍ ... غيَّبَتْ في ضبابها العُقّالا

ويمضُّ الصدوقَ أنَّ المرائي ... نعمٌ عنده ترادف: لا . لا

فليَعُد «للرياض» غير حقودٍ ... وليُوكِلْ بالمهمل الإهمالا

وليُجرِّبْ أهلُ «القصيم» سواهُ ... يذكر النبعَ من يجربُ آلا

ليس يدري معنى الشباب المُعافى ... قبلما تصبح الحياة اعتلالا

---

١ الشكال: حبل تشدّ به قوائم الدابة، والمقصود بالشكال هنا العبودية والمذلّة.

وتحولُ الأحلامُ سُهدَ مريضٍ يقطع الليلَ أنَّةً وسعالا

. . .

غاب عنهم فأفقدَ الروضَ معناه، وأذوى فواكهاً وظلالا

بين ريحين: زعزعٍ وحَرورٍ جفَّ رَنْدُ التلالِ والبانُ حالا [١]

بين خصمين: صالحٍ ورشيدٍ أجدب الحقلُ وادياً وتِلالا

أين عبد العزيز، نادتْ سراةٌ ذاكَ يحمي أموالنا والعيالا

واستغاثوا بابن «الصَباح» ليُرضيه، فجاءوا «الحوَّاقةَ» الغزّالا [٢]

خيرَ من ماهَ عوسجاً بحريرٍ وعلى الغشِّ وَطَّدَ الأنوالا

«إولدي» يكتب «الصَباحيُّ» عفواً عن «قصيمٍ» فإنَّ هجركَ طالا [٣]

نَشَدتْ خيرَكَ النفوسُ عطاشاً فأَعِدْ للظوامئ السلسالا

. . .

بعث الشيخ «للرياض» رسولاً وإلى «حايلٍ» وُفوداً تتالى

حيث أدَّى سجودَه لعدوٍّ داسَ بالأمس جبهةً وقَذالا [٤]

كادَ لولا الأمير يمحو «كويتاً» ويُوَشّي من اللآلي النعالا

---

١ الزعزع: الريح العاصفة التي تقتلع الاشجار. والحرور: الحارّة. ٢ الحوّاقة: لقب عرف به الشيخ مبارك لكثرة دهائه. ٣ «إولدي»: يا ولدي. أحسّ عبد العزيز بانقلاب في سياسة الشيخ، فاغتنم مبارك هذه الفرصة ليظهر انه الصديق الذي يرعى العهود. فكتب الى الامير يسأله العودة الى القصيم والعفو عن أهله لانهم مخلصون ولا يبغون سيادة غير سيادته. ٤ القذال: مؤخر الجمجمة.

«إولدي»! شاهتِ الأُبوّةُ، إن كانت على مثل صدقه منوالا [١]
لفظةٌ صورة الألوهة فيها وهو ينوي تَلْويثَها أوحالا
يا له من أبِ المكايد قنّاصاً، وحامي أشراكها ختّالا
إنَّ من يذبحُ الشَقيقين غدراً كيف يقصي عن الغريب الحبالا [٢]
وغريبٌ عبدُ العزيز فلا تُشفِقْ، ونَوِّمْ وجدانَكَ المغتالا
حالفِ التركَ والرشيدَ عليه حِلْفةُ الحقِّ والإله تعـالى
وتخيَّرْ، لكي تتمَّ الأثافيُّ، نصيراً ممـاثلاً دجّالا [٣]
«صالحٌ» ثالث الأثافيّ فاطبخْ كَرِهَ الخيرُ أن تذوق الحلالا
عجباً للنعوتِ أو للأسامي كيف تغدو تهزُّؤاً وانتحالا
فيغطّى الدميمُ بالنعت، برّاقاً، كأنَّ الألفاظ تُولي الجمالا
فيسمُّون «جوهراً» حبشيّاً لونه، في الضحى، يخيف السعالى [٤]
ويُقال السليمُ، وهو لديغٌ علَّ ذكر السليم يجلب فالا

. . .

١ في اليوم نفسه الذي كان يتوسط فيه مبارك لأهل القصيم كانت وفوده تذهب الى حايل حاملة كتب التودّد والولاء التي أسفرت عن صلح بينه وبين عبد العزيز الرشيد . وقد فعل مبارك ذلك لسببين : إرضاء الدولة وخوفاً من امتداد إمارة ابن سعود . ولقد كبا كبوات مضحكة فلقد كتب الى ابن الرشيد يقول اني متكدر جدّاً من أعمال ابن سعود، وقد جرت الأمور في نجد على غير ما أشتهي اما الآن فانا وإياكم عليه، والكويت وحايل شقيقتان ومصلحة البلدين واحدة الخ ... وكتب الى ابن سعود يقول «إولدي « يا ولدي» أنا معك في كل حال وحين . قوّاك الله وتولاك لا تترك هذا الكلب فحل الشول ولا تدعه يستريح، ولا تصالحه، وأنا أبوك مستعد لمساعدتك في كل ما تريد» . ولكن كاتب الديوان المباركي لم يكن موفقاً في تلك الساعة، ساعة كتب الى الخصمين . فقد أرسل كتاب ابن سعود الى ابن الرشيد وكتاب ابن الرشيد الى ابن سعود .
(ت . ن .)

٢ إشارة الى اقدام الشيخ مبارك على ذبح أخويه توصّلاً للحكم . ٣ الأثافي : قطعة من الجبل توضع عليها القدر وعلى حجرين أمامها ويقال : رماه بثالثة الأثافي اي بالشرّ كله . ٤ السعالى : مفردها السعلاة وهي أنثى الغول : الحيوان الخرافيّ المشهور .

جامِلِ التركَ يا مباركُ واسطُرْ لرشيدٍ من الخداع المقالا
قُلْ لهم « حايلٌ » لقلبك أدنى من « رياضٍ » وَذَهّبِ الآمالا
إنَّ عبد العزيز باغٍ أثيمٌ مَدَّهُ الحظُّ حقبةً فاستطالا
إنَّك الناصرُ! المثاليُّ! حقًّا طالما كنت للصلاح مثالا
« حايلٌ » والكويت أختا وئامٍ منذُ نجمٌ على «الكويت» تلالا
فَلْتَزُلْ غيمةٌ على الأفق رَانَتْ ولْيَعُد آسِنُ الغدير زلالا
«حايلٌ» ترفد«الكويت» رجالاً أختها تمنحُ الشقيقةَ مالا
قبل أن يسطعَ السعوديُّ بدراً فَلْيُغَيَّبْ، وما يزالُ هلالا
يوم أَمْلَيتَ، يا مُباركُ، ذاكَ النصَّ زَلزَلْتَ بالرياء الجبالا
هانَ لو خنتَ واحداً، فيقال، الشيخ في زحمة المخاطر عالا[1]
عادة المَينِ أن يجيء رذاذاً وبكفَّيكَ ساكباً هَطَّالا[2]
قلمٌ يجحد المَدَادُ عليه إنْ يُكلَّفْ حقيقةً أو كمالا
وتراه إمَّا يُسخَّرْ لمكرٍ مُلهَمَ البثِّ مبدعاً سيّالا
إذ ينادي: عبد العزيز تشجَّعْ لك مني ما شئته أموالا
«جَندِلِ الكلبَ، ذلك الفحلَ، فحل الشَولِ واسكب على الرشيد الوبالا»

. . .

شرعةُ الصدق يا مباركُ تأبى نعتَ كلبٍ لمن رِعانَكَ طالا[3]

---

١ عال: جار وخان . ٢ الرذاذ: المطر الخفيف . ٣ الرعان: رؤوس الجبال .

ذلك الفحل كان قيدومَ حربٍ يوم تخشى حُمْسُ الرجال الصيالا[١]
نَمِراً ضارياً، وفظّاً غليظاً لا جباناً وقُعدُداً مجفالا
ومن المضحكات يا ابن صباحٍ أنّ سرّ «الحوّاق» باتَ مُدالا[٢]
فضح الله ما كتمتَ، كلا الخصمين رازَ المراوغَ المحتالا
هفوةٌ في البريد أبدلت الكُتبَ، وأبدت ضميرَكَ الختّالا
ما خدعتَ الأبطالَ، بل كنت أنت اللابسَ العار، والمكورَ المُذالا[٣]
أظننتَ الرياءَ درع وقاءٍ؟ تلك درعٌ تهافتت أسمالا
ليس يخفى على البصائر شيءٌ كان بالفعلِ، أم أجاز البالا
ومن المضحكاتِ أن تنذرَ الشبلَ بحربٍ وتكثرَ الإدلالا[٤]
ألِتُرضي الرشيد بعد افتضاحٍ بعدما السترُ عن خداعك زالا
حَكَماً رُحتَ تنذر الليث بالردّ، ومَولًى يُعدّلُ الأعدالا
من يَني ظهرُهُ بريشةِ بازٍ أعَنِ الفيل يحمل الأحمالا
عَجَباً! يُوعِدُ الأميرَ بحربٍ من قضى العمرَ مُترَفاً لَألّالا[٥]
يحسن اللفَّ والدهاء، يسوسُ الغيد، يأتي مراقصاً وحِجالا[٦]
يعرف الخنجرَ الغدورَ ولكن لم تُقلِّبْ يمينُه عَسّالا

• • •

١ حمس الرجال: شجعانهم. ٢ المدال: هو الشائع المتداول. ٣ المُذال: المهان.

٤ عندما استأنف الاثنان القتال جاء رسول من الشيخ مبارك يحمل الى ابن سعود كلمة وجيزة قاسية كتبت على قصاصة من الورق، وفيها أنه سيعلن الحرب عليه اذا كان لا يعيد منهوبات ابن الرشيد. والمنهوبات هذه غنمها من بعض قبائل العراق رجل من الظفير اسمه علي الضويحي، وقد كان من أنصار ابن سعود فليس للشيخ مبارك حجة في تدخّله بالأمر. ولكنه بعد العثرة التي كان الكاتب سببها حاول ان يصلح الأمر مع حايل بهذه الطريقة. (ت. ن.)

٥ اللأال: تاجر اللؤلؤ. ٦ الحجال: مفردها حجلة ومعناها بيت العروس أو ستر يضرب عليها.

قد تخلّى عن « القصيم » أميرٌ كان يدري الحوادث استقبالا
كان بَرقاً بَديهـةً وذكاءً كان بحراً تبسُّطاً واشتمالا
كان أدرى « بصالحٍ » وسواه يوم تهوي الفوارس استبسالا
يوم يلقون « حايلًا » ، ويجدُّ الجدُّ ، والحرب تخرج الأَثقالا
« شمَّرٌ » ، والرماة خيرُ رماةٍ رضعوا في الوغى وراضوا القتالا
يَدعون « القصيم » و « الصالح » النِكسَ لمرمى رصاصهم غربالا
هاجموه في « الرسّ » فانخذل « الرسُّ » وَمالت كفُّ الرشيد ، وشالا [1]
ذبحوهم ذبحَ النعاج مِئاتٍ « صالحٌ » كان بالفرار غزالا [2]
لم يُلاقِ ابنَ « متعبٍ » في نزالٍ حسبه في المنام لاقى الخيالا
أين عبد العزيز؟ أين سعودٌ « صالحٌ » صاحَ والصريخُ توالى
علموا أنه الرشيد ، ويُفْنِيهِمْ ، كما تفرُسُ النِمارُ السِخالا [3]
أنَّه السيلُ جارفاً يستبيح الغَرسَ لدناً ويجرف الأوشالا
أنَّه النِمْر بالدماء وَلُوعٌ فلينادوا لصدّه الرئبالا

. . .

« صالحٌ » أوفد الشقيق مِهنّاً مستغيثاً « عُنيزةً » إجمالا

---

١ الرسّ : اسم بلدة كان صالح الحسن وجيشه فيها . ٢ أرسل ابن الرشيد سرية يقودها صالح العذل ومعه حسين العسّاف الى الرس . فاستولت عليه فاجتمع بعض أهل القصيم في الشقة للدفاع وانضم اليهم العربان ولكن ابن الرشيد ذبح اكثرهم وحاصر البقية . فضجّ القصيم وأدرك صالح الحسن واتباعه ان ليس في وسعهم الدفاع وان خلاصهم بيد الله ثم بن سعود . وأرسل صالح الحسن أخاه مهنا الى أهل عنيزة ليتوسطوا في استرضاء ابن سعود . فاستقبله الأمير عبد العزيز مرحّباً به وبأصحابه وعفا عنهم ثم توجه الى القصيم ولكنه لم يكن في ذلك الحين قادراً على محاربة ابن الرشيد لسببين أولهما القحط في تلك السنة وثانيهما تفرق البادية للاهتمام بمواشيهم .
(ت . ن .)

٣ فرس : افترس .

كلُّ من يذكر السعود بخيرٍ كلُّ من ظاهَر الأمير ووالى
مستجيراً مُرَوَّعاً ذَلَّ جفناً وجبيناً ومعطساً وِسبالا [١]
ناكِس الرأس كاسفاً كالأيامى قد لَبِسنَ الشقاء والإرمالا
يشحذ الغوثَ في خشوع المصلّي عندما يُبرم السماء ابتهالا
في خشوع اليتيم، ضَمَّرهُ الجوعُ، فأحفى سمعَ الغنيِّ سؤالا

. . .

أرسلت وفدها «عنيزةُ» تلقي بعد ربِّ السما عليه اتكالا
شفعت وَفدها بطُلّابِ عفوٍ لخؤونٍ يصغّرُ الأنذالا
جاء قصرَ «الرياض» أجربَ خلقٍ لا يرجّي من دائه إبلالا
كاد من خوفه يقبّلُ أقداماً، إنِ الليث يمنع الأذيالا
دخل القصرَ حسبه لينالَ العفوَ، كان الدخولُ فيه اغتسالا
حسبه ذلّهُ ويأبى أميرٌ أمجدٌ أن يزيده إذلالا
يحفز الأفْؤسَ الرهيفة غابٌ تطلق الدوح عاتياً مختالا
وتلين الفؤوس عند هشيمٍ لو مَشى فوقه النسيم انهالا
عُرفَ الصفح عند آل سعودٍ فطرةً لا تكلُّفاً وافتعالا

. . .

وأراد الأمير إنجاد قومٍ قصدوه لو استطاع مَنالا

---

١ السبال: الشارب.

شَرَدَ البدوُ في طلاب المراعي والمراعي تجهَّمت إمحالا
المواشي تكبُّ تَستَروحُ النَبْتَ، فما إنْ تشمّ إلا الرمالا [1]
هائماتٍ، يَرِدْنَ من شِدّة الظمءِ سراباً ويرتضينَ الآلا
عرف ابن الرشيد بالوفد والعفو، وما صَمَّم الأمير وآلى
فاستفزَّتـهُ نخوة النِمْرِ إمَّا زَرَعتْ جلدَهُ القِسيُّ نبالا [2]
شدَّ يغزو «قُصَيبةً» و«بشوكاً» و«الُحميدانَ» هادراً صوَّالا [3]

. . .

راحَ يستنفرُ الأميرُ البوادي فأتوْهُ — على الهزال — عجالا
واستجابَتْ حواضرٌ، ومشى الجيش، ليلقي عن «صالحٍ» أثقالا
حين كان الغدّار يدعو رشيداً لِوَلاءٍ تقيَّةً واحتيالا
خفَّ ينضَمُّ للأمير وقاحاً مبدياً في رِضى النصير امتثالا
والأميرُ الأنوفُ يعلم أنَّ «الصالح» الخبَّ جاءه سِرحالا [4]
وتغاضى الأبيُّ عشرين يوماً مدركاً أنَّ عنده أصلالا
فأتاه الوقاحُ يَلْتَمِسُ الهجرَ، ويستأنف الهوى والضلالا
ساحباً قومه عن الجيش خذلاناً، فما كان ألأمَ الخذّالا
يفجر الثغرةَ العريضةَ فيه فاتحاً للعدوِّ فيه المجالا

---

١ تستروح: تطلب رائحة النبات. ٢ القسيّ: مفردها القوس. ٣ القصيبة: شمالي بريدة. والبشوك: على مسير خمسة ايام من حايل. والحميدان: من عرب مطير. وكل هذه الاماكن موالية لابن سعود. ٤ الخبّ: الخداع. والسرحال: الذئب.

فيجيءُ الرشيد يَفرِسُهمْ فَرساً، سَبنَتى مزمجراً أكّالا[1]

راحَ عبدُ العزيز يطلقُ للأفعى سِراحاً، فتدخل الأدْحالا[2]

حيثما يلتقي الثلاثة أحلافاً يكيدون للأمير الزوالا

«الصباحيُّ» و «الرشيدُ» وهذا «الصالحُ» البالغ الثريَّا جَلالا

نافس «الصالحُ» «المباركَ» صدقاً توأما نبعةٍ جرت شلّالا

وتسامى النسر الأبيُّ عن الإثنين، يدري ويُظهر الإغفالا

ينعب البوم في الخرائب مشؤوماً، ويهوى الظلامَ والأطلالا

وتظلُّ العُقابُ في حُبُك النجم، وتكسو خدَّ المجرَّةِ خالا

يلمح الباز، وهو في حالِق الجوِّ، نِمالا ولا يحسُّ النِمالا

. . . .

هبط النسر يجمع الجيشَ في «الزلفى»، فَخَفَّتْ «مُطَيرُها» أشبالا

قاصدين الرشيد في «عقلة الزلفى» فخالَ الوعيرُ، والغيثُ حالا[3]

وابلٌ ذكَّر الخيال بنوحٍ يوم غمرُ السماء سال جبالا

إذ شآبيبُها حبالا تدلّى مفعماتٍ بالمُزنِ ربداً ثقالا

---

١ فرس : افترس . والسبنتى : النمر . قبل الامير انضام صالح وقومه عالماً بخداعه . ونزل ابن سعود في الأسياح بجيشه المؤلف من البدو والحضر فاقام هناك عشرين يوماً وشعر بأن صالحاً يهمّ بالانسحاب ليترك ابن سعود وحده مع قومه فريسة لابن الرشيد . فنقل الامير من الأسياح الى الزلفى ليبعد عن القصيم . فلما وصل الى البنجية استأذنه صالح بالرجوع الى بريدة فأذن له بالرغم من خيانته الظاهرة ثم انضمت الى ابن سعود قبائل مطير وبلغه اذ ذاك خبر الصلح بين مبارك والرشيد وان المبارك لم يكتف بذلك بل كتب الى صالح الحسن يحرضه على مثل عمله . (ت . ن .)

٢ الأدحال : مفردها الدحل وهو ثقب ضيّق الفوهة عريض القعر . ٣ الوعير : الوعر .

عُمُدٌ تلتوي فتمزقها الريح، وتبدي لفقدها إعوالا
لا يُنيرُ الغمائمَ الجُونَ إلّا صاعقٌ أشعل الثرى إشعالا
ويغوص الحصان في غمرة الدَّجنِ فيلقي من الضنى الخَيَّالا[1]
بين بحرين سابحاً فَصُواحٌ وهتونٌ غواربا يتعالى[2]
نسي القَمْصَ والتخايلَ والحِجرَ المُداني والكرَّ والتصهالا[3]
يسفعُ الودقُ في عيون المهاري والأعاصيرُ تستبيحُ الرحالا[4]
ولَتعمَى أبصارُهنَّ وتغدو والأدلّاء[5] هُيَّماً ضُلّالا
لا سبيلٌ لابن الرشيد فهذا برزخٌ صدَّ ضُمَّراً وجمالا
والعدوُّ الرهيب كان قريبا ليس يألو مُحاذراً نَقّالا
ينشد «الشقّة» القريبة حتى يلتقي «صالحاً» فيحسن حالا[6]
بين نارين يصليانِ سعوداً ويبيدان جيشَهُ استئصالا

. . .

قيل يا ابن السعود هذا رشيدٌ ليس يعدو مَناخكم أميالا
جيشه رابضٌ بروضِ «مِهنّا» وهو يبغي بابن المهنّا اتّصالا[7]

---

١ الدجن : المطر الكثير . كان ابن الرشيد نازلا في عقلة الزلفي وهو مكان وعر كثير الرمال فسرى اليه فلم يدركه هناك وكان اليوم من أيام الربيع الماطرة العاصفة التي لا تستحبّ في الحرب فقد يدنو المتحاربون من بعضهم ولا يشعرون فاذا هم في المهلكة الكبرى . فحالت الأمطار والرياح دون السير . وكان ابن الرشيد يتراجع ليصل الى الشقة، فيلتقي هناك وصالحا. (ت . ن .)

٢ الصواح : عرق الخيل . ٣ القمص هو الوثب . والحجر : أنثى الخيل . ٤ يسفع الودق : اي يلطم المطر عيون النياق . ٥ الأدلاء : مفردها دليل . ٦ الشقة : اسم مكان . ٧ ابن مهنا : صالح الحسن .

فيه ألفٌ وبعض ألفٍ، من الجرد المذاكي َصوافناً أخيالا[١]
هبَّ عبد العزيز والبدرُ أرخى فوق سهل الوقيعةِ الأسدالا
لتكون الأكفانُ، من ُحلَلٍ بيضٍ، اذا رامَتِ النفوسُ ارتحالا
أَمرَ الجيش ُيسرعون ُمشاةً أُسْدَ حربٍ وفي العُدُوِّ رِئالا[٢]
«فَلْنُفرِّق بين الحليفين، ولْنَمشِ، كما ينسخ الضياء الظلالا»
نلبس الصمتَ حلّةً، وسوادَ الليـل درعاً، والصحصحان انتعالا[٣]
يربح الشوطَ بادِهٌ يبغتُ الخصمَ ويمشي عـلى الصعاب ارتجالا

. . .

وسَرَوْا فاستفاق كشّافةُ الخصم، وما «شَمَّرٌ» ثِقـالاً كسالى
لا ينام الخفـير إلّا بعينٍ أختها تجهل الوَنى والمـلالا
أعلى موعدٍ مع الحرب نامت أم أَحسَّتْ وطيسَها استدلالا
يحلم الفارس الغشمشمُ بالطعن، ويقضي ُحلوَ المنـام نِزالا
مثلمـا يحلم المتيَّمُ بالحبِّ ويخشى الوشاةَ والعُـذّالا
إنما المرءُ، حلمـهُ في حناياه فإمّا يَنَمْ يمـدِّ الخيالا

---

١ الأخيال مفردها الخيل . ٢ العدوّ : الإسراع في السير . والرئال : ذكور النعـام .
٣ الصحصحان : الارض المستوية . مشى الامير ورجاله قاصدين روضة مهنا ومهنا اسم العـائلة التي يرئسها صالح الحسن . وقد شعرت كشافة ابن الرشيد بقدومهم رغم مشيهم عـلى الأقدام . ونهض ابن الرشيد بجيشه المؤلف من ستمئة من الحضر وألف ومئتين من خيالة البدو . وفي الجيش السعودي أربع مئة من خيالة البدو وألف ومئتان من مشاة الحضر . وتهاجم الفريقان تحت جناح الليل ١٨ صفر ١٤ نيسان ومعـلوم ان القمر يكون ساطع الشعاع في مثل تلك الليلة . (ت . ن .)

لا يلاقي إلّا الـذي كان فيه فتصبَّى فؤادَه، فاستمالا

. . .

طلع الأزهرُ الوضيء ليروي ويؤدي الى العصور المقالا
يَدع الجُونَ للفواجِرِ واللصِّ، ويهدي ضياؤه الأبطالا[1]
فيكون الشعاعُ للأَسد المنصورِ، أو للذي قضى، سربالا
زمجرَ العسكر الرشيديُّ حتى خِيلَ أرضاً تمخَّضت زلزالا
وتبارى الجمعانِ في طلب الموتِ، كما ينشد العشيق الوصالا
يتعاطونَها كؤوساً دهاقاً حملت في حَبابها الآجالا[2]
وتَراهم ورُّادَها، يكرعون الدنَّ، من فرط ظَمْئِهم، والثُمالا
لا يدورون حولها بل سراعاً سنَّةُ السيف لا تطيق الجدالا
مثلما الكاتبُ المعجِّلُ في الكَتْبِ، يوالي حذفَ الحروف اختزالا
فيظلُّ القرطاسُ ينشدُ مَلْأً صارخاً مِلْءَ صوته دَلّالا
ينشد البائعين أرواحهم للمجدِ، تترى أفواجُهم أرجالا[3]
يَتعادَون للسخاء، انطلاقَ السربِ لا هُيَّباً ولا بُخَّالا
قَلّما يطلقون ناراً، وضوء الشهر أغنى سُمْرَ التلال فسالا[4]
طَرَحوا السُمرَ فالكعوبُ تَشظَّتْ واشتكى الرمحُ في الصدور ابتذالا

---

١ الجون: مفردها الجون وهو الشديد السواد. والمقصود ان الظلام مسرح الفواجر واللصوص.
٢ الحباب: هو الفقاقيع التي تعلو الماء أو الخمر. ٣ الأرجال: أسراب الجراد. ٤ الشهر: هو القمر. وأصل الكلمة سرياني فإن لفظة سَهْرُو بالسريانية تعني القمر. ولا يخفى ان الاشهر العربية قمرية.

فأعادُوا للسيف عهد كليبٍ   مَضرباً وانتفاضةً واستلالا

واستجابوا أمنيَّةَ البدر علماً   أنَّ زُهر البدور تهوى النصالا

يَتلاقى اللجينُ من فلَكٍ سمحٍ   ومن أبيضٍ أُجيدَ صقالا

لم يُلاقِ اللُجينُ إلّا عبيطاً   جائشاً كان يطلب الأذحالا[1]

• • •

شهد البدرُ «شَمَّراً» تتخلَّى   عن مَتاريسها الحصونِ سجالا

فيحلُّ السعود فيها، ونِعمَ الأسدُ،   وثباً وَجَلوةً واحتلالا[2]

حيثما ينزلون فالطودُ راسٍ   فاذا غادروه فالطودُ فالا[3]

وسرى ابنُ الرشيد يستنهض الجندَ،   ويقصي عن القلوب الكلالا

راح يختالُ تحته الفرسُ البحرُ،   فيجري محمحماً مصهالا

عالماً أنَّ فوقه ابن رشيدٍ   من تمشّى على الرؤوس اختيالا

وأتى ربوةً وكان عليها   عَلمٌ للرشيد تاهَ دلالا

كان في عهدة «الفُريخِ»، فالَ البندُ،   واستبدل المكانُ الرجالا[4]

جاء يستنهضُ الصحابَ ولا يدري   بما قلَّبَ الوغى وأدالا

---

١ عبيطاً : اي دماً عبيطاً . والأذحال : الثارات . ٢ والجلوة : المرة من جلا الرجل عن مكانه : أخرجه . ٣ فالَ : ضعف . ٤ الفريخ : اسم رجل كان يقود الكتيبة ويحمل الراية .

صاحَ «مِن هان يا الفريخ» وثنّى صيحةً رَدّها الصدى فأطالا[1]
وأعاد النداءَ. لا غَروَ فالغرِيدُ يُفني قبل الردى الأزجالا
عرفتهُ كتيبةٌ لسعودٍ عَرفتْ من حسامه الأهوالا
انّهُ المالِئُ البيوت أيامى انهُ المشبع الورى إثكالا
وتنادوا «إبنُ الرشيد!» وَدَوَّت بُندقيّاتُهم، فَصاحَ وَمالا
وَخَلا السرجُ من كميٍّ شجاعٍ صيتُهُ كان يرعب الأقيالا[2]
طالما أطربَ السيوفَ وَحنّاها، وبالورد خَضّبَ الآصالا
هَرَعوا للأَمير بالخاتم الفردِ، وبالسيفِ قانياً فصّالا

. . .

قرَّ شيخُ «الكويت» لمّا أتاهُ مصرعُ النمْر فاستعاد السؤالا
لم يُصدِقْ لِفرط ما كان جذلانَ، فسبحان من يُبَدِّلُ حالا
ولِنِعْمَ الحليفُ يرتجل الأزياءَ تَترى، واللونَ والأشكالا
لم يَنَمْ لَيلَه فكان كطفلٍ وكمِ العيدُ سَهَّد الأطفالا

---

١ (من هان يا الفريخ) : أوردناها على الحكاية . و (هان) معناها : هنا والعرب في عاميتهم يلفظونها مع الإمالة فتكون حركة الهاء متوسطة بين الفتحة والكسرة . ويقابل ذلك باللغة السريانية حركة (الإشَعيو) ولا تخلو منها قراءة القرآن في التجويد كقولك باسم الله مجراها ومرساها فالألف في كليهما تلفظ مع الإشمام .

لقد اشتدت المعركة فتقهقر الرشيديون واحتل السعوديون مراكزهم . وكان أميرهم راكباً حصانه يدور في معسكره مستنهضاً محرّضاً . فلما وصل الى المكان الذي كان فيه فرقة من جنوده ظن انها لا تزال هناك فصاح بحامل البيرق يحرّضه على الهجوم . من هان يا الفريخ (اسم صاحب البيرق) «من هـان يا الفريخ» وأين الفريخ ؟ قد تقهقر مع المتقهقرين وحل محله بيرق ابن سعود . «من هان يا الفريخ» عرف رجال ابن سعود الصوت فصاحوا ابن الرشيد ! ابن الرشيد ! ثم تكلم الرصاص . أطلقت البنادق السعودية على الامير التائه فخرّ صريعاً وفيه بضع وعشرون رصاصة – «وهذا سيفه وهذا خاتمه يا لإمام» . (ت . ن .)

٢ الاقيال : مفردها القيل وهو الرئيس .

وتَعامى عن النعيِّ وأخفى بَسماتٍ وفي التجاهل غالى
ساطراً في الصباح لابن سعودٍ من حواشي ريائه أقوالا
« إولدي ! أنت لا سبيل لريبٍ كنتُ بالأمسِ مازحاً هزّالا »[١]
إذ أداري الأتراكَ بابن رشيدٍ وأماري تقيَّـةً ومِطالا
فتخيَّر فكلُّ ما تبتغيـه لك مني فريضَةً أو نَوالا
وتغاضى الأميرُ عن خُلُقِ الشيخ، وأبدى السلام لا الإجلالا

. . .

إيهِ يا ابن الرشيد ما كنت نذلا بل أصيلا جدًّا وعمًّا وخالا
خيرَ من هزَّ في الميادين رمحاً وادّعى صهوة الحصان وجالا
لِمَ لَمْ تُستَبحْ عليك دموعٌ وتُشقّ العـواتقُ الأذيالا
فرِحتْ « شمَّرٌ » بموتك حتى لم تفارق حِسبانُها الخلخالا
وهُمُ الأقربون منك، وراموا بدلَ الدمع بالهناء اكتحالا
ذاكَ انَّ الإنسانَ يُحسبُ إنساناً، اذا جلَّ فطنةً وخصالا
قيمة المرء ما يقدّم للمرء، فقِسْهُ الأخـلاقَ والأعمالا
كنتَ في الناس! لا! فما كنتَ إلّا عاتياً رام في الأنام اعتزالا
لاثماً وجهك العبوسَ غليظاً لا رحيماً تُرى ولا وصّالا

---

١ بعد التهديد الذي بعث به مبارك الى الامير بلغه مصرع عبد العزيز الرشيد فكتم الخبر وبعث في الحال الى ابن سعود كتاباً طويلاً عريضاً جاء فيه : « اني دائماً لك يا ولدي عبد العزيز . أنا أبوك وعونــك وعضدك ولم أصالح ابن الرشيد إلا لأقهر الترك . ولكني مستعد أن أمدّك بالمال والرجال . المال مالك يا ولدي عبد العزيز والحلال حلالك » . وقال الامير للرسول مستطلعاً « والدي الشيخ أخبرني انه أمرك بأن أكتم خــبر قتل ابن الرشيد . » فأجابه الرسول : ما نام الشيخ والله من شدة الفرح عند وصول الخبر . (ت . ن .)

لا تراكَ العيون إلّا لماماً فتلاقي كوفيَّةً وعقالا [١]
يَستَجِبُّ الظهور وجهٌ صراحٌ فالدياجيرُ تحضن الأَصلالا
ليس بدعاً أن يكره الناس فظّاً صرفَ العمرَ جفوةً وانفصالا
يكره الناس مَن إذا قيلَ: مادَ الكونُ أو بادَ أهله ما بالى
من يُرَوّي من الدماء المراعي مستبدًّا بالأُمّهات الثكالى
إذ يبتُّ الهاماتِ صفًّا فصفًّا مثلما يبتر الحصاد الغلالا
« الحواشيش » أربعون فقيراً « الحواشيش » أُبسلوا إبسالا [٢]
أَلِأَجل الحشيش تردي ضعيفاً سقطت شاتُه الحلوبُ هزالا
والذي أنبت الحدائق غُلباً وكسا الأَبَّ نضرةً واخضلالا [٣]
كان يعطيك لو عفوت ولكن كان فيك الإنسانُ شيئاً مُحالا
من دمِ الأَبرياء طار رشاشٌ صبغ العرش واشتكى فأطالا
لا رؤوس تحكي ولكن أكفٌّ تسأل الله يقتل القتّالا
وأَبا الجور عدت لو راحَ مظلومٌ يكنّي ويضرب الأَمثالا
فيقولون كان نيرون نجدٍ جورُه بات يرعب الأَجيالا
حجب الظلم ما أَتى من بطولاتٍ فبانت خلفَ المعاصي ضِئالا

---

١ لماماً : أي بين حين وآخر . كان الامير عبد العزيز الرشيد جبّاراً عتيّاً لا أثر للخوف في قلبه ولا شيء من الرحمة والحنان . وقد كان فوق ذلك قطوباً عبوساً يشدّ عقاله فوق عينيه وكوفيته على فمه فسمّي الملثّم العبوس . وقلما كان يبتسم بل قلّما كان يكشف وجهه كله للناس . ولم يكن على شيء من السجايا التي تحبّب القائد الى رجاله والامير الى رعيته . واليك بحادثة تدلّ على ظلمه وقساوته . فلقد مرّ يوم كان يحارب أهل القصيم برعاة من تلك الناحية يَحْشّون وهم أربعون فأمر بالقبض عليهم ثم بإيقافهم صفاً، الواحد جنب الآخر ثم بقطع رؤوسهم أجمعين فكان كذلك . وهذه المذبحة تدعى بحادثة (الحواشيش) فلا عجب اذا كان قد فرح أهل شمّر أنفسهم بموته كما فرح الشيخ مبارك . ٢ أبسله : أسلمه للهلاك . ٣ الأبّ : العشب .

تعدّدت الأعداء

رامَ جُند الأَمير منذُ الغَداةِ أَن يبيدوا الكتائب الهاربات
مُدبراتٍ، من بعد مَصرع راعيها، دَوامي الجفون منكسرات
فَثناهُمْ عن التَّقَفّي عميدُ خَطِرُ الهمّ واسعُ الغايات
يبتغي «حايلًا» مجالَ مَهاريهِ، وملقى الأَبطال والرايات
رحلةٌ دربها طويلٌ عسيرٌ شائكُ الضفَّتين والعَطَفات
كنيوب التنّين كالحةٌ رَبداءُ، لاحتْ نَواتِئُ العقبات
رحلةٌ تطلب السيوفَ أُلوفاً وأُلوف الجياد والناقات
من يُحاولْ خوضَ البحار لحربٍ يَتوخَّ الدوارعَ البارجات
جاء يبغي من «القصيم» الرُدافَى[1] لِسَرايا «رياضِهِ» المخلصات
واهماً أنَّ مصرع النِمْر يحدوهم، وأَنَّ النسيمَ رَهوٌ[2] موآت
يا ابن عبد الرحمن أخفقْتَ ظنّاً فلقد جئتَ بؤرة الحُمَّيات
مَلأَتها أفعى «بريدةَ» سمّاً فسرى خُبثُهُ الى النيَّات

---

[1] الردافى : الأعوان . [2] الرهو : السهل .

كاد يسري لولا بقيَّةُ خيرٍ ... لِصَوافي عيونها والنبات

فيميت النعاجَ من سورة السمّ ، يَرِدْنَ الغـديرَ مبتردات

حَولكَ العوسجُ المريبُ فَحاذِرْ ... من نيوبٍ خفيَّـةٍ وحُمات[1]

رُبَّ ليثٍ راعَ البوادي زئيراً ... وأتاهُ الردى من الحشرات

« صالحٌ » راصدٌ رهيف الزنابي ... كامِنٌ في المجاهل الشائكات

قُعْدُداً في هشيمها يتوارى ... كاختفاء الحرباء في العوسجات

لونُها لونُ ما يكونُ حواليها ، فَعُدّ الألوانَ والهيئات

ما كفاهُ بثُّ الهوانِ بقومٍ ... بُسَّلٍ ورُدِّ المنـايا كُماة

إذ يَدُوفُ السمومَ بالقول معسولاً ، ويجري الخُوارَ في العزمات

والجماهير : ما الجماهير إلّا ... أن تثيرَ الأهواء بالكلمات

وتُريها ما كان فيها كميناً ... مثلما اكتنَّ عوسجٌ في نواة

يَستَبيها الإطراءُ فالمدح سحرٌ ... شأنُها في الغرور شأنُ الفتاة

يسلب المدحُ وَعيَها فَيُلاشيهِ ، وينفي حقيقة المرآة

فتراها مُدِلَّةً بِصِباها ... وصِباها يخيف جيش الغزاة

ما كفى الخِبَّ أن يُغرِّرَ بالأهلِ ، فأغرى صنَّاجة الداهيات[2]

إن تكن دولةُ السلاطين شاختْ ... فهي في المكر شيخةُ الدولات

---

١ حمات مفردها حمة وهي إبرة العقرب ومثلها الزنابى . عزم الامير ان يزحف على حايل، لذلك لم يأذن رجاله بتعقب المنهزمين، بل عاد بهم الى بريدة، آملاً ان يضاعف صفوفهم بمن ينضم اليهم من أهل المدينـة . ولكنهم برغم تأكدهم من مصرع ابن الرشيد تقاعسوا وتذبذبوا وكان صـالح الحسن في رأس فريق من المقاومين . (ت . ن .)

٢ الخبّ : الخدّاع الماكر .

هال «صدقي» ما يبتغي «صالحُ» العُربِ، العديدُ الألوان والشبكات

كان «صدقي» حِبالَه شَوْلَ بئرٍ ضائعَ الصوت في هدير الفرات[1]

كان يدعوه لاحتلال حِماهُ فيبثّ الذئابَ في الغنمات

همُّه الفردُ أن يكيد أميراً عنده، كان نكبة النكبات

أرمدُ العين يكره الضوءَ وهّاجاً، ويلقى الهناءَ في العَتمات

يؤثرُ الحاسدُ الغريبَ ويبغي للقريبِ الكوالِحَ النائبات

حسدٌ دونه صغارُ يهوديٍّ، ولؤمُ البغضاء في الضرّات[2]

حسدُ السفحِ والهشيمِ حقيراً للأفانين والذرى الشامخات

لا يكون الحسود إلّا وضيعَ النفس، جمَّ القِلى، أليمَ الشمات[3]

فإذا لم يجد ضحاياهُ في الأحياء، شكّ النيوبَ في الأموات

. . .

غاظَ عبدَ العزيز ما أضمرَ الوغدُ، فجاء الحِمى، بيوتَ السراة[4]

فأتوه كما تخفُّ عِطاشٌ وجدوا الماءَ بعد حرِّ الفلاة

صالحٌ مالأَ الدخيلَ، يقولونَ، وينوي إسلامَنا للطغاة

لغريبٍ يبيعنا، لِظَلومٍ يبتلينا بالسوط والموبقات

---

١ الشول : البقية القليلة من الماء . ٢ ضرّة المرأة : هي امرأة زوجها . ٣ القلى : البغضاء .

٤ لم تفتر لصالح الحسن همة في المؤامرات . وقد علم ابن سعود، بينما هو عائد الى بريدة، بأنه اتفق وصدقي باشا على ان ينسحب عسكر الدولة من الشيحية ويحتل بريدة فسارع عبد العزيز اليها . واجتمع بزعمائها فشكوا اليه أمر صالح الحسن وطلبوا عزله واجلاءه فقبض عليه وأجلاه الى الرياض . ثم أمّر مكانه ابن عمه محمد آل عبد الله أبا الخيل . (ت . ن .)

أجنبيّ السماء والأرضِ والخلق، غريبِ السمات واللهجات
فكأنّ القرآن ما سلسلَ السحرَ، وباهى الدنيا بأمّ اللغات
وكأنّ النبيّ ما شرّفَ العُربَ وطالَ السماكَ من عرفات

. . .

جيءَ بالغدر للأمير، على رجلين يمشي، متعتَعَ الخطوات
لم ينلْهُ المِسْماحُ إلّا بلحظٍ وجفونٍ صوارمٍ صاعقات
ما بأشفارها حديدٌ ولكن ليس كلّ الذِباح بالشفرات
مؤلمُ الذّبحِ ما يجيء بلا سفحٍ، ومن دون فديةٍ ودِيات
لو طوى في الضلوع ظلّ حياء لقضى نحبَه من النظرات
ونفاهُ الى «الرياض» أسيراً حلّ ضيفاً بساحة المكرمات
وتولّى ابن عمّهِ سُدّةَ الحُكمِ، فهل كان مثله في الثبات
يا «أبا الخيل» هل تخونُ ولِيّاً؟ حسبك الأمس مفعماً بالعِظات

. . .

لم يُطِقْ غزوَ «حايلٍ» أتراه مستكيناً كالأنهر الراكدات
فيُظنّ الركونُ ضعفاً وتنمو حوله ألف حشرةٍ خافيات[١]
منذُ كانَ الإنسانُ، لا يرهبُ الإنسانَ إلّا ممنّعَ الجنبات

---

١ لم يكن لابن سعود يومئذٍ قوة الزحف على حايل وتأديب عصاة القصيم. ولكنه خشي أن يحس الناس بضعفه فأغار على ناهش الذويبي، رئيس قبائل حرب الموالين لابن الرشيد فكسره في الرحا ثم أغار على قبائل من حرب في أبي مغير بأعالي نجد فغنم أموالهم. (ت. ن.)

إن يَرُمْ عقدَ هدنةٍ مع رشيدٍ فَلْيُهادِنْهُ شامخَ الأَثْلات[١]
يَسطُرُ العهدَ، لا بِرَقْمٍ نحريرٍ، ولكن بصارمٍ أو قناة
أَقْصُدِ «الناهشَ الذويبيَّ» وابطشْ بحليفٍ له كثيرِ الشكاة
الصدى يحمل الدويَّ بعيداً ويبثُّ الخوارَ في الهمّات
ورأى «المتعب» المخاتل أنّ الليثَ ما انفكَّ سيّد الغابات[٢]
بعد يوم «الرّحا» ويوم «مُغَيرٍ» فدعاه الى سلامٍ بَتات
«حايلٌ» ثم «شمّرٌ» لرشيدٍ وسواها لمحرز الغارات[٣]
عاد يرتاح في «الرياض» ولكن عُرِفَ البحر دائمَ الموجات
كيف يلقى الى الهدوء سبيلاً وَهْوَ قصدُ الزعازع المُعصِرات[٤]
راحتِ الترك تستثير البوادي وتهيج السخائم النائمات[٥]
ليس أدنى من البداوة للنكثِ، وَبذْلِ الأعلام والجبهات
بينها «فيصلُ الدّويشِ» تأبى حدُّهُ أن يظلَّ في المغمدات
سيفه كان في الميادين عضباً ليته كان صادِقَ الضربات
أَحمقٌ يمزق العهودَ، وَيَذرُوها غباراً، في ملعب السافيات
أَين منه السرحانُ في البطش والنهمِ، وَرَصدِ المصاد والختلات[٦]
فيه من «صالحٍ» وشيخ «كُويتٍ» و«الرشيد» القتيل، بعضُ شِيات

---

١ الأثلات: مفردها أثلة وهي شجرة صلبة العود. ٢ تولى متعب الرشيد الإمارة بعد موت أبيه. وكان راغباً في السلم فتمّ الصلح على ان تكون حايل وملحقاتها وشمّر لابن الرشيد، وباقي بلاد نجد بما فيه القصيم لابن سعود ثم أطلق ابن الرشيد سراح من كانوا مأسورين في حايل. وعاد الترك لإثارة البادية بوساطة فيصل الدويش. ٣ الغارات: مفردها غارة وهي رمز النصر. ٤ الزعازع: الرياح. والمعصرات: السحب الماطرة. ٥ السخائم: مفردها السخيمة وهي الضغينة. ٦ المصاد: موضع الصيد.

فهْو في كفّةِ الَخلاق خفيفٌ وهْو بالطعن راجحُ الوزنات[1]

هان لو كان وحدهُ جِهَةَ الترك، فإنّ الخصوم كُثْرُ الجهات

«متعبٌ» كان مُتعباً ومَكوراً ناقضاً عهد أمسهِ في الغداة

راح يُلقي الطعمَ الشهيَّ «لصدقي» وعلى الشصّ ينثر الطيّبات

حوضه «حايلٌ». فإن خدَعَ الترك، استبدَّ الصيّاد بالسمكات

فإلامَ الجند التنانين غَرقى؟ بين موتين: نُزهةٍ وسُبات[2]

فَليَفُضِّ النيوبَ يأخذْ عِتاداً يتلظّى للنصر والثارات[3]

سئمت هذه المدافعُ سِلْماً وتراخت أفواهُها فاغرات

جَوفُها كان بالقنابلِ مَحشُوًّا، فأخلى السبيلَ للعنكباة

أَلِصَيدِ الذُباب صُبّ حديدٌ؟ أم لِمَحوِ الأبطال والثكنات

لقتال السعود جُرٌّ عِتادٌ بَهِظَ المشترين والعَجَلات

غاظَ عبدَ الحميد هجعةُ «صدقي» أوَ دَهراً يطول غفوُ الغفاة

فَليُؤمَّرْ «سامي الفروقيُّ» دُهقانُ الدهاقين، حاسمُ المعضلات

يُستَحبُّ الجديدُ في كلّ شيءٍ ويكون القديمُ في الذروات

ذاكَ أنّ النفوس تَسأمُ حالًا فيمرُّ الشعورُ في حالات

إن يكُ الماءُ واحدَ النبع والمجرى فمجرًى مجدّدُ القطرات

• • •

١ الخلاق: النصيب الوافر من الخير. ٢ التنانين: مفردها التنين. ٣ كان متعب الرشيد يفاوض الأتراك في الشيحية، ويزين لهم الانسحاب منها الى حايل، وقصده أخذ عتادهم ليحارب به ابن سعود. ونقمت الدولة على صدقي باشا وخطته لا حرب ولا سلم ولا مفاوضات، فأمّرت كبيراً آخر من كبار جيشها وساستها هو سامي باشا الفاروقي. وأمرته ان يسافر حالا الى حايل لمفاوضة ابن الرشيد. (ت. ن.)

حلَّ «سامي» و«متعبٌ» في «سمير» فاشتكى الصدقُ من رياء الدهاة [١]

كان «سامي» في طمحه أشعبيًّا وبدا «متعبٌ» غزيرَ الهبات

وهبَ «المتعبُ» «القصيمَ» لتركيًا، كأنَّ «القصيم» فضلُ زكاة

رافدُ الطامعينَ مالَ سواه مثل من يبذل السما للجناة

أو بخيلٍ جاء الضيوفُ حِماه فَقَراهُمْ دَواجنَ الجارات

• • •

في «البكيريَّة» التقى، سيّدُ الترك، أميرَ المناقب العاليات

ظنَّ عبدَ العزيز كابنِ رشيدٍ وجَلا في مجالس «الباشوات»

أو جباناً يرتاعُ من هيبة الوالي، وذكر «البُسفُور» و«الشاهات»

فَرقُ ما بين «متعب» و«سعودٍ» فرقُ ما بين أجدلٍ وقطاة [٢]

---

١ جاء سامي باشا واجتمع بالامير متعب في سمير، قرية من قرى حايل. واتفق واياه على أن يكون القصيم في حوزة الدولة وما خسر متعب شيئاً في هذا الاتفاق لانه وهب مـا لا يملك. ٢ جاء سامي باشا القصيم ليفاوض الفريق الثاني، وقد ظنه كالاول فعزل صدقي وتولى بنفسه قيادة الجيش في الشيحية وأرسل الى ابن سعود يطلب مقابلته. فاجتمعا في البكيرية. ولكن المذاكرة كانت مُناكَرة فقد اصطدمت في الجلسة الأولى الإرادتان والتهبت النزعتان التركية والعربية. ولم يكن الفاروقي ليّن العريكة، ولا لبس للحالة لبوسها. قال يخاطب ابن سعود «أهل القصيم يريدون ان تكون السيادة في بلادهم للدولة» فأجابه الامير ليس لأهل القصيم رأي في الأمر، فهم من أتباعي. فقال سامي التابعية تقتضي الحماية وانت لا تستطيع أن تحميهم ولا ابن الرشيد. فقال الامير وهل حمتهم الدولة؟ ومع ذلك فها هم زعماء القصيم في مجلسك اسألهم يجيبوك. فتكلم اذ ذاك أحدهم قائلاً ان صالح الحسن افترى عليهم وانهم لا يرومون عن ابن سعود بديلاً. فقال الباشا انتم تجهلون صالحكم وتتوهمون حقوقاً ليست حقوقكم. واننا ما جئنا نسترضيكم ولا نستغويكم جئنا نعلمكم الطاعة والإخلاص للدولة العلية، ولا معلم اليوم غير السيف.

فقال الامير عبد العزيز اني آسف على ما بدا منك، بل آسف لان الدولة تكل أمورها الى مثلك. مـا كان العرب يا سامي ليطيعوا صاغرين. لا والله! ولولا انك ضيف عندنا ما تركناك تقوم من مكانك.

(ت. ن.)

في « سميرٍ » ساغ الشرابُ مريئاً وهنا الشوكُ مرهفُ الحسكات [1]
فابذلِ اللطفَ للأمير وَحاذِرْ أن تجيءَ الأَلحاظُ مرتفعات
طالما أَطمعَ المسافِرَ سهلٌ فتردّى المغرورُ في الهوّات

• • •

حفَلَ الجوُّ بالغمائمِ رُبْداً كفؤادِ الحسودِ معتكرات
حسبها ان يصكَّ غيمٌ بغَيمٍ لِتراها تنهلُّ بالغاشيات [2]
شبَّت الجذوتان، في شَرَرِ الأُولى، اعتداد الوالي ولؤم العاتي
خلفه جحفلُ السلاطين، صفٌّ من بُغاةٍ، يبارقٍ لِبُغاة
وهْو « سامي » الذكاء والعرقِ والصيتِ، رفيعُ الأَلقاب والشارات
وأنيقُ الهندامِ، في حلّةِ الطاووس، شمخُ « القاووق » والحركات [3]
لفظُهُ لهجةُ الأَمير الى العبد، وإدلالُ سيّدِ السادات
هو، قطعُ الصخور يصفع آذاناً، ويدمي الوجوهَ بالشذرات
عِزّةُ القائدِ المظفّرِ في القول، ولذعُ السِياطِ في النبرات
كَلِمٌ تُرجفُ الجنودَ شظاياها، شظايا البركان مُنْتثِرات
حسبها أَن تذاع فيهم رموزاً حاملات الطغراء تركيّات
فلَها يسجدون، فعلَ تَقِيٍّ يكسر الطرف خاشعاً في الصلاة

• • •

[1] في سمير اي حيث اجتمع بابن الرشيد . [2] الغاشيات : الدواهي . [3] القاووق : نوع من ملابس الرأس كان الأتراك يرتدونه عهدئذٍ .

بإزاء الأُولى شرارٌ كمينٌ   في أميرٍ ما هاب سيفَ العتاة[1]
لَيِّنِ الُخلق، واسعِ الصدر سمحٍ   ألمعيِّ الحجى، مديد الأَناة
خلقهُ رقَّةُ الصباح على الأَرز، وعزُّ الربى، وعزم الصَفاة
وإباءٌ معنعَنٌ من «نزارٍ»   «لِكُلَيْبٍ» للأَنجم النيِّرات[2]
لِعرابٍ توَشَّحوا جبهة الشمس، وجابوا آفاقها المُذَهبات[3]

. . .

قال سامي «أَهل القصيم هواهم   عالقٌ بالسناجقِ الخافقات»[4]
بِلواء السلطان يرفلُ في الغرب، ويسمو على جبال السراة[5]
ــ «ما لِأَهل «القصيم» في الأمر رأيٌ   فأنا الركن حامل التبعات»
هم صحابي، وفي الرعية أتباعي، وفي الحرب مِخذَمي وقناتي[6]
ــ «أَوَ تحميهم اذا الحربُ نادَت   بِلسانِ المَدافع المرعدات»
ــ «هل حمَتْهم من الخطوب «فروقٌ»   أم رمَتْهم في سلَّة المهملات»[7]
«سَلْهمُ الآن ما يريدون وانظُرْ   أَحماماً؟ أم جئتَ شهبَ البُزاة»
ضحضحوا كالسيوف للضرب سُلَّت   لاهباتِ الحدود للغارات
ــ «لا أميرٌ لنا سوى ابن سعودٍ»   حبُّهُ في الكبُودِ والمهجات
حبُّه في نفوسنا فإذا مُتنا، فأصداءُ حبِّه في الرفات

---

١ بإزاء الأولى الخ . لفظة الأولى تعود الى جنوة في قولنا : شبَّت الجنوتان . انظر البيت العاشر السابق لهذا البيت . ٢ معنعن : اي المأخوذ عن فلان . ومن هذا القبيل قولهم حديث معنعن . ٣ المذهبات : المموهة بالذهب . ٤ السناجق : الألوية التركية . ٥ من أعــلى الجبال في الجزيرة العربية . ٦ المخذم : السيف . ٧ «فروق» : نعت للقسطنطينية لانها تفرق بين آسيا وأوربا .

– « ايها الجاهلون ما جئت أرضيكمْ، فهيهات ظَنُّكمْ هيهات »
« غرَّكمْ من سَوامِقِ الدوحِ لينٌ   ولطيفُ العبير في النسمات »
« طاعة الدولة العَليَّة فرضٌ   مثل فَرضِ الصيام والصلوات »
« ستؤدُّونَها برغم أنوفٍ   لم تزل رغم هُونِها تائهات »[1]
« ستؤدونها إذا السيف غَنّى   عن أيادٍ وأنفُسٍ صاغرات »
ويلكم إن أتاكُمُ الموت حَصّاداً، يطيح الأوصالَ والهامات
– « بل لك الويل يارسولَ « فروق »   وعَدِيلَ الأوابدِ الضاريات »
« كيف وَلّى السلطانُ مثلك جلفاً   واهِنَ الرأي، وافِرَ العثرات »
أبسيف أتيتَ تُوعِدُ زنداً   عاش إلف القنا، وتِربَ الظبات[2]
أبنارٍ تهدّدُ النارَ؟ حقاً   قد سلكت الأوعارَ في الظلمات
عَصَمتْ روحَك الضيافةُ، لولاها، لأغمدتُ فيك فضلَ شباتي[3]
نحن قومٌ نقدّسُ الضيفَ صوناً   لتُراثٍ مقدّسِ الحرمات
نتَغاضى عن السفيه ونسمو   عن حضيض الغَباء والغفلات
انت أضرمتها فإن كنت قرماً   فتحمَّلْ عواقبَ الجذوات
سنرى أيُّنا الهشيمُ، إذا هَبَّتْ   سيوفُ السعود مشتعلات
يومُ « شنَّانةٍ » قريبٌ فَسَلْهمْ   كيف بطشُ الأُسود بالنعجات
يومَ أبطالكم فُلولُ قطيعٍ   ناثرٍ صوفه على الفَلَوات
زاحم الوحشَ في ابتغاء المآوي   والتماس الشَراب والأقوات

---

١ الهون : الذل .   ٢ الظباة : مفردها ظبة وهي حد السيف والسنان .   ٣ الشباة من السيف : قدر ما يقطع به .

إذ ترى مُترَفَ القُصورِ شريداً حلمهُ الفردُ كسرةٌ من فتات
وتولّى « الباشا » كمن قامَ من قبرٍ، ثقيـلَ الأجفان والخطوات

• • •

أخفق السيفُ هل سبيلٌ سواه لافتتاح المعاقـل العاصيات
بقي المـال، ذلك الربُّ معبوداً، نعيم الدنيا، وِصنو الحياة
لم يزحزحْ هَولُ المدافع طوداً فليدُكِّ الأبراج بالذهبـات
فهْي دربٌ الى الغنى والتجاهي والشراعُ الهادي الى اللـذّات
ولقد سُمِّيَ النضارَ لأنَّ الدُهمَ تبـدو بفضله مقمرات[1]
لا ظلامٌ مع النضار ولكن شمسُ ليـلٍ تغصُّ بالبهجات
وله في المسامِعِ الصُمّ جَرْسٌ قد يراهُ الحريصُ في المعجزات
فإذا صيـغ للجمال قريناً عادَ حَلْياً يهلُّ في العاجات
أو ضياءٌ على ضياءٍ تعرّى حائراً في مَعاصِم الغـادات
دولةُ العزفِ والترنم والأوتار، طيف بجانب الوسوسات[2]
لاصطِفاقِ السِوار والعاجِ لحنٌ أين منـه الحنينُ في النايات

١ الدهم : على تقدير الليالي الدهم . ٢ وسوس الحلي : صوّت . أرسل الفاروقي الى الامير رسولا يسمى دياباً ابا بكر يقول « يسلم عليك الباشا ويقول ان الدولة تدفع لك عشرين ألف ليرة ومخصصات سنوية اذا كنت تعترف بسيادتها في القصيم » . فلما سمع عبد العزيز هذا الكلام عمد الى سيفه قائلًا : « اتتجاسر يا خبيث ان تحمل الينا مثل هذه الرسالة . ألم يردعك شمم العرب . ومتى كان ابن سعود يقبل الرشوة فيبيع بلاده ورعيته ممن يريدون استرقاقها ؟ لا أدنس سيفاً بدمك يا خبيث ولكني لا أرد عنك سيفاً بيـد سواي » . وهرب الرسول توّا الى المدينة . (ت . ن .)

أترى يصمدُ الأَميرُ لسحر المالِ، أم هل يذوب نَهْيُ النهاة

. . .

وأتاهُ الرسولُ من لَـدُنِ الباشا، قريرَ العينـين والبسمات
حاسباً أنّه الملاكُ المُرجَّى جـاء عبدَ العزيز بالآيات
«يا أَميرُ استبشر يقول، فما الباشا سوى الغَيْدَقِ الغزير الصلات»
«إعتَرِفْ بالقصيم للـترك داراً وتَنَعَّمْ بالمـالِ والدارات»
«لك ذات الظغراء عشرون ألفاً كجناح الأَشفاق مُلْتَمِعَات»
«وعطاءٌ يزداد في كلِّ عـام فتحكَّمْ بالقَـدْر والمِنْحات»

. . .

يا كلاماً هـزَّ الأَميرَ كما جالَتْ عَصُوفُ الرياح بالورقات
أو كما تُفقَدُ الشبولُ فتَحمى شُعَلٌ في مَحاجر اللبُوءَات
صلصلاتُ الرعود في الزأر والنابِ، وخَطفُ البروق في الحدقات
حدقٌ في احتدامهـا تتراءى غمراتُ الجحيم مندلعـات
«آهِ يا وغدُ قال لو كان سيفي يرتضي أَن يغوصَ في الحمأات»
مُهَجات الأبطـال يَنهلُ معتزًّا، فـلا يُبتلى بِقاذورات
غاضَ منك الحياء وشُلَّتْ حياةٌ فلأَنت الأَخـير في الموميات[1]
عرَبيٌّ يبغي شراءَ سعودٍ؟ أم هجينُ الأحساب، نسلُ الزناة

---

[1] الموميات: مفردها المومياء وهي الجثة المحنطة.

ومتى المالُ كان يُغري المَناجيدَ الأَبيّينَ، من جدود أباة
لو تردّدتُ لحظةً لأَتتني من جُدودي زَواخِرُ اللعنات
ولكانت جهنّمٌ تشتويني نارُها في الرواح والغدوات
لا نروم الأَموال إلّا حَلالاً نبتغيها للبذل والرحمات
عيدُنا، عيدُ ساحِنا، أن نراها بأُلوفِ العُفاة مزدحمات
يتولّى الرحمنُ ما يُنفقُ العبدُ، وتهمي السماءُ بالبركات
حسبنا الله ليس يغفل عنّا فيَمُدّ السعودَ بالخيرات
لم نُعوّدْ إبدال مالٍ بشعبٍ وائدينَ الأَخلاقَ بالرشوات
الدنانيرُ، يُستَرَقُّ بها شعبٌ، قشورُ القُمامة القذِرات
بعويلِ الغَرثى ودمعِ اليَتامى ودماء الاحرار مصطبغات[1]
لونها صفرة الخبيث حريصاً لم يُعوّدْ لِسانَه غَيْرَ: هات
ولَخيرٌ من لَمسِها عند حُرٍّ ماجِدِ الأَصلِ، ملمسُ الحيّات
دونها درهم العهارة نتناً قَلَّبَتْهُ أَنامِلُ الُمومِسات
زَنِخٌ من بخورهنّ كريهُ ذَفِرُ الريح مثل فلس الطهاة
أَو فلوس الجَزّار، أخلَقَها الشحُّ فعادت، في كيسه، زَهِمات
الدنانيرُ في مُقابَلِ شعبٍ غمراتُ الجحيم مستعرات
لا يَراني الرحمنُ بالوهم أَرضاها، فأجني جهنماً لحياتي
فَلأَنَمْ نوْمةَ الصغار الطَهارى لا على الشوك، أو على الجمرات

. . .

[1] الغرثى : الجياع .

نَمْ قريرَ الأَجفانِ يا ابن سعودٍ في سرير الإباء والعظمات
أنت كالشمس شهرةً وخلوداً دَعْ بَريقَ النضار للنكرات
وابعَثِ الوفدَ منذراً، ذلك الباشا، بِحَربٍ تهبُّ منذ الغداة
شِيمةُ الليث، قبلَ أن يطلبَ الصيدَ، يوالي زئيرَه مَرَّات

. . .

وأتاهُ من «الفَروقيِّ» وفدٌ في مآقيه ذِلَّة الثاكلات
«نحن أضيافُكُمْ يقولون، نِعْمَ العُربُ أنتم، ونِعم ربُّ القراة»
سَقَطَ السيف من يَدِ الأَوحدِ السيف، وَفضَّ الغيوم بالبسمات
لم يَطُلْ ذلك الصفاء، فإنَّ الكاذبَ العهد عاد للغدرات
«متعِبٌ» راح يطلب الغوثَ من «سامي» فَجَدَّتْ كريهة النغمات
لا يُرامُ السدادُ من حَيَّةٍ تسعى، فأصل التعويج في الفقرات
الجراح التي تُخاطُ على غلٍّ، جراح موصولةُ النغرات[1]
أرهف السمعَ للخديعة «سامي» واستشارَ الأَصحابَ في الخلوات
ظُنَّ سوءًا به فقد كان صِلًّا أَعقفَ النابِ، قاتِلَ اللسعات
أغريبٌ إن عاودَ الخمرَ شِرِّيبٌ، وسارَ الغاوي طريقَ الغواة

. . .

فَطَنَ الليثُ لِلَّذي كان يجري في المياه الرواسِب الكَدِرات

١ نغر الجرح : سال بالدم . والغلّ : الفساد .

يَنغُلُ الدود والزواحفُ تنمو … في الحياض المُخمَّة الآسنات

يَحسُنُ الصفحُ عن ضيوفٍ ضعافٍ … لا صِحابِ النِفاق والشُبُهات

جَيشَ الحملةَ التي عرَفتْها … في « بكيريَّةٍ » عيون البُكاة[1]

يومَ تركٌ و « شمَّرٌ » هبواتٌ … ذرَّها الدوُّ في مَهبِّ الشتات[2]

يا بلاغاً يظلُّ للعُرب فخراً … يومَ تأتي الشعوبُ مفتخرات

يومَ عبدُ العزيز ينذر « سامي » … بارتحال الجيوش في ساعات

فاذا لم يُطِعْ فللسيف قولٌ … ما رآه الأتراكُ في الحلبات

المغيراتُ من صَوافن نجدٍ … في مَتاريسهم تُرى ضابحات[3]

حارَ « سامي » فجاء نخبة قُوّادٍ … يقولون : هيّءِ الراحلات

هدَّدوه بالقتل أو بشُرودٍ … وانضمامٍ لسيِّد الصافنات

جَزَعاً من حسامه إذ عليهم … ثِقلُهُ في الصِيال والكرّات

حين سامي يكون في نشوة اللهوِ ، … مَدارَ الكؤوس والحفلات

ليتَ من يُسعرُ الحروبَ يُعانيها ، … ويلقى نيرانها صاليات

لا جليسَ المذياعِ يرشفُ كأساً … ويُتِمُّ السرورَ بالغانيات

. . .

أذعنَ القائدُ المهدَّدُ للأمر ، … وعقدِ الشروط للرحلات

---

١ بعد ان ردّ الامير محاولة الرشوة أنذر سامي بالهجوم فبعث وفداً يسترضيه ويقول نحن ضيوفكم . ولم تفتر همة ابن رشيد عن المؤامرات واستقدام الترك الى حايل . فجهّز الامير حملة ونزل البكيرية وأرسل بلاغاً للفاروقي ينذره إما ان يرتحل بجيشه عن القصيم، وإما ان يرحلَه ابن سعود من نجد فيرد الجنود العراقية للعراق والشامية للشام، واذا رفض أحد الأمرين فهو هاجم عليه لا محالة . (ت . ن .)

٢ الدوّ : الفلاة . ٣ الضبح : الصوت الذي تخرجه الخيل من خياشيمها .

طلب الخيلَ والنجائبَ للنقـل، وصونَ الفَيالِق الخائفـات

فحَباهُم عـالي النجار كريمٌ صادِقٌ في القتال والهدنات [١]

صيتُه جرّهُمْ الى أرض نجدٍ ظلُّـهُ ردّهم الى الأبيات

حَمدوه لأنّهُم، من فَم الموت، أفاؤا للأهـل والزوجات

نبلُهُ أنطقَ الفيـالِقَ بالشكر، وهزّ «الخوانِمَ» المخـدرات

هزّ عبدَ الحميـد في دسته العالي، فعادَ الأمـيرُ قطبَ التفات

«النياشينُ» والبراءات تُهدى لِحَواشي الأمـير بالعشرات

• • •

فُجِعَتْ «حايلٌ» فماذا دهاها؟ من صُروف الزمان والآفات

حفَر الدمعُ في الخدود ثلوماً وبرى الحزنُ أضلـعَ النادبات

ناشجاتٍ لا يستطعنَ انتحاباً فَيُرقنَ الدموع مؤترِرات [٢]

الشرارات في الضلوع خوافٍ غيرُ سيلِ الجمـار منطاقات

وأشدُّ الحريق ما ليس يبدو منـه إلّا شرارة الزفرات

لم ينلْ «متعبٌ» ولا أخواه مدحةً في تفجُّعِ الباكيات [٣]

---

١ بعد ان رحّل الأمير عساكر الدولة العثمانية جاءه شكر من السلطان عبد الحميد نظراً للمعاملة الشريفة التي عامل بها عساكر الدولة، وسأله إيفاد مندوب عنه للأستانة فأرسل صالح العذل ومعه اثنان آخران فنزلوا ضيوفاً على الحضرة الشاهانية ومنحوا الألقاب والنياشين . والاثنان هما عبدالله أبو عبيد ومبارك بن مبيريك .

٢ نشج الباكي : غصّ بالدمع من دون انتحاب .

٣ حالت الاحوال في حايل فجرى الدم في بيت الرشيد وتولى الإمارة سلطان بن حمود، أحـد الإخوان الثلاثة الذين قتلوا أبناء عبد العزيز الثلاثة . اي الامير متعباً وأخويه اذ خرج أبناء العم الى الفـلاة في رحلة صيد . لمز كل من الإخوان ابناء حمود حصانه، وساقه على واحد من ابنـاء عبد العزيز، فتناوله من السرج بشعره وأغمد خنجراً في صدره . غير ان سعوداً أخا سلطان لم يأذن لأخيه بسوى سبعة أشهر في الولاية، اذ بادر الى حبل خنّق به سلطاناً، ودفنه في حفرة بالقصر . وسيقتل هو نفسه في الغرفة نفسها التي قتـل فيها سلطاناً . . (ت . ن .)

شيمةُ البَيتِ أن يُعِدَّ شَقيقٌ لِشقيقيه أَشنَعَ القتلات
يتَفانونَ بالخناجر إخواناً ونسلَ الأعمام والعمّات
لا يَنال المعروفَ منهم ذَوُو القُربى، فتلك الأرحامُ أَرضُ موات
فإذا أخصَبتْ أَتت بقتادٍ أو هشيمٍ يُعَدُّ للمحرقات
إيه سلطانُ لا تصفِّقْ لملكٍ عمرهُ عُمر فاسدِ الثمرات
مثلك الغادرُ الشقيقُ، ستُردى مثلما صِيدَ أجبَنُ الظبيات
لم يُشرِّفك بالخناجر عُقفاً آخذاً عنك أيسَرَ الذبحات
سوف يرديك كالصعاليك شنقاً ويُواريكَ أضيق الحفرات
أنت تعطي الأمير حبلَ خداعٍ ويعدُّ الشقيق حبلَ الممات
كيف أرسلت للأمير رسولاً؟ تطلب الصلحَ وانعقادَ الصلات
وعليه تثير نجداً وتدعوها لشحذِ البواتر الكامنات
قد زرَعتَ الشقاقَ في كلّ فجٍّ وبثثتَ النفاق في الدعوات[1]
خَجِلَ المرقمُ الجمادُ من الإفكِ، فأدّى شكاته للدواة
فاستجاشتْ تودُّ صفعَكَ بالحبرِ، وكفّتْ مكبوتَةَ الآهات
كَرِهتْ أن يُلوِّثَ الحبرَ وجهٌ أسحمٌ سحَّ جلدُه بالقحات

. . .

[1] باشر سلطان حكمه بالمخاتلة فأرسل الى الأمير يطلب الصلح . وفي الساعة نفسها أرسل يخطب مودّة أهل القصيم ويستنصرهم عليه . فاستشار ابن سعود أبا الخيل وفيصل الدويش ونايف الهذال فأجمعوا رأيهم على الحرب. ثم خذلوه وتألّبوا عليه وبدأوا يناصرون ابن الرشيد . وفي الكتب التي وردت على ابن الرشيد كتاب من الشيخ مبارك يحرضه فيه على ابن سعود ويلح عليه في الاتفاق مع أهل القصيم . (ت . ن .)

واستشارَ الأميرُ في الحرب أقطابَ النواحي، بَيارِقَ الغزوات
كأبي «الخيل» و«الدَويشِ» و«هذّالٍ» فبئسَ الثقاتُ غير ثقات
ليس تؤذيك طعنةٌ من عدوٍّ بارز الحقد بَيِّنِ الطعنات
وتُؤآذيكَ غمزةٌ من حليفٍ ضاحكِ السنّ رائبِ الغمزات
يا لَه من مُثلَّثٍ جمع الغشَّ، زوايا الخداع مزدحمات
حلقات وكلٌّ واحدةٍ خطبٌ، فكيف الثلاث مجتمعات
فأبو «الخيل»، كالنسيب الذي ولّى، ولُوعُ الفؤادِ بالسيئات
هو حلف الرشيد يأتزرُ الليلَ ويزجي الدسائس الشائنات
يا أبا «الخيل» كنت لابن سعودٍ فمتى صرتَ في الخصوم الغلاة
عَلِقتْ «حايلٌ» بقلبك حتى بَرِمَتْ سُبْلُ «حايلٍ» بالسعاة
ليس بدعاً اذا تَعشَّقتَ «سلطاناً» فإنَّ الأخلاق كالأخوات
يجمع الغدرُ خائناً بخؤونٍ كانتظام الحبَّات في السُّبُحات
بَقيت حَبَّةٌ ليستكملَ السلكُ الدراري وينظم النجمات
وهي في الصيت والنفاسة كنزٌ وهي في العقد أوسطُ الحبَّات[1]
جاوَرتها على الزمان اللآلي فغدت نسج وحدها في الكُرات[2]
واستدارتْ فليس يُدركُ مبداها فكانت دوائراً دائرات
واسمُها؟ ما اسمها سوى الشيخ مقروناً بنجم «الصباح» والبركات
يرسل الكُتْبَ للرشيد تباعاً ويبثُّ الدعاة إثرَ الدعاة

١ أوسط: أشرف من وسط يوسط: صار شريفاً وحسيباً ومن هذا القبيل قول القرآن المجيد «وجعلناكم أمة وسطا». ٢ الكرات مفردها الكرة وهي كل جسم مستدير.

ما ترى ينفع العقـارب سُمٌّ إن توانتْ في الدبّ واللدغات
هـو لِلَّدْغِ مثلما الظفرُ للسَّبْعِ، ومثل الجناح للكاسرات

. . .

البوادي مُعَسكران «حربٌ» و«مُطيرٌ» و«شَمّرٌ» في العداة
ولعبد العزيز رايةُ «قحطـانَ»، تليها «عتيبةٌ» في الهُـواة
في ضَواحِي «بُريدةٍ» زغردَ البـارود، فارْتَجَّ سهلُها بالرماة
وأغـارَ الأَميرُ يطلب «سلطانَ»، وفي صـدره لهيبُ الغضاة
وَدَوِيُّ الإعصار في ثورة الريـح، وعزمُ الأسودِ مَوْتُورات
ما أطاق الحصانُ دولة عزمٍ فكبا دونَ وطـأة العظمات[١]
وأُصيبَ الأَمـيرُ من ألمِ الكسر بإغمـاءةٍ، كمثل السبات
لم تَدُمْ غـير ساعةٍ، واستفاق الليثُ، بـين الأَزيز والصيحات
غَشْيةٌ كانت الوحيدةَ في العمر، وكانت أَخـيرةَ الكبوات
دُحِرَ الخائن «الدَّويشُ» وعادَ الغـادرُ الذئبُ في إهاب الشاة
بات ذاكَ الطاووس بعد اختيالٍ أمعطَ الذيـل داميَ الريشات
عارياً من ركائبٍ ومواشٍ وعيالٍ، كعريهِ من صفات

. . .

١ في احدى غاراته على ابن الرشيد كبت الفرس بالامير فوقع وقعـة مشؤومة فكسر عظم في كتفه اليسرى وأغمي عليه. وكان فيصل الدويش قد جاء لنصرة الرشيد وأنزل أهله في الطرفية . وتقدم بخيامه ورجاله الى بريدة فخرجت اليه سرية وقتلت عدداً من رجاله وغنمت مواشيه . وهجمت بعد ذلك عـلى الطرفية فذبحت أهل الدويش واستولت على البلد . (ت . ن .)

لم يوآتِ الأَميرَ للنوم جفنٌ   كيف يغفو مشرَّدُ الخاطرات

بين همّين: همّ جرحٍ أليمٍ   وعدوٍّ مضاعف القُوّات

كادَ من فرط حسِّهِ يسمع الخيلَ، وزحفَ الأَعداء والهمسات

إنَّ للمُوجعِ المُسهَّدِ أذناً   تتقصَّى دقائقَ الأصوات

سمعُهُ قلبُهُ يُحِسُّ صداها   ويراها الفؤادُ في الدقّات

ثاقباً خبرةَ السنين وعُقباها، ويلقى الجواب في لحظات

«لا تناموا قال الأميرُ، خيلُ القوم، سدَّتْ منافذَ الطرقات»

فأعدُّوا لهم زنوداً صلاباً   وسيوفاً بواتراً يقِظات

بين نارين أنتمُ فالبوادي   وأهالي «بريدةٍ» في العصاة

واحذروا هجعةً، فيا رُبَّ شعبٍ   بادَ في غفلةٍ من الغفلات

قاتِلوهمْ ولا تموتوا نياماً   لست أرجوكُمُ حماية ذاتي

قدرةُ الله والملائك حولي   وحسامي، ولو جريحاً، حُماتي

. . .

طال سهدُ الجنود، وانتصف الليلُ، فظنّوا عدوَّهم غيرَ آت

فاستناموا فباغتَتْهمْ ألوفٌ   من مواضي «بُريدةٍ» والفلاة

فاستفاقوا على سعير جحيمٍ   ونُيوبٍ فرّاسةٍ كالحات[1]

---

[1] هجمت البادية من جهة وأهل بريدة من جهة ولكن الحرس أفاقوا الحامية فصادمتهم وصدتهم. أما ابن رشيد ورجاله فتقدموا هادئين ليباغتوا السعوديين وهم نيام فاستيقظ بعضهم وتضاربوا والمهاجين بكعاب البنادق ثم بالسيوف فسالت الدماء وعلت الأصوات: على الخونة! أطلقت عندئذ البنادق فهب العسكر كله للقتال الذي استمر حتى الفجر. فبدت اذ ذاك المياه الجارية بين النخيل، وقد احمرّت من دم القتلى «صبّحناكم لا صبّحتكم العافية». هذه هي الكلمة التي كان يردّدها السعوديون عندما تقفّوا الرشيديين المنهزمين. وتدعى هذه الواقعة واقعة الطرفية. وقد كان الفضل في النصر للحضر في الجيش السعودي أما البدو فشردوا وعادوا بعد بضعة أيام. (ت. ن.)

يا لعبد العزيز صاحوا وسلوها سيوفاً هندية خاطفات
نام أصحابها وظلت تلظى سهداً في غمودها قلقات
حين مدوا الى السيوف أكفاً ضحضحت كالسيول مندفقات
فأدارت من المنون كؤوساً مترعات على أكف السقاة
مرهفات فلم يعذب قتيل ندَّ عنه الوجود في لمحات
علم أربابها بضرب وحذف مثلما بالجراح علم الأساة
قيل تاقت حدودها فاستطابت أرجواناً يجنى من الحيوات
فتوالت على الرقاب خفافاً لتزف الآجال مختصرات
حمد النخل أرجواناً أراقت وزهاً لونه على الثمرات
طلع الفجر لونه لون خد قد علاه الحياء في الخفرات
حسبته الظنون آفاق ورد أو عقيق الأشفاق في الأمسيات [١]
حضريون دونوا صفحة المجد، وبثوا الخلود في الساعات
علمتهم سكنى البيوت صموداً فرأتهم أمثالها في الثبات
حين كان العربان، في جنة الليل، يولون كالظبا النافرات
إن من بيته رحال وشعر ليظل الحياة كالشعرات
طائرات على هوى كل ريح أبداً في تقلب وانفلات
كان يوم « الطرفية » الفذ يوماً هيج الشعر في صدور الحداة

• • •

١ الأشفاق مفردها الشفق وهو الحمرة الباقية من الشمس اول الليل .

واستفاقت «بُرَيدةٌ» فهْي نَدمى كندامى العوانس الآسفات
ولَكانت لولا ابو «الخيل» خَفَّتْ مُحصناتُ الخدور معتذرات
عن رِجالٍ غَشَّى الضلال مآقيهم وأصمى، فأعرضوا عن هداة[1]
حسبوه «السلطانَ» بالنعت والفعل، فألْفَوهُ هَفوةَ الهفوات
بعثوا للأمير عَجِّلْ فإنّا مُسلموكَ المعاقلَ الباذخات
ما أبو «الخيل» صاحب الأمرِ فينا إنّه عِدلُ ريشةٍ في الزنات[2]
وافِنا في الظلام، ولْيشهدِ الصبحُ هتافَ التهليل والزغردات
وأتاهُمْ فلم يَجد غيرَ ليلٍ أجوفِ الظلّ كاذب النفحات
كَرَّروا دعوة الأمـير فَلبّاهُمْ فعادوا لسالف العادات
فَهواهُم له ولابن رشيـدٍ وابي «الخيل» نجدةُ الشَبَوات[3]

• • •

كَذِباً شاعَ أنَّ «سلطانَ» آتٍ بالجياد الصوافن الُمعلمات[4]
شَدَّ عبدُ العزيز والغيظُ بادٍ من خلال الرواهش الجائشات[5]
وَقعةً رامَها قِتالَ فَناء ووسامَ المعامِعِ الخاتمات

---

١ أصمى الصيد : رماه فقتله وهو يراه . ندم أهل بريدة على ما فرط منهم . وظلّوا داخل البلد كأنهم في حصار ثم راسلوا الامير ليأتيهم فيهجموا على ابي الخيل . لمز ابن سعود حصانه وراح بجيشه مسرعاً فوصلوا الى المكان المعين للاجتماع خارج البلد فلم يجد أحداً هناك . وقد تكررت هذه الفعلة مرات عديدة فكانت ثمرتها الفشل والخذلان . (ت . ن .)

٢ الزنات مفردها زنة وهي المصدر من وزن . ٣ الشبوات مفردها الشباة وهي الحدّ من كل شيء .

٤ المعلمات من أعلم الفرس : علّق عليه صوفاً مُلوّناً في الحـرب . ٥ الرواهش : عروق ظاهر الكف .

لم يجد خصمَهُ فَعضَّ شديـداً ناجذَيه لخيبةٍ وفوات
صدمةُ الخيل ، وهي في سَورة الجري حرامٌ في سنَّة الحلبات
خيبةٌ مُرَّةٌ وأيسرُ منها عـذَبات الرماح في اللبَّات [1]
نشدت حقَّها السيوف بأن تُسقى نَجيعَ الابطال مُبْتَرِدات [2]

. . .

ليس بدٌّ من ساحةٍ ونزالٍ يستريح البركانُ بالفَجوات [3]
«ماء فهدٍ» في مُنْحَنى طودِ سُلمى ذلك النبع أقرب الساحات
« برغشٌ » ، رأسُ « شمَّرٍ » ، حِلفُ « سلطانَ » عليه ، فيا بَواتِرُ هاتي
رفع الطرفَ « بَرغشٌ » فإذا الأفقُ مجالُ الرُغاء والزمزمات [4]
السيـوف المُجَرَّداتُ مَرايا لاقتضاب الأَعناق مجلوّات
والمذاكي يَرْقُصْنَ من شدَّةِ التَوق ، ويقطعن مُحكَمَ الحَكَمات [5]
لم يَخُنهُ الذكاءُ والموت منه قَيدَ شبرٍ ، أو فُرجةَ الأُنْمُلات
فَبَنى للدفاع أمنعَ حصن شادَه للذيادِ عقلُ البُناة
ليس فيه من المتاريس ظلٌّ ومن الصخر فلذةٌ من حصاة

---

١ العذبات مفردها عَذبة وهي الطرف من كل شيء . اللبات مفردها اللبة وهي موضع القـلاوة من الصدر . ٢ بلغ ابن سعود ان ابن الرشيد زاحفٌ من الجبل لينجد أهل بريدة أي الرشيديين فيهـا فشدّ ابن سعود وبادر اليه فعلم عند وصوله للكهفة ان الخبر مكذوب . وكان برغش بن طواله من رؤساء شمّـر نازلا ماء فهد بالقرب من جبل سلمى هناك . فسرى يريد الهجوم عليه فلما رآه ابن طواله مقبلا ساعـة الفجر أركب الحريم على الخيل سافرات فجئن يلاقينه مستعطفات . ثم جاءه برغش طالباً العفو بل جاء يعاهده على الولاء وأقسم بالله أنه سيكون من رعاياه المخلصين . (ت . ن .)
٣ الفجوة : الثغرة . ٤ زمزم الشيء : سمع صوته من بعيد وله دويّ . ٥ الحكمة : ما أحاط بحنكي الفرس من اللجام .

الجدارُ المنيــع صفٌّ نساءٍ في سروجٍ رجراجةٍ وَجلات

طالعاتٍ في الصبح قبل ذُكاء مثلها في ضحائها سافرات

مثلها في البهاء لولا غيومٌ كَدِراتٌ عَلقنَ بالعبرات

مرسلاتِ الشعور، شُعثَ النواصي شاخصاتِ العيون مبتهلات

الشفاعات في انكسار العذارى والضراعات في فمِ الزوجات

فُوجِئ الليث بالظباء البواكي فاذا الليث في حنان الشاة

ويصدُّ الشريفَ أصلًا وخلقاً دمعةٌ لألأتْ بجفن فتاة

فالذي صاغَهُنَّ من واهن العطر حَباهُنَّ هيبةَ الآلهات

تحت أقدامِهنّ يَنبسِطُ الوردُ، وتنــدى أزاهرُ الجنَّات

ما نجومُ التأريخِ، والأعصُرُ الأنوارُ، إلَّا صنيعة الأُمَّهات

مَنْ يُدنّسْ باللحظ طُهرَ نهودٍ عقَّ مَنّ السماء في الحلمات[1]

حيثما تكمن الأُمومةُ فالدنيـا ترفُّ البشرى بِكَوْنٍ آت

إنَّما المرأة النقيَّـةُ روضٌ فتنَسَّمْ ورودَه العطـرات

فهو إنْ شئتـه الى الخلد بابٌ وهو إنْ شئت مطلعُ اللعنات

حارثُ الكرمِ خالقٌ للدوالي وبديعُ اللُجينِ في الحبَّات[2]

ما العناقيد كاليواقيت إلّا عَزَماتُ الكرّامِ منتظمات

جهده السمح بارزاً، وأياديه ولونُ السخـاء في اللؤلؤات

من يبثِّ الأدغال في الكرْمِ يندمْ ويُجاوِرْ مَلامِسَ الحيَّـات

آدمٌ يمهـد السبيل الى الجوع، فيُؤتى البَـلاءَ تُفَّاحات

---

١ الحلمة : مكان مصّ الحليب من الثدي . ٢ بديع اللجين : اي مبدعه .

جَنِّبِ القفرَ والمفاوزَ وانزِلْ من نعيم الدنيا على الواحات
لو خلا الكون من رفيف شذاهنّ، لعاد المعمورُ صحراوات
زَهراتُ الجمال ينفحنَ بالطيب، وسحر القلوب، والنشوات
ما تراه، بدون حوّاء، حسن الأنجمِ الزُهر والربى الحاليات
أيسمّى غضُّ الربيع ربيعاً إنْ خلا من براعمِ الوردات
هنَّ في دولة القريض القوافي ومثال الجمال للنحّات
عنترٌ ألهِمَ النضارة لمَّا نعت الفاتنات بالآنسات[1]
حفَّهُنَّ الإيناس من كلِّ صوب في أنيق الأداء، في اللفتات
وإليهنَّ يهدف السمع إمَّا يَنتصِتْ للعنادل الساجعات[2]
ولِشدوِ «الكمانِ» إمّا يُرنِّحْ مهجةَ الليلِ بالرؤى الهاتفات
ما تعمَّدنَ في الأحاديث شعراً وترنُّ الأسجاع موزونات
الليالي بدونهنَّ ظلامٌ فاذا جئنَ كوكَبَتْ صاحيات

. . .

ما ترى يفعل الأميرُ؟ وعاد السيف في كفِّه نظير قذاة
مطرقاً قال قد عفوتُ فكادت «شمّرٌ» تشتويه بالقبلات
«برغشٌ» قال ــ مخلصاً ــ لك ودّي كلَّما جدَّد الصباحُ حياتي

---

١ اشارة الى قول عنترة في المعلقة : دارٌ لآنسةٍ غضيض طرفها . ٢ انتصت له : سمع لحديثه بدون ان يبدي كلاماً

ومضى مصلحاً فجدّد عهداً خان «سلطانُ» نَصّه مرّاتٍ[1]
فتغاضى الأَمير يبغي حياداً منه لكن إخلاصه!.. هيهات
كان يبغي تفرّغاً لأبي «الخيلِ» فيُزجي حواسمَ الصفحات
ودَعته «بريدةٌ» كرّةً أُخرى تراها تكون كالسالفات
مؤمنٌ غير مرّةٍ لَدَغوهُ أي جحرٍ هذا وأيٌّ ثقات[2]
جاءها والمساءُ غشّى رُباهـا أين جيش الأَنصار؟ في الشُرُفات
لم يجد غير عشرة، خـارج السور، وقالوا يأتونه بالمئات
عشرةٌ للأَمير! والرقمُ فألٌ وحبيبٌ في صفحة الذكريات
يومَ فتح «الرياض» عاد الى البـال، وهاج العزائم الخابيات
لم يكلّفهمُ سوى فتح بابٍ، يعرف الماءُ دربَه في القناة
وكذاكَ الأَميرُ يعلم درب النصر، علمَ الأُسود بالأَجمات[3]
رتّبَ الخيلَ والمشاة سرايا تتوالى الهجوم في دفعـات
فتحيط الأُولى بقصر ابي «الخيـل»، فلا يهتدي سبيلَ نجاة

---

[1] كان برغش رسول السلم بين الامير وابن الرشيد فجددت المعاهدة السابقة التي خرقها سلطان ولم يتقيد بها متعب. ولكن ابن سعود لم ينخدع وما أراد في ذلك الحين غير حياد ابن الرشيد ليتفرغ لابي الخيل. وعاد أهل بريدة يدعونه لاحتلال المدينة فجاء ولم يجد من الأنصار سوى عشرة فلم يكلفهم أكثر من فتـح باب السور عند صلاة العشي. وأمر سريتين بالتقدم ثم بالدخول الى البلد اذا ما فتـح الباب فيسيرون حالا الى البيوت القريبة من القصر المقيم فيه ابو الخيل ويحتلونها. وكذلك كان فاتحها ثلاثمئة من الفرسان.

(ت. ن).

[2] اشارة الى الحديث: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين. [3] وقف الامير عند الباب وأرسل فرقة عددها خمسمئة رجل لتحتل الابراج القريبة منه. ثم دخل على رأس جيشه وقبل دخوله خطب فيهم قائلاً: «اننا هاجمون على هـذا البلد فاحذروا أن تؤذوا من لا يعترضونكم، او تسيئوا اليهم بشيء. حاربـوا من حاربكم وسالموا من سالمكم. أما البيوت فلا تدخلوها، وأما الحريم فمن اعتدى عليهن فيدي عليه».

(ت. ن).

« حاربوا من أراد حرباً وكفّوا يـدكم عن دنيئةٍ وأذاة »
من بغى السلمَ نحن أدنى اليه إننـا السابقون للحسنات
حاربوا خـارج البيوت، فإنَّ البيتَ قدسٌ مُحرَّم العتبات
فهو مأوى المرضى وحصن شيوخٍ أَخْلَقَتْهُمْ جديـدةُ الأوقات
وصوان الحريم، كهف اليتامى ومَلاذ الأطفال والمرضعات
من يُحاوِلْ بفكره مَسَّ أنثى يحصُدِ الموتَ قاطراً من شباتي
نحن للنصر والفتوح أتينا لا لِبَثِّ الفحشاء والمنكرات
لا تقول العصورُ مجدُ سعودٍ ضاعَ بين الأجرام والشهوات
سنَّةُ الراشـدين لم تَتَبدَّلْ في كتابي وسُنَّتي وصلاتي
أتّقي الله في السريرة والجهـر، وفوقَ السرير والصهوات
سدّدوا للعلاء طرفاً فتلقوه، ضِياءَ المصباحِ في المشكاة
قالها وانتضى الحسام فكرُّوا كسدود الأنهار منفجرات

• • •

طلع الفجرُ لؤلؤيَّ الثنايا ذهبيَّ الأذيال والعَـذَبات[1]
يا أبا «الخيل» اين خيلكَ ولّت أجياداً علوتَ أم رَمَكات[2]
أسلمت جندك السلاحَ وراحت تطلب العفو من مغيث العفاة
لا تخفْ يا أسيرهُ، فهو فوق الحقد، فوق الذُّحولِ والنقمات

---

١ العذبات : الأطراف من كل شيء . ٢ رمكات : مفردها رمكة وهي البرذونة .

أحمرُ السيف، أبيضُ القلب سَمْحٌ طاهر الذيل، ناصع الصفحات

أَينما شئت سِرْ عليك أمانٌ أسقَطَ العفوُ عنك جمَّ الديات

راحَ ذاك المنكودُ، يمحو خطاياهُ، بشطآن دجلةٍ والفرات [١]

---

١ أمّنَ الامير أبا الخيل على حياته وتركه يذهب حيث يشاء فرحل الى العراق .

البطل الدولي

عرشُ عبد الحميدِ كان فبانا أتُرى العهد بَدَّلَ الألوانا
ليتهُ ظلَّ في المظالم فرداً ألفُ عبدِ الحميدِ حلُّوا المكانا
الطواغيتُ، قبلَ أن يبلغوا الدستَ، يُخالونَ زُهَّداً حُملانا
وتراهُمْ حرباً على كلّ طاغٍ فإذا سُوِّدوا عَلَوا طغيانا
جوهرُ الغاشمين لم يَتَبدَّلْ الأفاعي تبادلوا القمصانا
فإذا تُركيا الفتاةُ عجوزٌ ريحها النتنُ يبعث الغَثَيانا[1]
أنكرَتْ ظِلَّها الأعاربُ حتى ناصروا في قتالها الطليانا
حلفُها سيّد «الأدارس» والى عرشَ «روما» وطلّق «الخاقانا»[2]
فَنوى الترك أن يثيروا عليه عربياً لسيفهم مِعوانا
هل يَفُلُّ «الحديدَ إلّا حديدٌ» فَدَعِ العُربَ في الوغى تتفانى
هل سوى رايةِ السعودِ لظلٍّ منعشٍ في الهجيرة الحرّانا
ـ «لك عبد العزيز ما شئت مالًا وسلاحاً ودولةً وامتنانا»
ـ «لن أعادي من أجلكم عربيّاً من ضلوعي! هل أَنْهشُ اللحمانا»

١ الغثيان : التقيّؤ .   ٢ الخاقان : سلطان تركيا .

ـ « مُدّ ظلّاً على « الحساء » ، اتقاءَ « الهرقليّاتِ » تَنْسِفُ الشطآنا » [١]

أيُّ فضلٍ لكم على العُرب حتى تأملوهم في خَطبكم أعوانا

أيُّ فضلٍ أسلفتُموهم وكانوا عدماً في عيونكم أو دخانا

عجباً تُتلفُ الرعاةُ المراعي وتسوم الرعيّةَ الألبانا

أنتم الزارعونَ فيهم قتاداً أتودّون جَنْيَهُ رُمّانا

البذورُ التي زرَعتمْ شقاقاً بيننا أسعرَتْ عليكم قِلانا

في هَوانِ الأعضاء ذلّةُ رأسٍ جرَّ من نفسه عليه الهوانا

لو أبحتُم لكلّ عضوٍ حياةً وبَسطْتُم على الجميع الصيانا

فتظلّ الزُنودُ منطلقاتٍ لا قيوداً تَلْقى ولا قضبانا

لَتبارَتْ الى السفينة أشطاناً ، صِلاباً ، تُخلِصُ الربّانا [٢]

---

١ الهرقليّات : السفن المنسوبة الى هرقل والمقصود هنا الأسطول الطلياني . ومعلوم انه بعد أن قلبت حكومة الاتحاديين عرش عبد الحميد وتبوأت مكانه عاد كل واحد منهم عبد الحميد رهيباً . وقد أفضت تلك السياسة الغاشمة الى انتصار إيطاليا واستيلائها على طرابلس الغرب ، وكان السيد الأدريسي حليف الطليان . وقد طلبت حكومة الاتحاديين مساعدة ابن سعود . وتعهدت ان تقدم كل ما يحتاج اليه من السلاح والذخيرة والمال فرفض ، وكتب الى الحكومة كتاباً يقول : إنه عربي فلا يحارب العرب من أجل تركيا .
(ت . ن .)

٢ الأشطان : مفردها شطن وهو الحبل . عادت الحكومة التركية فطلبت من ابن سعود ان يخصّ الأحساء بعسكر حربي لحماية تلك الناحية فرفض . ثم كتب اليه والي البصرة يسأله رأيه في أمر العرب وشقاقهم وخروج بعضهم على الدولة العثمانية فكتب اليه الامير جواباً صريحاً يدلّ على انه منذ ذلك العهد كان يفكر بالوحدة العربية ومما ورد في الجواب : « انكم المسؤولون عما في العرب من شقاق فقد اكتفيتم بأن تحكموا وما تمكنتم حتى من ذلك . قد فاتكم ان الراعي مسؤول عن رعيته ، وقد فاتكم ان العرب لا ينامون على الضيم ولا يبالون اذا خسروا كل شيء وسلمت كرامتهم . وينبغي ان تكون الولايات العربية مستقلة استقلالا ادارياً وتكونوا أنتم المشارفين عليها . فاذا تمّ ذلك فعلى كل أمير عربيّ أو رئيس ولاية أن يتعهد بأن يعضد زملاءه ويكون وإياهم يداً واحدة على كل من تجاوز حدوده أو أخلّ بما هو متفق عليه بيننا وبينكم . »
وشعرت الأستانة انه يرمي الى الوحدة العربية فبدأوا بمقاومتها سرّاً وعلناً بمساعدة عمّالهم مباشرة وبواسطة بعض امراء العرب . وقد كان يومئذٍ جمال باشا في بغداد ، والشريف حسين في مكة ، وابن الرشيد في حايل ، في مقدمة من يسمعون كلمة الاستانة ويطيعون .
(ت . ن .)

أدركَ التركُ أنّها وحدةُ العُرب، فَصَمّوا عن قوله الآذانا

أَنّه الصخرُ حيث يضمُرُ حَبٌّ ولَو انهلَّ غَيثُهم تَهتانا

فَلْتُسَلّطْ على الأصمِّ جبالٌ من حديد تُفَتِّتُ الصَوّانا

يشهرون «السعدون» وابن رشيدٍ والشريفَ الحسينَ و«العُجمانا»[1]

و«مُطَيراً»، فيا عِناقَ سيوفٍ أصبحت في عِدائه إخوانا

الشريفُ الحسينُ يُغري البوادي بسعودٍ وينصر «الهزّانا»[2]

ناسياً عهده، يردُّ الهدايا شامخَ الأنف حاقداً غضبانا

يا ابنَ بنتِ الرسول ما كان أولى لو حفظت الولاءَ والقُربانا

شيمة السبط أن يُحلّ الهدايا ويردَّ الهبات والإحسانا

وهدايا الأميرِ لا عيبَ فيها لا حراماً جنى ولا أدرانا

لا ادّخارَ الشحيح، كاد لفرط الشحِّ يَنْفي الأضراس والأسنانا

لا اختيالَ الغطريس يمنحُ خيطاً فَيُرى العمرَ ذاكراً مَنّانا

. . .

١ حرض الترك على ابن سعود ابن الرشيد وابن السعدون . واستقووا كذلك عشيرة من عشائره الكبرى هي مطير ناهيك بالعجمان في الحساء، وبقبيلة حرب في أطراف الحجاز . ٢ طفق الشريف حسين يحرّض على ابن سعود القبائل ومنهم عتيبة ثم جهّز جيشاً لراشد الهزّاني (هو من الهزازنة أقارب آل سعود) الذي كان قد لجأ (المرائف) اليه وسيّره على الحريق . وقد أمدّ (المرائف) في محاربة نسيبهم صاحب نجد . فأرسل ابن سعود صالح باشا العذل الى الشريف ومعه هدية من الخيل وكتاباً جاء فيه : « اننا نستغرب منكم هذا العمل وبيننا وبينكم معاهدة . » وكان جيش ابن سعود قد أغار على فخذ من عتيبة المتشيمة للمرائف فغضب لذلك الشريف وردّ صالح العذل خائباً وردّ فوق ذلك الهدية فخرج المرائف وهم عُتَقاء سيف الامير كما تقدم، على ابن سعود . (ت . ن .)

ومن النُكْرِ أنَّ مُضنًى غريقاً نحو من شالَهُ يمدُّ السنانا

إصبعُ التركِ خلفَ تلك المخازي أَشْعَلَتْ في القبائل النيرانا

لا تلوموهُ يا «مَغولُ» فأنتم قد زرعتم دُروبه عدوانا

ها هوَ الليثُ في «الِحساء»، على «الَخفسِ» فويلٌ إنْ هِجْتُمُ البركانا [1]

جاء يَمْتارُ إن أردُتم سلاماً وهي الحربُ إن تروموا الطعانا

. . .

كان في ذلك الزمان «جمالٌ» والياً باغياً على «بغدانا»

أظهر الودَّ للأَمير وأبدى مَلمسَ الخزِّ والحرير لِيانا

«وافِني قال، بالرسول فأسعى لِوِئامٍ يعيدكم خلّانا

«فيعود الحسين للعهد كالأمس، ويمحو التِراتَ والأَضغانا» [2]

فأتاه الرسول يشهد عن قربٍ وفاءً وحنكةً واتّزانا [3]

فرأى مطلعَ الجمال دميماً غاضَ في قبحه الجمال وهانا

ليس فيه من الُمرونة إلّا ما ترى العينُ إذ ترى الأُفعوانا

ذاك أنَّ الرشيدَ، بالأمس أغواهُ، فزاغتْ أجفانهُ زَيغانا

---

١ نزل الامير على ماء الخفس ثم تقدم الى الحساء فأرسل الاتراك يستطلعون خبره فقال انما قصدي الامتيار (اي شراء الامتعة والزاد) والحقيقة انه ابتاع ما كان في حاجة اليه للجنود وعاد الى الرياض تاركاً عسكره في الخفس . (ت . ن .)

٢ التراث مفردها ترة مصدر وتر والمقصود الثأرات والأحقاد . ٣ كان جمال باشا والياً في بغداد وكان يتظاهر بصداقة ابن سعود وسأله إرسال مندوب لحسم الخلاف بينه وبين الشريف فأرسل اليه أحمد بن ثنيان . ولكن جو السياسة العربية كان قد تغير فسطع فيه نور ابن الرشيد . وكان النور شبيهاً بوهج الاصفر الرنان فجذب «الجمال» لابن الرشيد . وعندما وصل ابن ثنيّان الى بغداد وجده غير جميل وسمع كلاماً لا جمال فيه ولا حكمة . (ت . ن .)

غُشِّيَتْ بالنضار يُحمـلُ أكياساً ، وَيُشتارُ أصفراً رنَّانا

بَدَراتُ النضار تغشى حَريصاً فتلاشي أو تَطْمِسُ الوجدانا [1]

« قل لمولاكَ غرَّه صفحُ « فيضي » وأراه بنفسه سـاوانا »

فتناسى مقامَهُ وهوَ يـدري أننا الأرفعون حولًا وشانا

« قل له إنني بطابور جندٍ أو بضعفيه أبلغ « الصمَّانا »

وأدوسُ الذُرى بآكام « نجدٍ » مُبلغاً صهلةَ الجياد « عُمانا » [2]

وأدكُّ « الرياضَ » علواً وسفلًا وأُبيدُ الأبراجَ والأركانا

فأجاب الأمـيرُ : نختصر الدرب ، عسانا عمَّا قليلٍ عسانا

شَرفُ العُرب يقتضينا بداراً لا نسومُ الباشا يجيء حِمانا

سيضلُّ القُوَّاد في نَجدنا الوَعْرِ ، وتُخفي قفارُنا البُعرانا

قد شحذنا لهم سيوفاً حداداً ليلاقوا حُتوفَهمْ شجعـانا

أيُّها الغِرُّ كلّ آتٍ قريبٌ سترانا حيث الفَخار يَرانا

. . .

---

١ البدرة هي عشرة آلاف درهم والمقصود الكميات الكبيرة من المال . ٢ عُمان والصمَّان : عَلَمان لمكانين . قال جمال باشا مخاطباً أحمد بن ثنيَّان : « ابن سعود لا يعرف مقامه وقد غرَّه أن صفح عنه المشير فيضي باشا . فإذا كان لا يقبل بما تطلبه الحكومة فإن في إمكاني أن أخترق بلاد نجد من الشمال الى الجنوب بطابورين لا غير . » عاد أحمد يحمل هذا الكلام الى عبد العزيز . فكتب عندما استمعه الى جمال كتاباً أرسله بواسطة وكيله في البصرة عبد اللطيف باشا المنديل وفيه هذه الكلمة : « قلتم انكم تستطيعون بطابورين أن تخترقوا بلاد نجد من الشمال الى الجنوب ونحن نقول اننا سنقصر لكم الطريق وذلك قريب ان شاء الله . » ثم كتب الى عبد اللطيف المنديل يقول : اذا سألك الباشا هل أنت مندوب ابن سعود فقل لهم اني عثماني، خشية أن يلحق به ضرر . ولكن المنديل كان شجاعاً فقال للاتراك إنه وكيل ابن سعود، وانه نجديٌّ، وأفهمهم انهم قد جهلوا قدر الرجل وهو عمَّا قريب يعرّفهم بنفسه . (ت . ن .)

يا «جمالَ» القُبحِ الرهيبِ أَحقًّا كنتَ تعني ما قلت أم هَذَيانا
مُولَعاً كنتَ بالدماء ولكن كنتَ في سَفحِها دنيئاً جبانا
لم يَرَ الشرقُ مثل وجهك وجهاً منذُ قاءَ التأريخُ «جَنكيزَ خانا» [1]
ومن الهَزْلِ أن تُسَمّى جمالًا أيُّ حُسنٍ يُجلِّلُ الثعبانا
سُوريا لن يبيدَ ذكركِ فيها كُلَّما الشعبُ ذُكِّرَ السرطانا
وتعوذ القُرّاءُ بالله إمّا في العشايا، تُرتِّلُ القرآنا
من رَجيمٍ ويضمرون «جمالًا» كلُّ شعبٍ يُشخِّصُ الشيطانا
«فَلِروما» نيرونُها و«لعكّا» كان «جزّارُها» ومثلك كانا [2]
«مرجةُ» الشام بالمشانقِ غَصَّتْ فمتى الصُلْبُ أنبت العيدانا [3]
في دُجى الليلِ، راحَ يزرعُها الباشا رؤوساً، فأثمرتْ أوطانا
إنَّ تلك الهاماتِ، في هيبةِ الموتِ، لتعلو فصاحةً «سحبانا» [4]
ميتَةُ الصامتِ الشهيد تساوي كلَّ ما قطَّر النبوغُ بيانا
غوطةٌ في دِمشقَ ثالثةٌ طرَّتْ، وشاءَتْ أن تُنْبِتَ الإنسانا [5]
أخلدُ الغوطتين، تنتظِمُ الدهرَ، ويُفني شبابُها الأزمانا
قد قضتْ عصبةُ الميامين أبطالًا، يصيحون: فَلْيَعِشْ «بَرَدانا» [6]
مُرسَلَ الصوت يسكب الخيرَ حرًّا وطليقاً يوشوشُ الغدرانا

---

١ قاء الانسان اي أرجع ما أكله. جنكيزخان: الفاتح المعروف بالظلم. ٢ أحمد باشا الجزار وكان مشهوراً بالظلم والقسوة. ٣ الصلب: المكان الغليظ الحجر. ٤ سحبان وائل: الخطيب المشهور. ٥ لدمشق غوطتان: الغربية والشرقية وقد جعلنا، على سبيل المجاز المرجة غوطة ثالثة.
٦ بردى: نهر دمشق المشهور.

كلما رنّح العصورَ التوالي للرياحين والقرون روانا

. . .

يا «جمالًا» وما ذكرناك إلّا سوّدت عتمةُ الرموس رؤانا
جيفةٌ أنت في الضمير ونتْنٌ كيفما هبَّ أبرمَ البلدانا
كلّ إثمٍ إلى الشياطين يُعزى كلّ إثمٍ تخالُه دُنيانا
لملمته يداك من كلّ عصرٍ ورمتْ سهلَنا به ورُبانا
كان سِقْطَ الأيّامِ أو بَصْقَةَ الدهرِ، صباحُ ألقاك في لبنانا
لو سلَلْتَ الحسامَ، في ذلك اليوم، لأودَتْ عزيزةً موْتانا
جئتَنا حاكماً وما كنتَ إلّا والغاً في دمائنا سِرحانا
حاكمَ الظلم يسلب القوتَ مِنّا لِيُغذّي بخبزنا الألمانا
الطواحينُ أصفرَتْ من حبوبٍ فعلى نفسها تدور رحانا
وعلى نفسها تدور عيونٌ هائماتٌ تطاردُ الرغفانا
ناتئاتٌ تكادُ، من شدّة الجوع، المآقي تفارق الإنسانا[1]
زائغاتٌ وما أصابت مُداماً ما أصابَت إلا حثالًا زُؤانا[2]
لم تصادف سواه منذ ليالٍ زاحمتْ في التقاطه الحيوانا
وربيبُ القصورِ إلفُ الحشايا راحَ من جوعه يجوس الخانا
علّه ظافرٌ بحبّ شعيرٍ فإذا خاب يمّمَ الأعطانا[3]

---

١ المآقي مفردها المأق وهو مجرى الدمع من العين . وإنسان العين : سوادها . ٢ الحثال : ما يسقط من قشر الحبوب . ٣ مبارك الإبل أو مرابض الغنم على الماء .

حيثما تكثر المزابلُ تلقَ جائعاتٍ تدافع الغرثانا [١]

تجلب الجوّعَ القُمامةُ، كالأجياف في القفر تجذب الغربانا

ثلجنا لاحَ قاتماً في الصياصي والأزاهير أدْمَعتْ في قرانا [٢]

باكياتٍ أمثالَهنَّ جمالا فتياتٍ وفتيةً غُرّانا [٣]

عَمروها قُرى البهاء وكانوا للثريّا والمشتري جيرانا

يعجب الطرفُ حائراً في سناها أنجوماً يشيمُ أم سُكّانا

كلّ شبرٍ من أرضها مَدْرَجُ الخلد، فعدِّدْ مدارجاً وجِنانا

رفعوها فكلُّ زندٍ عمودٌ من رخام مُمرّدٍ من ذرانا [٤]

معصمٌ أجدلٌ كجذع لُبانٍ طالما جاوَر الذُرى واللُبانا [٥]

باتَ خيطاً لضعفهِ، ويكادُ العظم يغزو، من جوعه، الشريانا

السقوفُ المُمرّداتُ تَهاوى وعلى الأهل تُسبِلُ الأكفانا

وائداتٍ أنقاضُها أمّهاتٍ عَلّقَتْ في ثُديّها الرضعانا [٦]

شبَحُ الموتِ يرضع الموتَ من ثديٍ، وقد جفَّ نضرةً وحنانا

رُبَّ أمٍّ من جثّةِ الطفل راحتْ تتعشّى فتلْهَمُ الجثمانا [٧]

بعضُها هاضَ بعضَها، وكلا الجزءين أودى، فأشبعَ الذُؤبانا [٨]

من يدقُّ الأجراس حزناً ويَنعى؟ قد أبحَّ النحاسَ حزنُ الحزانى

ربّما البُومُ، والبيوت رموسٌ في العَشيّات للضباع نعانا

---

١ الغرثان : الجائع . ٢ الصياصي : أعالي الجبال . ٣ غرّان مفردها الأغرّ وهو الحسن من كل شيء . ٤ ممرّد : من مرّد البناء اي سوّاه وجعله أملس . ٥ اللبان : الصنوبر . ٦ الثديّ : مفردها الثدي . ٧ لهم : ابتلع . ٨ هاض : كسر وفتّت .

وحدادٌ كسا المآذنَ صمتاً نسيَ المسمعُ التقيُّ الأذانا
المصلّون إن ترُمْهم تجدْهم حيث تلقى الطحين و« الأفرانا »

. . .

وصبايا كغُدْوَةِ الأرز حسناً قد أضعنَ النفوس والأبدانا[1]
تتهاوى أطمارُهنَّ، ويهوي العرضُ، في إثر عِرْيها، أحيانا
يتملّى الكعابَ من يملكُ الخبزَ، وتستعبدُ العبيد الحسانا
سِلَعٌ من براثنِ الفقر تُشرى فتقاضى أبدالها أدرانا
لا تساوي العفافَ، كلُّ كنوزِ الأرض، إمّا تلألأت أثمانا

. . .

يا جمال الطاغي وما كنتَ إلّا كوكبَ النحس طالعاً في سمانا
ساحةُ «البرج» رغم أنفك صارتْ رفرفاً خلّدتْ به شهدانا[2]
عِلْيةُ الراحلين عاشوا أباةً وتعالوْا معارجاً لِعُلانا
في سبيل الأحرار جلّوا نسوراً وهووْا في سبيلهم عقبانا
دمُهم أنبتَ الزنابقَ حمراً طهرُهم ألبس الرُبى بيلسانا
عيدهم، عيدُ مجدهم كلَّ عامٍ حين تهمي تِلالُنا ريحانا[3]
أتظنُّ الرمالَ ظلّت رِمالاً ؟ بعد ما ضمَّ تبرُها قتلانا

---

١ الغدوة : مفردها الغداة وهي بين الفجر وطلوع الشمس . ٢ ساحة البرج في بيروت أصبحت تدعى ساحة الشهداء بعد ان ركزت فيها أعواد المشانق . ٣ عيد الشهداء : يقع في السادس من أيار اي في ميعة الربيع في لبنان .

يا جمالَ الشرور أخفقت ظناً أصبح الرملُ حولهم عِقيانا[1]
صهرَتْهُمْ للخلد وحدةُ روحٍ لا هِلالاً تلقى ولا صُلبانا
كلَّ عامٍ تُطلُّ أرواحُهم ناشرةً عاطرَ الشذا في ربانا
أيها الخائنُ الذليلُ أَشنقاً؟ لأُباةٍ ماتوا كِراماً فدانا
ولأنت الخؤون إذ كنتَ تبغي أن تبيع «البُسفورَ» والساطانا[2]

. . .

بطلَ الفاحشات هل نمتَ إلّا دَنِسَ الذيل فاجراً سكرانا
أرحيقاً ذاكَ الذي كنت تحسو؟ أم نميراً مخضّباً بدمانا
لو تأمّلتَ في المرايا لَمحتَ الذئبَ، في ظمئهِ يعبُّ الدنانا
حولَه لا ترى سوى حشراتٍ والدنايا تجمّعُ العبدانا
ولَفيف المُؤنّقاتِ البغايا تتولّى الأحكام والمهرجانا
حين تهوي على الرصيف اليتامى ويُرى الشعبُ ساهداً جوعانا
قد حشدتَ الدنيا لغزوة مصرٍ وفررتُم كما تفرُّ السُماني
شهِدَتْ تُرعةُ «السُوَيسِ» انكساراً كانَ في دكِّ عرشكم إيذانا

. . .

سيجيءُ الغازي فيقلب دستاً وعلى العدل يَركِزُ البنيانا

---

١ العقيان : الذهب . ٢ كان جمال السفاح يفاوض الحلفاء ليدفعوا له بدل خيانة العثمانيين مليون ليرة عثمانية ذهباً ويقيموه ملكاً على سوريا ولبنان وفلسطين .

فَينُقِّيهِ من وباءٍ قديمٍ ومن الجذع يمحقُ الديدانا
مصطفى! بالكمال يوصف، ما أحلاهُ نعتاً، يا طيبه إرْنانا
مصطفى ذكرهُ يثير قوافينا، ويُولي الجمالَ موسيقانا
لو هتَفْنا بذكره في رُبانا أطلقتْ كلُّ أرزةٍ كَرَوانا
واحدُ العصر صولةً وذكاءً قلبَ العرشَ سيفُهُ والزمانا
فإذا تركيّاً الجديدةُ ضوءُ الشرق، زيّاً، ونهضةً، ولِسانا
حسبكَ الخلدُ، مصطفى، وملايينٌ يقولون: كلَّ يومٍ، أبانا
لم تُخلِّفْ نسلاً، وخلَّفتَ دُنيا عظماتٍ شدَدْتَ منها الكيانا
أينما مرَّ مصطفى سوَّدَ العدلَ، وشادَ الأخلاقَ والعمرانا
ناسفاً في طريقه كلَّ جحرٍ كان يأوي ويحرسُ الأوثانا
وطناً شدتَ للخلود، وقد أحرزتَ، في كلِّ مهجةٍ أوطانا

. . .

أَقبلَ الليثُ يا جمالُ وأرسى في ضواحي «أحسائه» الفرسانا [1]
إرثِ أجداده يصيحونَ: هيّاً من يدِ الأجنبيِّ طهِّرْ ثَرانا
لا يَصُدَّنكَ «الهفوفُ» ولا السورُ على «الكوت»، في غدٍ تلقانا
إنَّ أرواحنا ترفُّ عليه كلَّ يومٍ لِبُرجِهِ مَغدانا

---

١ وصل ابن سعود الى أطراف الحساء ولم يكن له فيها معاونون غير وكلائه أبناء القصيبي ويوسف بن سويلم فسألهم أن يعلموه بالمكان المناسب للهجوم على الكوت (وهو جهة من الهفوف فيها القلعة والحامية) ففعلوا وأعلموه بما هناك من الصعوبات لعلوّ السور ووجود الحرس فأرسل اليهم يقول: اننا هاجمون في هذه الليلة وكل صعب مسهّل بحول الله. (ت. ن.)

عافَ أهلُ «الحساء» غطرسةَ التركِ، فأنقذَهم هواهم هوانا

. . .

يا لَروح الجدود صاحَ، ودار الجيشُ، من حول نسرهم يبزانا

قال: يا صفوةَ الأشاوسِ، إنّ «الكوت» من قلب صخره نادانا

ذلك الصخرُ كان دُميةَ «كعبٍ» ورأى جدُّ جدِّهِ عدنانا[1]

حنَّ، من فرط شوقه، لمواضينا، فلا يرتضي حماةً سوانا

إننا الغالبون. كم فئةٍ قلَّتْ وسادت أضعافَها أقرانا

والذي أيّدَ الجنودَ «ببدرٍ» من أعالي سمائه يرعانا

ويُذِلُّ الأقوى سلاحاً ونبقى عن مجالي تأييده إعلانا

إلبسوا مِعطَفَ الدجى لا تضجّوا واستكينوا ولو مسيءٌ رمانا

لا يرانا غير الذي كوكبَ النجمَ، ونجمٌ يُنيرنا في سُرانا

واقصدوا السور كالتماثيل بُكماً لا ثقال الخطى ولا عميانا

سنُبيدُ الذي يريد احترابا ونُوالي مُحايِداً والآنا

لا تؤمّوا البيوتَ واحترموها من يُؤاذِ حريمها آذانا

فلها في فؤادِ كلِّ نبيلٍ هيبةٌ ضمَّ مثلها حرمانا

. . .

١ هو كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن لياس بن نزار بن مضر بن معدّ بن عدنان .

وَمشوا خلفَهُ إماماً حبيباً ألْهَبَتْهم آياتُه إيمانا
حاملينَ النخيل للسور حتى خِيلَ في الليل ماشياً بستانا
شامخاتٌ جذوعه، كشموخ السور، من مَلعَب النسور تَدانى
ركزوها فخفَّ منهم بُزاةٌ أَلِفوا في الزَوابعِ الطيرانا
يَعتلُونَ الغصونَ قبل وُثوبٍ للأعالي فيبلغون العنانا
في أُلتواء الأغصانِ قُوّةُ دفعٍ عشقوا من جرائها الأَغصانا
عَشرةٌ في مَزالِقِ الموت خاضوا لا «جمالًا» خافوا ولا «عجلانا»[1]
حبَّذا الرقمُ للأَمير صديقاً لم يُخيّبْ فألًا ولا ميدانا
وتَدلَّتْ من الأَعالي حِبالٌ لا لَعوباً شالَتْ ولا بَهْلَوانا[2]
بل تَشيلُ الفخارَ نَطَّقَ أبطالًا، تشيلُ الرصاصَ والمُرّانا
واستفاقَ الحُرّاسُ، ماذا؟ خيالٌ؟ أَم يرون الأَعداء والمعمعانا
يفركون الأجفانَ، في حيرة المحموم، يَلقى من دائه البُحرانا

---

١ عجلان : هو أمير قلعة الرياض وقد تقدم الكلام عليه . وقد تسلّق السور يومئذٍ عشرة ايضاً .

٢ كان عبد العزيز قد نزل على عين من عيون الأحساء تبعد ميلًا واحداً من الهفوف وفي الساعة العاشرة ليلًا (١٣ نيسان سنة ١٩١٣) خرج من المعسكر بست مئة من رجاله وخطب فيهم قائلًا : « اننا هاجون على الترك في الكوت واننا منتصرون بإذن الله . امشوا كأنكم بُكم الى غرضكم ولا تضجوا . واذا كلمكم أحد فلا تجيبوه حتى وان ضُربتم بالبنادق ونحن في الطريق فلا تجيبوا . أما وقد صرتم في الكوت فحاربوا من حاربكم ووالوا من والاكم ولكن البيوت لا تدخلوها والنساء لا تدنو منهن » . قال ذلك ومشى أمامهم . ساروا على الاقدام حاملين جذوع النخل والحبال فلما وصلوا الى السور قسمهم ثلاث فرق ورتّب كيفية الاحتلال . ثم حزموا الجذوع وصنعوا منها سلّماً تسلّقه عشرة من ذوي الشجاعة والإقدام . ثم رموا بالحبال الى العساكر فصعدوا ساكتين ونزلوا الى الكوت متسللين والحرس يسألون من أنتم فلا يجيبهم أحد . وبعد ان احتلّت الفرق الجهات المعينة لها، أفاق بعض العساكر والأهالي وأطلقت البنادق فأمر اذ ذاك عبد العزيز أحد رجاله أن يصعد السور وينادي : « الملك لله ثم لابن سعود . من اراد العافية يلزم مكانه . » فنادى المنادي فاستبشر الناس وهتفوا كبارهم وصغارهم أهلًا وسهلًا سمعاً وطاعة . (ت . ن .)

وإذا «بالهفوف» تسمع صوتاً كان عن سرّ قلبها ترجمانا
من أعالي الأسوار صاح المنادي: سيّدَ العُرب فَليعش مولانا
إنما المُلكُ، بعد ربّ البرايا لابن عبد الرحمن عادَ وكانا [1]
هتف السامعون: يا ألفَ مرحى واستعادوا نداءه والأذانا
«أين عبد العزيز؟ فلْيَرْحلِ التركُ كفانا ما قد لقينا كفانا»
قد كَرِهنا «جمالَهم» وسَئِمنا رُغم أصداء عِزّه «عثمانا»

. . .

لَجأَ التركُ للحصونِ وأصْلَوا مدفعاً كان مثلهم فزعانا
قصْفُه ما عدا نعيبَ غرابٍ نارُه لا تكاد تلقي الدخانا [2]
أنفذ الفاتحُ الأميرُ رسولاً يمنحُ التركَ، إن يَشاؤُا الأمانا
«قل لهم نارُهم ضياءُ سراجٍ لو هَوى في جفوننا ما كَوانا»
لست أخشى حُباحباً يقطع الليلَ، ولا كنت أرهب الجعلانا [3]

---

١ اي ان الاحساء كانت لآل سعود وعادت اليهم . ٢ عندما طلع الفجر شرع الاتراك يطلقون البنادق والمدافع من حصونهم طلقات أفصحت عن الذعر الذي كان مستولياً عليهم فلا أضرّوا بأحد ولا روّعوا أحداً . فبعث الامير رسولا يقول للمتصرف وقائد الحامية أسلموا اذا كنتم تبغون العافيـــة ونحن نؤمّنكم ونرحلكم الى بلادكم اما اذا أبيتم فاستعدوا للقتال سنهاجمكم في مراكزكم ساعة هاجمنا البلد الليلة البارحة . » قبل المتصرف والقائد الأمان . ثم سلمت الحامية التي كان عددها ألف ومئتي جندي فأذن لهم عبد العزيز باستبقـــاء سلاحهم قائلاً : « لا ننزع من الجندي العثماني سلاحه . » امـا المدافع والذخائر فظلّت مكانها في الحصون . ثم جهّزهم بالركائب ورحّلهم وعائلاتهم . الف ومئتا جندي بعيالهم وأمتعتهم ساروا من الهفوف الى العقير، وليس معهم من يخفرهم ويؤمّن طريقهم، غير رجل واحد من رجال ابن سعود هو أحمد بن ثنيّان مندوبه السابق الى جمال باشا . وعندما وصلوا الى العقير جهّزهم أحمد بسفن تقدّهم الى البحرين . (ت . ن .)

٣ الحباحب : نوع من الذباب يطير ليلاً ويلتمع ضوءه الخافت في الدجى . والجعلان هي الخنافس .

«بندقيّاتُهم تظلُّ لَدَيهم لستُ أَبغي مغانماً ورهانا»[1]
ما «طَوابيرُهم» وزهوُ «جمالٍ» في الوغى، غيرَ حافزٍ لِقُوانا
حسبَ العُربَ، في المعامع، أرقاماً ؟ تسدُّ الفَراغَ أَو ذُبّانا
فإذا ما أبوا وراموا قتالاً فغداً يشهد الورى البرهانا

• • •

رضيَ الترك بالجلاء، فهلْ واقٍ يقيهم في الرحلة الحدْثانا
ذُلُّهم يُطمع البَداوةَ فيهم الزنابيرُ تلسع العريانا
وانكسارُ الزنود يتبع كسر القلب، فالروح تُخضع الأبدانا
مثلها الجسمُ حين تُبلى بخسفٍ مثلها حين تعتلي عنفوانا
واذا النِمرُ بالهزيمة يُمنى خلتَهُ في انهزامه ثعلبانا[2]
هؤلاء الليوث، بالأمس، حالُوا غنماً في جواره ضيفانا
أتظنّ الأَميرَ يبعث جيشاً ؟ لِيَصون الفرسانَ والأظعانا
لا لَعمري، فهيبة الليث تكفي وحدها أن تُدرِّعَ القطعانا
فاذا همَّ بالوقيعة ذئبٌ لَمحَ السبعَ خلفها يقظانا
حسبُ عبد العزيز يبعث رمزاً لِيَقيها أَو ينشر العنوانا
فَنِمّ العنوانُ عمّا يليهِ وتجوز الجحافلُ الكثبانا
رجلٌ واحدٌ أظلَّ جيوشاً وأجاز الحريم والولدانا
هو مندوبُهُ «لبغدادَ» بالأمس، وقد سامَه الجمالُ امتهانا

---

١ الرهان : مفردها الرهن وهو حبس الشيء مضاقاً . ٢ الثعلبان : ذكر الثعلب .

«الطوابيرُ» يا «جَمالُ» تجوز النجدَ، لكن لا آسُداً بل ضانا[1]
آمناتٍ، إن كان ظلٌّ سعودٍ أو أطاريفُ ظلِّهِ رعيانا

...

بعدأخذ«الهفوف»دانت«قطيفٌ» و«عقيرٌ» وكلُّ صعبٍ هانا
سيِّدُ البرِّ سيِّدَ البحر أضحى وتولّى تلك الشطوط السِمانا
غالياتٌ وما ضَمِمْنَ اللآلي أو كَنَزْنَ العقيق والمرجانا
بل لأَنَّ «الحساء» موقعهُ الفذُّ على البحر أقلق التيجانا
«لندنٌ» ربّةُ البحار، وما زالت تُصافي وتعشق الخلجانا
من جَرا الهند، هَنَّدتْ كلَّ ثغرٍ وسَبَتْ في سبيلها الحيتانا[2]
وأتت تستبي فؤادَ أميرٍ ظلَّ في حُبِّها رصيناً حَصانا[3]
لم يَهزّ «العزيزَ» لطفُ مُحيَّاها، وما أسبغت حلًى ودهانا
ويدٌ من غلائل النور صِيغتْ وأشعَّتْ زُمُرُّداً وجمانا
سابَقَتْها الى الأمير «فروقٌ» سادةُ الترك قمِّصوا ألمانا[4]

١ آسُد : مفردها أسد . ٢ هنَّدت المرأة الحبيب : لاطفته وامتلكته . ٣ خافت انكلترا على طريق الهند فعندما علا نجم ابن سعود وظهرت شوكته طفقت تخطب ودّه وتسعى في عقد اتفاق وإياه ليكون لها عضداً على الخليج فيقف سدّاً منيعاً دون ذاك النفوذ الألماني الذي كان قد خيَّم في العراق . وتألّف وفد تركي لمفاوضة الأمير وعلى رأسه السيد طالب النقيب وفيه ياور من ياورية السلطان . تعدّد الخاطبون فاضطرب الوالد مبارك فكتب الى ولده : «من حقي عليك يا ولدي ألا تقبل وساطة هؤلاء إلا في بلدك الكويت» ولكن الولد الذي كان قد شبع من إرشاد الوالد جاء من الجبيل في القطيف ونزل الصبيحية على مسيرة يوم من الكويت، فألحّ الوالد باستقدامه فأجابه عبد العزيز : «اني الآن قريب من الكويت فليتقدموا اليّ» . (ت . ن .)

٤ فروق : هي اسطنبول وانما سميت كذلك لانها تفرق بين آسيا وأوربا .

فتلاقتْ على الحبيب الغَواني وهْوَ ما انْفَكَّ في الهوى كسلانا
من يرومُ المجدَ المؤثّلَ مهراً لا يُرى في غرامهِ عَجلانا

. . .

لاحت الفرصة النفيسةُ للشيخ، فما انفكَّ غادراً مَنّانا
«إولدي»: أهبطِ «الكويت» سريعاً وتَصَدَّرْ في قصركَ الديوانا
فهنا نكبح الشكائم ما شئنا، ونملي رغابنا ومُنانا
نِيّةُ «الوالد» المراوغ لم تخفَ، ولا كان نجله غفلانا
من حنان الأب الشفيق وما أبدى، وما يرتجي غدا ملآنا
فاستجاب الرجاءَ نصفَ قبولٍ في حدود «الكويتِ» أرسى الحصانا
لا بعيداً عن المرونة فظّاً لا غريراً لِفُوهَةِ الجحر دانى
سطَّر «الوالدُ» المبارك نصحاً كان يُخفي تحت الدعاء اللعانا[1]
«كُن حديداً مع الفريقين صلباً لا يَرَوا منك أنسةً أو لِيانا»
فَعلى الإنكليز شُدَّ شكيماً ومع الترك قصِّرِ الأرسانا
لا تُصالِحْ وفد «النقيب» فتباً لِثُعالي تَقَشَّفَتْ رَوَغانا[2]
فهمُ الآلُ في القفار خَلُوباً عن سراب القفار ما أغنانا

---

١ اللعان : اللعن . ٢ ثعالي : مفردها ثعلب .

ذلك الشيخ كان، لو رأسَ الوفدَ، يَغيرُ الأوتارَ والألحانا[1]
خاب إبليسُ أن يكون مَلاكاً فغدا من عُتُوِّه شيطانا

...

مجلسُ السِلمِ ضمَّ مُوفَدَ تركيّا، وما كان «جابرٌ» وسِنانا[2]
الأميرُ اللبيبُ أبدى عبوساً وجفاءً ولم يكن غضبانا
رُبَّ رعدٍ في الليل يضمر صحواً وصباحاً مُذَهَّباً إضحيانا
وضبابٍ يعود يحمده الوردُ، فيغدو، بفضله نَدْيانا
ورَماها الأميرُ قنبلةً هزَّت قلوبَ الأتراكِ والصيوانا
«عهدُكم عهدُ ظِنَّةٍ وارتيابٍ بِتُّ منه محاذراً حيرانا»
«فعليكم بوالدي الشيخِ، نأبى ما أباهُ، وفي رضاه رضانا»
وأراهُمْ، بعد انصراف شهود الشيخ، ما سَطَّر المُرائي ومانا
ينصب الفخَّ للأمير ويرجو أن يعادي الإفرنجَ و«الخاقانا»

---

١ غار يغير : مثل غيَّر بتشديد الياء . كتب مبارك الى الامير أن يكون صلباً مع الانكليز، ونقم لانه لم ينتخب لرئاسة الوفد التركي فكتب الى عبد العزيز يحذّره من هؤلاء المكّارين الكذابين «كن صلباً معهم يا ولدي ولا تمكنهم من شيء ولا تصدق ما يقولون انهم كذابون خدّاعون» . وكان الشيخ جابر يومئذٍ عند الامير فأطلعه على رسائل أبيه فأجابه جابر بن مبارك : «اعمل ما فيه مصلحتك واترك الناس» وفي جلسة المؤتمر الأولى رمى الأمير قنبلة من قنابله السياسية زعزعت المؤتمر وكادت تبدد شمله . فقال مخاطباً رجال الوفد: «الأتراك خدّاعون فاذا كنتم تبغون مصالحتي فعليكم بوالدي مبارك يتوسط بيننا» . قال ذلك بحضور جابر ووفد مبارك وبعد انصرافهم أطلع الامير الوفد على كتاب مبارك وبوشرت المفاوضة الولائية فرفض الامير أن يكون للدولة معتمدين في القطيف والحساء، ورضي بعلاقات ولائية فقط، وأن تساعده الدولة بالاسلحة والذخيرة والمال . وبعد اللتيا والتي قبل الوفد بذلك وقرروا أن يظل الاتفاق سرّاً حتى يقرّه الباب العالي .
(ت . ن .)

٢ جابر : ابن الشيخ مبارك .

ذلك النجلُ سيّدَ العُرب أضحى · فَلْيُؤلِّبْ من حوله الشنآنا

خِبْتَ يا شيخُ فالغيوم توارَتْ · و «الصبيحيَّةُ» اكْتَسَتْ لمعانا [1]

صيغَ عهدُ الولاء ما شاء عزٌّ · والمُعادون أَصبحوا أعوانا

وَسيُمضي السلطانُ عهدَ وَلاءٍ · لسعودٍ، فيرفع الصولجانا

قد تَواصوا أن يكتموا عنك سرًّا · عنك ما كان أعدلَ الكتمانا

من يُواري في مَكْرِهِ ألفَ طودٍ · ويُواري الحدوثَ والإمكانا

ليس بدعاً ان يُستَرَ الكوزُ عنه · وهو يخفي الدأماء والطوفانا

ما ترى قلتَ في المآدب للوفد، · فأبديت للعيون الزبانى [2]

طالما كنت تُضحكُ الناسَ سرًّا · سَرَّهمْ منك أن تَمينَ عيانا

مثلما سُرَّ بافتضاح بَغِيٍّ · من رَمَتْهُ بنفسِها بهتانا

إذ تكيلُ الهجاء لابن سعودٍ · فتزيد الأسماعَ فيه افتتانا

وتزيد الأَبصارَ فيك ازدراءً · كشعاع الضحى نفاقُكَ بانا

كلُّهم شاهدوا عَراءَكَ إلّا · بصراً سَدَّه الخداعُ وَرانا [3]

أَرِقَ الشيخ ليلةً لم يُصادِفْ · مثلها في حَياته خذلانا

حسرةُ الأمِّ فوق نعش وحيدٍ · لا تساوي ساعاتِها أحزانا

---

١ عاد رجال الوفد الى الكويت فأحسن الشيخ مبارك استقبالهم وعند ما سألهم عما جرى اخبروه بما قاله ابن سعود في الجلسة الأولى فقال: «نصحتكم فما انتصحتم قلت لكم إن الرجل سفيه عيّار ولا يملك قياده أحد غيري». وبعد يومين أدب عبد الوهاب آل قرطاس في البصرة مأدبة للوفد حضرها الوالي والشيخ خزعل والشيخ مبارك وكان الحديث في الوفد وابن سعود. فقال مبارك يخاطب الوالي: «ألم أقل لكم إنكم لا تفلحون إلا اذا انتدبتموني أنا للتوسط بينكم وبين ابن سعود. وما طلبت ذلك منكم والله إلا لأمرين أولا لكي أقوم بخدمة للحكومة العثمانية وثانياً لكي أستر على ابن سعود لان السفيه لا يعقل ما يقول». (ت. ن.)

٢ الزبانى: إبرتا العقرب. ٣ ران: غطى.

باتَ عبدُ العزيز مُلتَفَتَ الشرق، وَسامى كسرى أنوشروانا
ظِلُّ إيوانه على الشرق والغرب، وإن كان لم يَشِدْ إيوانا
صار حِلفَ السلطان نداً لندٍّ «فرشادُ» أهدى له «النيشانا»[1]
أتراه يطير في موكب العزّ؟ ويمسي كَحِلْفِهِ سلطانا

. . .

«الصباحيُّ» أخمد النار في الصدرِ، وَعزّى فؤاده الأَسوانا
مُنفذاً وفدَهُ الى ابن سعودٍ «إولدي» انما مُناكَ مُنانا
لك أن تترك الرفاق جميعاً والمشيرين والصحابَ عدانا
وأنا الوالد الشفيق نصوحاً وبِنُصح الأولاد ما أولانا
ذكر الله «يعرُباً» فيك لمّا مثلَ عبد العزيز كنزاً حبانا
فكسا جبهةَ الجزيرة فخراً وسقى ظامِئَ النجود وَزانا
حفظ الله فيك مجداً تليداً وأمدَّ المجدَ الطريف الآنا
أَمعَ التركِ تُبرِمُ العهدَ، من دوني؟ أهذا تراهُ منك جزانا[2]

---

[1] جاء من اسطنبول برقية الى والي البصرة فيها التصديق على ما تقرر في مؤتمر الصبيحية مقروناً بالشكر لابن سعود، وبالنيشان العثماني الاول فحملها السيد طالب وسارع الى الشيخ مبارك فقال بعد السلام: «ابشر يا شيخ، قد اتفق ولدك مع الحكومة» فاستشاط الشيخ غضباً واشتعلت النقمة في عينيه وقال: «سلّط الله غضبه عليك يا خبيث اليك عني». (ت. ن.)

[2] ارسل مبارك رسوله عبد العزيز آل حسن الى الامير يهنئه ويلومه لانه لم يخبره بالاتفاق. فكتب اليه عبد العزيز يقول: «اني ابنك وقد أهنت نفسي في القدوم من (الجبيل) الى الكويت وما ذلك إلا حباً بك وعملاً بارادتك. ولكن كيف استطيع ارضاءك وانت تأمرني بعدم الاتفاق مع الترك والإنكليز، فلو بينت لي طريقاً ثالثاً لسلكته. ولكن أسأل والدي كيف استحسن ذلك الكلام في ولده على مائدة ابن قرطاس؟» فكتب مبارك معتذراً على عادته فأجابه عبد العزيز: «والحمد لله ان الأمور كانت على ما يرام فليهنأ الوالد بعز ولده والسلام». (ت. ن.)

فأراه الأميرُ من لِيِّن القول، كما تنفح الغصونُ لِدانا
ولقد تؤلم الغصونُ، ولو لُدْناً، ولو كُنَّ صندلًا أو بانا
ليس ما يلتوي يكون يسيراً وقْعُهُ، تؤلمُ العصا خيزرانا
لا مديحاً كان الجوابُ ولا ذَمّاً، يعيبُ المُهَنَّىَ اللَهْفانا
قال: يا والدي أتانا عتابٌ منك، في غمرة السرور، شجانا
قد أتينا من «الجبيلِ» وأنضينا، لنرضي شيخَ «الكُوَيتِ»، الهجانا[1]
ولقد سُمْتَنا المُحالَ أتبغي؟ أن نعادي من أجلك الأكوانا
قد أتوْنا مسالمين أتنوي؟ بَدَل السِلْم أن نسلَّ ظُبانا
أترانا نجزي بشوكِ قتادٍ؟ من أتانا يضفِرُ الأُقحوانا
من ضُروب العدوان والبغي والختـل، وقانا ربُّ السماء وقانا
كشعاع الضحى خرجنا طهارى لم تُلَوَّثْ بشبه عيبٍ يدانا
إن عجِبْنا فمن كلام بذيءٍ لَفظتهُ المسامعُ استهجانا
قلته بابنك العزيز، بلا ذنبٍ، فهل كنت مازحاً مجّانا
يعصم الله أن ننال بسوءٍ والداً عاب خُلْقَنا فهجانا
شيمةُ الصفح خلقةٌ في سعودٍ فنلبّي في الرمس أصلًا نمانا
فيرانا بنظرة الحبِّ «تركي» ونسرّي الهمومَ عن «مرخانا»[2]
والدي! تدّعي؟ ففاخرْ بنجلٍ لا المخازي أتى، ولا العُربَ شانا
وهناءً الآباء مجدُ بنيهم وأنا بتُّ ناعماً جذلانا
فهناءً بما لقيتُ من الفخر، هناءً بما أصاب كلانا

---

١ الهجان: الإبل البيض وهي خيار الإبل. ٢ مرخان: أحد أجداد آل سعود.

يوم جرابْ

يومَ كان الأميرُ قطبَ احتفالِ ... يَصْدُقُ التركَ عهدَهُ ويُوالي

خصمهُ كان في « الزُبير» مَحوطا ... بإطارِ الزلفى وجودِ الوالي

تَعِسَتْ دولةٌ تنافرَ كفَّاها ، ... فلونُ اليمين غيرُ الشمال

يسقم الرأسُ لاعتلالِ الشرايينِ ، ... وفَقدِ النظام في الأَوصال

قيمةُ العضوِ أنَّه جزء كلّ ... وَهْوَ شِلْوٌ بالٍ عقيبَ انفصال

ما هَوَتْ دولةٌ ولا طاح عرشٌ ... سالِمُ الرأس ، سالِمُ العُمَّال

وتعمُّ الفوضى ، إذا وَهن الرأسُ ، ... وشاعَ الفسادُ في الأَذيال

حيثما تكثرُ الضرائرُ يبقى ... البيتُ ملقى عناكِبٍ وحُثال

خائناً كنتَ إذ بدعت خؤوناً ... أسودَ الكفِّ يا «شفيق» «كمالي» [١]

---

١ الغريب العجيب من أمر الباب العالي هو انّ يمينه كانت تجهل ما تعمل يسراه . فرجاله في العراق كانوا في وادٍ ورجاله في الحجاز في وادٍ آخر . وقبل ان يجتمع وفد السيد طالب النقيب بابن سعود في الصبيحية اجتمع سعود بن الرشيد بوالي البصرة شفيق كمالي باشا قرب الزبير . وتمّ الاتفاق بينهما على ان تساعد الدولة في محاربة ابن سعود . وقد قدمت لابن الرشيد عشرة آلاف بندقية وكثيراً من الذخائر وشيئاً من المال. وعلم الامير بهذا الاتفاق فكتب الى ابن الرشيد يذكّره بالعهد فأجاب ابن الرشيد « اني من رجال الدولة ومصالحتي وإياك لا تكون إلا إن رضيت الدولة بها » فعدّ عبد العزيز ذلك خيانة منه وكتب اليه يقول : « اذا كنت مصرّاً على نكث العهد فالمقاومة أولى » . (ت . ن .)

لسعود الرشيد تقطع عهداً وتجاري أهواءَه وتغالي
تهبُ المال والبنادقَ آلافاً، كدفق الغمار من شلّال

. . .

عبثاً ذكّر الأميرُ، بعهد الصلح، خصماً، وكيف يخلص قال
أيصون العهودَ من شنقَ الأخّ؟ ونامَ الغداةَ غير مبال
من يكنْ سيفُه الى العرش حبلاً فسيبقى الحياةَ إلفَ الحبال
أنا عبدُ الأتراك قال فعهدي عهدُهمْ، وفقُ ميلهم أميالي
كلُّ صكٍّ ما شرّفوه بختمٍ فهُراءٌ أو شبهُ عِهنٍ بال

. . .

إستفاقتْ على المدافع دنيا آذنتْ شمسُ صحوها بزيال
زفر المعمعانُ في قلب أوربّا، فكلُّ الورى جحيمٌ صال
كلُّ حربٍ من قبلها حبّةُ الرملِ، وهذي أباطحٌ من رمال
الأميرُ اللبيبُ راءٍ بعينيه، مصيرَ الدُنى، بدورة بال
فرآها زوارقاً هاوياتٍ في خضمٍّ يجيشُ بالأهوال
ما عساها تجني الجزيرةُ من حربٍ فرنجيّةِ البُغى والمآل[1]
فليَضمّ الشتيتَ من وحدة العُربِ لفعلٍ موحّدٍ ومآل

١ البُغى مصدر بغى: بمعنى طلب وكان في وسعنا استعمال لفظة (الهوى) بدلا منها بيد اننا آثرنا استعمال طائفة غير قليلة من الكلام المهجور لتوسيع الجدول الضيق الذي صغّره الأدباء وتيسيراً لمن يأتي بعدنا .

راحَ يدعو حتى الخصومَ فضَحّى بهواه، بعزّة المتعالي
أنبلُ النبلِ أن تجوزَ على الذات، فمجدُ الشعوب، فوق الرجال
راسلَ السيّدَ الحسين وثنّى برشيدٍ و «الوالدِ» اللاأل[1]
فأجاب الرشيدُ إنّي مع الترك، حليفٌ على الهدى والضلال[2]
«الصباحيُّ» مُبهم الردّ جفّالٌ، حذورُ الجواب والتسآل
الشريف الحسينُ كاد يردُّ القولَ شتماً، أو لهجةَ استثقال
حسبه أن يُشرّف الناسَ باللحظِ، فيلقيه من أشمٍّ عال
فإذا جادَ بالتفاتٍ، ولو شزراً، فقد جادك الجمان الغالي
لم يكن مذنباً فقد ألّهتْهُ «لندنٌ» فاكتفى ببعض اختيال
عصَمتهُ نبالَةُ الأصل والتقوى، فما قال: عزّتي وجلالي
كان للإنكليز نبعا وثوقٍ وهلالانِ في بلاد الهلال
معلَمُ الهند وهو أصدق حدساً من رصيد الكنانة المضلال[3]

---

١ اللأال: تاجر اللؤلؤ. ٢ سارع الامير عند نشوب الحرب العظمى الى مراسلة امراء العرب الشريف حسين وابن الرشيد وابن الصباح. فأرسل الرسل يحملون كتاباً هذا فحواه: «قد علمتم ولا شك بوقوع الحرب فأرى ان نجتمع للمذاكرة علّنا نتفق فننقذ العرب من أهوالها ونتحالف ودولة من الدول لصون حقوقنا وتعزيز مصالحنا» وتسابق الانكليز والاتراك لإرضاء ابن سعود بمختلف الوسائل. فردّ الاتراك ردّاً حسناً ولم يساير الانكليز الذين أوفدوا اليه الملازم شكسبير وهو معتمد مكتب استخبارات الانكليز في الهند. وقد كان لانكلترا مكتبان مهمّان واحد في الهند وواحد في القاهرة. وقد غالى مكتب القاهرة في تقدير قوة الشريف حسين الحربية وغمط حق ابن سعود خلافاً لرأي مكتب الهند. أما ابن الرشيد فقد كان صريحاً في جوابه على كتاب ابن سعود اذ أجاب: «اني من رجال الدولة أحارب اذا حاربت وأصالح اذا صالحت» اما الشيخ مبارك فأجاب جواباً مطّاطاً مبهماً، على عادته. اما الشريف فكان يتحيّن الفرص للهجوم على ابن سعود.

(ت. ن.)

٣ معلم الشيء: معهده. والرصيد: المراقب.

مِجهرٌ يحسب الحمامة نسراً ويظنّ الفراتَ في الأوشال

. . .

جاء وَفدانِ للأمير من التركِ خفاف الخطى ، ثِقال المال

صدَّهمْ صدَّ خاطبٍ ألمعيّ بعد إطراء حسنهِ والخلال

رامَ أن يلزم الشواطئ ، والشطآنُ في الهيج مَرصدُ العُقّال

لم يُؤيد للطامعين مراماً حفظ النسرُ قدرهُ باعتزال

لم يُحاربْ كما أرادوا حسيناً لم يُسايرْ أنكلترا في نضال[1]

تركَ التركَ يعبرون بنجدٍ ينقلون النضار في الأعدال

لم يكن خصمهُ سوى ابن رشيدٍ ناكثِ العهد بائقٍ ختّال

مدَّه التركُ بالسلاح الذي ما أبصر الموتُ مثله لاختزال

صنعُ «برلينَ» ، خيرِ من أتقن الفتكَ ، وأدّى رسالة اضمحلال

لا تنجّي من «دمدمٍ» حكمةُ الآسي ، فليست جراحه لاندمال[2]

وأبتْ أمّـةُ العباقر إلا رائعاتٍ من عبقرٍ قتّال

. . .

قد أعدَّ الرشيدُ أهبةَ حربٍ وأعدَّ الأميرُ حربَ ارتجال

---

١ أقام الامير في البدء على الحياد فلم يحارب الحسين كما أراد الترك ولم يشترك في محاربة الترك بالعراق كما أراد الانكليز ولا منع رسل الدولة من المرور بنجد وهم حاملون المال الى اخوانهم الاتراك في اليمن ولم يكن يهمه يومئذٍ غير أمير الجبل الذي نكث عهد الصلح واستعان بالدولة العثمانية على امير نجد .

٢ دمدم : نوع من القذائف الالمانية قلما يشفى من جرحها جريح وقد حُرِّم استعمالها في الحرب .

حَضَرَ « العارِض » الأشدّاء طعناً   وخُيولَ « العُجانِ » جمرِ القتال [١]

وشَتيتاً من البوادي، يبيعون   الموالي وعهدهم بعِقال

وهوى الإنكليز، والنصرُ لا يُجنى   بمحض الرغاب والأميال

جاءه « شكسبيرُهم » وهو عينٌ   ثاقبُ الفهم صادقُ الأقوال

أعلمَ الإنكليزَ أنَّ وحيدَ العُرب، عبدُ العزيز، ما من جدال

أنّ أرصادهم بمصرَ أضلَّتْ   وتبنَّتْ حقيقةً من خيال

فتراءى لها السرابُ خِضمّاً   وصغارُ الحُملان كالأفيال

شكسبيرٌ، ماشى الأميرَ الى الحرب، صليباً مَشى بجنب هلال [٢]

ما ثَناه ردعُ الأمير، وزادَ النهيُ، في قلبه غرامَ النزال

كلُّ ما تُمنعُ النفوسُ فمنشودٌ، وحُبُّ الحرام قبلَ الحلال

لم يكن مثل قومه باردَ العزم، أنانيَّ عشرةٍ وخصال

شكسبيرٌ! فلَنْ أكون جباناً   شرفُ الصيت حافز الأفعال

أنا منكم قلباً وإن كنتُ زِيّاً   « لُندنيّ » السمات والأشكال

ومشى للقتال نحو « جرابٍ »   مِشيةَ الصَيد أو دعاب الخالي

---

١ كان مع ابن سعود نحو ألف من الحضر أكثرهم من أهل العارض الاشداء البسلاء وثلاث مئة خيّال من العجمان عدا البادية ومدفع واحد لا غير . وكان مع ابن الرشيد ستمئة من الحضر وألف فارس من فرسان شمّر . وكان الانكليز يميلون لابن سعود في هذه الحرب غير أنهم لم يقوموا بمساعدة فعلية . (ت . ن .)

٢ رافق الجيش السعودي الضابط الانكليزي شكسبير ولم يكن عبد العزيز ليستحسن ذلك وقد قال له ليس من رأيي ان تمشي معنا واني أفضل ان تنتظرنا في الزلفى فنعود ان شاء الله اليك . فأجاب شكسبير لا يجوز أن يقال إن رجلاً انكليزياً قرب من ساحة القتال بين ابن سعود وابن رشيد ورجع جبانة وخوفاً » . ألحّ عبد العزيز في النصيحة فألحّ شكسبير في الاستئذان وركب مع الجيش الى ساحة القتال الى جراب . ركب وهو لابس البرنيطة وهو حامل بين أمتعته آلة التصوير . (ت . ن .)

راءَ فرسانَ «شمَّرٍ» سربَ غزلانٍ، ونوقَ العَدُوِّ خيطَ رئالٍ[1]

لو درى ذلك الجرابَ وما أوعى لَشابَتْ شعورُه في القَذال

. . .

لو أعاد التأريخُ يوماً بما فيه، بلا فارقٍ، ولا استبدال

واحدَ القصد والأساليب من مكرٍ وإذكاء شهوةٍ واحتيال

شِمْتَ بكراً وتَغلباً وابن عبَّاد، يُدِلُّونَ بالرماح العوالي[2]

يطلب الحارثُ المهلهل هدّاراً كما شَقْشَقَتْ فحول الجمال

«قَرِّبا مربط النعامــة منّي إنَّ قتلَ الكريم بالشِسْعِ غال»

«قَرِّبا مربط النعامة منّي لَقِحَتْ حربُ وائلٍ عن حيال»

يوم تَحلاقِ لِمَّةٍ فابن بكرٍ أَصلعٌ من قفاً جليلُ السِبال

. . .

١ يقال في الجماعات خيط رئال كما يقال: سرب طيور . والرئال : ذكور النعام . ٢ يوم جراب : شبيه بيوم تحلاق اللمم : وهو يوم لبكر على تغلب . وفيه برز الحارث بن عبّاد ليثأر لولده بُجَير من المهلهـــل الذي قال حين قتله : بُؤ بشسع نعل كليب فأنشد الحارث قصيدته المشهورة ومنها :

قرّبا مربط النعامة مني إنّ قتل الكريم بالشسع غال

قرّبا مربط النعامـــة مني لقحت حربُ وائل عن حيال

وأنجد بكراً في ذلك اليوم الفند الزمانيّ، ومعه ابنتان له شيطانتان من شياطين الأنس . فلمّا حمي وطيس الحرب واستطال التغلبيون نزلتا عاريتين تنشدان :

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

إن تقبلوا نُعانِق أو تدبروا نفارق

فراق غير وامق

وقد سمّي ذلك اليوم يوم تحلاق اللمم، لان البكريين حلقـــوا رؤوسهم لتعرفهم النساء البكريات فاذا مرّت على جريح منهم أنعشته بالماء فاذا كان غير حليق الرأس أهوت عليه بهراوة فأجهزت عليه .

(الشعراء الفرسان : لبطرس البستاني)

وصبايا من «شَمَّرٍ» سافراتٌ أَو نجومٌ بوازغٌ من رِحال
يا «سَناعيسُ» يَنْتَخِينَ، ويجذبنَ قلوبَ الرجال بالخلخال
فضَّةٌ طَوَّقتْ شموعاً من العاج، وهالاتُ عسجدٍ صلصال[1]
لامِعاتٍ على الهوادجِ حُمراً لَمعانَ الآفاق في الآصال
مرسلاتٍ شُقر الضفائر، يغرين الشِفـاه الظِماء بالأَعسال
«شمّرٌ» مَنْبِتُ الأَشاوس في الحرب، وفي الحسن مضربُ الأَمثال
فإِذا عـادتِ السيوف كهاماً أرهفوا للوغى سيوف الجمال
ما الشفار الحداد إِلّا جمادٌ واللّظى مُضرَماً شِفارُ الدلال
تبعثُ العزمَ في شرايين عانٍ وصليباً يعودُ بعد انحلال
فإِذا كان راجِلاً قَصرَ الأَرض، وجارى مطيَّةَ الخَيَّال
ليس بدعاً فغمزةٌ من كعابٍ قد تبثُّ الحياةَ في التمثال
وتعيد الكهلَ العليمَ المُجلِّي جَذَعاً في غباوة الأطفال[2]

---

١ صلصل الحلي : صوّت . يوم جراب أخرجت شمّر (عمّارياتها) الابكار الحسان يشجعن الرجـال وهم يرددون نخوة شمّر المشهورة : سناعيس ! سناعيس . وكان من عادات العرب التي أبطلها ابن سعود، انّ كل قبيلة تنتخب في الحرب بنتاً من بناتها الابكار تسمى العمّارية فتركب في الهودج أو تقف فيه سافرة مرخيّة الشعر وتتقدم قومها الى ساحة القتال منتخية منخيّة . وسناعيس جمع سنعوس وهي نخوة عمومية تعمّ البـدو والحضر . وهناك نخوات أخرى خاصة بأهل حائل منها أهل لبده وأهل ملحان وأهـل السودان . والسود كثيرون في حائل والملحان يدعون صبيـان الخزنة لانهم كانوا من خاصة آل الرشيد . وكان الإخوان في الجيش السعودي يعتزّون وينتخون فيردّدون : أهل التوحيد أهل العوجا . والعوجا : اسم من أسماء العارض . والاعتزاز يكون في ترداد اسماء الآباء والاجداد او اسم القبيلة او البلد، أو ما يرمز الى مفخرة . وكان أهل التوحيد يرددون أيضاً نخوتهم المشهورة :

هبّت هبوب الجنّه أين انت يا باغيها

(ت . ن .)

٢ الجذع : الشاب الحدث .

قد تروضُ الأسودَ هيفاءُ قدٍّ لو مَشَتْ ما تحتْ مَدَبَّ النِمال
زَنْدُها شمعةٌ على جسم طفلٍ ساقُها دون مغزل الغَزّال
تُولجُ الكفَّ والأنامل لونَ الشمع من فرط صُفرةٍ وهزال
في فمِ الضيغم الهصور فتثنيهِ، وتلهو بِلِبْدَةِ الرئبال

. . .

يا سَناعيسُ! واستشاطَتْ سعودٌ لِنداء المُكَحَّلات الحوالي
«نحن أهلُ التوحيد صاحوا، لقد هَبَّتْ هبوبُ الجنان خُضرِ الدوالي»
نحن أهلُ «العوجا» فمن يُرِدِ الله يُسارِعْ لِجَنَّةٍ وظلال
وتلاقت على سهولِ «جرابٍ» أَجْبُلٌ «شَمَّريَّةٌ» بجبال
أفرَغَتْ ما بقلبها مُلقياتٍ ألفَ غِلٍّ من السنين الخوالي
فأسالَتْ من البَنادِقِ نهراً من ضِرامٍ مُفَجَّرٍ هَطّال
وتَشاكَتْ من الطعان رماحٌ كلفيف الآثال فوق التلال[1]
بيرقُ النصر للسعود فلم تُفلِحْ نيوبُ الذئاب بالأشبال
دحروا جبهة العدوّ ورَيعَتْ من رصاص «العوجا» ذوات الحجال[2]

---

١ الآثال مفردها أثلة وهي نوع من الشجر الصلب العود . ٢ تصادمت الابطال في ذاك النهار وتطاردت وتراجعت فكانت الغلبة في بادىء الامر لابن سعود . وكان رصاص أهل التوحيد يقع أمام الشمَّريات الواقفات فوق أسنمة الجمال فيصحن بالرجال الى القتال ويهتفن هازجات :

يلّي يتمنى حربنا غويت يا غاوي الدليل
كم واحد من ضربنا دمه على الشلفى يسيل

احتدم القتال ودوّت البنادق فأصيب شكسبير برصاصة أودت بحياته . وكان فرسان العجمان قد تراجعوا وهم يصيحون صيحة الانهزام . فأغارت اذ ذاك بادية ابن الرشيد على جناح أهل التوحيد الأيسر فدحرته وغنمت أمواله . أما بدو ابن سعود وأكثرهم من مطير فقد أغاروا أثناء ذلك على جيش الرشيد ومخيّمه وكانوا كذلك من الغانمين فكان يوم جراب ضربة على الخصمين . ولم يظفر فيه سوى البدو من الفريقين أغاروا فغنموا فشردوا . (ت . ن .)

واقفاتٍ على الهوادج أنصاباً، لِعُبَّاد شهوةٍ جُهَّال
فكأنَّ «العُزَّى» وسحرَ «مَناةٍ» وهوى «اللّات» عاد للضُّلّال[1]
واشرأبّتْ من الخميلة وُرْقٌ لاهباتِ الأسجاع والأزجال
داعياتٍ الى الغياث رجالاً مُنذراتٍ بالثُّكل والإرمال.
نابشاتٍ من الغياهب ذكرى ما يواري النسيانُ من أذحال
مُلبساتٍ أسجاعَهنَّ أليمَ النوح، في بُحّة النساء القوالي
مادتِ الأرضُ للصريخِ وألْقَتْ ما يكنُّ البركان من أثقال
قذفت باللّظى جناحَ سعودٍ وبأطراف ذُبَّلٍ ونصال
ثبت «العارضُ» الأبيُّ وأرسى قدمَ الموتِ في فمِ الزلزال
لم تُصدِّعْ صفوفَه حِدّةُ الطعن، وحدُّ المُدمِّر السيّال
صَدَعتْ صفَّهُ خيانةُ «عُجمانٍ»، يصيحون صيحةَ الإعوال
فارقوا الساحَ عندما احتدم الطعنُ، وعافوا الوطيسَ قبل اقتتال
جمرةُ الحرب والمعامع فرّوا من أمام العِدى فرارَ السِخال
ليتهم في مواقف الكرِّ ما عُدّوا خيارَ الفوارس الأبطال
يعذرُ الناسُ في الهروب جباناً دَمُه المُصْلُ من دماء الثعالي[2]
يغفرون الضعفَ المُذِلَّ لفسلٍ ويعيبون غدرةَ السرحال

. . .

يا مِئاتٍ من الفوارس وَلَّتْ يزحم الآخرون منها الأوالي

---

١ العُزّى ومَناة واللات: من الاصنام المعبودة في الجاهلية. ٢ الثعالي: الثعالب.

راءَ عبدُ العزيز فيكم عماداً لصناديده وقطبَ اتّكال
فإذا أنتمُ الطليعة في النكْصِ، رعيلُ الفوارس الخذّال
وإذا أنتمُ هباءٌ ذَريرٌ أو دقيقٌ في منخلِ النخّال
قد فتحْتُمْ لابن الرشيد مجالاً وحفزْتمْ فرسانَهُ للصيال
تحتَهُمْ من صوافن الخيل ألفٌ آلفوا فوقها ارتيادَ المعالي
أطْلَقوها على جناح سُعودٍ دفقةَ السيل غصَّ بالآثال
وأحسَّتْ جردُ المذاكي بأنَّ الغدرَ أخلى أمثالها من رعال
فاسبَطَرَّتْ وباعدتْ من خُطاها وتمادتْ في الكرِّ والتصهال[1]
حاملاتٍ إلى العدوّ رسالاتِ المنايا، مُزَمجراتٍ عِجال
من رماحٍ خطيَّةٍ وسيوفٍ ورصاصٍ كَجَرْيها مُتوال
شائلاتٍ أذنابَها آبياتٍ أن تدقَّ العُسبانَ بالأكفال[2]
فالتقتْها من السعود شِفارٌ عارفاتٌ مَقابض الآجال
وُلِدَتْ في الوغى وَشبّتْ عليه فاستوى البأس عامراً في الكِهال
أسْيُفاً «عارضيَّةً» مصطفاةً غرراً وائليَّةَ السربال
عندما صاغها القيونُ أبتْ إلّا دماءً تُسيغُها في الصقال[3]
مُلهَماتٍ يوم المعامع تجري لِنُحور العِدى بدون استلال
كان يوم «الجراب» يوماً حفيلاً للخصيمين بالبلايا السِجال
فكلا الجانبين أرهقه العبءُ، فأهوى من وطأةٍ وكلال

---

١ اسبطرّ: امتدّ عند الوثوب. ٢ العسبان مفردها العسيب وهو منبت الشعر من الذنب، والأكفال مفردها الكفل. ٣ القيون مفردها القين وهو صانع السيوف.

ظَفِرَ البدوُ ينهبون ويمضون خِفافَ الحُلومِ والترحال[1]
وِمنَ الهزْلِ أن يُغامِرَ زَرَّاعٌ فيَلقى الأهوال في الأدغال
يقطع الصيف بين شوكٍ وُعلّيْقٍ وفحِ الحيَّات والأصلال
ويخوض الشتاءَ لسعَ زَمْهريرٍ، سَبُوحاً في الغيث والأوحال
ثم تأتي السُرَّاقُ تنهبُ ما روّى بِمَسفوحِ دمعِهِ من غلال
رَجَحَتْ كفَّةُ الرشيدِ، ففي القتلى، قتيلٌ ما كان في الأغفال[2]
شكسبيرٌ أودى فأودتْ أمانيٌّ، وباخَتْ مُخضَرَّةُ الآمال
ولكان الأميرُ لو ظلَّ حياً حلَّ في «لندنَ» الجنابَ العالي
ولظلَّ الشريفُ جِدَّ بعيدٍ حلمُهُ عن جَلال ذات الجلال[3]
ماتَ موتَ الرئبالِ مرتفعَ الرأس كثيرَ الحياة والتجوال
لا بَليدَ الخطى بطيءَ كلامٍ عارياً من حَميَّةٍ وانفعال
كبني قومه الدُهاة الدواهي يدرجون الدِمقس في الأغلال
سِرُّهُمْ أنَّهم وراءَ حجابٍ مُبهَمِ اللون قاتِمِ الأسدال
فكأنَّ الصدور أغوارُ يَمٍّ وكأنَّ الوجوهَ في أقفال

• • •

شكسبيرُ! ولم تكن قطّ محفالاً، كشأن المُنعَّم المحفال
بل شريفاً حلو السجيَّة والهندام صِدْق المقال والأعمال

---

١ الحلوم : العقول . ٢ الأغفال مفردها غفُل وهو من لا قيمة له . ٣ ذات الجلال : السدة البريطانية .

اسمُكَ الفخمُ ذكَّر الناس نوراً ونفى الظِلَّ عن جبين الليالي

إنَّه الشاعر الذي استوقفَ الدهرَ وحَلّى أيّامه باللآلي

لَيساوي ابنُ عمّكَ الهندَ والتاجَ وزحْفَ الدنيا لعيد احتفال [١]

ذلك التاج يُثقِل الرأسَ همّاً كلّما همَّ مرَّةً بانتقال

ورحيقُ الخلودِ، نشوتُه الكبرى، ترفُّ الحياةَ للأجيال

شكسبيرُ! وطالما التفت الدهرُ الى صرح مجده غيرَ سال

رائعاتُ البيان من أيِّ قُطرٍ في البرايا، لشكسبير أهالي

فهْوَ والشاعر المُخلَّدُ «غوتي» توأما حلبةٍ، وصِنْوا مجال [٢]

لو خلا الشعرُ منهما لتعرَّى أَو تلظّى من فقره لِمثال

شاعرَ الانكليز كلُّ جمالٍ جنب ما صُغتَهُ خوادعُ آل

تلعاتٌ بجانب «الحملايا» أو كلاءٌ إزاءَ روضٍ حال [٣]

أمهرُ الغائصين في لُجَجِ النفس، وغَمرِ الطباع والأحوال

ليس أشخاصُكَ الحرارُ بأصنامٍ تُتيحُ الإزميلَ للمثّال [٤]

ليس في طبعك التعسُّفُ والنحتُ فصقلُ الصخور للصقّال

أنت خَلْقٌ وجِدَّةٌ وحياةٌ ورحيقٌ من طيّبٍ سلسال

طبعُكَ الفيضُ مثلما يهدر النهرُ، ويسمو البَخور نحوَ الأعالي

لَتُناجيكَ ربَّةُ الشعر حَيرى هِيَ أم أنت مُلزمٌ بابتهال

---

١ اشارة الى الاحتفال بالتتويج . ٢ غوته : هو شاعر ألمانيا الاكبر ويُعد مع وليم شكسبير في طليعة شعراء الدنيا منذ عرف الشعر حتى اليوم . (ليس شكسبير هذا هو الشاعر المعروف . لكنه الكابتن شكسبير غير الأول) .

٣ الهملايا : أعلى جبال الدنيا . ٤ الحرار مفردها الحر وهو كل شيء أفضله .

بَطَلَ الشعر منذُ لاحَ رَوِيٌّ عبقريٌّ في خاطر الآزال

قد فتحتَ الدنيا مَسارِحَ تروي عظَماتِ العُشّاق والأبطال

« رُوْمِيُو » كلُّ عاشقٍ صرَعتهُ عينُ « جُلْياتِ » أو قِلَى العُذّال[1]

ما دَفنتَ الأبطالَ إلا لِتُحييهم، فدفن الجمال بعثُ جمال

خابِئُ الكنزِ بعد أن يعرضَ الدُرَّ، يَمُدُّ الأذهانَ في بلبال

فتراها وقد سَباها رُواءٌ أبدَ الدهر في هوًى واشتغال

. . .

سيِّدَ الشعر سُدْتَ في فَلَكِ الحسنِ، وأمعنتَ في جواءِ الخيال

فرددت العُيونَ رمداءَ حسرى لازدحامِ الرؤى، وبُعدِ المنال

خاطراتٌ مثلَ المحيطاتِ عُمقاً مثلَ آفاقها قصيَّ اشتمال[2]

مثلَ أصدائِها انتشارَ دويٍّ مثل مرجانها سخاءَ نوال

حارَ فيك التأريخ هل شكسبيرٌ واحدٌ أم نوابغٌ من رجال

هكذا تصبح الكواكبُ في الجوِ، مداراً لِمَرصدٍ وسؤال

ومتى أفرغ المجالَ عظيمٌ لا تَقُلْ راح ضوؤهُ للزوال

موتُهُ بدءُ مجده، ومحاقُ البدر، إيذانُ عتمةٍ بهلال

حين يمضي حُسّادُه، ويروقُ الجوُّ من ثقل غيمةٍ وظلال

تستضيءُ الدنيا به وتُوالِيهِ، ويغدو مَنارةَ الأنسال

---

١ اشارة الى رواية روميو وجوليت وهي احدى روائع شكسبير . ٢ المحيطات : البحور المحيطة .

رُبَّما عاش تاعساً من إباءٍ دائباً في تَوَجُّعٍ وأتِكال[١]
حين يحظى بالطيِّبات خسيسٌ ويدين النعيمُ للأرذال
واعتلالُ الدنيا، على عالَمٍ ثانٍ دَليلٌ، أو مطلعُ استدلال[٢]
عالمٌ ينصفُ النفوسَ فلا يبقى كمقدارِ شعرةٍ في اختلال
شكسبيرُ أعتلِ الخلودَ وظَلِّلْ بجناحيك مسرحَ الأجيال

---

١ ائتكل : أكل بعضه بعضاً من الغضب او الألم . ٢ المقصود ان ما يحيق بالصالحين من الشرور في هذه الدنيا واختلال المقاييس والعدل فيها يدل على وجود عالم آخر يشتمل على العدل المطلق فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره .

العجمان

ما قَبيلُ العُجمانِ بالغُرَباءِ عَرَبٌ هم أعاجِمُ الأسماءِ[1]
نسلُ «قحطانَ» أهلُ «نَجرانَ» قدماً يَمَنيُّونَ أُنزِلوا في «الحساء»
صانَهُمْ في رِحابِها بَندُ «تُركي» وابنه «الفيصلُ» المديدُ السخاء
غَنَماً في مَراتعِ البؤس كانوا فَغَدَوا في اليسارِ أُسْدَ ضِراء
إنَّما تَبطَرُ النفوسُ على النُعْمى، عقيبَ الحرمان والبأساء
وتفحُّ الحيّاتُ في الحرِّ فحّاً وتَوارى مشلولةً في الشتاء
أيكونُ الورى على الشرِّ مطبوعاً؟ فينسى الإملاقَ بعد الغَناء
«إتّقِ شرَّ من غمرتَ بخيرٍ» آيةٌ من روائع الفهماء[2]

---

١ حقيقة العجمان: انهم من قبائل اليمن، من عرب قحطان. وكانوا في الماضي يسكنون نجران ثم ارتحلوا شرقاً فوصلوا في ايام الإمام تركي الى الأحساء فأحسن اليهم وأنزلهم ديرة بني خالد. وعندما تولى فيصل الإمارة عاملهم مثل معاملة أبيه فأبطرتهم النعمة واستفحل أمرهم فصاروا يقطعون الطرق على السابلة والحجاج. وهم موصوفون بالمكر والغدر. ومع أنهم أصغر القبائل عدّاً فقد تفوقوا عليها ونازعوا حتى بني خالد السيادة. ويسمونهم ألمان العرب لشدة عصبيتهم وبأسهم وتفانيهم بعضهم في سبيل بعض، فلا يقبل واحدهم خيراً لا يكون للعجمان كافة. وقد جاءهم ابن سعود عدو البادية وصديق العرب بالخير العميم فرفضوه مراراً في بادىء أمرهم بل امتشقوا الحسام عليه. ثم زرعوا ذلك الخير فأثمر في الصرّار قطب ديرتهم الآن، ولكنهم قبل ذلك زرعوا المكر والخيانة والعصيان. ولم يلن عودهم إلا بعد محق الجيش الحجازي في تربة. حينئذٍ فقط التمسوا العفو من ابن سعود فعفا عنهم فاستمروا في الطاعة والولاء. (ت. ن.)

٢ إشارة الى القول المأثور: اتّقِ شرّ من أحسنت اليه.

حكمةُ الدهر دُوِّنَتْ في كلامٍ كان أولى لو سُطِّرَتْ بضياء
عالِماً كان بالنفوس، الذي صاغ اليواقيتَ في حروف الهجاء
ليس أنكى من الحديث يَساراً ليس أضرى من وثبة الأدنياء
كنتَ تغذوهُمُ ضِعافاً وكانوا أعيناً أو أراقِماً من وراء
مرَّنوا نابهم بخبزك دهراً واستَوَوا بعد سمنةٍ وغذاء
لا يَغُرَّنكَ ابتسامٌ وحاذِرْ من سمامٍ في الأنيب الصفراء
أرْهَفَتْها الأحقادُ والحسدُ القتَّالُ، إذ كنتَ مولعاً بالعطاء
فكأنّ الهباتِ كانت أجوراً سالفاتٍ للطعنة النجلاء[1]

. . .

ما عديدُ العجهان إلا ألوفٌ من نُمورٍ خَتَّالةٍ بُسلاء
لا يقاسُ امرؤٌ بوفرة مالٍ أو تُقاسُ الفرسان بالإحصاء
في بني «خالدٍ» أُحِلُّوا ضيوفاً فاذا الدارُ مطمعُ النزلاء
نازَعوا أهلَها ولولا ذيادٌ لغدا البيتُ منزلَ الدُخلاء
لقّنوهُم ألمانَ «يعرُبَ» بأساً واتّحاد الرؤوس بالأعضاء
كلُّهم واحدٌ فإن ضِمْتَ جزءاً هِجْتَ للدفع سائرَ الأجزاء
جاءَهم بالمغانم ابنُ سعودٍ فأبوا غير نقمةٍ وجفاء
من يكن داؤه فسادَ مذاقٍ ليساوي المُرارَ بالحلواء[2]

---

١ في هذا المقطع وفي مئات المقاطع يجري الكلام على إطلاقه ويقصد به تأييد نظرية لا العجهان خصوصاً.

٢ المرار: شجر مُرّ يعرف عند العامة بالمرّير اذا أكلته الإبل قلصت مشافرها .

حـالفوه وناهضوه مِراراً وتَناسَوا سَواكِبَ الآلاء
سيوالونه عـلى الدهر في « الصرّار » من بعد « تُربَة » الحمراء

. . .

حزَّ قلبَ الأَمير يومُ « جرابٍ » فغدا شوكَ عينه في الغفاء
فسعى يطلب الرشيدَ ولكن خصمه خفَّ للعراق النائي
عالماً بالذي يكنُّ له الليثُ، حذوراً من فتكةٍ عـذراء
موقناً أنَّ خصمه طاهرُ القلب، رفيـعٌ عن خِسَّة البغضاء
ليس يَعْمَى عن الصفات غدورٌ أنت من قفرِ خُلقه في خلاء
يستَحِبُّ اليدَ السخيَّة جِلْفٌ ذو يَـدٍ، عن صنيعةٍ، شَلَّاء
لا تُصَدّقْ أنَّ الدميمة تعمى عن بَريقِ الجمـال في الحسناء
يَتعامَى مُركَّبُ النقص فيها فيرى القبحَ من خِلال الرُواء

. . .

طَلبَ ابنُ الرشيد صلحاً، فكان الصفحُ طبـعَ السريرة الزهراء
مَعدِنُ الطيِّبين، لا غشَّ فيهم حين يعطون عَهدَهم في الولاء
وأتاه في ذلك اليوم أنباءٌ، من الوالد، الكثيرِ البُكاء
« إولدي » لا تُشِحْ بوجهك عني أنت درعي ومِخذَمي في بلائي

١ راح عبد العزيز يطلب خصمه الذي كان قد رحل الى العراق . لكن العجمان أثناء ذلك اعتدوا على عشائر ابن صباح فنهبوا مواشيهم فكتب الشيخ مبارك الى الامير يطلب تأديب المذنبين وردّ المنهوبات فأدركه الرسول في شقراء واليها أيضاً جاء رسول من ابن الرشيد يطلب الصلح فجددت المعاهدة السابقة .
(ت . ن .)

فاستجدّ السيفَ اليماني وأَغمدَهُ، حميَّ الشَباةِ، في أعدائي

نَهَبتني «العجمانُ»، وامتهنتْ عزّي، وساقتْ سوائمي ورُعائي

المراعي تأوَّهتْ من خلاءٍ واشرأَبّتْ أوراقُها للشاء

كُنَّ في الأمس حالياتِ الروابي رافلاتِ الذرى بشُقرِ الفِراء

أقفر الصبح من رُغاء المهارى والعشايا تشوَّقتْ للثغاء

الطغاة «العجمانُ» داسوا سياجي ومشَتْ خيلُهم على خُيَلائي

ليس إلّا عبدُ العزيز يُنجّيني، وإن كان غيرَهُ أبنائي

«إوِلْدي» أنت، أنجدِ الوالدَ الموتورَ، هلّا سمعتَ يا ابني ندائي

. . .

كانَ عبدُ العزيز قد سَئِمَ الشيخَ، وملَّ الصدوقُ كذبَ المرائي

لو حواني أضلاعـهِ تسعُ البحرَ، لضجَّتْ من بهظةٍ وامتلاء

من جنى الجحرُ مرّتين عليه حقُّه أن يراهُ جحرَ وَباء[1]

وإذا كان قد كواهُ مراراً فهو نبع الخطوب والبُرَحاء

فأجاب الأميرُ: صبراً على العجمان، وانظر حيالَهم آنائي

قد تحمّلتُ منهمُ نكثةَ العهدِ، وجحداً لما بنى آبائي

وتُنادي بالويل من أجل شاءٍ؟ ونياقٍ هزيلةٍ جرباء[2]

هِنَةٌ جرمُهمْ اليك، فقد ردّوا جميلي بأفظع الأسواء

---

١ تضمين الحديث لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين . ٢ الشاء مفردها شاة .

أنت منهم بألف خيرٍ عَميمٍ لو تأمَّلْتَ ساعةً لَأْوائي[1]

المعاذيرُ أيهـا الشيخ كُثْرٌ فأَقِلْني من رحلةٍ رعناء

نحن في القيظ والهواجرُ تغلي وزفيرُ الجحيم في الرمضاء

أتراني أُعِدُّ جيشاً لِحَربٍ؟ أمْ عَصافيرَ سُفِّدَتْ لِاشْتِواء[2]

إنْ أُغادِرْ نجداً فخلفي رشيدٌ نقضهُ الصلحَ مثلَ شربة ماء

عهدهُ خفَّةُ الموازين من ريشٍ أُديرَتْ كفَّاتُها للهواء

نفقاتُ الحروبِ ناءَ بها صُلبي وأقوى الزَخَّارُ من أهرائي

فوق هذي الهموم شؤماً وأدهى من صِعابٍ وحقبةٍ جدباء

ريبةٌ فيك، وهي أوجعُ ما يُدمي، فما أنت من رجال الوفاء

الصداقاتُ والمروءاتُ ظَلَّتْ منك في مثل عزلةِ اللقطاء

لستُ أنسى «الظُفَيرَ» أو يوم «سَعدونٍ» وما كان من أليم جزائي[3]

---

١ اللأواء: النكبة . ٢ سُفّدت : اي نظمت في السفود . أجاب الامير الشيخ بكلام هذا ملخصه: لست يا مبارك بصديق صدوق، ولقد نالني من العجمان اكثر مما نالـك فصبرت وتجمّلت ونحن الآن في وقت القيظ ولا نتمكن من شدته أن نسير بجيش الى ديرة العجمان. والأمر الثاني هو اني في ريب من صلح ابن رشيد فأخشى نكث العهد اذا انا غادرت نجداً ودخلت في حرب مع العجمان . والأمر الثالث نفقات هـذه الحروب وقد تكاثرت عـلي فضاقت في سبيلها الأسباب، والامر الرابع يا حضرة الوالد اني أخشى ان يلجأ العجمان بعد الحرب اليك فتنقلب عليّ كما فعلت يوم سعدون والظفير . ومن رأيي على كل حال تأجيل المسألة .

(ت . ن .)

٣ ملخص يوم السعدون أن خلافاً نشب بين السعدون ومبارك فاستنجد عبد العزيز الذي كان يومئذٍ في هموم كثيرة، فأنجده بما يملك من قوة وأشار عليه بالتربّص وقبول الصلح الذي عرضه السعدون فاستشاط مبارك وقال انت ولدي وهل يرضى الولد أن يهان أبوه . اما جابر بن مبارك فقال للامير اني لا اعهدك جباناً فقـال عبد العزيز غاضباً «سترون غداً . غداً تظهر الجبانة فتعرفون أين هي» . ووقف الامير موقف المدافع . وفرّ يومئذٍ جيش الكويت المؤلف من الشبان المترفين الناضري الوجوه تاركاً كل ما يملك من الامتعة والإبـل والخيل فكانت هدية لجيش السعدون من جيش الكويت . وبعد هذه الكسرة بقي عبد العزيز ثلاثة أشهر في الكويت حامياً مبارك الصباح . ثم حدث حادث بين عبد العزيز وبعض عربان مُطير فأراد عبد العزيز تأديبهم، عندما جاؤوا أطراف الكويت، فاستشاط الشيخ مبارك ودخل على عبد العزيز وكانت أول كلمة منه مرادفة للاهانة والطرد اذ قال الشيخ : أظنك يا ابن سعود تبغي أهلك فأجابه بكلمة واحدة نعم وخرج .

(ت . ن .)

قـد صرفتُ الصباحَ أَفديك بالروح، فنغَّصتَ بالخداع مسائي

. . .

ذَكَر الأَمسَ، يوم سيقَ لحربٍ كانَ فيها الأَميرُ كبشَ الفداء
مثلما يُخجل الفتاةَ أَبوها فتراها أسيرةً للحيـاء
إذ ترى عِرسَها العجوزَ وتدري أَنَّها في الضريح، لا في الخباء
يومَ يبغي «السعدونُ» سِلْماً، ويأبى الشيخُ إلّا فَواجِعَ الهيجاء
ويرى «الجابرُ» الأَميرَ جباناً فَيُثيرُ الضرغامَ بالإِزراء
إنَّ من يغتني بكنزِ اللآلي يدفع الغائصـين في الدأْماء
يعرف البحرَ من يغوص على الدُرِّ، فخلِّ الخيالَ للشعراء
يغفلون المِلْحَ الأُجاجَ، وما بالبحر من ألف ميتة خرساء
فَيُغطُّ اليراعُ في الأُفقِ الصاحي، ودُنيا المَحابِرِ الزرقاء

. . .

ضاعَ نُصحُ الأَميرِ في ذلك اليوم بيوم «الهـديّة» المِعطاء
واحتمى الشيخ بالأَمير، ولولاه لَعاد «الكويتُ» أرض العفاء
خطرُ الحرب زال وانفرجَ الكربُ، فطار المعروفُ ذَرَّ هباء
جُوزِيَ الناصِحُ الأميرُ بشبه الطرد، بِدلًا لكفِّهِ البيضاء
حينما الشيخ قال: يا ابن سعودٍ «دون شكٍّ سئمت طول الثواء»

. . .

كيف ينسى يوم «الظُفيْرِ» خؤوناً ... بَرِئت منه ذمَّةُ الحرباء[١]

يستجيرُ الأميرَ في ذلّة الشاكي، ونَوح المُفَجّعات النساء

مستعيناً به على ابن «سُويطٍ» ... مُستغيثاً بلهجة استجداء

«إولدي» أنت والعدوُّ حِيالي ... أين بَرُّ الأَبناء بالآباء

لا تَذَرْني فرداً فأُصبحَ نهباً ... لِعَدوَّين يبغيان فنائي

إن تَكِلْني لِوَحدتي وهمومي ... فلقد غارَ في القنوط رَجائي

إنّ طيفَ «السعدون» وابن «سُوَيطٍ» ... حَرَماني من لَذَّة الإِغفاء

أَقسما أن يُضَرِّجاني بِدَمعي ... ويَدوسا مَعاقِلي بحذاء

...

فمَشى المُنجدُ الأمير بجيشٍ ... مستعدًّا للغارة الشعواء

غاضباً للذي يناديه: يا ابني ... لك مالي ومهجتي ودُعائي

ويَحوكُ الأكفانَ، في السرّ، والأَصلالُ تسعى لِغايها في الخفاء

---

١ أما يوم الخيانة العظمى فقد وقع يوم كان الامير في الحساء وجاءه كتاب الشيخ مشفوعاً بذلولين (بعيرين) . وقد جاء في الكتاب اني مرسل اليك بذلوليّ وقد كنت أركبهما الى الغزو وأنا الآن عاجز عن الركوب والمغازي . أنا والدك يا عبد العزيز والذلولان اللذان شهدا الغزوات والمعارك العديدة هما لك يا ولدي، وهما يطلبان منك ان تأخذ بثأر والدك من ابن السعدون . فاعتذر عبد العزيز فلم يقبل عذره . وكان مبارك يحسن التأوّه والاستغاثة فكتب ثانية . الى (اولدي) أنا أصيح وأناديك وانت يا ولدي تصم أذنك ، أبمثل ذلك يُعامَل الوالد؟ أتهجرني يوم شدتي الخ . فاستحيا عبد العزيز ومشى بجيش عرمرم لينتقم لوالده من ابن السعدون وابن سويط رئيس عرب الظفير فبادر الشيخ مبارك الى تسطير كتاب لابن سويط يخبره فيه ان ابن سعود زاحف عليه ويحذره منه . فعلم بذلك رجال ابن سعود فاشتعلوا غضباً ونادوا بالهجوم على صاحب الكويت «هو عدو لنا يا عبد العزيز بل هو عدو الله كيف يطلب منك الهجوم على ابن سويط ثم يحذره . رخّص لنا فتجري الدماء كالأنهر في أسواق الكويت» . وسكن عبد العزيز روعهم قائلاً : قد قمنا نحن بما يجب علينا أما هو فقباحة عمله عليه . (ت . ن .)

لا يعيش اليَربُوعُ إلّا بسرداب ٍ، بهيمِ الخطوط والنافِقاء
فإذا جئته تـلاقي خلاءً إذ يكون الخداعُ في القاصعاء [١]
ما تُرى الشيخ كان ينسج للنجلِ المُرجّى، في جُنّة الظلماء
كان يُزجي الولاءَ لابن «سُويطٍ» قائلاً : حاذروا كريهَ اللقاء
إنّ عبد العزيز عادٍ عليكم بسيوف الحُضّار والصحراء [٢]
وَضح الخونُ للأمير، كما تظهرُ حُبلى لَقاحُها من زناء
شاهدٌ حَملُهـا عليها، فما تظهر إلّا مفضوحةً للرائي
أشعلَ النارَ في رجال سعودٍ نبأُ الغَدر بعد ذلّ التجاء
قيل : بُعداً للخائنينَ، ذئابِ الناس، بُعداً للحية الرقطاء
فهلمّوا الى «الكويت»، فلا يبقى، على البحر، مَعلَمٌ لبِناء
وتُقيم الحيتانُ عرساً لما نلقي، الى البحر، منهمُ للغَداء
إيهِ عبدَ العزيز إيذَنْ لِيَبدو الثغرُ، في مثل وحشة البيداء
لا ! أجابَ الأميرُ تبقى «كويتٌ» فهْيَ مَجلى فُتُوّتي وصِبائي
سَرَواتُ «الصباح» أهلي وإخواني، وإن كان شيخُهم في التواء
إنّ أولاده المصابيحَ أترابي، فما جَفّ للرفاقِ إخائي
سوفَ تغدو «الكويتُ»، في غرّة الدهر مَنار العروبة العرباء
حُفَداءُ «الصباح» تصبح أقماراً، ويُذكي ضياءَها حفدائي
فَعلامَ «الكويتُ» تفنى ؟ وفيها رُفقاء الشباب من عُشرائي

---

١ النافقاء والقاصعاء : حجران مختلفان لليربوع فإذا فوجىء في أحدهما فرّ الى الآخر . ٢ الحضّار مفردها الحاضر وهو عكس البادي أي ساكن البادية .

كلٌّ شخصٍ عمّاً جنى هو مسؤولٌ، فلا تجرموا الى الأبرياء
نحن قمنا بواجب النبل جوداً وسلكنا مناهج الكرماء
فعلنا خيره معادٌ علينا وهناء الوجدان خيرُ جزاء
يدنسُ المرء من نفاقٍ وغدرٍ وضحاياه في السنى والنقاء
قيمة النفس ما تقدّمُ من خيرٍ، فتباً للأعين الرمداء

. . .

كيف ينسى الأمس القريب المدمّى بسهام السياسة العرجاء
هكذا جاوب الأميرُ، وظلّ الشيخ يغري، بدون ما استحياء
مقسماً أنه سيبذل مالاً وجنوداً ما عيّروا بانكفاء[1]
أنّه في يدِ الأمير غصينٌ طيّعُ اللّيّ، طيّعُ الآراء
هو بوق الأمير، ما شاء يلقي فيه من لحن ندبةٍ أو حداء
مستحيلٌ عليه يعقد صلحاً خلسةً للأراذلِ الأرداء
سيعادي «العجمانَ» ما دام حيّاً كُبُرَ الذنبُ عن رضًى وامّحاء
ليس يرضى بهم رجاءَ شفيعٍ ولو انّ الشفيع في الأنبياء

. . .

١ لم يقبل الشيخ اعتذار الامير فأجابه الأمير ان العجمان لا يرجعون ما ينهبون إلا مكرهين، – إلا بحرب – خصوصاً وان مباركاً أسلفهم الإساءة ثم قال: فاذا عزمت على محاربتهم تعطيني عهد الله وميثاقه ان تعينني بالمال والرجال وأن لا تسلك في سياستك معهم غير مسلكي، ولا تستقبلهم اذا لجأوا اليك، ولا تتوسط بالصلح بيني وبينهم فعاهده الشيخ مبارك على ذلك. (ت. ن.)

رَاحَ عبدُ العزيز للحرب قسراً   كسقيمٍ يُسقى كريهَ الدواء
أو شحيحٍ أثارَه ثقلُ مِلحاحٍ ، سليطِ اللسان في استعطاء
سار يبغي «العجمان» ، والقيظُ أتّونٌ ، ولفحُ الرمضاء نارُ الشواء
فَيشمُّ الجنودُ أجلادَهُم تُشوى ، وتُكوى حلوقهم بِصلاء
من علٍ يهبط اللهيبُ عليهم   أحمرَ الأفق والمدى والجِذاء[1]
فكأنَّ الجحيمَ غيّرتِ الدربَ ، فَدلّتْ سَعيرَها من ذُكاء
عَدلوا عن مسالك الناس والنور لجنح الظلام والإسراء
أعْوَزَتْهم رواحلٌ فمشى الجيشُ ثقيلَ القلوب والأعباء
لا يقيلون في النهارِ ، لِفَرطِ الحرّ ، فالليلُ مسرحُ التعداء[2]
شارَفوا عسكر العدوّ «بكَنْزانَ» فضلّوا في الليلة الليلاء[3]
حسبوا غابةَ النخيلِ بيوتاً   من نُعاس ، ومن خِداع الفضاء
بين غابِ النخيل والشَعْرِ تاهتْ   نظراتُ البواسلِ البصراء
وابلٌ من رصاصهم قذفوه   لم يُصِبْ واحداً من الأحياء
جُلّه راحَ في الهواء ، فإن أدْمى ، فبعضَ الفَسائل الخضراء[4]

---

١ الجذاء : مفردها جذوة وهي الجمرة الملتهبة .   ٢ التعداء : الجري .   ٣ كان الحر شديداً فلا يستطاع المشي ناهيك بالقتال نهاراً. ولم يكن لديهم رواحل فأسروا ماشين فوصلوا الى مكان يدعى كنزان كان العدو معسكراً فيه وكانت أشجار النخيل في الليل تبدو كأنها بيوت من الشعر فشرعوا يطلقون عليهـا الرصاص. سكت العجمان وراء النخيل حتى نفدت ذخيرة أهل الحساء . ثم خرجوا من مكامنهم وطوقوهم وتلاحموا طول ذلك الليل في عراك كانت العماوة فيه شجاعة والفوضى أخت الهول والظلام . وجرح عبد العزيز وقتل أخوه سعد ودارت الدائرة على رجاله فانهزموا الى الحساء فتقفاهم العجمان وحاصروا الهفوف ثلاثة أشهر . وكتب عبد العزيز الى أبيه مستنفراً أهل نجد والى الشيخ مبارك فسارع اهل نجد بقيادة أخيه محمد ومعه أحد أولاده سعود بن فيصل وسعود بن عبدالعزيز الذي فر سابقاً من الخرج وانضم إلى ابن الرشيد وحارب معه في وقعة جراب . فلما رأى ابن عمه عبدالعزيز في تلك المحنة استفزته الحمية فعاد تائباً مناصراً .

٤ الفسائل مفردها فسيلة وهي النخلة الصغيرة .

وكأنَّ الدويَّ كان، بذاكَ الليل، بعثاً للضوء والأَصداء
حين كان «العجمان»، في مكمن الأَمن، شهودَ الضياء والضوضاء
عندما أصبح الهتون رذاذاً نَسَلوا من مَكامِنٍ شجراء[1]
فأحاطوا بالهاجمين وسَدُّوا كلَّ دربٍ ومنفذٍ لِنَجاء
لَجْلَجتْ أعينُ الضراغم في الأشراكِ، تبغي ولو بَصيصَ رجاء
لا تظنَّ الآسادَ، في قفَص الفولاذ أسرى، تموتُ موتَ الظباء
لَتَفُلُّ الحديدَ أظفارُها العَقفاءُ، حتى الحديدُ كالحِنَّاء
شَهِدَ الليلُ ما أخافَ ثَوانيهِ فشابت ذوائبُ الدهماء
سادَتِ الهولَ والمَجازرَ فوضى كامتداد الزوابع العمياء
تصدع البحرَ فالشراعُ صَريعُ الريح، رهنُ التيَّار والأنواء
ضاعَتِ الدفَّةُ المُديرة والمِرساةُ، أين السبيلُ للإرساء
جُرحُ رُبَّانِها وقتلُ أخيه أبعَداه عن هَدأة الميناء
فارقَ السعدُ ذلك اليوم «سعداً» فهوى الشبلُ فاقدَ الحوباء
لم يُصَبْ مُدبراً ولكن شجاعاً مقبلًا يرتمي على الأَرزاء
كان «سعدٌ» زينَ الشباب خصالًا ومدى مطمحٍ، وبَهجَ رُواء
وبِقُرب الأَمير داهمهُ الحَيْنُ، فأهوى نجماً على الدقعاء
لم يصنْهُ أخٌ ووَدَّ ليفديهِ، لو الموت يرتضي بافتداء
يا حبيبَ الأَمير ما التُرسُ يُجدي؟ غَرِقَ التُرس نفسه في الدماء

[1] الشجراء: الكثيرة الشجر.

ضامَ عبدَ العزيز جرحانِ، جرحٌ في الحنايا وواحدٌ في الإخاء
وأشدُّ الجرحين حرقاً وأنكى ألمُ النفس أعرَضتْ عن عزاء
نضب الدمعُ، لا مقرَّ لدمعٍ دَعْ شؤون العيون للخنساء
غير عبد العزيز يلتمس الصبرَ بإفشاء آهةٍ ورِثاء
هو نسرٌ كرَّت عليه صُقورٌ فأصابت جَناحَه ببلاء
فارتمى فوقها يُمزّقُ فيها نَيزكاً يرتمي مِن الجوزاء
طالباً جثّةَ القتيل حذوراً بين ضدّين: كَرَّةٍ واتّقاء
قال: يا سعدُ لن يَمَسُّوكَ ميتاً قبل أن يعبروا على أشلائي
قالَها رافعاً الى السرج ميتاً حاضِناً صِنْوَ نفسه، من وراء
فاجأ الليثَ، وهو في غمرة الأخطار، ذئبٌ مُمرَّسٌ بالعواء
صاح: هذا غريمُكُمْ بادِروهُ فاشرأبّتْ سيوفُهم لِلّواء
هالةُ الموتِ طوّقتْ عَلَم العُرب فأذكتْ نشاطَهُ للبقاء
لم يواجه في عمره ظلمةَ الرمس، كما راءها بذاك المساء
فأتتهُ شجاعةٌ قلّما يُؤتى مَثيلاتِها بنو حوّاء
فرَّجَ الدربَ بالمُسدَّس للمهر، وأسرى في التُربة الحمراء
والتقى جيشَهُ فلولاً حيارى عقَل الخطبُ ألسنَ الفصحاء
خيَّموا للمنام بعد مسيرٍ وتهاوَوْا من شدّة الإعياء
لَمح المجهدُ الجريحُ على الآماقِ ذُعراً وموجةَ استخذاء
خلفهم حمحمتْ خيول الأعادي منذراتٍ بالهول والإفناء
ما تُرى الليث فاعلاً؟ فالدواهي غلّفته بالمحنة السحماء

إن يَهِنْ ساعةً فعرشُ سعودٍ طعمةٌ للبواتر الحدباء

لا ينجّيهِ غيرُ قلبٍ من الصخر، وذِهنٌ كسيفه في المضاء

قال: يا أيُّها البواسل هاتوا لي كَعاباً حليلةً لمسائي

وأقيموا العرس البهيَّ وهاتوا غيرَ هذي الوجوه والسيماء

كنتمُ، في مَواطن الموت أصحابي، فكونوا أَحبَّتي في هنائي

فأتوهُ بها، وزغردَ بارودٌ، ودوّى الهزيمُ في الأَرجاء

الرجاءُ الذبيحُ عادَ الى القوم، وغار القنوط في السَرّاء[1]

من تَباكَى بكى، ومن يَستَنِمْ نامَ، فكلُّ الإنسان في الإيحاء

أَعْلمُ الناس بالجماهير فَطْنٌ جسَّ منهم مَنازعَ الأَهواء

فأدار الشراعَ في جهة الريح، فكان الحبيبَ في الزعماء

يا جريحاً وعرسهُ مأتمُ القلبِ، وصبرُ اللبيب لاستهواء

أنت في حَومة المكارهِ أعلى منك في سرج سابحٍ عَدّاء

بطلُ النفس دونه بطل السيف، وكُنْهُ الإناء فوق الإناء

يُعرف المرءُ في النوازل دُهماً لا ربيبَ النعمى وتربَ الرخاء

كلُّ طيرٍ على الربيع صَدوحٌ وقليلٌ عَنادل الإشتاء

لست تدري أَفرْحةً أم زفيراً؟ أم نفوساً يَذْروَنها في الغِناء

تتعالى عن النواحِ أغانيهم، فما في اللحونِ غيرُ الصفاء

ويموتون في الظلام كباراً بُعَداءَ عن وصمة الكبرياء

. . .

[1] ذكر هذا العرس الدموي عمر ابو النصر في كتابه (سيد الجزيرة).

سَدَّد النسرُ طرفه بعد جرحٍ واغترابٍ، للذروة الشمَّاء
ذاكراً وَكْرَهُ، وللوطن الغالي، يخفُّ الجَنانُ في الضرَّاء
يا شبولَ «العوجا» هلمُّوا الى الثأر ومحوِ الهزيمة الشَنعاء
لا ينام الأميرُ من شدّة الوجد، فما نارُ غيظِهِ لانطفاء
أقبلَتْ نجدُ يا أميرُ تلبِّي حسبها منك غضبةٌ للعلاء
لا يهزُّ الجبانَ ألفُ نداءِ ويُلبِّي النجيدُ بالإيماء
و «سعودٌ» عدوُّكَ الأمس آتٍ جلجلَتْ فيه نخوةُ الأقرباء
طيفُ «مَرخانَ» أيقظ الحبَّ فيه يَقْظةَ السلكِ مُسَّ بالكهرباء
لا ينال السهمُ المحدَّدُ لُبَّاً دون خدشٍ أو صدمةٍ لِلّحاء
عطَفَتْ محنةُ الأمير نسيباً وأثارت مطامعَ الخبثاء
وإذا ضيغمٌ أصيب بجرحٍ فتحَ الجرحُ مسرَباً للداء
خطبُ «كَنزانَ» أطمعَ ابن رشيد بعروس «القصيم» بالغيداء[1]
فمشى يبتغي «بُرَيدةَ»، مأخوذاً بطيب الهوى، على الإغراء
صَفعته تلك العروسُ فأصحى من تَهاويل سكرةٍ جوفاء

. . .

أتظنُّ الشيخَ «الصَباحيَّ» هزَّتْ شعرةً منه نكبةُ الخلصاء

---

[1] نكث ابن الرشيد عهد الصلح ومشى الى بريدة يريد احتلالها فزحف الأمير الى نجد ولكنه علم وهو في الطريق انه عاد مدحوراً . أما الشيخ مبارك فقد أبطأ في إرسال النجدة التي طلبها عبد العزيز فكتب اليه ثانية يذكره بالعهد فجهز اذ ذاك ابنه سالماً واثنين آخرين من أولاده بقوة صغيرة – مئة وخمسين رجلاً من الحضر ومئتين من البدو – فجاءوا الى الحساء وانضموا الى جيش ابن سعود . (ت . ن .)

الأُلى غامروا بكلِّ عزيزٍ ليَذُودُوا عن معقلٍ للرياء

إنَّ ذاكَ الغريمَ فرَّ من الدَّين، وخلَّى الأثقالَ للكفلاء

تِرْكَةٌ ترهق الكواهل ممَّا دَسَّ فيها من باطلٍ وربِاء[1]

كان ذاكَ الميت المشاعِرِ حيّاً ضاحكاً من حميَّة الحلفاء

طلب النجدةَ الأميرُ، وظلَّ الشيخُ في مثل نخوة الصفواء

مُغلَقَ الحسِّ والسماحة والنبل، فسَقياً للصخرة الصمَّاء

ثم عادَ الأميرُ ذكَّرهُ العهدَ، ومغزى وُعوده الفيحاء

العروسُ التي وَعدتَ بقصرٍ أيها الشهمُ تشتكي من حفاء

فَتمطَّى الشيخُ المباركُ دهراً شيمةَ الباخلين عند العطاء

يَدُهُمْ للنَوالِ أبطأُ من دَبِّ السُلحفاةِ، أو من الخنفساء

ما تُرى نجدة الحليف المُرجَّى؟ بعد ذاكَ الجمود والإبطاء

وَلَداهُ وعصبةٌ من رجالٍ رَكْبُ صيدٍ، أو بعثةٌ لاحتفاء

ظهروا في معسكر ابن سعودٍ شعرَ شيبٍ في لِمَّةٍ سوداء

. . .

جاء دورُ الأمير بالكرِّ فاختارَ النواصي من رِفقةٍ قُدَماء

سَرَواتِ الأبطال من كلِّ جَلْدٍ صائب الرمي سائفٍ مَشَّاء[2]

لا خيولٌ ولا رواحلُ، فالمرعى جَديبٌ كالهامة القرعاء

---

[1] التركة : ما يتركه الميت .

[2] السائف : الضارب بالسيف .

أدلجوا مسرعين فانقشعَ الصبح فصبّوا نيرانَهم من كِواء[1]
صَيِّباً يأخذ الرصاصُ الرمايا لا كيوم «الكَنزانِ» رَميَ عماء[2]
وتبارى «العجمانُ» بالفرِّ حتى غصَّ رجعُ الصدى لِفَرط الرُغاء
يَجزُون الجمالَ بالرمـح، والأفراسَ بالسوط لاهباً كالصِلاء
لم يسرّ الأميرَ أن هَرَب الصيدُ، فأوصى شقيقَـه باقتفاء
«خُذْ رجال «الكويت»، وانْتَخِب الفرسانَ منّا للضربة العصماء»
«لا تَعُدْ قبل أن يصيحوا أماناً أو تشكّى الحدودُ فيضَ ارتواء»
فاقتفاهُم محمدٌ ينهبُ البيـدَ ويطوي أخاسِفَ البطحاء[3]
جنبهُ «سالمُ الصَباح» ورُوَّاضُ المنـايا، والضُمّرِ الجرداء
أدركوا الصيدَ، ليس إلّا سُويعاتٌ، لِسَطْر الصحيفـة الغرّاء
أوشكوا يبدؤونها فإذا بالحلف يغـدو مُحالفَ الأعداء
قُطِع الحبـلُ بالنصير وألقى رائدُ البئرِ خدنَـهُ في الماء
بعد أن صارتِ الدِلاءُ اليه رَجم البئرَ قاذفاً بالدلاء
بعد شوقٍ وحسرةٍ والتياعٍ حجبَ الماءَ عن شفـاهٍ ظِماء
لم تُدَوِّنْ صحيفةُ العُرب عاراً مثل هذي الخيانة القرناء[4]

١ كِواء مفردها كوّة وهي الخرق والفجوة . ٢ أمر عبد العزيز أخاه محمداً وسالم الصباح وجنودهما ان يبقوا في مراكزهم وزحف ليلاً بفرقة من رجاله ومعهم بضعة مدافع . أسروا ماشين لان اكثر الإبـل كانت قد أرسلت الى نجد لقلة المرعى في الحساء فأدركوا العجمان في الصباح . وأطلقوا المدافع عليهم ثم همـوا بالهجوم فسارع أولئك العربان الى ركائبهم وفرّوا هاربين تجاه الكويت فلم يتمكن رجـال ابن سعود من اللحاق بهم . عاد عبد العزيز الى مقره وأمر أخاه وسالماً حليفه بمطاردة العجمان فجمع الاثنان رجالهما ومشوا كلهم طائعين متآلفين ولكنهم ما لبثوا أن تفرقوا . أدركوا العجمان ! نعم أدركوهم فكان الانقلاب وكانت الخيانة اتفق سالم الصباح وأولئك العشائر العاصية وهجر حليفه ابن سعود . (ت . ن .)

٣ الأخاسف : الأراضي اللينة . ٤ القرناء مؤنث الأقرن وهي صفة للحيّة ولأنثى التيس وقـد جعلناها نعتاً للخيانة .

«سالِمٌ» يُعلِنُ الحمـاية «للعُجمان»، تبًّا للعقرب الشقراء
جاءه الأمرُ من أبيه: تَفَرَّجْ يا قليل الذكاء في الأبناء[1]
أتُرانا مناصرينَ سعوداً؟ أين وُلْدي وأين منهم ذكائي
أنا صِنوُ الغمام في القبض والنشرِ، عديدُ الألوان والأجواء
إنّما الصدقُ والثبات على العهد، حروفٌ في معجم البُسطاء
إنّما العبقريُّ مَن حَذقَ اللفّ، فمثلُ العهود مثلُ الرداء
بعث الأخُ للأمير رسولاً منبئاً بالوقيعـة البتراء
قال: إيذَنْ أبطُشْ بخصمين: «عُجمانَ» وجُند اللدّاغة الرقطاء
ما ألدُّ الخصمين إلّا «صباحٌ» أتغدّى بـه وذاك عشائي
قد أتينا نُنجي الغريقَ من اليمِّ، فصارَ الغريقُ في الخصماء
الأمير النبيلُ عضَّ عـلى الجرح، وكفَّ الشقيقَ عن إيذاء
شاكياً «سالمًا» لوالده الشيخِ، شكاةَ الهجير للرمضاء
فأجاب القاضي جواباً لئيماً مستفيضاً بإفكِـهِ والهراء
«قال يا ابن السعود ما شئتُ حرباً بل رجوعَ المنهوب من أشيائي»
«السُراةُ «العجمانُ» كانوا أحبّائي، ولم يصرموا حِبال ولائي»
«جمعتني بهم وسائلُ شتّى فهُمُ السابقون في الأصدقاء»

---

١ استنجد مبارك ابن سعود على العجمان وقصده أن يزرع العداء بينهما فيتمكن هو من الاستيلاء على الحساء. لذلك انقلب سالم فجأة وأعلن حمايته عليهم. وكان مبارك قد كتب الى ابنه عندما علم انه اشترك في القتال مع ابن سعود يؤنبه ويقول: «ارسلتك مراقباً لا مقاتلًا اذا غلبهم ابن سعود فنحن معهم يا ولدي. واذا هم غلبوه فلا تردهم عنه ولا تساعدهم عليه». وأرسل محمد بن عبد الرحمن الى أخيه عبد العزيز يعلمه بالخدعة ويستأذنه بالهجوم على المدوين: العجمان والمباركين فأجابه قائلًا: لا تفعل، كيف نكون حلفاء في أول النهار وأعداء في آخره والناس لا يعرفون حقيقة الحال. (ت. ن.)

خَوْنُهُ في القتال أيسرُ وقعاً من جواب يغصُّ بالفحشاء
أنتَن الحبْرُ من وقاحة سطرٍ طلعت منه ريحةُ اللخناء
ما وقوف السِكِّير، عريانَ في النادي، يباهي بسكره والعراء
كالوقاح الذي تطلّق من صدقٍ، ومن صون ذمّةٍ وحياء
لست تلقى لذلك الشيخ ندّاً في ضروب الخداع تحت السماء
سِرُّهُ كان أبعدَ البُعد عمّا يتراءى بداهةً للرائي
لا استلابُ الأَغنام أرّقَ عينيهِ، ولا همَّهُ انتهابُ الجداء
كان ذاك المنهوبُ جدَّ يسيرٍ عند من كان في ذُرى الإِثراء
ما مقامُ الحصاةِ؟ في ضفّةِ النهر المليء الشطوط بالحصباء
مثلُ هذا القطيعِ، ينحرهُ الشيخُ، فيمسي العشاءَ للأصفياء
سَلْ به «خزعلاً» وزُهرَ لياليه، وحدّثْ بمكرمات الطائي[1]
لم يكن سيّدُ «الكويت» شحيحاً في عشايا القِيان والأغنياء
أرَّقَ الشيخَ أنَّ بندَ سعودٍ ساد نجداً وامتدَّ للأحساء
وهو جارُ «الأحساء» والجارُ أَولى قدّس الشرعُ شفعةَ الشفعاء
ذلك الحلمُ باتَ كابوسَهُ الأقوى، لِزامَ الأَصباح والأَمساء
نابه ما ينوب قلبَ عشيقٍ خلبتْهُ مفاتنُ الهيفاء
كيفما قلَّبَ الجفونَ رآها ملَكاً في غِلالةٍ من بهاء

---

١ الطائي : حاتم المشهور بالسخاء . كان الشيخ مبارك يحب الامير (خزعلاً) حباً جمّاً صافياً فبنى له قصراً في الكويت، وبنى خزعل لمبارك قصراً في المحمّره فكان الاثنان يجتمعان على ضفاف قارون وعلى شاطىء الخليج (ت . ن .)

صَحْوةُ الأُفْقِ من بَريقِ ثناياها ، وفجرُ الخدود من لألاء

لا يرى في النساء حسناً عَداها فهْيَ في قلبه جميعُ النساء

حُسْنُ شيخ «الكويت» أعجزُ من أنْ يتصبَّى « الأحساء » بالإغواء

سيفه قاصرٌ عن الفتح ، فليعمدْ الى سيف خدعةٍ ودهاء

فَلْيُمَثِّلْ أُلْهِيَّةً من بعيدٍ ولْيُخَلِّ المأساةَ للشرفاء

يتباكى لفقد عيسٍ كرامٍ ونعاجٍ حَلّابةٍ جمّاء

فيُعادي عبدَ العزيز « وعُجمانَ » ، ويرمي الخصمين في البلواء

يتفانون « بالحساء » ويرقى سدَّةَ الحكم سيِّدُ الأذكياء

مغنماً بارداً يصير اليه بلدٌ ذو حدائقٍ غنّاء

وبهنَّ الثمارُ من كلِّ لونٍ طُرَفٌ في الطعوم والأشذاء

مسرحُ البلبل المُبكِّرِ في الشدو ، بشيراً بدولة الأضواء

نافضاً عن جناحه معطفَ الليل ، بليلَ المنقار بالأنداء

الحساء الحساء ، في خاطر الشيخ ، مقرُّ السنى ومهدُ السناء [1]

طيفُها في خياله يبعثُ السُكرَ ويُجري توقُّدَ الصهباء

. . .

جُنَّ عبدُ العزيز من لهجة الشيخ ، وتلك السجيَّة العجفاء

ليس فيها من الصراحة ظلٌّ أو كمثقال ذرَّةٍ من إباء

قَبُحَتْ خلقةً فأجملُ منها فطَسٌ في هميرةٍ صلعاء [2]

---

١ السنى : العلا . والسناء : الضياء . ٢ الهميرة : العجوز .

أو صديدُ القروح من أثَر الحمَّى، وهَولُ الأُكال في البَرْصاء

أوَسَعْدٌ يُودي، ويُمنى بجرحٍ؟ وبتلك الهزيمة النكراء

ويلاقي من النوائب ما لمْ يلْقَهُ في كهُولةٍ وصِباء

ويسوق الجيوشَ من أرض نجدٍ ساخياً بالعتادِ والشهداء

كلُّ هذا من أجلِ حِلفٍ خؤونٍ؟ من شعورٍ ومن خَلاقٍ براء

طَفحَ الكيلُ! كلُّ صبرٍ قبيحٌ بل هو الجرم أو أخسُّ الغباء

كلُّ شيءٍ، سوى الإلهِ وما استثنى، له بَدْؤهُ وحدٌّ انتهاء

يا سماءُ اشهدي يقول أميرٌ أنَّني كنت أصدقَ الأَوفياء[1]

أَنَّني مجرمٌ اذا خنت نفسي لن تشائي مَذلّتي! لن تشائي

المروءات يا إلهي تؤازي في المبرّات عفّةَ الحسناء

ما سخا واحدٌ على الأَرض مثلي لصديقٍ، ولا أتى إبلائي

من دَمي، من دم الشقيق وأَبطالي، ومن مقلتيَّ كان سخائي

اللهمَّ إيَّاكَ نعبدُ! كُنْ عوناً لسيف المروءة الوضّاء

---

١ كتب الامير الى الشيخ يشكو سالماً قائلاً: «لم أقدم اكراماً لك على تأديبه». فكتب الشيخ مجيباً: «ان بينه وبين العجمان صداقة قديمة. ثم قال طلبت منك ان تسترجع منهوباتي منهم ولم أقل لك حاربهم واطردهم من ديارهم». قرأ عبد العزيز الكتاب وهو يحتدم غيظاً فهتف مردداً تلك الكلمة التي يأخذها من فاتحة القرآن اذا هو أعلن الحرب: «اياك نعبد وإياك نستعين»! صبرنا على مبارك صبراً جميلاً واحتملنا منه شيئاً كثيراً وفادينا من أجله بالمال والرجال وما نحن والله بصابرين الى الابد، إياك نعبد وإياك نستعين. شدّ عبد العزيز يريد مهاجمة العجمان ومبارك ولكنه حين وصوله الى معسكر أخيه محمد واستماعه الكلمة الاولى التي قالها الرسول القادم من الكويت وقف مدهوشاً محزوناً إنّا لله وإنّا اليه راجعون. مات الشيخ مبارك. عدل عن مهاجمة العجمان وكتب الى جابر الذي خلف أباه في الحكم يعزيه بأبيه وينصحه ألا ينهج على منواله في السياسة. (ت. ن.)

فأُهدَّ الجحرين : شِرَّةَ « عُجمانَ » وجُحرَ الحرباء ، حصنَ الرياء
قالَها واحتدامُهُ كادَ يُوري قَصبَ الخزّ في ذيول العباء
شدَّ والجندُ حولَه كُثُبٌ تغلي ، وأُسدٌ تحرَّقتْ من ضِراء
رُكَّضاً ينشدون ثأراً ، ويمحون اعتداءً ، وسالفاتِ افتراء
بلغوا عسكر الشقيق وقالوا ستكون الغداةُ للإِيفاء
في غدٍ ندفع الرباءَ ودَيناً ونُزيح الوجودَ من غُرَماء
لا غدٌ يا أَميرُ للسيف ، بل للحزن ، للنعي فاجئاً ، للرثاء[1]
ماتَ شيخ « الكويت » ! فانقلب الشنآنُ غمّاً في الجبهة السمحاء
ومَحا الموتُ كلَّ ظلٍّ لحقدٍ ذاكَ طبع الأكابر الأُصلاء
خلقُهمْ يذكر الجميلَ ، ولو خيطاً ، لإِصلاح عروةٍ في كساء
ويغضّونَ عن قبيحٍ ، وينسون العطايا ، فالمنُّ لِلُّؤماء
الأُلى إن أتيتَ ، في القيظ ، تبغي ظلَّ جُدرانهم ممرَّ التجاء
ذكَّروكَ الحياةَ أنك لولاهم ، ولولا عجائبُ الأَفياء
لصرفت الايام أتعسَ منكودٍ ، تلاشتْ حياته في الشقاء

. . .

وقف الماجدُ الأميرُ كئيباً رافعاً مقلتيه صوب العلاء
إنَّنا راجعون لله فاغفرْ يا إلهي ، يا أرحمَ الرحماء

---

١ رثى له : رحمه .

فإذا الأَفْيَحُ المديد مضيقٌ وإذا التلُّ صارَ شبهَ حفير

. . .

سَبر الداءَ، ثاقباً غيهبَ الماضي، مُنيراً جوانبَ الديجور
فرأى العُرب قبلَه قد تلَهَّوا عن لُبابٍ وجوهرٍ بقشور
بانتهابٍ وغارةٍ وذُحولٍ وانتقام المجير لِلْمَوْتور
ووقوفٍ على الطلولِ ونَوحٍ واسْتِيافِ الرمال قبل المسير[1]
هالَه أنَّ دولة العُرب، في الصحراء، ظَلَّتْ رهينةً بالبعير
أنَّها مثلهُ بِحرٍّ وظِمءٍ وبمشي الإسراء والتهجير

. . .

فاتَ، مَن قبلَه، مُحاربةُ القَفْرِ، بكنز المياه والتعمير
كان أفقُ البداوةِ الرَذْلِ أفقاً مثل أُذْنِ البعير جدَّ صغير
عَصَبيّاتُهمْ تُبيدُ غريباً باسم دينٍ، أو قَصْدَ غُنمٍ حقير
فإذا بادَ ما جَنَوْهُ تفانَوا كاليعاسيب أُجْلِئت للقفير[2]
كان حدسُ الأمير أصدقَ من علمٍ دفينٍ مُحنَّطٍ في سطور[3]
هَمُّهُ بِنْيَةُ الحواضر صدَّ النومَ، إلّا إغماضةَ المقهور
لم يُفارِقهُ راكباً لقتالٍ أو سميعاً، تأدُّباً، لسمير

---

١ استاف الرمل: شمّه يستدل به . ٢ اليعاسيب: ذكور النحل . ٣ نعني بالحدس: بداهة الوجدان .

أو جليسَ العربان يأتونَ لُوّاماً ، يثورون لليسير اليسير
ليس فيهم إلّا شُكاةٌ ، وطلّابٌ عفاةٌ ، فأين عذرُ العذير
وحدَه يحمل الهمومَ كباراً فكأنَّ الهمومَ كُنْهُ الكبير

. . .

نجدُهُ بيتهُ ونذرٌ عليه أن يقيه غَوائلَ المحذور
يدعم الركنَ حيث يبدو عَوارٌ حيث جدَّ العِرابُ في التقصير [1]
والخيرُ في البيت سجّادةٌ تزهو ، ولا في البعيد ألف حصير
كان ينوي الأميرُ تحضيرَ نجدٍ قبل تفكيره بفتح « عسير » [2]
مدركاً علّةَ البداوة والفقر ، فهذان منبتٌ للشرور
حارِبِ الجهلَ والتشرُّدَ تقطَعْ من بلايا الصحراء جذرَ الجذور
كيف يستنبتُ الرغادةَ صقعٌ ضاعَ ما بين شاردٍ وفقير
سُبُل العيش تخلق المرءَ خلقاً فهي أمُّ الرقيِّ والتحضير
كيف ترجو ممَّن يعيش على النهب ضميراً وملمساً من حرير

. . .

كان حربُ الجفاف أو فرَ هَوْلاً من عدوٍّ غازٍ وجيشٍ مُغير
بين صَعْبين ضاق صدرُ صبورٍ بين أرضٍ بُورٍ ، وقومٍ بُور

---

١ العوار : الشق والخرق في القرب أو سواه . ٢ عسير : منطقة في اليمن وسيأتي الكلام عليها .

أَيْسَرُ النكْبَتينِ أن تفتحَ «الصمَّان» والأمعَزَ العصيَّ الصخور[1]
قبل فتح العقول غلَّفها الجهلُ فأضحت من جهلها في سُيُور
فطرةً صارت البداوةُ فيها واستمرَّت كالصخر في التحجير
هِجرةٌ من بُيوتهم لِبُيوتِ الصخر واللِبْنِ! يا لَوَيلٍ مُبير[2]
إنَّ ذاك البنـاء يربطهم بالأَرض، ربطَ الأَسير بالجنزير
أتزول الخيامُ؟ وهْي خفيفاتٌ، ويومَ الهُروب ريشُ صقور
ينهبون الخصمين يوم احترابٍ يا مغازي هاتي، ويا نوقُ طيري
ما صلاةٌ؟ ما مسجدٌ؟ ما صيامٌ؟ ما اجتنابُ الزنى وشربِ الخمور
ما وضوءٌ وليس ماءٌ لشربٍ؟ ما صيامٌ والصومُ كلّ الشهور
ما سعودٌ، وما رشيدٌ، وما عهـدٌ؟ فهم عالةٌ على المنصور

---

١ الصمَّان: علم لمكان. والأمعز: المكان الصلب الكثير الحجارة. ٢ فكر الامـير تفكيراً بكراً لم يسبقه اليه أحد في الجزيرة وهو تقييد البدو بالارض وتحضيرهم منعاً للغزو والتشرد والخيانات وتمهيداً لتعليم الدين والتقيد بالنظام. وقد أسهبنا الكلام في ما سبق على نكثهم العهود وسرعة انقلابهم وجهلهم للمبادىء والنظام وقد حل الامير هذه المشكلة بطريقة لم يسبقه اليها أحد قديماً أو حديثاً فهو من هـذا القبيل المصلح الاكبر في العرب. البدو لا يثبتون ولا يطيعون لانهم لا يملكون أرضاً ولا يسكنون بيوتاً ثابتـة وإذن فسيعطيهم الامير الارض ويساعدهم في بناء البيوت، ينقلهم من البادية الى المدينة. وهناك ايضاً الفكرة الدينية في بناء هذه المساكن التي سميت هُجَراً — جمع هجرة — والهجرة في القاموس هي ترك الوطن الذي بـين الكفار والانتقال الى دار الإسلام. اما وطن البادية فالبادية والبادية مهد الشرك فالهجرة منها إذن هي الهجرة الى الله والتوحيد. وهي كذلك هجرة مدنية فمن بيوت الشعر الى بيوت من لبن وحجر ومن الفقر والغزو الى أرض لا تخون صاحبها اذا أعمل فيها المحراث، ومن الخوف والحذر الى طمأنينة لا تهجره مـا زال عاملاً مفيداً لنفسه ولبلاده. وباشر ابن سعود إصلاحه البكر بالواسطة الدينية فكان يرسل المطاوعـة الى البادية ليعلموا أهلها دين التوحيد والفرائض. ويزينوا لهم هجر مـا هم فيه الى ايمان يستشعرون وبيت يأوون وأرض يحرثون. بيد ان الصعوبة الأولى التي تغلب عليها دعاة الهجرة هي بيع الأباعر لان وجودهـا يستغوي البدوي فيروح في ساعات الضجر طالباً الرزق حلالا أو غزواً، حيث كان، لذلك أجْبِر البدو على بيع جمالهم.
(ت. ن.)

أتقولُ الأعرابُ يا ربُّ آمنّا! لقد أسلموا اتّقاءَ نكير
وابتغاءَ الدنيا، ونشْداً لخمرٍ في ظلال الأخرى، وشوقاً لِحُور

. . .

يُمهَدُ الفتحُ بالمدافعِ، قبل الكرِّ بالخيل والشّواظ المطير
وسلاحُ الأَمير كان سَراةً من شيوخ الإِيمان والتبشير
الهشيمُ الركامُ والشوكُ أدماهم طويـلاً، بالفَدْفَدِ المهجور
قبل شقِّ الأَثلام، يُقتلعُ الشوكُ، حِفاظاً على كرام البذور
أُمُّنا الأَرضُ أَيّها الناسُ قالوا وإليها أجسادُنا في المصـير
وهي ظئرٌ تفيض حُبّاً وجوداً وتجازي جراحكم بالشكور
لو نزلتمْ فؤادَها لَوَقَتكُمْ لَوْعةَ الظمءِ واحتدامَ الهجير
تتجلّى أَثداؤها ساخيـاتٍ كلّ ثَدي لها قرارةُ بير
الحنانُ الطامي يُفجِّرُها حبّاً فتأتيكُمُ بمـاءٍ نمير
من دموع السحاب تخزن، تحتَ الرملِ، آلاءَ كنزها المسحور
فانْبُشُوهُ يفترَّ ثغرُ أَقـاحٍ ومُروجٌ وردِّيةُ التعبـير
ترضعون النياقَ من فرط غُلٍّ أو تعضّون ساقَ نبت طرير

---

١ تضمين الآية «قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا» . اما الدين عند البـدو فهو كالرداء يلبسونه ثم ينبذونه وقد تمزق نبذ النواة . كيف نتوضأ ونحن نبغي الماء للشرب . ولم الصـوم والسنة كلها عندنا رمضان . ولم الصلاة وليس لله وقت ليسمعنا . وكذلك كانوا في ولائهم لهذا الامير او ذاك فما الفرق بين ابن سعود وابن هاشم او بين ابن الصباح وابن الرشيد . هم مثل ذوات الاجنحـة طيّارون، ولهم مزية الزئبق يجتمعون ويفترقون وانت تتلو الفاتحة . رفاقك في الطريق اليوم واعداؤك غداً ولا اظنهم لولا الجنة والحوريات يخضعون لرب الكائنات وطبعا هذا لا يصدق على جميعهم . (ت . ن .)

وتظلُّ الشفاهُ تمتصُّ يوماً علّها تهتدي لشبه عصير
أَعطاشٌ؟ وتحتَ أقدامكم ، إمّا أَرَدْتُمْ ، حوضُ الزلال الدرير
فاسمعوا الأرضَ أُمّكُمْ إذ تنادي: بصريخ المُلوّع المستجير
بتُّ خجلى من العراء ، فعينُ الشمس شقّتْ مآزري وحريري
أين برُّ الأولاد يستر وجهي ؟ بالبرود الخضراء والتشجير
أعقوقاً ؟ وليس ، في عالم الأُمّات والمحسنات ، أمٌّ نظيري
أتلقّى أقدامكم بشفاهي وأُداري نِعالكم بشعوري
بدلاً لامتهانكم نفحُ زهري وابتسامي الجوابُ عن تحقيري
فإذا بالسماد يُغمَرُ وجهي داعَبَتْكُمْ ، عبرَ النسيم ، عطوري
أدفع الدينَ ، وهو أضعافُ ما أُعطى ، بلا مهلةٍ ولا تأخير
من عناقيدَ لألأَتْ في الدوالي ونضارٍ في بيدرٍ منثور
موعدي صادقٌ ، خلاني ادّعاءٌ بغُلُوِّ الربا أو التزوير
خيرُ ما أنتج السخاءُ نِتاجي خير من يمنحُ الأُجورَ أجيري
لُقمتي لقمةُ الحلال ، ولو خَلّا بزيتونةٍ وخبز شعير
أطيبُ الطيّبات ما ساغَ في الحلق ، ولم يصطبغ بجرح الضمير
أنا والغيمُ في النقاوة صِنْوان ، كلانا غيث العطاء الطهير
نبذل الخيرَ صامتين ، بلا منٍّ ، سواءً للشهم والزُعرور[1]
كلّ من ضمّتِ الحياةُ مواليدي ، غذاهم درّي ، حواهم سريري

[1] الزعرور : السيىء الخلق القليل الخير .

حفِظَتْهمْ من الهجير ضلوعي أدفأتهم عند الصقيع حُجُوري
لا أعادي إلّا الجناةَ الكسالى فأريهمْ جهنّمي وزفيري
يبتغون الأرزاق نهباً وعدواناً، ومهدي مهدُ الهناء الوثير
فليصوغوا من الأسنّة محراثاً لصدري، وليرأفوا بالصدور
لا تُلاقي الرماحُ إلّا نجيعاً ويلاقي المحراثُ طيبَ عبيري
كلُّ فوحِ الأرجاء فضلُ أريجي كلّ عطرِ الأجواء عطرُ بخوري
المحاريثُ أصدقائي، وقد طال اغترابي ولهفتي للعشير
إبقروني فالنورُ طيَّ أديمي واملأوا الكون من هبات البقير
ليس كلُّ الأضواء تطلعُ من فوق، فقلبي الضياءُ للمستنير
إنّ فتحَ المحراثِ أبعدُ شأواً من فُتوح «الجنكيز» والتيمُور[١]
وهو أنقى صيتاً وأوفر خيراً وبقاءً على سجلِّ الدهور
وبسنّ المحراث يكتبُ سفرٌ للحضارات لا بِسلْب الجزور
الصناعات! ما الصناعة لولاه؟ وما مَتْجَرُ القرى والثغور
الصناعات، في معاجِمكُمْ، حرفٌ جديرٌ بالنبذ والتحقير
إيهِ أنسالَ يعربٍ ما دَهاكُمْ؟ فهبطتم الى القرار الأخير
أين بغدانُ والشآمُ وغرناطا وأشبيليا وزهوُ القصور
الحضاراتُ هذهِ كيف قرَّتْ؟ أعلى الغزو والدم المهدور
أم على الزرع والصناعة والإتجار والعلم والأمان الوقور

. . .

١ جنكيزخان وتيمورلنك: وكلاهما ضربة على العمران.

قنعَ البدوُ بالذي قاله الأشياخُ، لولا اعتراضُ أمرٍ خطير
هو بيعُ الجمالِ أو فقدُ أترابٍ، وكانوا لِداتها في البرور
فهي منهم أبعاضهم، كلُّ فردٍ منهمُ شُدَّ نحوها بسيور
إنما الذاتُ ليست الجسم بل ما أبهجَ العينَ في الصباء البكير
من رأى النورَ عند شاطئ بحرٍ فعزيزٌ عليه رجع الهدير
والذي داعبَ النهورَ صغيراً حلمهُ بين سرحةٍ وغدير
والمتاع الذي صحبتَ زماناً بين أوقاتِ محنةٍ وسرور
منك يغدو، لا فرقَ إن كان سيفاً أو بعيراً أو خاتمَ السامور[1]
كان بيعُ الجمال يومَ نُواحٍ في البوادي، نظيرَ يوم النشور

. . .

وتبارتْ زنودهمْ لبناءٍ واحتفار الآبار حول الدور
بيدَ أنَّ «الإخوان» غالوا فخالوا من غزاةٍ الى حلوسِ خدور[2]
يلزمون الصلاةَ في السلْمِ، أو سردَ الأحاديث، من حوالى القدور
ردةُ الفعل في الطباع سواءٌ كان فرداً، أم ردَّةُ الجمهور
القصيَّانِ في التطرُّف عيبٌ يلزم الوسطَ كلُّ واعٍ خبير
أصبحوا عالةً على ابن سعودٍ حسبهُ في البناء بذلُ الكثير
حسبهُ أن يشيد للطير وكراً أيؤدّي طعامه للطيور

---

١ السامور: الألماس. ٢ الحلس: هو الذي يألف البيت ويلازمه.

حسبهُ أَن يرشَّ سبعين قفراً بِدَراً من نضاره المذخور[1]

« هِجَرٌ » باتت العرائسَ في الدوِّ ، فأعطى العجَّانُ فوق الخمير

من « مُلَيحٍ » الى « الهياثمِ » « فالعَوجا » فأكنافِ « عروةٍ » « فالمريرِ »

من حُزونِ « الصَّرارِ » « للثاج » « للحنَّاتِ » «للتيم» « للحسى » « للقصير »

« للشبيكيَّةِ » العريضة « للرين » المُعلَّى « للصوح » ثمَّ « الحفير »[2]

فَنَهاهُم عن التكاسُل أَشياخٌ ثقاتٌ في النصِّ والتفسير

ذكَّروهُمْ بأنَّ أَصحاب طه عرفوا غير سُنَّةِ التكبير[3]

أَنَّهم جاهدوا الحياة بما فيها ، وأَدَّوا نصيبَها من مُهور

أَنَّ من يحرز الغَناء تقيًّا هو أَعلى من زاهدٍ مَقبور

أَنَّهم عُصبة النسور ، وأَنَّ النسرَ يأبى صَغارة الزرزور

. . .

نخوةُ الغزو عاوَدَتْهُمْ لغزو الأرض بالساعد الجديل المرير[4]

ثورةٌ للحديد زلزلتِ الدوَّ فهزَّتْ قلبَ الثرى المستطير

دَمُهُ سال في البزور حياةً واكتسى الجدبُ حلَّة البرفير

---

١ البدر مفردها بدرة وهي الكمية من المال . وكان ابن سعود يعين بقعة من الارض فيها ماء لقبيلة أو لفخذ منها فتنزح اليها وتباشر بناء البيوت فيها . وكان يساعد ماليّاً في بناء البيوت الجديدة . وقد أنشأ ما ينيف على سبعين هجرة كانت خميرة الحضارة في البادية . ٢ أسماء أعلام لبعض الُهجَر : على ان أهم الهجر هي الأرطاوية لعرب مطير . ٣ راح الشيوخ يحاربون الكسل والبطالة فعلموهم أن الزراعة والتجارة والصناعة لا تنافي الدين، وان المؤمن الغني خير من المؤمن الفقير . وأن أبا بكر رضي الله عنه كان يملك ثمانية آلاف رأس من الإبل والخيل . (ت . ن .)

٤ المرير : القوي .

من صبيغ الزهرِ المُطرَّزِ ألواناً، عجيبِ التَفْويفِ والتحبير
لا سُليمانُ نال أحسنَ منها في حُلاه، ولا مُتوَّجُ «صور»[١]
تستحمُّ العيونُ في الواحِ خُضراً وتهفُّ الصدور للكافور
قبل عبد العزيز، لم تسمعِ الصحراءُ هَدْلَ اليَمامِ والشحرور
بل نعيبَ الغربان أو صوتَ بُومٍ بالرزايا وبالخراب نذير
فضريرُ النهار، بالمهمه الخالي، يبثُّ المنعى، بليلٍ ضرير
ناعياً للدمار همَّةَ قومٍ بَرِئوا من حَضارةٍ وشعور
فرحةٌ عندهم إصابةُ ضبٍّ والحرابيُّ طرفةٌ للفطور[٢]
هم رفاقُ الضباع، في قَذَرِ العيش، وفي غدرهم، رِفاقُ النمور
قبل عبد العزيز لم تعرف العربانُ طعمَ البقول عند البكور
حاملاتِ الندى جَدائلُها الخضرُ، نظيماً كاللؤلؤ المضفور
كم تَمَنَّتْ هذي الفدافدُ بالأحلام، لحناً للشدو والتنقير
تخِمَتْ هذه المفاوزُ من عَيٍّ، وترجيع فحَّةٍ وزئير[٣]
شاقها الأُنسُ بالجمال، ولو مرًّا سريعاً في نَبْرَةِ العصفور
شَهْوَةَ الأُذْنِ، عند مُنبَلَج الفجر، إذِ الطيرُ مبكرٌ في السحور
إنَّما الحسنُ بالصفاء، نخيرٌ كأسُ ماءٍ من غمرِ نهرٍ كدير
مَرَّ قبل الأمير بالعُرب أبطالٌ، فبادَتْ آثارُهُمْ بالمرور

---

١ إشارة الى قول الانجيل: انظروا الى أزهار الحقل، إن سليمان في مجده لم يلبس أجل منها ومُتوّج صور هو الملك حيرام صديق سليمان . ٢ الحرابيّ مفردها الحرباء . ٣ العيّ: مصدر عوى الذئب .

هو أَرْسَى العصورَ واسْتَنْبَتَ الصحراءَ حتى لوى جموح العصور
رَكَزَ الأُسَّ للحضارة أُساً ثابتَ الركنِ مُوثقَ التسمير
زرع الخيرَ والشجاعةَ في آنٍ فصار العربانُ خيرَ نفير[1]
لا انهزامٌ ولا شرودٌ ولا خَوْنٌ بل الصدق في الوغى والكرور
آمنوا بالإله والبعث والنار فجدَّ الإيمانُ بعد فتور
مُعجزاتُ الإيمان تفعلُ في يومٍ عُجاباً يُؤتى بدهرٍ دهير
هُمْ رجال الأميرِ إن يَحْزُبِ الأمرُ وأسياف يومه القمطرير[2]
لا فرارٌ يا «طارقَ بنَ زياد» إن يَخُونوا فالنارُ ذات سعير[3]
لا فرارٌ أمامهم ألفُ «لَذريقٍ» ومن خلفهم ألوفُ بحور[4]
خَلفهم أَهلُهمْ بأبياتِ صخرٍ إن يفرُّوا فبعد فرِّ الصخور
خَلفَهم أُمَّهاتهم وحَليلاتٌ وزغبٌ يَرْقُبْنَ عودَ النسور
مشرفاتٍ من الكوى شاخصات لمَطَلِّ الجياد والتغبير
مُدركاتٍ من الصواهل إن عادوا بغارٍ أم بالجناح الكسير
باعثات للغانمين التحايا والزغاريد من وراء الستور
فاحمات العيون والسِتْرِ والشَعرِ خِفافِ الخطى دِقاقِ الخصور
ضافراتِ الشعور ليلًا تَدَلّى مُرسلاتِ العقيق فوق النحور
خَلْفُهم صيتُهم وما الصيتُ إلّا المرءُ في زيٍّ مفرد منثور
فهْو أَخلاقُه لكلِّ سميعٍ وهو مرآته لكلِّ بصير

. . .

١ النفير: الجيش. ٢ حزب الأمر: اشتد. والقمطرير من الأيام: الكثير الشر والخطوب.
٣ إشارة الى خطبة طارق بن زياد المشهورة. ٤ لذريق: قائد الأسبان.

بعد إيمانهم غـدوا يحفظون الصيتَ، صوناً للأَبيض المقصور

طَهِّرِ الثوبَ، والحِفاظُ على النَّصْع، امتـدادٌ للغسل والتطهير[1]

سائِلِ السيف عن «مُطيرٍ» وعن «حربٍ» وسائِلْ «عُتيبةً» عن صقور[2]

كيف يسخونَ بالدماء، وكانوا الأَمس يعطونها عـلى تقتير

مَن حَساها بالأَمس رَشْفَةَ كأسٍ عَبَّها اليوم من حَنايا الزير

أصبح الرعبُ منهمُ اليومَ مرعوباً، حسيرَ الجبـين عن مذعور

كان أهلُ العمران أثبَتَ جأشاً فغدا البدوُ للمقام الجسور

في سبيل الرحمن يستشهد «الإخوانُ» من كُلِّ «عنتريٍّ» صبور

ذخرهُ للقتـال بعض تِمارٍ و«نطاق» «الخرطوش» للتزنير

وذَلولٌ وبُنْدُقٌ شابـه النجديَّ في لون سُمرةٍ وضمور

ويسيرون صائمـين سواءً هبَّ حرٌّ، أو قارصُ الزمهرير

فيعيرون للجهاد نفوساً وجسوماً «للمانعيِّ» المُعير[3]

للأمير الباني سَوادَ قُراهُمْ تاركاً قصرَه فقير القصور

وهْو لو شاء لابتناه عُجاباً هازئاً من «خوَرْنَقٍ» و«سَدير»

سيِّدُ «النجد» كان غير أنانيٍّ، وبَندُ الفخار غيرَ فخور

لا سِنِمَّارُ! بل حنان فؤادٍ أبويٍّ على اليسير شكور

١ النصع : كل ثوب أو جلد شديد البياض . ٢ أصبح إخوان مطير في الأرطاوية مثلاً : واخوان حرب في دخنــة ، واخوان عتيبة في الغطغط أشد جيوش ابن سعود بأساً وأبسلهم نضالا ، وأسبقهم الى الاستشهاد . وكان الواحد منهم يتزنّر ببيت الخرطوش ويبادر الى البندق، ويركب الذلول الى الحرب، ومعه شيء من المال والتمر ويمشي ثلاثة أيام بدون أكل فيأخذ تمرة يرطب بها فمه فأصبحت البادية أثبت في القتال من الحاضرة . ٣ المانعي : الامير عبد العزيز في النسبة الى جدّه مانع .

شَيمةُ البدر لا يمنُّ ويُجزي كلَّ من شامه بدفقة نور
وعيون الورى إليه روّان وهو ينفي عنه صفات البدور
وصْمةُ الزهوِ لم تُلطِّخْ عظيماً لا تمَسُّ الوحولُ صفوَ الأثير
رَقِيَتْ للتلال، وامتنعَ الطَودُ، وظلَّ الدخانُ دون الطور
راح يُعمي «الإخوانَ» أحداثَ عهدٍ بجديدٍ، فيا لَقبح الغرور[1]
كلُّ من ظلَّ في البداوة أضحى عندهم فاسقاً عديم ضمير
كلُّ من ظلَّ بالعقال بخلفٌ ظاهرُ الشركِ، واجب التكفير
يتحامونه كما جُدَريٌّ يُتحامى، قيحاً غضيضَ البثور
الأُلى بالعشيِّ كانوا أسارى أَصبحوا يضربون عنق الأسير
سِمَةُ النقص في الجهول، وسدّاً لخلاءٍ، ونفثةُ المصدور
أمرهم كان لا يزالُ طريئاً دعموه بالفتك والتشهير
وترى المُحدَّثين جاهاً ومالا أوّل العائبين عُدمَ الفقير
كلُّ عبدٍ ولو علا قيدَ شبرٍ أخذته حَماقةُ الكافور[2]
قد تهزّ الحصاة صهريجَ ماءٍ فيظلّ الغداةَ في تعكير
وتمرُّ الحصاةُ مِرَّةَ لا شيءٍ، إذا صادفت عميق النهور

• • •

١ ان الإخوان برغم ما ظهر من بسالتهم وبطشهم وهول استشهادهم اورثوا الامير مشكلاً آخر فقد طغوا وتجبروا على من لم يتحضر من البدو فراحوا يكفّرون وينهبون ويقتلون. «انت يا بدوي مشرك والمشرك حلال الدم والمال. أنت يا أبا العقال من الكفار. لان الإخوان كانوا يتعصبون بالعصابة البيضاء» «أنا أخو من أطاع الله وانت أخو من أطاع الشيطان». كذلك كان يسطو كل متعصب بالعصابة البيضاء على سواه من العرب فيعيّر ويسبّ ويسفك الدماء وينشر الفوضى ويخلّ بالأمن. (ت. ن.)

٢ الكافور: المقصود كافور الأخشيدي.

من يُكفِّرْ كلّ الأنام عداهُ وهو في مثل ثورة المحرور
ربَّما كان أضعف الناس ديناً وهو، قسراً، يبغي اجتلاب ظهير
يدعم المرء رأيه بسواهُ فنصيرٌ يشدُّ أزْرَ نصير
وهو يزداد قوةً واقتناعاً كلَّما ازداد صوتُ حشدٍ غفير
البغايا تشدُّ أزرَ البغايا فازدياد الأعداد للتبرير
إنَّما المرء في التعصُّب فرداً دونه طاغياً مع الجمهور
قطرة الماء وحدها لا تُؤاذي وهي خنَّاقةٌ بحوضٍ غمير
يا لجهل «الإخوان» يدعون للقتل ونهب الكفَّار والتدمير
ولخيرٌ من ذا التديُّنِ إلحادٌ وبعدٌ عن فعلة المحظور
حَسَنُ النيَّة الشريف خصالاً أبيض الوجه عند ربٍّ غفور
أتداوى الآثامُ بالإثم؟ أم بالرأي والنصح من حليمٍ مُشير
لم تُغطِّ العصائبُ البيض «للإخوان» ما كان كامناً في القعور
بئسَ تلك الشاراتُ، للناس، والأزياءُ، جسراً للزهو والتصعير[1]
قيمة الجنيِ لذَّةُ الطعم لا ما كان من شمخ سرحةٍ وقشور
لا تُصدِّقْ وَهْمَ العيون فتلقى فضَّةً في لوامع القصدير
ربَّ زيٍّ مُبهرجٍ يترك الغفلانَ، في مثل عشوة المبهور
وسوادُ الأنامِ عُبَّادُ أزياءٍ، رعايا لبهرجٍ منظور

...

[1] صعَّر خدَّه: أماله عن الناس تهاوناً وكبراً. ونحن لا ننقد الشارات والأزياء بحد ذاتها بل ننقدها حين تكون سبيلاً للكبرياء ولستر الجهل ولذرّ الرماد في العيون واستغلال البسطاء.

تلبس الكبرياء ألف حجابٍ وهي حرباء غيرُ ذات سفور
فتراها حيناً بجُبَّةِ مفضا لٍ عفيفٍ، على النفوس غيور
يتمادى في غيرةٍ فيداني قسوةً جورَ ظالمٍ شرّير
أَصلُها وافر الجذور فتأتي من كنيسٍ أو مسجدٍ أو دُيور
ربما كان حاملوها ضحايا غِشّها فهي جمَّةُ التزوير
فترى البَرَهميَّ ينبذ هندياً، حفاظاً على نقاء الطهور

. . .

مَلأَ الرجسُ عقلَ من يدّعوهُ وَهُمُ الرجسُ في كتاب القدير
تقصد الأعنُزُ الأجاربُ رأسَ النبع، حيث المياه كالبَلّور
وهْي ذفراءُ، ريحها أين منه؟ عند فضِّ القبور، نَتْنُ القبور
لك ما شئت أن تذمّ فعالَ المرء، من سوء نيَّةٍ أو فجور
قُلْ عن الداء ما تشاء، ولا ترهبْ، وفَنِّدْ مساوئ الناسور
لا تخف أن تسمِّيَ العُور عُوراً فَتُوَرّي عن لفظة الماخور
حاربِ الداء نفسه ودَعِ المرء، فما المرءُ باليسير الحقير
إنّ من صاغ آدماً من تراب صَهَر النفس بالشعاع الصَهور
وسواءٌ لديه روحُ أجيرِ الخانِ، أم روحُ عبقريٍّ شهير
إنّما الخلق كلهم عَيلَةُ الله، فما بَثَّ بينهم من سفير
رامَهم خادمين لا وُزَراءَ ليس لله في الورى من وزير
انّما هذه الوزاراتُ معراجٌ لنيل الدنيا، ومجد الظهور

تبعث التيه في النفوس كخمرٍ فتلاشي مَشاعر السكّير

رُسُلُ اللهِ أوْدَعَ الناسُ كانوا يشكرون الباري لقرص الشعير

إنّما الكبرياء أورَثَتِ «الإخوانَ» سفكَ الدما وقولَ الزور

إذ يقولون للذي ليس منهم أنت صنو الشيطان وَقْدُ السعير

. . .

غمَّ عبدَ العزيز أنباءُ سوءٍ أيقظت فيه غضبةَ الهيصور

فثناهم عن الضلال بفتوى ونَهاهم عن الدما بالزئير

واستعاد الجوُّ الصفاءَ وعادت نجدُ ملقى العقاب والعصفور

---

١ عقد الامير سنة ١٣٣٧ مؤتمراً في الرياض للنظر في أمر الاخوان حضره كبار الرؤساء والعلماء وقرروا ما ملخصه : الكفر لا يطلق على بادية المسلمين الثابتين على دينهم . لا تفاوت بين لابس العقال ولابس العمامة اذا كان معتقدهما واحد . لا فرق بين الحضر الاولين والمهاجرين الاخيرين . لا فرق بين ذبيحة البدوي الذي في ولاية المسلمين ودربه ودربهم ومعتقده ومعتقدهم وبين ذبيحة الحضر الاولين والمهاجرين . لا حق للمهاجرين أن يعتدوا على الناس الذين لم يهاجروا كأن يضربونهم او يتهددونهم او يلزمونهم الهجرة . لا حق لاحد ان يهجّر احداً بدوياً كان او حضرياً بغير أمر واضح وكفر صريح وبدون إذن من ولي الامر او الحاكم الشرعي . (ت . ن .)

غيوم في الجو

بين نجدٍ ومكّةٍ يا حمائمْ   مَهّدي للسلام فالجوُّ غائمْ
واحمليها كَلَونِ أجنُحكِ البيض سجايا عبد العزيز المُسالم
يُكبِرُ السيّدَ الشريفَ، وهل في الأرض من جاهلٍ مقامَ ابن هاشم
فيُداريهِ لا اتِّقاءً لبطشٍ   بل شعور العظيم نحو الأعاظم
وحفاظاً على العروبة كيْلَا   يتولّى أمرَ العليل الأعاجم
فيردّ الأتراكَ ردًّا رفيقاً   بينما الإنكليز جاءت تساوم[1]
يعرض الإنكليزُ تاجاً عليه   فيقول: الحسين تاجُ العمائم[2]
أعرقُ المُعرِقين بيتاً وجاهاً   وسليلُ المُطهّراتِ الفواطم
لوّحَ التركُ للأمير بغُنمٍ   دونه في الغلاء مُنيةُ حالم

١ كانت قضية الخلافة العربية تشغل بال الانكليز . وقد عرض السر برسي كوكس الخلافة على الامير عبد العزيز قائلاً : « ان حكومة جلالة الملك تستحسن ذلك وتساعد في تحقيقه » . فأجابه : « لا ذوق لي بالخلافة واني لا أرى من هو أجدر بها من الشريف حسين » . وكتب الوالي غالب باشا والي الحجاز الى الامير بما مؤداه : « انك تعلم بأعمال الشريف، وأنا الآن أزيدك علماً انه يفاوض الانكليز وهو على وشك ان يخون الدولة ويفتح لاعدائها الحرمين، فاذا قدمت الى الحجاز أسلمك الحرم وأساعدك بكل ما لديّ من قوة» فأجابه : « اني والحسين يد واحدة » . (ت . ن .)

٢ تضمين الحديث العمائم : تيجان العرب .

مغنمٌ تشخَصُ القلوب اليه والى طيبه تخفُّ البَلاعم
يَفْتِنُ الأرفعينَ بُعداً عن الدنيا ، جدا خيره الأبرّ الدائم
إمرةُ الأشرَفينِ ، يثرِبَ والغَرَّاء[1] ، مهدِ النبيِّ ، أمِّ العواصم
يحسد البدرُ أمّه الشمسَ فيها فَيُحلِّي رِمالها في المواسم
لا ! أجابَ الأمير فالسبط أولى واحدٌ نحن لا مجالَ لقاسم

• • •

لا يصحُّ الميزانُ شطرين شطرٌ وادعٌ حين صِنوُه في الغمائم
كفّةٌ ترفض المقاييسَ تغدو في الأعالي رهينةً بالنسائم
ويُحَبُّ العظيمُ جاهاً وخُلقاً ويُعادى مستأثراً مُتعاظم
لَعِبَ الزهوُ بالمليك ، فكان التاجُ صنّارةً بحلْق الطاعم
وأتمَّ النُضارُ ما بدأ المُلك ، فتاهَ الشريفُ بين المَناعم
الهدايا من المحِبّينَ لا تُحصى ، فكلُّ الدولات باتت هوائم[2]
من بَريطانيا تغارُ فرَنسا وينال الشريفُ من كَفِّ حاتم

---

١ الغراء : مكة . ٢ كانت الخلافة الطعم الألذّ في الصنارة التي رماها الانكليز على شاطىء جدّه فالتقفها الشريف حسين وكان عظيماً في الارض مليكاً في مكة خُليفة في عمان أسيراً في قبرص ! وكان ابن سعود في الارض حكيماً . وقد أخذت فرنسا تخطب ودّ الشريف حسين اقتداء بانكلترا . وطفقت جريدة القبلة جريدة الشريف تهلل له باعتباره ملك العرب والمنقذ الاكبر وضجت بذكره أندية أوربا . ولكن الملك حسين لم يستطع استمالة العرب كما توهمت انكلترا فأنفقت ملايينها بدون حساب . (ت . ن .)

ولا ينكر ان الشريف استمال عدداً ضئيلاً من القبائل وقد كان الفضل الاكبر في ذلك لابنه الامير فيصل يساعده الداهية الكولونيل الانكليزي لورنس . وكان فيصل، الذي صار فيما بعد ملك العراق على جانب عظيم من الذكاء والسخاء والمرونة السياسية وبُعد النظر في الامور وهو من اولئك الافراد النوابغ الذين يزدان بهم تأريخ العرب . (المؤلف)

مَلِكٌ في الحجاز سبطُ رسول الله، فلْتُحْمَلِ الهدايا تَوائم
حسبوا العُربَ في الجزيرة أشتاتاً، فنعمَ البَصيرُ للعقد ناظم
حسبوه في الغرب مُلتفَتَ الشرق، وفرّاجةَ الزمان الآزم
يجذب الهندَ إنْ يُلوِّحْ بطرفٍ ويسوق الأعرابَ سوقَ الخوادم
وتناسوا أنَّ الأنامَ قلوبٌ لا مطايا لِراكبٍ أو سوائم
أنّهم رغم فاقـةٍ وغباءٍ ما تخلّوا عن فارقات الأوادم
أنّه الرأسُ ليس يُفلح شمَّاخاً، ضئيلَ السماح، أصيدَ جاهم
أنّه الجود يملك الناس مهما أنكروه، ويستميل البهائم
أَنَّ بعض النبات يشعرُ بالرفق، ويربدُّ عند لطمة لاطم
فتغصُّ الأوراقُ بالآهة الخرساء، لو يفقهُ الكآبة ثالم
لا يُحال الإلهُ، في جنّة الخلد عبوساً، بل دافقَ الخير باسم
وعسيرٌ أن يعبدَ العُربُ ربّاً خُلْدُه غير حافلٍ بالولائم
شرَفُ الأصل ليس يُشبع جوعانَ، فما يُحسن الجهادَ الصائم
كيف يسخو عند الطعان كميٌّ عارضاً صدرَهُ لرمحٍ قاصم
ومليكُ النُضار ضنَّ عليه بابتسامٍ، أو بابتسام دراهم
كلُّ عبءٍ يطيقه الناسُ إلّا الشحُّ، فالناس أعبدٌ للمكارم
وتراهم كالطير، في شدّة القيظ، على المشرع الغزير حوائم
شرَفُ السبط ليس يُغني عن الجود، فمجدُ الألقاب أحلام واهم
ليس تُغني جريدة «القبلة» الغرّاء عن قلب حاتميٍّ راحم
إنما يبدع العظائمَ فعّالٌ، فما بالكلام تُؤتى العظائم

ولو انَّ الأقوال تخلقُ أبطالاً، لباتَ القَصَّاصُ باري الصَلاهِم[1]

سُمِعَتْ صرخةُ الجريدة في الغرب، وطارت على الأثير التراجم

حسبوها الوحي المُنَزَّلَ لولا أنَّ جدَّ الشريف كان الخاتم

. . .

ودرى الإنكليزُ من بعد لأيٍ أنَّ ذاكَ الصدى، وتلك الزمازم

كَحَباب المياه فوق غديرٍ وانتفاخٍ في وجه أبرَصَ وارِم

أنَّ ما أمَّلوهُ من عسكرٍ مجرٍ، ولُقيا سنابكٍ ومَناسم

بارقٌ خُلَّبٌ، وأنَّ حُسيناً لم يُثِر للجهاد غيرَ شراذم

ساقَها فيصلٌ، وكان حليماً لا شَموخاً ولا على الآل عائم[2]

كان شهماً يمحو تِراتَ سواه ويُذرِّي على الجراح البلاسم[3]

ويباري «لورَنسَ» في ستر أخطاءٍ، وتوطيد مائلات الدعائم

فيصلٌ كان ما يشاء نبوغٌ من نفاذٍ، ومن حواشٍ نَواعم

يطمئنُّ الذكاء ما بين جفنيه، ويستأسرُ الجليسَ المُكالم

كُلَّما ثلمةٌ فَجاها سواهُ سدَّها فيصلُ اللبيب العالم

هادئ الطبع، واسعَ الحلم، مِلْساناً عليماً بالبيِّنات الحواسم

. . .

---

١ الصلاهم : الأسود والمقصود ان القصّاص الـذي يسلّي الناس بحكايات السباع كان يستطيع خلق الأسود لو كان الكلام عن الشيء يوجده . ٢ الآل : السراب . ٣ الترات مفردها ترة مصدر وتر وهي إصابة الغير بمكروه او انتقاص حقه .

أَجزل الإنكليزُ مَهرَ عَروسٍ لا طَلاقٌ، ولا مفرٌّ لنادم
هم تَعاموا عن كلِّ خَودٍ سواها وَهْيَ تاهتْ بزينةٍ وخواتم
وتعالَتْ حتى تراءى، لِعَينيها ذُباباً، سربُ النسور القشاعم
مَنْ سُراةُ الإِسلام؟ ما ابنُ سعودٍ؟ تَبَعٌ حول عرشها والقوائم
يتلقّى الكتابَ منه حسينٌ فيُجازي ألطافَه بالشتائم
إذ يقول الأَميرُ: لَبَّيْكَ إنَّا لك جندٌ، وفي يديكَ صوارم
تحت أعلامك السنِيَّةِ نمشي ونُوالي من تبتغي ونخاصم
إخوتي في ظِلال بَندِكَ، إن تَأْمرْ، يجودوا بأَجْنُحٍ وغلاصم [1]
ولْيُقاتِلْ من دون عرشك أولادي: سعودٌ وفيصلٌ والضراغم
ويليهم محمدٌ وابنُ جَلْوي كلّهم في الوغى هصورٌ ضُبارِم [2]
غفر الله ما مضى من جفاءٍ وأعادَ الآفاقَ غرًّا بواسم
لا تكون التخومُ حدَّ اختلافٍ ولأنتَ الجارُ النبيل المُتاخِم
سَوِّها بالتي تشاءُ، فكلُّ الأَرض ما عادلَتْ صديقاً باسم [3]
زَمْجرتْ «قِبلةٌ» الشريف وردَّت بسِبابٍ كطعنة الرمح آلِم
حسدٌ صيَّر الحروفَ ضِراماً وقِلًى كان مزمناً مُتراكِم

---

[1] أجنح مفردها جناح وهو من الانسان اليد والإبط والعضد والجانب. والغلاصم مفردها الغلصمة وهي اللحم بين الرأس والعنق.   [2] الضبارم: الأسد.   [3] دخل الشريف الحرب ضدّ الاتراك وكان ابن سعود ينوي مساعدة الشريف فكتب اليه ما ملخصه: «يا حضرة والدي اننا واياك في هذه الحرب وثمرتها لنا ولك فقد مشت عربانا وعشائرنا، عملًا بأوامرنا الى مساعدتكم، ولكني أبغي اكثر من ذلك، واني مستعد أن أرسل اليك أحد اخوتي او اولادي ليحارب مع اولادكم، وفي ذلك الفوز الاكبر ان شاء الله. قد يكون بيننا وبينكم سوء تفاهم في الماضي فلا بد إذن من التفاهم والتأمينات وذلك بأن تحدد الحدود بيننا وبينكم فتزول الشكوك وتضاعف من أهل نجد المساعدات.» (ت. ن.)

غضبةٌ دونها السماءُ اذا سَحَّتْ، ومدَّ الإعصارَ ليلٌ داجم

أو هديرُ السفوحِ، في ثورة البحر، يُغَطِّي صخورها ويصادم

السطور العجفاءُ جوفاءُ إلّا من هشيمٍ يَبْسٍ، وقفرٍ جاحم

تهمةٌ بالجنون لابن سعودٍ أو بسكرٍ قال المليك الناقم[1]

ساءَهُ ابن السعود يأتي نصيراً ودّه ان يكون عبداً خادم

عوَّدتهُ الدهماءُ ألّا يرى أنفاً عزيزاً، بل كلَّ أنفٍ راغم

أُيوري عن حقِّه بتخومٍ وحقوق وَضّاحةٍ ومعالم

يملك النسرُ حيثُ مدَّ جناحاً فالأَراضي رهينةٌ بالقوادم

كلّ أرضٍ ملكُ الشريف مُشاعاً أينما حطَّ لحظَه فحارم

ملكهُ حيثما ترودُ الأماني حسبه التوقُ أو خيالٌ حائم

دونَهُ سُدَّةُ الحجاز مقاماً فعلى مثله تضيق العوالم

وَدَّ عبدُ العزيز لو يُنطقُ السيفَ، جواباً يمحو شتيمةَ شاتم

ليس مثل الحسام يجلو ارتياباً ويُنقّي من الغرور الجماجم

فثناهُ «برْسي» اتّقاءً لِنيرانٍ تصيب الأحلافَ قبل المخاصم[2]

ضامناً للأمير عصمةَ نجدٍ من شريفٍ أومن لدودٍ مُزاحم

فأجاب الأمير للسلم إلّا أن تُثيرَ الحسينَ نهمةُ ناهم

---

[1] عندما وصل كتاب ابن سعود للشريف زمجرت جريدة القبلة والديوان الهاشمي ومما قاله الملك حسين: «إما انك سكران يا ابن سعود وإما انك مجنون الخ ...»

[2] اجتمع الامير بالوكيل البريطاني في البصرة السر برسي كوكس وبعد أن أطلعه على كتاب الحسين قال له: «لا تكترث به نحن ضامنون استقلالك ونتعهد بأن لا يتعدى عليك الشريف او غيره. وأنت تعلم أن اي حركة على الشريف اليوم هي علينا ومساعدة لاعدائنا واعدائك» وقد ألح عليه في هذا الاجتماع ان يعطيه جواباً قاطعاً ان لا يكون بينه وبين الشريف محاربة فوعده بذلك على شرطين أولهما ان لا يتدخل الشريف في شؤون نجد، والثاني ان لا يتكلم باسم العرب ويدعو نفسه ملك العرب. (ت. ن.)

قائلًا لست من يخاف خصيماً   كَبُرَتْ نجدُ عن لُهاة اللاقم

فهْي في السلم نفحةٌ من عَرارٍ   وهْي في الحرب شوكةٌ في البَلاعم

فازدِرادُ القتاد أيسرُ منها   والثعابين دونها في الخياشم

كلُّ كهفٍ لِمَنْ بها رامَ شرًّا   هو خدرٌ، أو منبتٌ للأراقم

لست أخشى من ضمّها لحجازٍ   ولقد يصبح الحجازُ المَغارم

ما الشريف الحسين بالمالك العُرب، ولا العُرب للشريف سَلالِم

حسبه التاجُ في الحجاز، فأمّا العُربُ فالدربُ حافلٌ بالصلادم[1]

ومن الخير للذي حَلَّ غاباً   أن يُداري المصورَ ما دامَ آجم

. . .

دُحِرَ التركُ فوق كُلِّ صعيدٍ   وتولّى الألمانُ بعد هزائم

أسلَمَ الترك «يثرباً»[2] بعد وقْفِ الحرب، للقائد الشريف القادم

لم يُحارِبْ فغيرُهُ أحرزَ النصرَ، وقد كان فوزُهُ في الغنائم

ليس إلّا أن يقطفَ الكرمَ، لا الأشواكُ تُدمي، ولا الدَوالي تقاوم

خيرُ ما أبدَعَتْ عَباقِرُ «برلينَ» سلاحاً، وما أفاضت مَناجم

١ الصلادم: الصخور. ٢ استمر الحصار في المدينة ثلاث سنوات ولم يسلم فخري باشا إلا بعد إعلان الهدنة بشهرين اي في ١٥ يناير سنة ١٩١٩. وبعد ان سلمت المدينة كتب الامير عبد الله بن الملك حسين الى امراء العرب يخبرهم بذلك وأرسل الى ابن سعود كتاباً ومما جاء فيه: «ان الله فتح لنا ابواب مدينة خير البرية، وان حاميتها قد أسرت واستولينا على جميع ما فيها من السلاح الثقيل والخفيف وجميع الاملاك والآلات والادوات. ولا يخفى على مداركم بأنه لم يبق، والحالة هذه، شاغل ما يشغل حكومة صاحب الجلالة، أدامه الله وأيّده، عن الالتفات لإصلاح داخليتها وشؤونها والتنكيل بمن يسعى للافساد والتخريب من العشائر التابعة لها والسلام عليكم ورحمة الله.» (ت. ن.)

صارَ للقائد الذي بَشَّر الدنيا بفتحٍ بِكْرٍ، وسيفٍ صارم
معلناً للورى مَناعةَ عرشٍ هاشميٍّ جوانباً وقوائم
منذراً بالفناء من رامَ حرباً واعداً بالبقاء حلفاً يُسالم
ببيانٍ كقِمَّةِ الطور عاتٍ وأداء كملمَسِ الخزِّ ناعِم
وتلقَّى عبدُ العزيز خطابَ الفتح والودَّ بالجواب المُلائم
بالتهاني ونيَّة السلم والإعظام للسادة الملوك الأكارم
الألى يبدؤونه بِوَلاءٍ فَيُنَسُّونَه زماناً عاتم
«لا تكون الحدودُ «تُرَبَةُ» و «الخرما» مثاراً لجفوةٍ وَسخائم»[1]
كَلِمٌ كالصَبا صفاءً ولكن خلفها كانت الرياح السمائم
نَبأٌ جاء للأمير بأنَّ الناعمَ القول، عن قريبٍ مُهاجم
أَبنانٌ تخطُّ سَطر ولاءٍ؟ وَبنانٌ تسنُّ سيفاً حاسم
جلَّ عن وصمة الخديعة عبد الله، لكن توَهَّمَ السلمَ واهم[2]

---

١ أجاب ابن سعود بكتاب تهنئة على فتح يثرب ودعاه للتفاهم بخصوص العشائر وأكّد له انه لا يبقى غير السلم . وتبودلت الكتب الودّية . ومما جاء في أحدها قول الامير عبد الله لابن سعود : « اني أخوكم الصادق ومستعد لمساعدتكم بما تأمرون . ولا يجوز ان يفرق بينكم وبين والدي أمور البادية التي لا أهمية لها . وكيف يمكن أن يحدث خلاف بين رجلين كبيرين بخصوص تربة والخرمة والبادية ؟ ها أنا متوجه الى مكة، فأرجوكم ان ترسلوا أحد رجالكم، وإن ارتأيتم أن يكون أحد أنجالكم فذلك أولى . وانا كفيل النجاح بحسم الخلاف والاتفاق مع سيدي الوالد » . ولكن احد تجار القصيم الذي كان في الحجاز جاء يخبر عبد العزيز ان الامير عبد الله يتأهب للزحف الى تربة . ثم جاء آخر يؤكد ذلك فراسل الانكليز في الامر فنفوا صحة الخبر ثم انقطعوا عن الجواب . (ت . ن .)

٢ قال الاستاذ الريحاني في كتابه تأريخ نجد الحديث الذي نأخذ عنه اكثر ما نأخذ كما ترى في الهوامش، ان الامير عبد الله حدثه فقال : «لم يكن من رأيي مهاجمة تربة وقد حاولت أن أقنع جلالة الوالد بالعدول عن عزمه . ولكني كقائد الجيش الهاشمي مطيع لأوامر مولاي حتى اني كتبت له بعد أن تذاكرنا في (عشيرة) ولبثت في (البُديّع) أنتظر جوابه فلم يكن غير الامر بالزحف .

صادقاً كان في التجاوز عن «خَرْما» وعن «تُربةٍ» وشرٍّ نائم
بيدَ أنَّ الوليّ كان أباه وإلى الجذع تستجيب البراعم
لا نقاشٌ مع الحسين، فأمرُ المالك الأَمر كالمنيَّة جازم
آفةُ الرأي أن يجيءَ فطيراً ويُولّاهُ مستبدٌّ حاكم
ما اطمأنَّ الأمير للقول معسولاً، ولا غرَّه صباحٌ باسم
«إِعقِل النوقَ يا فتى وتَوكَّلْ» كلماتٌ كمثل طه يتائم
السرايا بإمرةِ ابن «بَجادٍ» تدفع الضيم إن تُفاجأْ بِضائم
حولَ «خرما» و«تُربةٍ» تصرف العدوان، إن هَمَّ بالوقيعة هاجم

...

بانَ جمرُ الرماد وانكشف السرُّ فجيش الحسين للبطش قادم
لا جهولٌ بقصده غيرُ أعمى أو أَصمٍّ أو أَكْمَهٍ مُتصامم
ركزَ البندَ في «البُديعِ» خفّاقاً، فشالَتْ ذُؤَابتيهِ النياسم
وِهمَ القائدُ المُسيِّرُ أنّ النجمَ للبيرق المظفَّر لاثم
«حَضَنٌ» دونه، ويا رُبَّ طودٍ يبعث المرءَ «عنتريَّ» العزائم

---

١ جاء أحدهم يستشير الرسول ﷺ قائلاً ؟ «أأرسل ناقتي وأتوكل على الله»؟ فقال: «إعقلها وتوكَّل».

٢ جهَّز الامير سريَّة مؤلفة من ألف ومئتي هجّان بقيادة سلطان بن بجاد أمير الغطغط، فأمرها اذ ذاك بالسير الى الخرمة وتربة للمحافظة على أهالي تلك الناحية. وأمر ابن بجاد والعالم المرافق السرية بأن تكون خطتها الدفاع لا غير. ولقد مشى الامير عبد الله بجيشه المؤلف من سبعة آلاف مقاتل المجهز بالعتاد الهائل، الذي أخذه من الحامية التي استسلمت في يثرب، من (عشيرة) الى جبل (حضن) الفاصل بين نجد والحجاز وخيَّم هناك في مكان يُدعى (البديّع) فلم يبق من ريب بأنه زاحف الى تربة والخرمة لتأديب العصاة الذين اعتنقوا الوهّابية وانتموا الى ابن سعود حتى الاشراف منهم، وعلى رأسهم الشريف خالد بن لؤي أمير الخرمة. (ت. ن.)

ولَقد تورِثُ الجبالُ دُواراً وتُجدُّ الأَحلام لِلمُتَشائِمِ

. . .

الأميرُ العزيزُ نصَّ كتاباً لا نذيراً، ولا مروعاً مُساوم
ذكَّر الهاشميَّ عهداً قريباً ووعوداً شبه الورود النواسم[١]
قال: يا ناشدَ السلام رويداً ما مَراميكَ للصفاء رَواسم
أتعِدُّ العِقْبانَ للبطش آلافاً؟ وقد كنت واعداً بالحمائم
إن صديقاً فنحن أبقى وفاءً وكلانا مُصوَّن العرض سالم
أَو عدوًّا فلستُ أخذلُ «إخواناً»، وما «تربةٌ» زُجاجاً لحاطم
أهلُ نجدٍ، وأنت أدرى بنجدٍ لا خِرافٌ، ولا قطيع نعائم
فاتّقِ الله في العباد ونكِّبْ عن سبيل العدوان ان كنت راحم

. . .

واستشاطَ المجيبُ، أنَّ على الغبراء نِدًّا، اذا استُفِزَّ يُقاوم[٢]

---

١ كتب الامير عبد العزيز الى الامير الهاشمي كتاباً جاء فيه: «قد تحقق عندي خلاف ما اخبرتني به سابقاً اي انك عائد الى مكة المكرمة، والظاهر انك مهاجم تربة والخرمة. وذلك مخالف لما ابديتموه للعالم الإسلامي عموماً والعربي خصوصاً. واعلم رعاك الله أن أهل نجد لا يخذلون إخوانهم، وان الحياة في سبيل الدفاع عنهم ليست بشيء. نعم وان عاقبة البغي وخيمة. خير لك إذن ان تعود الى (عشيرة) وأنا ارسل اليك أحد أولادي او اخوتي للمفاوضة فتتم الأمور على ما يرغب فيه الفريقان ان شاء الله.»

٢ فأجابه الامير عبد الله بكتاب طويل ومما ورد فيه: «اما قولك ان الناس نفروا جميعاً لحربنا إناثهم قبل رجالهم فاذكرك بقول الله تعالى ... فان جاؤونا (اي عرب برقة الروقه الذين أنذرهم) بنية حسنة فنحن لهم وهم لنا يا عبد العزيز قبل ان ينزل اجدادك بنجد، وإن بقوا فلكل باغٍ مصرع وان الله مع الصابرين. وتأمرني بالرجوع الى ديرتي من أرض هي لأبي وجدي. ومتى كنت تمنع الناس عن ديرتهم جزيت خيراً. ولكن هل تذكر أن رجلاً من قريش ثم من بني عبد مناف، ثم من بني هاشم جده الرسول وعلي ابن ابي طالب يقعقع له بالشنان ويروع بمثل هذه الاقاويل؟ وان كنت تنوي الخير للمسلمين كما زعمت فاردد الذين أمرتهم ببيع مواشيهم وبنيت لهم الدور، (يريد الهجر) وأخلِ انت مكانك الذي وصلت اليه (وانحر) وعد الى ديرتك، ولك عليّ ألا أمسّ احداً من أهل نجد بسوء. (ت. ن.)

أبنجدٍ أجاب: توعدُ مثلي وأنا ابن الأسياد، نسلُ لضياغم

نسبي عِترَةُ الرسول وجدّي خيرُ من قلّبَ الظُبى واللهاذم

العُلى تردهي بذكرِ عليٍّ سيف طه والعبقريّ العالم

سيفه ذو الفقار، إمّا دعوناه، يَجُدْنا بعُوذةٍ وتمائم

أبنجدٍ تروعني؟ وتودّ السلمَ صوناً لحرمة ومراحم

ناصحاً مشفقاً تخالُ اليتامى بيننا تقتفي دموعَ الأيائم

لا تُغرِرْ بأهل نجدٍ كفاهُمْ بِدَعٌ منك، أو تمدَّنْ هادمِ

الأُلى سُمتَهُمْ فراقَ مواشيهم، فيا حرقةَ العُيون السواجم

تُنشِئ الدور والقبورَ، وقاك الله مما زرَعْتَهُ من جرائم

لا تُحاوِلْ من الحجاز اقتراباً وأقِلْهُم من فتنةٍ ومآتم

نحن أبناءُ من نسيت فمنّا باقرٌ ثم جعفرٌ والكاظِمُ[1]

نحن أهل النُهى فإمّا تثِرْنا لقتالٍ فنحن أهل الملاحم

• • •

كان في «تربةٍ» و«خرمةَ» أشرافٌ، على غير منهجٍ ومراسم

لابن عبد الوهّاب ودهم وازاحوا من حسين عبئاً على الصدر جاثم

فاقتدوا بالشريف، بابن لؤيٍّ خالدٍ رافع اللواء المخاصم[2]

---

١ محمد الباقر وجعفر الصادق وموسى الكاظم: أئمة ثلاثة معصومون في رأي الإمامية الاثني عشرية. واول الأئمة المعصومين عليّ وآخرهم المهدي المنتظر.

٢ كان أمير الخرمة الشريف خالد بن منصور وهو من بني لؤيّ. وكان من المتصلّبين بالسلفية. وقد سبق لجلالة الملك حسين أن زج به في السجن. ولكنه غطى هذه الإهانة برماد النسيان وراح يساعد الامير عبد الله في حصار المدينة. وهناك حدث خلاف بينه وبين الامير وتكررت الإساءة التي لا مجال لذكرها. فتكلم خالد منذراً فغضب الامير وصفعه بيده، فسفّى الرماد عن الثأر الاول والتهب مقروناً بالثأر الثاني. (ت. ن.)

إن تَناسى من الحسين ظُلاماتٍ وسجناً كعتمة البغض قاتم
كيف ينسى من نَجلِهِ صفعةَ الذلّ وفي جَنبها تهونُ المآثم
ولَئِنْ يُصفَعِ الكريمُ فخيرٌ أن يوارى بين العِظام الرمائم
لطمة الخدّ أو إشارة لطمٍ دونها في الأَذاة بَترُ الحلاقم
عزّةُ المرء ذلّةُ الصفع تمحوها وتبقى في الخدِّ وصمةَ واصِم
صفعة «الخالد» الشريف استحالت جمرة الثأر في يمين الحادِم

. . .

ما أطاق الحسينُ غضبة حُرٍّ إنّما الحرّ عنده شرُّ آثم
وبَريءٌ من يلثم القيد بسّاماً ويرضى عن السياط القواصم
أَيثُورون للكرامة؟ يا لَلْخطب فَلْيُمْسحوا كأَرقام راقم
خارجيّونَ أهل «تربةَ» و«الخرما» فما من حسامه العضب عاصم
«مالكٌ» يدفع النفوسَ الى النار وتبقى للفاتحين المغانم[1]
ويهزُّ الجزيرة النصرُ من بغداد حتى الدهناء حتى الحضارم[2]
يعلم الشرقُ أنَّ صمصامةَ العُرب المليكُ الحسين دوحةُ فاطم

. . .

مهّد البدو للغزاة بختلٍ فَتَحَ البابَ للمُغير المُداهم

١ مالك : خازن النار . ٢ الحضارم : مفردها حضرمي في النسبة الى حضرموت .

جاء جيرانٌ «تربةٍ» عَربُ «البَقُّومِ» في زيّ أصدقاء أكارم[1]
«نحن جيرانكم وللجار حقٌّ» سرمديٌّ كالظِلّ ضربة لازم
«نحن نَفديكمُ فهاتوا سلاحاً» واشهدوا نخوة الصِلاب المَعاصم
«أنزِلونا حُصونَكم فنصدَّ الجيشَ حتى تنحلَّ عزمةُ عازم»
أنزلوهم ومَكَّنوهمْ فصاحوا: ليس إلّا الشريف للناسِ حاكم
وَصحا الناس كالنَشاوى من الخمرِ، وظُنَّ النداء كابوسَ حالم
فَتراهم ما بين جَلْدٍ ومذعورٍ وفسلٍ مُتعتَع الحس هائم
بين لحظٍ ومثلهِ انقلب الأصحاب لُدًّا، والذائدون أراقم

---

[1] كان الامير عبد الله قد استخدم بعض عربان البَقّوم في جبل حضن ليدخلوا تربة مدعين انهم جاءوا يحذرون أهلها من الامير ويستنهضونهم لمحاربته. بل قالوا للمدافعين انهم جاءوا يدافعون معهم فأنزلوهم في الحصون مع من تحصنوا فيها فما لبثوا ان انقلبوا عليهم فاستولوا على اسباب الدفاع وصاحوا بالناس: الملك للشريف. (ت. ن.)

نشوة الظافر

دخلَ الجيشُ «تربةً» بارتياحِ أنقذتهُ دسيسةٌ من كفاحِ
أيْسَرُ الفتحِ أن تبثَّ الجواسيسَ فتَغشى الحصونَ بالمفتاح
ذلك النصرُ كان نزهةَ سُيَّاحٍ، فلم يَقترنْ بمجد السلاح
لم تُسَلِّ السيوفُ إلّا لإرهـابٍ، وإخماد نقمةٍ بِذَبَاح
إذ تنال الشِفارُ فرسانَ تجويدٍ، وأبطالَ مَتجرٍ ورَباح[1]
من شيوخٍ وبعض تُجّار نجدٍ عَمِيَتْ نقمةٌ فكانوا الأضاحي
عُزّلٌ آمنونَ جُمُّ النَواصي لا ذئابٌ، ولا كِباش نطاح

. . .

يا لها ساعةً «بتُربةَ» كان العارُ إبّانَها طليقَ السراح
ندَّ جُندُ الأمير عن أمرِ مولاهُم، وأعيا الشريفَ كبحُ الجماح
بجرف السِدُّ بانيَ السدِّ إمّا يُزْبِدِ البحرُ في عصوف الرياح

[1] التجويد : من جوّد في القراءة اي أعطى كل حرف حقه من اللفظ بموجب أصول معهودة والمقصود هنا قرّاء القرآن الكريم .

والشراعُ الشريدُ، في جِنَّة الأنواء، يَعصي إرادة المَلّاح

يا لَها ساعةً «وتربةُ» فيها جَزَرٌ تحت أخمص المجتاح [1]

كلَّ شيءٍ أباحَهُ الجندُ إلّا عَملَ الخير، ظلَّ غيرَ مُباح

ربَّ حسناءَ، من سَنا الصبح تستَحْيي، فتُرخي الحجابَ، دون الصباح [2]

زهرةٌ تُؤثرُ التستُّرَ بالكِمِّ، وتخفي من حسنها الوَضّاح

يَبِسَتْ قبلَ أن تشاهد نوراً بين نَتْنِ الهوى، وفُحش الإباحي

مأتماً كان للفضيلة ذاكَ اليومُ، فاغرَوْرَقَتْ عيون الأقاحي

الورود البيضاء سِيّانِ، في الخطب، وطهرٌ سَلَبتهُ من ملاح

إنَّ وِزْرَ الإفناء من دون حقٍ فوقه في العقاب وِزْرُ السفاح

. . .

قُبَّةُ النصر، تحتها جَلَس المنصورُ، يُفشي زئيره في الضواحي

فتخُطُّ الأقلامُ أنباءَ نصرٍ ويُدوّي صريرُها من فَلاح

القراطيسُ دونها مشرقاتٌ كخدود الأبكار في الأفراح

الرسالات لألأَتْ في البوادي تائهاتٍ من غبطةٍ ونَجاح

عجباً للطيور، كيف تَوانَتْ؟ عن أداء التبشير للأدواح

---

١ والجزر مفردها جزرة وهي كل ما أبيح للذبح . ٢ دخل الامير عبد الله ظافراً فوزّع جيشه في جوار تربة وحولها . وكانت ساعة لرجاله إباحيّة فنهبوا البلدة وأفسدوا فيها ما شاءت الشهوات والأهواء . وقد أمر في ذلك اليوم بقتل بعض المشايخ واثنين من التجار النجديين وبمصادرة أموالهم . ثم كتب من مخيّمه في الجهة الغربية الى رؤساء البادية في تلك النواحي خصوصاً في (رِنْيَة) يخبرهم بما حل في (تربة) ويهددهم بمثل ذلك اذا كانوا لا يجيئونه طائعين . (ت . ن .)

بهديلٍ يهزُّ أغصانَها بَهجاً ، فيُغني الأُملودَ عن إفصاح

. . .

بعثَ القائدُ الأميرُ بياناً هزَّ شُمَّ الرُبى، ودُمْثَ البطاح
ذكَّرَ الناسَ « خالداً » بعد « يَرْموكٍ » ، وبأس المُظَفَّرِ « الجرَّاح »[1]
حمَّلَ الحرفَ ، ما أطاقَ من البشرى ، بمَنْعَى « خوارجٍ » واكتساح
غسلَ الكفرَ بالدماء فطابَتْ تربةٌ لامستْ يدَ الذبَّاح
وانتَشَتْ نشوةَ المُدلَّهِ بالخمر ، الوَلوعِ الفؤادِ بالأَقداح
من حسامٍ على « الخوارج » مسلولٍ ، فطوبى لِحَدّه الرشّاح
نحن سِبْطَ النبيِّ — قال أميرُ الجيش — نور الهدى ، ونجم الصلاح
قد محونا أهلَ الأضاليل والزَيغِ ، كما يطلع النهارُ الماحي

[1] إشارة الى خالد بن الوليد في موقعة اليرموك، وابي عبيدة بن الجراح القائد المشهور الذي ولّاه عمر ابن الخطاب مكان خالد. ومما يؤثر من رسائل الامير عبد الله التي بعث بها الى الزعماء قوله : « باسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين الحسين بن عون الى المكرم فيحان بن حامل . اما بعد فاني احمد الله اليكم ثم اخبرك بأنا وفقنا الباري سبحانه وتعالى فاطفأنا نار الخارجة التي في تربة ومزقناها كل ممزق وضربنا أعناق أرباب الزيغ والنفاق ومن جلتهم (الطعامة) وابن (مُسيَّب) نزيل قريتكم . وان هـذه الفتنة التي أثارها خالد ابن منصور ، (يقصد الشريف ابن لؤي) بلا لازم ينعاه ، او حق يطلبه ، وأدخلكم فيها نأمركم بتركها والإسراع بالركوب الينا ، وكفّ كافة (سُبيع) أهـل (رنية) بدو وحضر عن الاستمرار فيها ، ونأمركم بجلب شيوخ الزكور (قبيلة من القبائل) معكم الينا في ست ليال للاستئمان من سطوتنا . وان لم تفعلوا فسأميل ميمنة البيرق المنصور عليكم مستعيناً بالله تعالى ، مستنجداً عظيم قدرته ، ولا تكتم إنذاري هـذا عن كل صغير وكبير لاني سأسألك عنه حين لا تنفعك الندامة . »

وفي كتاب الى ماضي بن قاعد ومحمد أبرق يقول :

« ما خفي عليكم ما حلّ بتربة من ذبح الرجال ، وتدمير المال ، بعد أن طغى أهلها وبغوا . وانتم يا أهل (رنية) بدو وحضر إن ما كفيتم طوارقكم وركبتم اليّ في ست ليالٍ مع شريفكم ، وإلا حزمتكم حزم السَلَم ، وطردتكم طرد غرائب الإبل وعاقلكم يعلم جاهلكم . ولولا مشاري بن ناصر وغازي بن محمد لكان صباحي يسبق كتابي اليكم والسلام على من اتبع الهدى . » (ت . ن .)

أيها الُمنْذَرونَ هَيَّا إلى عفوي، فإن تُحجِمُوا أتاكم سلاحي
في يدي، كلُّ ما غَنِمتُ من الترك، لظى مِدفعٍ، وبيضُ صِفاح
لا يَقيكُمْ من الفناء سوى بَنْدي، فما للنجاة غيرُ اقتراحي
وَيلكمْ أهلَ «رِنيَةٍ» إن أبيتم فأويتم جهلاً إلى غير ساحي
لَترونَ الرؤوسَ تُرفَعُ آلافاً، ولكن على رؤوس الرماح
ذكرُكُمْ يختفي من الأرض إلّا صوتُ أنثى مُخضَّبٍ بِنُواح
أوْ يتيمٍ ضلَّ المرابع لولا صوتُ ديكٍ بدمنةٍ صَيَّاح
أَو مُواء السِّنَّورِ فرَّ من المو ت، وإعواء ناهسٍ نبّاح
ما هو النصحُ بل هو الأمر أمري واضحٌ منهجي كفجرٍ صراح
لا دهاءٌ ولا سياسةُ خَتَّالٍ، بهيمِ الأهداف، جمِّ المَناحي
كالأساطين من حكومات أوربَّا، هُواةِ التضمين والإلماح
يعلنون القتالَ بعدَ التَحايا ويداوون بلسماً بجراح
قرشيٌّ أنا، وعبدُ مَنافٍ لم يُسخِّرْ أنسالَه لمزاح
جِنّا الجدُّ حين نزأرُ فالأعداء طُعْمٌ لشفرة السَفَّاح
مهلتي للجواب ستّ ليالٍ كاملاتِ الأمساء والأصباح
إن أتيتم فقد أتيتم نميراً طَيِّبَ الوِردِ من مَعينٍ قَراح
أو أبَيتُمْ على الدمار استفَقْتُمْ وَغرِقتُمْ في أحمرٍ ضحضاح
كلُّ نذلٍ يناصرُ ابن لؤيّ لن يُؤاويهِ في الغداة سَماحي
ذلك الخارجيُّ ندَّ عن الأصل، وعن دوحة الكرام الصباح
مسلماً قلبَه لحالكِ ليلٍ صارفاً عينَه عن المصباح

واهباً سمعه لنعبِ غُرابٍ معرضاً عن حمحمةٍ وصُداح
وَسَرَتْ هذه الرسائلُ، في البيداء، كالرعد مؤذناً باجتياح

. . .

حذّروه من صولةِ ابن «بجادٍ» وَ«لُؤَيٍّ» فصاحَ بالنُصّاح
«وَيْحَكُمْ تُوعدونني ببغاثٍ» وأنا المستهين بالتِمْساح
أيخافُ الذِئابَ من يقنصُ الأُسدَ، وتخشى الأَطوادُ رَجْعَ الصياح
إنَّ هذي الأَوشالَ أحقرُ من أن تستثيرَ الإِقدامَ في السبّاح
سوف أكفيهما نهوضاً لِثأرٍ وترى نجدُ في الغداة كفاحي
إن تكن «تربةٌ» كَفَتْ لِغُدُوِّي لست أرضى «بخرمةٍ» لِرَواحي
يقلق النسرُ في مَجالٍ قصيرٍ خُلِقَ النسر للجِواء الفِساح
إن يكن صومُنا «بخرمةَ» فالأضحى بظلِّ «الأحساء» والتفّاح
في ظلال «الرياض» يَزْدَوِجُ العيدُ ازدهاراً بطيبها الفَوّاح
مَبْسِمُ الجُلّنارِ يحنو علينا ويُدلّي من زهره الوَشّاح
قل لهم يا رسولهم، إنَّ عبد الله، نجلُ الحسين، رحبُ الطماح
سيرون الغداةَ خيلاً عِراباً يرجف السهلُ تحتها من ضُباح

١ كان الامير عبد الله قد علم ان السرية التي جاءت الى الخرمة اي جيش ابن بجاد وخالد قد مشت منها الى مكان يدعى القرنين وهو على مسير أربع ساعات من تربة فزوّد النجاب برسالة شفهية أيضاً: «اخبر الخوارج ومن التف حولهم في القرنين بما جرى. قل لهم اننا سنكفيكم مؤونة القدوم الى تربة. قل لهم ما جئنا تربة من أجل تربة والخرمة فقط سنصوم في الخرمة ان شاء الله وسنعيّد عيد الاضحى في الحساء.»
(ت. ن.)

ستخوضُ «الأفلاج» بعد «سُديرٍ» واردات مَنابعَ «الأَسياح»[١]

وتجوبُ «النفودَ» جردُ المذاكي وتندّي رمالَه بالصُّواح[٢]

فتشقّ السنابكُ الحمرُ أثلاماً، يُثرنَ الفضولَ بالفلّاح

. . .

وأتى حاملُ الرسالة «للقَرنين» في وجهه سِمات مَتاح

ريقُه جفّ من وعيدٍ وتهديدٍ، وتصعيد زفرةٍ، والتياح

فالتقاه «الإخوانُ» لُقيا يهودٍ يومَ حفُّوا بصاحب الأَلواح[٣]

أدركوا ما بِصَدره من وَجيبٍ طرقُه كان مُسهب الإيضاح

شقّ جيباً، وقصّ إنذار عبد الله، سيفِ العروبة الطمّاح

فاقشعرَّتْ جلودهم من هياجٍ وتلظّت عيونهم من طماح

وتقسَّتْ أضلاعهم فالحواني حدَباتُ السيوف والصفّاح

زعزعوا الأرض تحتهم من زئير صدَعوا الجوَّ فوقهم من صياح

من رُماةٍ يقلّبونَ زناداً وكُماةٍ عواسِلِ الأَرماح[٤]

وجديلِ الذراعِ جرَّد سيفاً راضياً عن فِرنده اللمّاح

ونجيدٍ يشدُّ سرج حصانٍ أكمتَ اللون مُستفزٍّ وقّاح

---

١ الأسياح مفردها سيح وهو الماء الجاري الظاهر في منطقة الأفلاج القريبة من الرياض فاعطتها ليلى واكبر قواعدها البديع الأحمر والغدار وسدير إقليم في نجد .

٢ الصواح : عرق الخيل .

٣ صاحب الألواح : موسى .

٤ عسل الرمح : اهتز .

أَهلَبِ الذيل، سائلِ العُرف والتحجيل، صُلبٍ محمحمٍ سَبّاح[1]
وتنادى «الإِخوانُ»: هَبَّتْ هبوبُ الخلد، أين الأجواد بالأَرواح
حيث يُكسَى الشهيدُ من سندسٍ خُضرٍ، ويُسقَى من طيّبات الراح
من أكُفّ الأبكار عُرباً وأتراباً، كديباجة الصباح الصاحي
صاغَهُنّ البديعُ من ألَقِ النور، وعطر الخميلة المفراح
هُنّ وحيُ الرؤى وطيبُ الأَماني ورفيفُ الشذا، وحلمُ الملاح
في ضمير الجمال كُنّ الغَدايا قبل أن يَدْحوَ البسيطة داح[2]
كُنّ فجر الأَعياد في خاطر الدهر، وفي الخلدِ مَغربَ الأتراح
كلُّ حسنٍ، في الأرض، ظلٌّ لما في الخلد من باهرِ الجمال الضاحي
أين أين «الإِخوان» يَلقَون دنيا الحقّ بدْلاً من عابر الأشباح
اللّهمّ: إيّاك نعبدُ صاحوا شهروا الحرب والسيوفَ المواحي
آيُ أمّ الكتاب مُفتَتَحُ اليُمن، إنِ الحربُ آذَنَتْ بافتتاح[3]
أمرُ عبد العزيز كان دفاعاً يوم كان الهجومُ غيرَ مُتاح
شأنُهُ في القتال ينأى عن البغي، ويخشى في دينه من جُناح

---

١ أهلب الذيل : مقطوعه . عندما وصل الرسول الى الإخوان احاطوا به مستخبرين فشقّ جيبه وأخبرهم بما جرى وبما فاه به الشريف فما كاد يُتمّ كلامه حتى صاحوا صيحة واحدة : «اياك نعبد واياك نستعين وهم يريدون الهجوم فسكن العالم والقائد روعهم» . قال ابن بجاد : «كيف نتجاوز أمر صاحب الامر فهو لم يأمرنا بغير الدفاع»، ولكنه كان قد نسي كتاباً آخر من ابن سعود وفيه يقول : «اذا علمتم ان الشريف تجاوز حدود تربة فاني آذنكم ان تفضّوا كتابه وتروا فيه رأيكم .» ما كانوا في حاجة الى استماع كتاب الشريف وقد سمعوا كلماته من فم النجاب . فصاحوا وهو يتلو الكتاب عليهم إياك نعبد وإياك نستعين هبّت هبوب الجنة أين انت يا باغيها . (ت . ن .)

٢ الغدايا : مفردها غديّة وهي اول النهار . ٣ أم الكتاب : الفاتحة .

ولقد أسرفَ الخصيمُ وجاز الحدَّ، لا لَوم بعدها لِلّاحي

«تربةٌ» أُبسِلَت، و«خرمةٌ» في ضنكٍ، فقصد الشريف كلّ النواحي

واستعاد الإخوان حُرّيةَ الرأي، وأضحى «سُلطانُ» طَلْقَ سراح

. . .

ركبوا للقتال، والشمس قد مالَت، فراراً من نورها الفَضّاح[1]

يَتنزَّون في السروج تنزّي أرقمٍ، في هَجيرةٍ فَحّاح

لو أتتهم صواعقٌ لتلقّوها بسُمر الرماح أو بالراح

وأتى منذرٌ يُحذّرُ عبدَ الله من هولِ غضبةٍ واكتساح

مخلصاً حالماً بحسن لقاءٍ وجزيل الصلات والأرباح

أسفعاً[2] لاهثاً مُشَعَّثَ شعرٍ حافياً، لفَّ أنجداً ببطاح

أقتلوه، قال الأميرُ فهذا النذل كلبٌ يمضّني بالنباح

بدويٌّ منافقٌ، أو يُريد المزحَ، ويلٌ للكاذب المَزّاح

جاءني كالسقام في حُلميَ الزاهي، مَنوعاً لغبطتي وانشراحي

بومةٌ تنذر الشريف بشؤمٍ انما البُومُ في الطيور القباح

أيُخيفُ الشريفَ بابن «لُؤَيّ» و«بجادٍ»؟ واخيبتي وافتضاحي

إن أكُنْ هاجعاً فما أقلقاني ألخفافيش لن تطولَ جناحي

---

١ مشى (الاخوان) قبل صلاة المغرب بساعة وهم مع من انضم اليهم الف وخمسمئة مقاتل . قال الراوي، وهو من أهل الحجاز، جاء الامير عبد الله في ذلك اليوم رجل من البادية يقول : تحذّر يا شريف المتديّنة في الخرمة هاجمون عليكم فغضب الامير وأمر بقطع عنقه . وفي رواية أخرى انه أمر (دُخناً) كبير عبيـــده بضربه فضربه حتى الموت . (ت . ن .)

٢ الأسفع : المتغيّر لون وجهه .

بَرَّحَ الضربُ بالنذير فأرداه، فكان الثوابُ خنقَ الصراح

كلّ من يلعب الغرورُ بعطفيهِ عَدوٌّ لحكمةٍ وانتصاح

لا يجيء البلاءُ من مُنذرٍ بالويل، يأتيك بالمقال الصحاح

آفةُ الحاكمين، في كلِّ عصرٍ خُيَلاءٌ وألسنُ المُدَّاح

دُمَّلُ العنق لا تُرَشُّ بماء الورد، أكْرِمْ بمبضع الجرَّاح

وقيعة تربة

غَرِقَتْ في سُدُولها الظلماءُ وتَراخى على البِطاح المساءُ
فيه من عتمةِ القبور، على القفر، ومن هَول صَمتِها أشياءُ
وكأنَّ المساءَ روَّعه الجيشُ، فخارت أنسامُهُ الشَّلَّاءُ
السَرايا حول الأميرِ صَناديدُ، فما إنْ تطوله الأرزاءُ
كلُّ قَرمٍ حصنٌ تقمَّصَ فولاذاً، فمن مُحكَمِ الحديد الكساءُ
ورِماحٌ كُعوبها مُوتَداتٌ مشفقاتٌ أن تبرحَ الغبراءُ
فارعاتُ السنان، صُمُّ الأنابيب، لُفوفٌ آجامُها الشجراءُ[1]
السياجُ المنيعُ دونَ أميرٍ حَرَمٌ لا يجوزُ فيه الهواءُ
فإذا يخطر النسيم اتِّفاقاً وَسَمَتْهُ بوسمها الخفراءُ
من عبيدٍ حولَ المُخَيَّمِ أيقاظٍ، فهم والدجى الضرير سواءُ
لا يلوح البياضُ لولا جَوادٌ فرَسٌ سَبْطَةُ الشَوى شهباءُ
ما عَلا مَتْنَها من الناس إلّا رائضُ الصافنات والأمراءُ
شُكِلَتْ بالعقال كيلا يضجَّ السهلُ من حافرٍ به خُيَلاءُ

---

١ اللفوف مفردها لِفٌّ وهو ما اجتمع من هنا وهنا .

رَبُّها القائدُ الأميرُ ، بحضن الليل أغفى ، تَحُفُّــهُ السرَّاء

في طمأنينة الملاكِ الذي يغفو ، وقــد كحَّلَ الجفونَ الهناء

ما يَهُمُّ الأميرَ والأُسدُ حُرَّاسٌ ، وفي ركبه العلى والثراء

ذَهبُ الإنـكليز ناءَتْ به البُعرانُ ، لولا ما يستثيرُ الغَناء

بالنُضار العجيب يقتدح الإنسانُ عزماً ، وتنشطُ العجماء

أَيَهُمُّ الأَميرَ (إخوانُ) فقرٍ ؟ وسعودٌ ، وقومُه الفقراء

آمنَ الآمِنينَ كان شريفٌ « لندنٌ » والدُنى له حلفاء

كلّ حصن لَدَيهِ «أبلَقُ» فردٌ ما دروعُ الكِنْديّ ؟ ما تَيماءُ[١]

عنده في المُخَيَّمِ الفَخْمِ « راهُو » في الصناديد ما له أكفاءُ[٢]

كان فذًّا به تُباهي فَرَنْسا يومَ نَخرُ المجالس الهيجاء

قائد الفرقة « الصَباحيَّةِ » الغرَّاء ، مَنْ ذكرهُ لديها حِداء

الأَساطير دونه فرطَ بأسٍ فالتغنّي بصيتِــه إثراء

. . .

ما يُهمُّ الأميرَ ؟ والفيلقُ الجرَّار ضاقت بِغَمرهِ الدقعاء

المتاريسُ والحصونُ مدى ما تَتَقَصَّــاه نظرةٌ فيحاء

من ضِخامٍ مَدافعٍ صُنع « برلينَ » لها إن تَثاءَبَتْ أَصداء

لو رآها عند المنام شجاعٌ لاعترَتْهُ من خوفه البُرَداء

---

١ تيماء : حيث قام حصن السمَوءل المشهور . والكندي : هو امرؤ القيس . ٢ راهو : كان ضابط الفرقة الصباحية وقد بلغت شجاعته درجة الاساطير . وقد كان ضابطاً في حرس الامير .

سَيَّجَتْها الضبَّاطُ من كلّ جنسٍ سَرَواتٌ بَواسلٌ قُدَماء
هُمُ والحربُ أصبحوا شبهَ إخوانٍ، فصحَّتْ مَودَّةٌ وإخاء
رافقوا التركَ في فلسطينَ والشامَ، ووراءتْ سيوفَهم سيناء
ما يَهمُّ الأَميرَ؟ من كلّ صوبٍ سَيَّجَ الدهرُ فاستتبَّ الوقاء
لِيَنَمْ فالرؤى تطوفُ بِعَينيه، فما في المنام إلّا الصفاء
«خُرمةٌ» في غدٍ تهشُّ لمرآه، وتمشي راياتها البيضاء
إن يكن «شاكرٌ» تقهقر عنها فهْو من كَسْرةِ الوكيل بَراء [١]
العقيدُ الأصيل يفعل ما قد عَجِزَتْ عن مثيله الوكلاء
هو نجلُ الحسينِ، ملءُ البرايا صيتهُ الفخْمُ، كالضحى وُضَّاء
اسمهُ السِحرُ، يجلب النصر قسراً طالما هَزَّتِ الورى أسماء
إنْ يكن «شاكرٌ» ضعيفاً، فعبد الله ما شابَ جيشَه الجبناء
هو سيف الله، الْمعَوَّذُ بالله، فحسبُ السيف الكريم انتضاء
نصبَ عينيه «خرمةٌ» ثمَّ نجدٌ ثمّ زينُ السواحل «الأحساء»
هو ماضٍ الى الأمام، مُضيَّ الشمس، لا نكصَ عندها، لا وَراء
في غدٍ «خرمةٌ» إذا لم تُسَلِّمْ وإلى ربِّها تحِنّ الشاء
وغطاريفُها تخفُّ عبيداً خلفهم أنجُمُ الخدور إماء
لَيُذيقنَّها دَمارَ «ثمودٍ» ليس يبقى الّا التراب الهباء

---

١ سبقت الاشارة الى الخلاف بين الامير عبد الله والشريف خالد بن لؤي والى غضبة الامير وصفعه خالداً بيده. وقد جاء خالد الى الرياض سنة ١٩١٧ يحذر ابن سعود من مساعي الحسين ونجله عبد الله ويستنجده عليها. وقد حدث في السنة التالية سنة ١٩١٨ ما حقق قوله لان الامير أرسل أربع حملات على الخرمة بقيادة الشريف شاكر، وكان نصيبها الفشل. (ت. ن.)

في غدٍ! أيُّها الأميرُ تَمَهَّلْ　　يفعل الله في غدٍ ما يشاء

. . .

بينما كانتِ الأماني رحاباً　　وعلى غَمرِها يرفّ الرجاء
كان جيشُ «الإخوان» يخترقُ الظلماء، حتى لَتَفْرَقَ الظلماء
من فُحولٍ تَقَمَّصوا حللَ الموت، كما ينزلُ الوغى الشُهداء
سلكوا دَربَ «تربةٍ» مستنيرينَ، فهذي سيوفُهم أضواء
لألأتْ لا رهيفةً من صِقالٍ　　بل تلَظَّتْ شفارُها الحمراء
في أكُفٍّ غَلَتْ كما غَلَتِ القدرُ، وبَثَّتْ أنفاسَها الرمضاء
جائعاتٍ، وما لَهُنَّ بُطونٌ　　صادِياتٍ، وما المُرادُ الماء
طَنَّبَ الليلُ واستشاط الغَراثى　　ليسَ قُدّامُهنَّ إلا الخلاء
قيل: صبراً على السَغاب فهذي　　«تربةٌ» لوّحتْ وحُمَّ العشاء[1]

. . .

كان جيشُ «الإخوان» ألفاً ونصف الألف، لكن ما الكَمُّ؟ ما الإحصاء
يرجحُ الكيفُ حيث يعجزُ كَمٌّ　　وقليلٌ هي الذرى الشمّاء
قسموهم الى فئاتٍ ثلاثٍ　　طوّقوا حيث خيَّم الأعداء
لم يكن همُّهم هزيمةَ خصمٍ　　آيةُ النصر عندهم إفناء

---

١ حُمّ: قرب. مشى الإخوان قبل صلاة المغرب بساعة وهم مع من انضم اليهم الف وخمسمئة مقاتل وانقسموا قبل وصولهم الى تربة ثلاث فرق، فرقة الخيالة، وفرقة خالد، وفرقة ابن بجاد. وعندما وصلوا البلد في منتصف ليلة ٢٥ شعبان ٢٥ مايو هجموا هجمة واحدة ساكتين مستشهدين　　(ت. ن.)

طوّقوا كلَّ ثلمةٍ ينفذ الهارب منها، أو يُستمدُّ النَجاء

قصدَتْ فرقةُ الشريفِ ابنِ منصورٍ مقرَّ الأميرِ، حيث اللواء

«لا يفلُّ الحديدَ إلّا حديدٌ» ويفلُّ الأقاربَ الأقرباء

لم تزلْ صفعةٌ «بيثربَ» تكويهِ، وتوري ضرامَها البغضاء

وتولّى «أبو حُميدٍ» «بجادٌ» جبهةَ الجيش، حيثما الزعماء

حيث قامتْ خنادقٌ ومتاريسٌ، وصُفّتْ مدافع ربداء

وتولّى الفرسانُ أن يقطعوا الرُجعى، اذا ضاق بالعدوّ الفضاء[1]

بِسَرايا الأمير بُلّتْ سيوفٌ لاهباتٌ وما لَهُنَّ ارتواء

كلّما زادها السقاةُ نجيعاً جدَّ ظِمْءٌ وجلجلَ استسقاء

بُوغِتَتْ فرقةُ الحجاز فبادَتْ قبل أن يعتلي لها ضوضاء

قبلَ أن ينطقَ الشقيُّ بآهٍ بَتَرَتْهُ البواتر الحدباء

آهةٌ نِصفُها يطير مع الرأس، وتطوي البقيّةَ الأحناء

وتَلَتْها سَرِيَّةٌ فسَرايا خمدتْ كاللّظى عراه انطفاء

قاتلتْ عن أميرها فنجا حُرًّا، يقيه الظلامُ والأشلاء

حول نجل الحسين كم بادَ جسمٌ واستطابَتْ كأسَ الردى حوباء[2]

---

١ تقدم خالد ورجاله، وفيهم من شردوا من تربة، فدخلوا الباطن وقصدهم الاستيلاء على مخيّم الامير. مشوا وسلاحهم الابيض يلوح في ظلام شفّاف فاصطدموا بالسرايا الحجازية وذبحوها. وهجم ابن بجاد ورجاله وكلهم من الغطغط على الجنود النظامية وراء المتاريس والأطواب، فكانت السيوف تشتعل كالمقاصل. وكان ابن الغطغط يثب على المدفع فيذبح الضابط المقيد وراءه بالحديد ولكن هول الفوضى والظلام كان أفظع من التذبيح. أما فرقة الخيل فقد قطعت خط الرجعى خصوصاً على حرس الامير فلم ينج غير الامير نفسه وبعض الضبّاط. فرّ الامير عبد الله قبل ان يصل خالد ورجاله الى سرايا المخيّم فثبت بعضهم في النضال ليردّوا العدو عن تعقبه وسقط من حاول الفرار صريعاً تحت سنابك الخيل. (ت. ن.)

٢ الحوباء: الروح.

بادَ جُندُ الحجاز لكن سِباعاً لا فسولٌ فيهم ولا جُبَناء[1]

إن تَهاوَوْا فبعد أن سَبقَتْهم للصعيد المُضرَّجِ الأعضاء

ماتَ «راهو» فكان للغرب قسطٌ بافتداء الأمير، نعمَ الفداء

سلب الموتُ منهمُ كلَّ حيٍّ فعديد الأصابعِ الأحياء

. . .

سَلْ عديلَ الأسود شبلَ «بجادٍ» كيف كان الهجومُ والإبلاء

كيف حُمْسُ القُوَّاد بين يديهِ أَعْنُزٌ أَو كُبوشَةٌ جمَّاء[2]

كيف تلك المدافعُ الرُبدُ أحطابٌ، خلَتْ من لُبابها جوفاء

فإذا أُطلِقَتْ فإنَّ الشظايا بارقاتُ الدُمى أَو الحصباء

إذ يكرّون صوبها بفؤوسٍ أَو سُيوفٍ لهم عليها وفاء

يقحم «الغطغطُ» المتاريسَ وثباً مثلما تعبرُ السُهولَ الظِباء

لا يُبالون بالذي كان فيها من كُماةٍ، فأهلُها دُفَناء

ما درَى الحافرون إذ حفروها أنَّ ذاكَ التُربَ النبيشَ الغطاء

ما «سدومٌ» وخطبُها ودُخانٌ تخِمَتْ من رُكامِهِ الأجواء

كقُتام البارود، والنقعُ منشورٌ، وقد غلَّف العيونَ العماء

إن تَلُحْ نجمةٌ فبثرةُ مجدورٍ تراءَى، أَو نجمةٌ سوداء

لا ضياءٌ إلَّا وميضُ المنايا قذَفتهُ البنادقُ السمراء

أَو شرارُ السنابك الُحمرِ داسَتْ في حديدٍ فذرَّ منه الضياء

---

١ الفسول مفردها فسل وهو الذي لا مروءة له . ٢ الحمس : الشجعان .

لا صراخٌ إلّا ضجيجُ الضَحايا وعجيجٌ مُرَجَّعٌ ورُغاء
أو صليل السلاح فالبيض فُلّتْ وعَراها بعد القِراع التواء
ليس إلّا مقابضٌ في أكُفٍّ جهِلَتْ ما الكلالُ، ما الإعياء
فمحا جهدُ ساعتين ألوفاً لاكتساح «الأحساء» و«النَجْدِ» جاءوا
جرَّهُمْ للقتال صيتُ مليكٍ جرَفتْهُمْ الى الردى كبرياء
من نجا منهمُ الى الحصن ولّى لو يُنجّي الى الحصون التجاء
يَفرُقُ الحصنُ من «بجادٍ» فيأبى بُرجُه ان يحلّه النزلاء
حيث حلّ «الاخوانُ» إخوانَ حربٍ فالقلاعُ الشمّاء دُرْسٌ عَفاء

. . .

طلع الفجرُ فالمساجدُ منهم والمحاريبُ، للصلاة مِلاء
في انتهاب الأرواح أُسدٌ مُضرّاةٌ، وفي مطلع الوغى أتقياء
صبّحوا اللهَ بالصلاة جُثِيّاً واستحبّوا الوضوءَ حيث الدماء
باكروا الحصنَ بالذَباح، فكان الصبحُ فصلاً، ممّا رآه المساء
عند حُمرِ الجدران قامتْ روابٍ من رجالٍ، وخُضِّبتْ أفياء
أو حلَتْ من دمٍ صبيبٍ تلاعٌ وارتوتْ سَبْخَةٌ، وغصّ فِناء[1]
ما نجا غيرُ من أتى ابنَ «لوَيٍّ» لاجئاً تائباً براه الحياء

---

[1] السبخة : الارض الغامرة .

ذابَ جيشُ الحسين ذوب جليدٍ واهنٍ أشرقتْ عليه ذُكاء[١]

. . .

كان عبدُ العزيز ألَّبَ جيشاً يفتح الشرْقَ، لو اراد وشاؤا

مسرعاً للغياث إسراعَ صقرٍ من فراخٍ لهُ أتاه النداء

فدرى في الطريق أن قُضيَ الأمرُ، وذابَ الخميسُ والخُيَلاء

الأميرُ الذي ترعرعَ في الحربِ، ومن ثَدْيِها أتاه اللِبَاء[٢]

الذي للجهاد ربَّاه أهلوهُ، وبالسَرْدِ قَمَّطَتْهُ النساء[٣]

الذي كان بالسيوف يُلَهَّى وَدُماهُ الذوابلُ الهيفاء

الذي شَبَّ، في العرينِ، حواليهِ، أسودٌ فَرَّاسةٌ ولُباء[٤]

الذي لَفَّهُ الشقاءُ فضرَّاهُ، كما خَشَّن السباعَ الضِراء

الذي بالدماء كَحَّل جفنيهِ، لَدُنْ لامَسَ الجفونَ ضِياء

---

١ ان الذين نجوا من الذبح تلك الليلة ولم يستطيعوا الفرار لجـأوا الى الحصن فهجم عليهم الاخوان صباحاً وأبادوهم، فتراكمت الجثث بعضها فوق بعض . وكان من اللاجئين الشريف شاكر فكتبت له النجاة، ومعه شاب من الاشراف اسمه عون بن هاشم اجتمعت به في جدة (الكلام للريحاني الذي نأخذ عنه معظم معلوماتنا كما يظهر من الهوامش) في رحلتي الثالثة اليها، وهو يومذاك في العشرين من سنه . وقد كان عمره يوم شهد تربة خمس عشرة سنة . قال الشريف عون يحدثني عن هول ذلك اليوم : « رأيت الدم في تربـة يجري كالنهر بين النخيل وبقيت سنتين عندما أرى الماء الجارية أظنها والله حمراء، ورأيت القتلى في الحصن متراكمة، قبـل أن طحت من الشباك ومن أعجب ما رأيت، رأيت الاخوان أثناء المعركة يدخلون الجامع ليصلوا ثم يعودون الى القتال » .

ولم ينج من جيش الامير النظامي غير ستة ضباط واثني عشر جندياً . ولم ينجُ من البدو غير من سلّموا أو انضموا الى جنود خالد وعددهم لا يتجاوز الالف فيكون الموت قد تقاضى خمسة آلاف نفس بشرية جزاء جهل الانسان وغروره، بل خمسة آلاف وخمسمئة لان الإخوان دفعوا قسماً من الضريبة فقد خسروا أربعمئة من رجال الغطغط ومئة من أهل تربة والخرمة . (ت . ن .)

٢ اللباء : اول اللبن . ٣ السرد : الدرع . ٤ لباء : مفردها لبؤة .

الذي لم يَنمْ على غير حربٍ وَصلَتْها وقائعٌ شعواء

المواضي منه استمدَّتْ حُميَّاها، فمن راحتيه كان المضاء

سيفه في القتال كفُّ عروسٍ لم تُزايلْ بَنانها الحِنَّاء

الذي يستجير منه السبَنْتى وتفرُّ الجنادل الصمَّاء [1]

راعه ما رأى « بتربةَ » من هولٍ، فَسحَّتْ مدامعٌ وطفاء

الذي ما بكى لِمَصرعِ « سعدٍ » [2] وهْو منه الضلوع والأَحشاء

ساءَهُ أن يُقال إنَّ « أبا تركي » أفاضتْ شؤونَه البلواء

ذلك الليثُ هاله عدد القتلى، فألوى وفي الجفون البكاء

كان حصدُ المنون خمسة آلافٍ شباباً، مشى عليها البلاء

الأُلى قد توشَّحوا المجدَ باتوا وعليهم من الذباب رداء

رُبَّ أنفٍ، كان النسيمُ يُداريه، عَلَتْهُ ذُبابةٌ زرقاء

وعيونٍ تَغوَّرتْ، ولقد كانت نجوماً يُشعُّ منها الذكاء

والخدود التي تُصَعَّرُ، والأعناق من فرط زهوها صيداء

دَرَجَ النملُ فوقها، والجباهُ الشمّ عاثَتْ بحسنها خنفساء

وبطونٍ بَقيرة لعب الدود عليها، واندَاحتِ الأمعاء

كم قتيلٍ تقسَّمَتْهُ الشظايا فاستطار المرميُّ والأَجزاء

كغصونٍ يبيسةٍ مزَّقتْها الريحُ، من بعد ما براها الشتاء

كان عبدُ العزيز قيدومَ حربٍ لا عتياً هانت عليه الدماء

---

١ السبنتى : النمر . ٢ سعد : هو أخو الامير عبد العزيز الذي صرعه العجمان كما أسلفنا القول .

قاصداً في الرجال، عَيلَتهُ الجيش، وقُوّاد جنده أبناء
عالماً أنّهم رياحين أكبادٍ، تفانَتْ في حبّها الأثداء
أنّ فيهم تفاخرتْ أمّهاتٌ وترجّى الديمُومَةَ الآباء
أنّ بالنسل للمقيم حياةً فاذا ماتَ لم يفتهُ العزاء
كان فوقَ الفتوح والنصر إنساناً، وفيه الى النجوم انتماء
فيه من همّةِ الأسود ومما في الحنايا تكنّهُ الشعراء
من شعورٍ ورحمةٍ وصفاحٍ حجّبتها المطامحُ الفيحاء
كشفتْ هذه المشاعرَ أرزاءٌ قضى من جرائها الأبرياء
فبكى سيّدُ الأسود «أبوتركي» وأنتْ لشجوه العلياء[1]
لم تعوّدْ تلك الدموعَ الغوالي واللآلي من شأنهنّ الغلاء
إنّ من ضنّ بالدموع، ولو سرّاً، لتقسو على ثراه السماء
أرحمُ الراحمين، سبحانه اللهُ، فظلٌّ لظلّهِ الرحماء
وانتصار الإنسان فيك، «أباتركي»، لمجدٌ تجدّه الآناء
أنت في «تربةٍ» بكيًا لأعلى منك يومَ انحنى عليك السناء
يومَ عيد «الرياض» إذ كلّ أفقٍ ليلةُ القدرِ ماجَ فيها البهاء
صفّقَ النخلُ ذلك اليومَ، والآن على وجنتيك، هل الرُواء

[1] لم يعلم الامير عبد العزيز بانتصار جيشه في تربة إلا بعد الوقيعة بخمسة ايام، فقد كان قادماً من نجد بجيش عدده اثنا عشر الف مقاتل، فلقي وهو في الطريق بين ماء القنصلية والخرمة من قصّ عليه الخبر. استمرّ عبد العزيز سائراً الى الخرمة ومنها الى تربة فبكى عندما شاهد فيها حصاد الموت. وعندما صاح جنود خالد وابن بجاد : الى الطائف، رخّصْ لنا بالطائف منعهم قائلاً : «كفى الباغي جزاء بغيه».

(ت . ن .)

إذ أتاكَ «الإِخوان» حُمساً وفيهم من حُمَيّاً النصر الطريف انتشاء [1]
ويقولون: مُرْ نَسِرْ لحجازٍ فتتمَّ القصيــدة العصماء
نَنْزِل «الطائفَ» الجميل مصيفاً حيث يحلو الرُمَّانُ والأَشذاء
حسبُكُمْ قُلتَ فاتّقوا اللهَ، والباغي أتاه من السماء الجزاء
حسبكم ما غَنِمتمُ من سلاحٍ وعتادٍ غَصَّتْ به البطحاء
حازه ابن الحسين منذ شهور فَلَنِعمَ اللّقى أو الإِهــداء [2]
كنت حقّاً تبغي فما رُمتَ فتحاً ربّما قيل، كان منه اعتداء

. . .

بلغ الهاربُ الحجازَ وطارتْ بانتصار «الخوارج» الأَنباء
قيل: عدُّ الجراد والرمل قومٌ جِنَّةٌ أَو أَبالسٌ خُبثـاء
وفشا في الحجاز والشام إرجافٌ تولَّتْ إمدادَه الأَصداء
نسجَ الخوفُ والتوهُّم أغوالاً شِداداً، تقودها العنقاء
فألوف الحُجَّاج بدَّدها الذعرُ، وريعَ الحطيمُ «والغَرَّاء» [3]
ليس بين الصفا ومَرْوَةَ من يسعى، ولا عند زَمزمٍ سَقَّاء
إِنَّما السعي كان للغربِ، حيث البحرُ، حيث النجاةُ والميناء
تخِمَتْ «جدَّةٌ» بجيشٍ غفيرٍ لا منامٌ، لا مشربٌ، لا غذاء

---

١ الحمس مفردها الاحمس وهو الشديد المتصلب في الدين او القتال. قال الامير عبد الله في كتابه الاول الى ابن سعود ينبئه بتسليم المدينة (يثرب) استولينا على جميع ما فيها من السلاح الثقيل والخفيف وجميع الاملاك والآلات والادوات العائدة للحكومة الغابرة». استولى عليها في ربيع الثاني ثم خسرها بعد أربعة أشهر. ٢ اللّقى ما ألقي. ٣ الغرّاء: مكة. (ت. ن.)

من لِحُجِّ الهند الغَراثى الحيارى ... قِطَع الليل لَفَّهُنَّ العراء [١]
غيرُ مندوبِ «لندنٍ» مستغيثاً ... بالتي رهْن أمرها الدأماء
لِتُعِدَّ السفينَ للنقل لكن ... لا سفينٌ: أجابه الوزراء
لا سفينٌ ولا جنودٌ لتحمي ... مَلِكاً لا يهابه الأَقوياء
ينصرُ الإنكليزُ من يحرزُ النصرَ فيُجنى، مع الديون الرِباء
من له ثروةٌ يُزاد ومن لا ... ثروةٌ عنده فمنه البراء
سُنَّةُ الناس فالمغانم رَوضٌ ... أبعِدَت عن ثماره الضعفاء
حسبُ أنكِلْترا لتحمي حسيناً ... أن تُراد العهودُ والوسطاء
فترى في الأمير خصماً شريفاً ... ما تَعدَّتْ عُلُوَّه الشرفاء [٢]
يقطع العهدَ أنه الرائدُ السلمَ، فلا منَّةٌ ولا استعلاء
أنَّ فتح القلوب بالحبِّ أولى ... من حروب أقلُّها دَهياء
أنَّ مهد النبيِّ غالٍ عليه ... لَنْ ترى بحرة الدماء «حِراء» [٣]
أكبرَ الإنكليزُ قدرَ عظيمٍ ... أغفلوه، وما بشمسٍ خفاء
عَلِموه البَنْدَ الذي جَلَّلَ المُدْنَ، وتاهتْ في ظِلِّه الصحراء
أنَّه الطودُ لا يزعزعه فوزٌ مبينٌ، أو كسرةٌ شنعاء
أنَّ ما قاله به حاسدوهُ ... نفثةُ السُمِّ، أَو كلام هراء
أنَّ للزَيفِ ومضةٌ ثم تمضي ... وتظلُّ الحقيقة الزهراء

---

١ الحج بضم الجيم مفردها حاج وقطع الليل كناية عن لون الهنود . ٢ أقام عبد العزيز خمسة عشر يوماً في تربة وقد جاءه في اليوم العاشر برقية من الحكومة البريطانية بلندن بواسطة وكيلها السياسي بجدة تسأله فيها ألا يتقدم الى الطائف . فعلت ذلك إكراماً للملك حسين وإجابة لطلبه وكان ابن سعود في نظرها كريماً .

٣ حراء : الغار الذي كان ينفرد فيه النبي ﷺ قبل البعثة وفيه أنزلت عليه الآيات الخمس الأولى من سورة العلق .

أكبروا هيبةً ورأياً حساماً حين في الروع تشعبُ الآراء
علموا أنَّه الحبيب الذي تأوي الى ظلّ بنده الأهواء
كلُّ حبٍّ من داخلٍ فافتداءٌ كل قسرٍ من خارجٍ فطلاء
سائلِ القلب وحده عن زعيمٍ حيث يقوى الهوى يموت الرياء
لا يَغرنَّكَ التملُّقُ والزلفى وتبخيرُ حاكمٍ وانحناء
قَدرُ ما أخصبَ الفؤادُ بحبٍّ قدرُ ما رقّ بهرجٌ وغشاء
إنَّ ما بين سيّدٍ ومحبّيه بياناً ما طاله الفصحاء
وَمَضاتُ الشعاع تصدر عن قطبٍ كما تقدحُ السنا كهرباء
لَمحاتٌ فيها الحياةُ تَمَشّى وبعيدُ العظات والإيحاء
هِبَةُ الله للأقلّينَ في الدنيا، فما ظافرٌ بها من يشاء
إنّه السرُّ، سرّ شخصيَّة الإنسان، حارت في كُنْهِهِ العلماء
كان عبد العزيز واحدَ عصر وعظيماً من دونه العظماء

حِصَار حَايل

المليكُ الذي أبادَ الجحافلْ	صَلَفٌ منه واغترارٌ بباطلْ
ودَّ بالنار غسلَ عارِ انهزامٍ	لو رأى حولَ عرشه من يُقاتل
عاجزٌ سيفُه عن ابن سعودٍ	فَلْيُجرِّدْ عليه صَمصامَ « حايل »
عندنا المال: قال يا ابن رشيدٍ	وتِلالٌ مَدافِعٌ وقَنابل [1]
ورَوابٍ من « بُنْدُقٍ » وسيوفٍ	ورماحٍ، لو انَّ للرمح ناقل
وافرُ الزاد والعتادِ علينا	وعليك المُدرَّبون البواسل

. . .

هَمَّ بالنقض والوقيعةِ لولا | أَنَّ في « شَمَّر » سراةً أماثل
شاقَهُمْ ما رأوهُ بابن سعودٍ | من صفاتٍ غُرٍّ، وحُلوِ شمائل
وصَفاءِ التوحيد فاتَّبَعوه | ليس كالدِينِ للمودَّةِ واصل

---

١ بعد ما نكب الحسين في تربة فخسر جيشه فتح قلبه لابن الرشيد الشاب، قلبه وخزنته ومستودع السلاح والذخيرة في المدينة، فعززت جريدة القبلة اقوال الديوان الهاشمي: « عدوك عدونا يا ابني بل عدو العرب والإسلام. وهذا السلاح منا للحرب وهذا المال أما الرجال فعندك شمَّر وفيها الأشبال » .

إن يكونوا من « حايلٍ » ورعاياها، فعبد العزيز في الذهنِ ماثل

• • •

وتولّى ابنُ « متعبٍ » بعد عهدٍ   بدم الأقربين ريّانَ حافل
طلب الصلحَ، أيّ معنًى لصلحٍ؟   هو في « حايلٍ » حُبالةُ حابل
فأجابَ الأميرُ للسلم لكن   لا سريعَ الرضا ولا متساهل[1]
آلمتْهُ خيانةٌ بعد أخرى   وأكاذيبُ سيْلُها مُتواصل
باطلًا يطلب الحفاظَ على العهد، فما في الرشيد غيرُ الناكل
المقاليدُ في يد « الستّ » فانظرْ   وتعجَّبْ، مآسياً ومهازل
حسَنٌ أن تكونَ في وحشةِ الدنيا، النساءُ المؤآسياتُ عنادل
وحبيبٌ على المسامع، في الأمساءِ، بعد الغناءِ، هدْلُ الزواجل
السياساتُ! ما السياسة للأنثى، وفي غورها يغور الفطاحل
فليُبوّأنَ سُدّةَ البيت عرشاً   فاذا امتزْنَ فليكُنّ قوابل

• • •

شهرتْ « حايلٌ » على نجدَ حرباً   غابَ عن شهرِها مُوالٍ وعاقل

---

١ كان عبدالله ابن متعب قد تولى الامر في حايل بعد مقتل سعود الرشيد ومصرع قاتله ابن طلال الرشيد في اليوم نفسه . وطلب الصلح من ابن سعود فعارض أهل نجد وتشدد ابن سعود في الشروط، قائلًا لمرسل حايل اني مجيبكم الى كل ما تطلبون ولكني ألفت نظركم الى ما بدا من امرائكم السابقين من الخيانات ونكث العهود . وهذه كتبهم الى الشريف . أما شؤون شمّر الداخلية فلا شأن لي فيها . أما الخارجية فانها تمس بمصلحة نجد فلا بد من تنازلكم لي عنها . عاد الوفد الى حايل يحمل الشروط . اما الاهالي واكثر المقدمين في شمّر فقبلوا بها . ولكن الفريق الآخر، ومن ورائه عبيد القصر، والسيدة فاطمة السبهان (ستي فاطمة) الحاكمة من وراء الستار فأبوا كلهم الإذعان لابن سعود وقالوا الحرب فأعلنت الحرب . (ت . ن .)

شَهَرتْ «حايلٌ» على نجدَ حرباً غابَ عن شَهرِها مُوالٍ وعاقل
لم يَرُمْها عبدُ العزيز، ورامُوها عواناً تحمَرُّ فيها المناصل
فَليُمرِسْ بها الغَضَنْفَرُ شبلاً هوَ منهُ شجاعةً وَمخايل
بأسهُ بأسُهُ، وعيناهُ عيناه، وقدٌّ كما تطولُ الذوابل
يومَ عيد «الرياض» كان هلالاً ضوءُه قارنَ الفُتوحَ الأوائل
يُمنُهُ ردَّ للسعود «رياضاً» سيفُهُ يفتح القِلاعَ «بحائل»
من يُكحِّلْ أفقَ «الرياضِ» هلالاً يَبْهرِ المشرقينَ بدراً كامل
في حناياه عزمةُ «الفيصل» الجدِّ، ومرمى «تركي» وعزَّةُ وائل
ما استَباهُ منذ الطفُولة إلّا رقصةُ الحرب أو متونُ «الكحائل»
ألمذاكي إذا امتطاها سعودٌ فهيَ رأسٌ شمخٌ، وذَيلٌ شائل
مرسلاتٌ أعرافُها طائراتٌ مثلما تمزقُ الرياحَ الأجادِل[1]
فكأنَّ الجيادَ تفقهُ سرّاً فتُجلّي تحت الأصيل الأصائل[2]
لا تَمسُّ الأسواطُ منهنَّ جلداً والمهاميزُ لا تدقُّ الأياطل
فإذا ما تبوّأ السرجَ، فالميدانُ عرسٌ تختال فيه الصواهل
قد عرَفنَ الأميرَ صِنوَ أبيهِ إنَّ هذا الشذا لتلك الخمائل

• • •

١ الأجادل: مفردها الأجدل وهو الصقر. ٢ لم تحتدم الحرب في جبل شمّر، برغم إعلانها إلا بعد سنة. وكان قد جهّز عبد العزيز ابنه سعوداً بحملة على الجبل في صيف هذا العام، فوصل بها الى وادي الشعيبة جنوبي جبل أجا وأغار على عربان لابن الرشيد كانوا هناك فأصاب منهم مغنماً. ولكنه لقلة المراعي للركائب في الصيف في تلك النواحي، ولقلة الارزاق للجيش لم يتقدم الى حايل. (ت . ن .)

جاء وادي « شُعَيبةٍ » لرشيدٍ فيـه حلّ المحالفون القبائل
فَرَماهُمْ، فكان فجرُ انتصارٍ معلناً ما تكونُ غرُّ الأصائل
ما ثَناه عن « حايلٍ » غيرُ جدبٍ في المراعي، وقلّةٌ في الرواحل
واحترابُ «الإخوانِ» وابن «صباحٍ» فصعيد «الجهرى» من الدم واحل
العقيدُ «الدَّويشُ» رأسُ «مُطَيرٍ» نَمِرٌ في الوغى، وفي الرأي غافل[1]
ذاقَ منه البلاءَ جُنْدُ « صباحٍ » بيدَ أنَّ « الصباحَ » راح يخاتل
ماطَلَ الذئبَ ثعلبٌ ألمعيٌّ فاذا الإنكليز عونُ المماطل
لم يَعِشْ « سالمٌ »، و«أحمدُ» رامَ السِلْمَ فانْزاحتِ العِقاب الفواصل

. . .

توَّج الإنكليزُ نجل حُسينٍ فيصلاً، في العراق، نِعمَ العاهل[2]
مشعلاً كان في عباقرةِ الشرق، وقد أطفأ الغروب المشاعل
فاستوى في «الرياض» أعلامُ نجدٍ وشيوخٌ بهم تعزُّ المحافل
يعلنون الأميرَ سلطانَ نجدٍ ويُولُّونه الولاء الشامل

---

١ بعد وفاة الشيخ مبارك تولى الإمارة ابنه جابر فكان حصيفاً حكيماً . وتوفي في السنة الثانية من حكمه فخلفه أخوه سالم نقيضه في السياسة والاخلاق، مما أدّى الى خلافٍ بينه وبين ابن سعود بسبب اعتدائه على خليج بين جبيل والكويت يدعى بلبول . وأفضى ذلك الى واقعة الجهرى بين (إخوان) مطير وسالم ، وانكسر سالم انكساراً شنيعاً ولكنه دخل مع الدويش في مفاوضات ثعلبية انتصر فيها مكر ابن الصباح فاصبحت بريطانيا نصيرة له . ولم يعش سالم طويلاً فانتخب أحمد ابن أخيه جابر خلفاً له وكان في غنى عن وفد يصالحه وابن سعود . (ت . ن .)

٢ في صيف سنة ١٩٢١ بعد انعقاد مؤتمر القاهرة البريطاني، تقرر أن يكون الامير فيصل ابن الملك حسين ملكاً على العراق . فعقد مؤتمر في الرياض حضره العلماء والرؤساء فقرروا ان يتخذ حاكم نجد الامير عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ومن يخلفه بعده لقب سلطان . واعترفت الحكومة البريطانية في ٢٢ أغسطس سنة ١٩٢١ لابن سعود ولمن يخلفه من ذريته بلقب سلطان . (ت . ن .)

ولمن بعده ولايةُ عرشٍ يتلقّاه ماثلٌ عن ماثل

وأقرّتهُ «لندنٌ» وتباهتْ أنها الحقُّ للعدالة كافل

نبأٌ للأنام أدّاه برقٌ ورَوَتْهُ للياسمين البلابل

ليس في الأرض منك بالعرش أولى أيها الفاتحُ المجيد الُحلاحِل[1]

كلُّ ضوءٍ حِيالَ ضوئكَ خابٍ كلُّ نجمٍ تُجاهَهُ مُتضائل

شِدْتَ عرشاً لا منّةٌ فيه إلّا للذي يُبدِعُ الكبارَ قلائل

ولِصَدرٍ كصفحة البحر مِسماحٍ، بعيدِ المدى، عريض الساحل

لم تَرِثْ غيرَ صيتِ مجدٍ عريقٍ شِمْتَهُ في المساء نوراً آفل

فَبَنيت العرشَ القديمَ جليداً مثلما العشُّ يُبتنى بالسنابل

لو أصابَ الجبالَ ما ذقتَ من هولٍ، لَقيلَ الذُرى بَرَتْها الزلازل

لا عَمٍ عن سناكَ إلّا ضريرٌ أَو لئيمٌ، أَو حاسدٌ مُتحامل

فليكن عرشُكَ المعوّذُ بالله بشيراً بالبادِرات الجلائل

«حايلٌ» لم تزل بظلّ رشيدٍ وهي بِنْتُ الجبال، أُمُّ المعاقل

• • •

زَحفَ الجيش فَيْلَقينِ، لِواءٌ للأخِ الوامِقِ السخيِّ الباسل[2]

---

١ الحلاحل : الشجاع التام . ٢ الوامق : المحب . بعد المصالحة وابن الصباح استنفر ابن سعود أهل نجد ومشى الى الجبل بعشرة آلاف مقاتل يقود قسماً منهم أخوه محمد والقسم الآخر ابنه سعود . وقد عهد الى الاول بمحاصرة حايل والى الثاني بمهاجمة شمّر . وعندما وصل محمد الى أطراف المدينة قام أهلها يستأذنونه بإرسال وفد من قبلهم الى عبد العزيز فأذن بذلك . ومما قاله السلطان للوفد ان الرئاسه القائمة بين عبد وامرأة لا تدوم، فشرطي للصلح ان تدخلوا في ما دخل فيه أهل نجد فتسلموا اليّ شوكة الحرب وعائلة الرشيد، فيكون لكم اذ ذاك ما لنا وعليكم ما علينا، واذا رفضتم فانا زاحف اليكم بنفسي بعد ثلاثة أشهر . (ت . ن .)

شأنهُ يحصرُ المدينـةَ حتى يَكْسِرَ الضَنكُ خِيلَةَ المتخايل
ولواءُ الشبلِ الجليد سعودٌ هَمُّـه يورد السيوفَ النواهل
مِن رماياهُ «شمَّرٌ»، أجلَدُ الأَبطال، إن أَجَّجَ الوطيسُ المراجل
طالمـا يَتَّموا عيالاً فكانوا خيلَ شؤمٍ للثاكلات الأَرامل
كان عبدُ العزيز يدري فتاهُ حيث حلَّ الرئبالُ فالشِّبلُ واصل
من يَكُنْ سيِّدَ الحسام أبوهُ يُثبتالرِجلَ في الردى غيرَ واجل
في سعودٍ عبـدُ العزيز فتيًّا مقبلًا كالربيع غبَّ الوابـل
مُستطيلَ الشَوى، عريضَ التراقي «مانِعيَّ» الزندين، عبلَ المفاصل
جوُّه الحربُ منذ ما بلغ الحلمَ، وتاقتْ الى اللجـام الأَنامل
أخذ العلمَ عن شيوخ صلاحٍ أورَدُوهُ في الدين أصفى المناهل
فهوَ عبدُ الرحمن حين يصلِّي وهو عبدُ العزيز حين يُصاول

...

أمَّ نادي السلطان للصلح وفدٌ ناهجاً منهجَ المَدين المُطـاول
فأجاب السلطان لا صلحَ إلَّا «أن أرى أُسرةَ الرشيد مواثل»
«والعتادَ الذي لديكم فأَكفى غدرةً والبلادُ تُكفى الغَوائل»
«أمرُكُمْ بـين مرأَةٍ وعبيدٍ بين دَسٍّ مُزرٍ، ورأيٍ فائل»[1]
«إنْ أبيتُم، فإنني قد بذلت النصحَ محضاً، فـلا مَلامَ لِعاذل»

---

١ فال الرأي : ضعف .

رجع الوفدُ والحصارُ ولكن «حايلٌ» دونها الصعاب الحوائل

بعد شهرين لم يَفز قَيمُ الأمر بحَلٍّ، ولا الأميرُ بطائل[١]

بيدَ أنَّ الطلائعَ الخضر لاحتْ وأشعَّ الرجاءُ للمتفائل

فإذا بابن «متعبٍ» مستجيراً بسعودٍ، يأتيه لهفانَ ذاهل

هاربا قلبهُ من ابن «طلال» من نسيب قرمٍ، وسيف غائل

مرحباً بابن «مُتعب» جئتَ حصناً هو فوق الذي يؤمّلُ آمل

أنت ضيفٌ، فانزلْ على العفو رحباً وعلى الروض بالمكارم زافل

صار أمرُ الرشيدِ لابن «طلالٍ» فارسٌ من أزاهر الخير ماحل

أشبهُ الناس «بالعزيز رشيدٍ» عابساً طاغياً ظلوماً هائل[٢]

الموالون للسعود محاهُمْ لا قتالا بل آمنين النوازل

وأبادَ القرى ودكَّ روابيها، وقد كُنَّ حاليات أواهل

هو صنوُ الحجّاج، ذئبِ «ثقيفٍ» حيثما مرَّ فالدماء جداول[٣]

---

١ حاصر الاميران محمد بن عبد الرحمن وسعود بن عبد العزيز المدينة مدة شهرين بدون طائل، ولكنه طرأ على الموقف ما لم يكن في الحسبان وهو فرار الامير عبد الله بن متعب امير حايل واستسلامه للامير سعود بن عبد العزيز خوفاً على حياته من محمد بن طلال الذي جاء من (الجوف) بحجة الدفاع عن حايل، فأخذ الامير سعود عبد الله بن متعب الى الرياض غنيمة باردة . وكان السلطان قد عاد الى العاصمة، وأمر سعوداً بالرجوع من الجبل، لانه فقد بسبب القيظ وقلة المراعي عدداً كبيراً من رواحله . وقد تولى الإمارة في حايل محمد بن طلال آل رشيد، وهو شاب شجاع مستهتر، فباشر القتال في حمله على قرى حايل التي كان أهلها موالين لابن سعود حملات شعواء، فهدمها بعد أن قتل صبراً أغلب رجالها . فأمر السلطان فيصل الدويش بالزحف الى حايل ومحاصرتها حتى يأتيه بنفسه، فشى بألفين من رجاله واحتلّ قرية الجثامية، على مقربة من حايل . (ت . ن .)

٢ المقصود وجه الشبه بين ابن طلال وعبد العزيز الرشيد الطاغية الذي أسهبنا فيه القول . ٣ الحجاج: ابن يوسف الثقفي .

إنَّ من يقتل البريئينَ صبراً لا شجاعاً يُعَدُّ لكن قاتل

. . .

فَلْيَسِرْ «فيصلُ الدَويشِ» اليه ريثما تبلغ النزالَ الجحافل
جاءه «فَيصلٌ» عقيدُ «مُطيرٍ» يبتغي «حايلًا» بألفي مقاتل
فالتقاه خصيمُه في الضواحي جندلًا عاصياً يلاقي جنادل
عسكرَ ابنُ الرشيد حيث الروابي حوَّطت حُمْسَ جُندهِ بمَعاقل[١]
رامياً بالشِواظِ خصماً عنيداً لا هزيلَ القوى ولا مُتَخاذل
غيرُ هذا السلاح أمضى وأجدى غايةً، فالدهاء خير الوسائل
كان حُمقُ «الدَويشِ» مقتلَه البادي، وقد أعْيَتِ «الرشيدَ» المقاتل
فليُسطِّرْ له رسالةَ مكرٍ وليَكُنْ لِيّنُ الكلامِ الحبائل
قال ناشدتُكَ الذي بَرأَ الدنيا، وسوَّى دربَ النجوم منازل
نتفانى وليس للقتل داعٍ وكلانا مُوحِّدُ الله فاضل
فإلى سُنَّةِ الإله وطه بُوركَ المصحفُ المجيدُ الفاصل
إذ يفيءُ المحكَّمُونَ لقول الله، سُبحانه العزيزُ القائل

. . .

١ حمس : شجعان . ولقد عسكر ابن طلال في النصيبية المحصنة بتلال هي متاريس طبيعية . وكان يضرب الدويش بمدفعيته ضرباً متواصلاً فلم يفلح . فعمد الى الحيلة وكتب الى الدويش كتاباً ورد فيه إننا جميعاً مسلمون وبيننا كتاب الله وسنة رسوله فاستجاب الدويش الطائش للتحكيم، وما كاد ينسى خدعة سالم الصباح . وأهمل الجانب الشمالي من معسكره فاغتنمها أمير حايل فرصة وأخذ يصبّ وابلاً من الرصاص على الإخوان .
(ت . ن .)

الكلام الخلّابُ غرَّ «دَوِيشاً» وهو حقٌّ به أُريدَ الباطل
نسِيَ الأمس خدعةً من «صَباحٍ» جُرحها الغضُّ لم يزل غير دامل
نسِي «الأشعريَّ» في يوم «صِفّينَ»، كأنَّ التأريخَ علمٌ نافل
فارتضى، مُهملاً حراسة جيشٍ جادَه الخصمُ، من رصاصٍ، بوابل
الرسولُ المذعورُ خفَّ الى السلطان، في وجهه، شحوبُ الثواكل
يسألُ الغوثَ مسرعاً فالمنايا في رجال الهرْج «الدَوِيش» مَناجل[1]
بانَ في طلعة الوليّ احتدامٌ كاحتدام الرئبال غَضبانَ صائل[2]
«أنْجِدِ القومَ يا سعودُ بفرسانٍ، كزعزاعةِ الرياح العواجل»
«طِرْ اليهم بكلِّ أجردَ سَبّاقٍ هضيم الحشا، صَليبِ الكاهل»
خفَّ شبلُ العرين كالسيل منقضّاً، وكالباز في انتهاب المراحل
وتلاه السلطان بالجيش حتى حَلَّ حيث «الدويشُ» بالأمس نازل
جاء عبدُ العزيز يا ابنَ «طلالٍ» جاءكَ الجدُّ إن تكن أنت هازل

• • •

طلع الصبح قانياً، من لهيب النار، تُزجى الى العدوّ رسائل
غير مُعوَّجةِ السطور، سديداتِ المرامي، بالفاجعات حوامل[3]

---

١ الهرج: الأحمق. ٢ وصل رسول الدويش عند العصر الى مخيم السلطان فغضب لما حدث وأمر ابنه سعوداً أن يركب بالخيل ويتقدمه مسرعاً. ٣ هجم الإخوان هجمة واحدة والقنابل تؤزّ فوق رؤوسهم فقتلوا عدداً من البدو وشتتوا صفوف العدو. فنفر ابن طلال واكثر رجاله الى جبل أجا ثم الى حايل. ولاذ الآخرون بحصون النصيبية وقد صُوّبت المدافع الى الحصون فقتلت اكثر من لاذوا بها وسلّم الباقون. (ت. ن.)

تحتها الجيش زاحفٌ، كجذوعِ الغـاب، وارَتْهُ من دخانٍ غلائل

صُعَّدٌ في الجبال كالنهر هَدَّاراً، لو انَّ الصعودَ شأنُ الجداول

من خفيفٍ على الحصان كميٍّ ورشيقٍ على الصُخُورةِ راجل

صوبَ «نيصيَّةٍ» يكرّون أسراباً، كما تنشدُ الميـاهَ الأَيائل

فالعدوّ المهزوم بين قتيلٍ وأسيرٍ لم يُمتَهنْ بسلاسل

ما أسيرُ السلطان يرضى فراراً من يَرَ الخصبَ لا يفرُّ لِقاحل

من نجا منهمُ مع ابن «طلالٍ» راح يبغي أُمَّ القلاع الهوائل

لم يكن خيرَها الذي شاده الإنسانُ، فانهدَّ في بناهُ العامـل

ضارباً في الأَساس، بالأَمعزِ الصَوَّان، يفري أنامـلًا ومَعاول

خيرُ حصنٍ «لحايلٍ» جَبلاها «فأَجا» دونها، و«سُلمى» تُناضل[1]

في ثَناياهُما مَنـاقبُ طيٍّ فالثرى مـا يزالُ بالبأس آهل

حيثما جاز حاتمٌ لا الثرى جعدٌ، ولا الطـودُ بالرعاية باخِل

جبلاها بعُوذَةٍ حوّطاهـا ليس إلّا غربُ الجنوب لداخل

---

١ إن مدينة حايل كائنة بين جبلي أجا وسلمى . لها سهل يتسع الى الغرب ويضيق الى الشمال فيفتح من الجهة الشمالية الشرقية طريقاً الى النجف ويتقلص في الجهة الشرقية وفي شطر من الجنوبية . وهي إذن محاطة من جهاتها الثلاث بالجبال، ولا يمكن الاستيلاء عليها من غير الجهة الغربية والشطر الجنوبي الغربي الذي تمتد منه الطريق الى نجد . في هذا الطريق جاء السلطان فنقل من الجثامية بعد أن تقهقر ابن طلال الى المدينة ونزل بينها وبين النيصية . وهناك قسم جيشه الى فرقتين فرقة بقيت معه والأخرى تقدمت الى جبل أجا فلكت مركزاً منه حصيناً . وهناك مركز آخر يدعى عقدة غرب البلد يحسبه أهل حايل أحصن حصونهم الطبيعية . تقدم الجنود وهم يضربون العربان النازلين الجبل في طريقهم فيقتلون ويشتتون ويغنمون الغنائم فاستولوا في اليوم السابع على عقدة . واستمروا زاحفين الى حايل وهم يتمترسون بأكياس الرمل حتى وصلوا الى مكان بينها وبين جبل أجا اتخذوه خطاً أولا للدفاع . وكان الهاجون وراءهم قد أحاطوا بالمدينة من جهتيها الغربية والغربية الجنوبية . (ت . ن .)

فاذا جاءها بنيّةِ فتحٍ فالمنايا على الدخيل هَواطل

. . .

غيرُ عبد العزيز يخشى طريقاً فَرْشُهُ النار، جانباه المَقاصل
أنذرَ القوم إن يروموا سلاماً أو هيَ الحربُ والفناءُ العاجل
فارتَضوا إنْ يُؤَمِّرِ ابنَ «طلالٍ» ذلك الرأيُ كان جُهدَ المُحاول [1]
لا وُلوعاً بحاكمٍ كان إلّا من صفاتِ النمورةَ الرُقْطِ عاطل
ساقهم للجواب، قسراً، كما يمنعُ بكراً من الزواج مُعاضِل [2]
حلمهُ الفخمُ كان آخرَ خيطٍ من شعاعٍ هاوٍ، وبندٍ مائل
إنْ هوى فالرشيد، في ذمّةِ التأريخ، طيفٌ مضى، وذكرٌ آفل
لا سلامٌ وراءه ابنُ «طلالٍ» وحصونٌ زُهْرَ النجوم تُطاول
إن يكُ الحلمُ بالسلاطين أولى فالذكاء الوقّادُ رأس الفضائل
قَطْعُ جذر الشرور خيرٌ وأولى من زكاةٍ تُسدى وشيدِ الهياكل
إنّ شقَّ البُثور فعلُ حكيمٍ لا يرى العطرَ شافياً للدمامل
ملَّ عبدُ العزيز معزوفةَ الصلح، وَصَكَّتْ أذنيهِ تلك الجَلاجل

١ ارتضى أهل حايل بالتسليم ولكن ابن طلال أكرههم أن يشترطوا على السلطان تأميره على المدينة . وكان سوادهم قد نفر من ابن طلال لظلمه وطغيانه وكانوا يئنّون من الحصار فقد أرسلوا غير مرة يقولون لا تتركنا فريسة لابن طلال . وفي الوقت نفسه كانوا يرجونه ألا يضرب المدينة بالمدافع . وعندما أدرك ابن طلال أن الإمارة لا تجيئه بواسطتهم كتب الى المفوض السامي البريطاني في العراق يتوسطه مراراً ولكن المفوض رفض ذلك . (ت . ن .)

٢ عضل المرأة عن الزواج : منعها منه .

أيُّ معنًى للصلح عند رشيدٍ؟ وهمُ الخالعوه خلعَ المباذل

. . .

يا جنودَ السلطان هذا «أجا» يزهو فأين الأسودُ غُلْبُ الكواهل
أينَ من يقطع الرعانَ وثوباً؟ أين تِربُ الوُعول في الطَود واقل
يطأُ الشوكَ عامداً لا يبالي حافيَ الرِجل كان، أم كان ناعل
ما الأراوي الخفافُ أسرع منهم طافراتٍ على الصخور قوافل[1]
لا يرونَ الصَّمَّانَ إلّا دميثاً والحصونَ العِقابَ إلّا نوافل
حيث حلّوا فالحصن أمسى رفيعاً ورَأَوْهُ قبل الإغارة سافل
بلغوه على رؤوس الأعادي بعد ما حالَتِ الأعالي أسافل
ملكوا «عقدةً» وكانت «كَتيماءَ» صعاباً ورفعةً ومَداخل
«حايلٌ» خلفها ولكن هناك السهلُ خالٍ من كل واقٍ وائل
كُشِفوا للعدو فَلْيَسمُكُوا الرملَ تِلالاً تقي الرجال الغوائل
ها هو السورُ قد بدا، وبروجُ الحصن باتت في بُعدِ رميةِ نابل
ليس إلّا أن تُفتحَ النارُ أفواهاً، وتُلقي باللاهبات القنابل
لم يُرِدها السلطان ضربةَ إفناءٍ تساوي أراذلاً بأفاضل
تحصد القمح والزؤان ويهوي
جنبَ «قسٍّ»، أوجنب «سحبان» «باقل»[2]

---

١ الأراوي مفردها الأروية وهو ضأن الجبل. ولا ريب انه أسرع من الغزال في الطفر على الصخور.
٢ قس وسحبان: مشهوران بالفصاحة كما اشتهر باقل بالعيّ.

أُلموالُون للسعود استجاروا من غشومٍ على النهى متطاول
«لا تَدَعْنا فريسةً لظَلومٍ كالحِ الناب من دمِ الشعب ناهل»
«كن رفيقاً بنا فلا يحصد المِدفعُ أطفالنا، ويُفني الحلائل»

. . .

طال عهدُ الحصار ستين يوماً عدَّها المُبتلى قروناً كوامل
شبحُ الجوع روَّعَ الناسَ حتى ذكرُه بات غصَّةً للآكل
وانتظارُ الخطوب آلَمُ منها شرُّ خَطْب الإنسان ما كان آجل
لبنُ المرضعاتِ جفَّ من الهمِّ، وقد طلَّقَ الرقادُ الحوامل
عُطِّلَتْ خُرَّدُ الكواعب من حَلْيٍ، فوارينَ في الشقاء الخلاخل
غاض لونُ الأَبْنُوسِ في الأَعين النُّجلِ، ولونُ الضحى بخدٍّ ناحل
كلُّ بيتٍ، ولو خلا من فقيدٍ مأتمًا كان للنساء الغَواسل
يلتَمِسنَ الغاسُولَ وهو عزيزٌ ويُوجِّهنَ آهةً للمناخل[1]
لَفَّها العنكبوتُ منذ أَسابيعَ، كما لفَّ مِئبراً ومَكاحل[2]
ولِمَ الكُحلُ، والكواعبُ إلّا عن جَريشٍ من الشعير ذواهل
والشبابُ الذي يَهِفُّ الى الحسن، لهيفٌ كعشبةِ السطح ذابل
وتراهم متعتعين حيارى حيرةَ القوم يومَ نكبةِ بابل
إذ يهيمون كالسوائم أسراباً، ويستجمعُ المصابُ الفصائل

---

[1] الغاسول: الصابون . [2] المئبر: هو المكان الذي توضع فيه الإبرة .

شُرَّداً يلغطون، أو ينكتون الأرض، جُهْمَ الوجوه حول المزابل
كلُّ حيٍّ «بحايلٍ» شفَّه اليأسُ، سوى ذلك الغشوم الآمل
وسَّط الإنكليزَ لابن سعودٍ علَّه بعض ما يؤمِّل نائل
حاضناً باليدين بيتاً قديماً ممسكاً بالجفون عرشاً دائل
وهو في شعبه بزَهوِ إلهٍ ولدى الإنكليز في ذلّ سائل[١]
لا ! أجاب السلطانُ حسبيَ منهم فوق ما يحمل الصبورُ الحامل
ليس إلَّا البتَّارُ لابن «طلالٍ» بورك الحقُّ والحسام الفاصل

---

١ المقصود هنا بالآلهة : آلهة الإغريق الأسطورية .

فتح حائل

شَقِيَتْ «حايلٌ» وطال شقاها بحصارٍ برْيَ السَقام بَراهـا
وأصاب السلطانَ، من مَضَضِ الصبرِ، شؤونٌ تسعَّرتْ حمَّاهـا
مُضرِمُ النارِ يلفَحُ الوهجُ عينيـهِ، وإن كان للعدوّ جُذاها [1]
نفَدَ الحلمُ بعـد طول أناةٍ من بساطِ الدهناء، فَيْحُ مَداها
الموالون جاءهم نبأُ السلطانِ، فاستلّ من جفـونٍ كَراها
مُنذراً بالدمار والويلِ أُسْداً تحت سَوطِ العَتيّ حالُوا شِياها
فكأنْ «شَمَّرٌ» وقد هدَّها الجورُ، وزادتْ دُهمُ الخطوب دُجاها
نَسِيَتْ أنَّ غاربَ الظلم فيها لم يكُنْ غـيرَ قطرةٍ لولاها
أنَّهُ لا يقومُ في الأرض عاتٍ لم يَدُسْها كَواهلاً وجِباها
أنَّ «جنكيزَ» كلِّ عصرٍ غشومٌ كان عبداً فصيَّروه إلها [2]

. . .

[1] جذا مفردها جذوة وهي الجمرة الملتهبة . [2] جنكيز : الطاغية المغولي جنكيزخان .

سارَ فيهم إنذارُ، من يَصْدُقِ الإِنذارَ، سيرَ النيران شاعَ لِظاها[١]
هَمَسَتْهُ الألحاظ من شدّة الخوف، كأنّ العيونَ صارتْ شِفاها
برّأوا ساحَهُمْ من ابن «طلالٍ» كالأصِحّاءِ جانَبَتْ جَرْباها
أقسموا إن يَمُدَّهُمْ بالسرايا يُسلموه حُصونَهم بِرِضاها
ذاكَ أنّ الحصون طلّقنَ عرشاً وتبرّأنَ من ذنوب جناها
عائثاً بالدماء من ربع قرنٍ فكأنْ لم يجدْ صِباغاً عَداها
أسرةٌ إنْ دمُ الغريب يفتْها تغْمِدِ النصلَ في ذوي قُرباها
وإذا أعوزَ النمورَ نجيعٌ خَضَّبَتْ من ضِعافِها الأفواها

...

غلغلَ الجيشُ في الحصون فلاقتْهُمْ، كما تحضنُ القفارُ المياها
عرفتْ نضرةَ «القصيمِ» بِرَيّاهم، وأُسدَ «الرياض» هِيفاً قَناها
مرَّ دهرٌ وليس من «فيصلٍ» طيفٌ يُشيعُ السلوانَ في ذكراها
رُبعَ قرنٍ كان الفراقُ فظنّتْ أنّ ذاكَ البيت الوفيّ سَلاها
عيدُها اليومَ أنها بعدَ يأسٍ أملٌ طيِّبُ الأريج أتاها
حدَسَتْ، وهي من جَلاميدَ صُمٍّ أنّ ذاكَ الشذا شذا مولاها

١ دنت مدة الحصار من الشهر الثالث فكتب السلطان الى اصدقائه في حايل يقول: «قد طال الحصار وأقبل الشتاء فليعذرنا الاهالي اذا أنذرناهم. لهم ثلاثة أيام ليسلموا المدينة وعائلة الرشيد وإلا فنحن الى غرضنا مسرعون بالرصاص والنار» فجاء الجواب وفيه ان الاهالي ينفضون أيديهم من ابن طلال وبيت الرشيد ويسلمون الحصون المحيطة بالمدينة اذا جاءتهم سرايا من الجيش. أرسل السلطان ألفين من رجاله ففتحت لهم الحصون الخارجية المشرفة على حايل ثم أمّن الناس على أرواحهم وأموالهم فخرجوا اليه أفواجاً وهم يشكرون الله. ثم أمّن ابن طلال على حياته فاستسلم. (ت. ن.)

أَنَّه دافعَ المدافِعَ عنها ومن النار والردى نجَّاها

أنَّ ذاكَ الحفيدَ ضنَّ بآثارٍ عِتاقٍ، مجدُ السعود ابتناها

سَبَقَتْ في النداء صوتَ المنادي يُعلنُ الأمنَ ضافياً من ذراها

هاتفاً أن عزَّة الحكم لله الذي كوَّن الدُنى ودَحاها

ولعبد العزيز رايةُ نجدٍ لا يرى الله رايةً إلَّاها

فاشرأبَّتْ الى النداء شيوخٌ أثبت الله بعد يأسٍ رُؤاها

ذكروا حِقْبةً بظلِّ سعودٍ لم يلاقوا لِرَغدِها أشباها

طالما نوَّهوا بها بعدما ذاقوا الدواهي وغالَبوا أَقساها

إذْ عجوزٌ حول المواقد ترويها، وتروي مع النعيم صِباها

بين دِفْئَيْنِ من صباً ونعيمٍ ينطوي بؤسُها ويحلو شِتاها

تسأل الله أَن يُعيدَ الليالي صافياتٍ لِبِنْتِها وفَتاها

قبل أَن يعبثَ الزمانُ بعينيها، فتأوي لِرَمْسِها أو عَماها

• • •

المُنادي نادى: الأمانَ فهبَّتْ «حايلٌ» يُفسِحُ الرجاءُ خُطاها

يَزْحمُ المنكبُ المناكبَ، كالأَطيار، بعد الطَوى، تروم عَشاها

أَو فِراخٍ أَطْلَلْنَ من خَللِ الوَكْرِ، وقد رَفَّ فوقها أَبواها

المناقيرُ تلقط الحبَّ نَديانَ، وتشدو آيَ الشكور لُهاها

وكأنَّ الرؤوسَ مُبتَهِلاتٍ لِصِيان السلطان تدعو اللّها

الذي جوَّعَ المدينة باليسرى، أَتتها يمينُه بِغِذاها

فَحَبتْها من المَلابس والأَقواتِ والمال ما يُضاهي رُباها [1]
ولكانت، لو شاءَ في الدم غَرقى فتولّى نوالُه غَرقاها
هَرْولَتْ «حايلُ» وقد مَسَّها العُريُ، لتلقى من راحتيه كِساها
إذ يعود الصبيانُ بعد اكتساءٍ كالعصافير أفلَتَتْ من عُراها [2]
تتغنّى بكلّ ما يستخفُّ النفسَ، إبّانَ صفوها وغناها
فَرَحٌ شعَّ في عُيونٍ صِغارٍ طال بالأمس من عراءٍ بُكاها
أفرَحَ الأمّهاتِ أنّ الغصون اللدْنَ ماسَتْ أعطافُها بحِلاها
فحَمدنَ الربيع سلطانَ نجدٍ وهْوَ من سَيْبُ جوده وشَاها
أَوَهذا الذي قلاهُ رشيدٌ وقَلَتْه شبيبةٌ رَبّاها
مَثّلوهُ لهم «كتيمورلنكٍ» إن يَدُسْ في بلادهم عَفّاها [3]
ربّ أمرٍ تخاله الأنفسُ المرضى سقاماً، وما سواه دواها
وعدوّ الإنسانِ ما يجهل الإنسانُ من نعمةٍ ومن معناها
إنّ ما تمرُنُ النفوس عليه هو منها، أو إنّهُ إيّاها
سكَنَ الصفحُ بؤرةً، كانت الويلاتُ والحربُ من نبات ثَراها
كلّ نمرٍ وكلّ شبلٍ رهيبٍ فَطَمتْهُ على الدماء لُباها

---

١ استمر الحصار أكثر من شهرين ولكن حايلاً كانت في حال الحرب اكثر من سنة قبل ذلك وكانت القوافل من الكويت والعراق منقطعة عنها . فشمل أهلها الضيق . وكان السلطان عالما بشدة حالهم فجاءهم متأهباً لتخفيفها . جاء بالمؤن وجاء بالثياب والمال فأجزل للناس العطاء ووزع ألوفاً من أكياس الارز وألوفا من الكسوات . ولقد كانوا ليلة الحصار الاخيرة على آخر رمق يرون شبح المجاعة والموت فأمسوا ليلة التسليم الأولى وكلهم شبعانون مكسيّون مطمئنون . (ت . ن .)

٢ عراها : مفردها عروة والمقصود الحبس .

٣ تيمورلنك : الطاغية المغولي المشهور . وتيمور معناها الأسد ولنك الأعرج .

من هنا الويلُ نابَ آلَ سعودٍ وتولّى أعلامَهم فطواها

من هنا أجَّ كلُّ مارجِ نارٍ حرَمَ العُربَ نخلَها وعضاها

من هنا القطبُ كلّما الحربُ قامتْ فأدارت على الرجال رحاها

تنشأتْ دولةٌ لآل رشيدٍ من تُراثِ السعود سلّتْ قُواها

صارَ عمّالُهم عليهم سيوفاً نحو أسيادها تمدُّ ظُباها

لا تُحاذِرْ خصيمَكَ ابنَ «طلالٍ» المآسي حِلمُ الحليم محاها

بدْؤها كان بالكبير ابن عبد الله، فاسلَمْ، فأنت ذا مُنتهاها[١]

• • •

عطَفَتْ حايلٌ على ابن سعودٍ مثل واحِ الصحراء خفَّ قطاها

آنساتٍ برؤية الصقر من قُربٍ، ينسر الأجواء يحمي حِماها

ولقد كان بالعشيَّةِ خصماً فغدا، وهو بينها مولاها

للجماهير وثْبةٌ تكرَهُ الوسطَ، فتأتي من غايةٍ أقصاها

فهْي في سورة المشاعر كالأنثى، يُضِلُّ البصيرَ جمحُ هواها

مثلُها تعبدُ الكريمَ قويّاً يقنص الأُسْدَ في الخدور وِجاها

مُعرِقاً في الأصول حتى النهايات، مديداً عقلاً وسيفاً وجاها

• • •

١ هو محمد بن عبدالله الرشيد وهو الذي قضى على نفوذ آل سعود كما أسلفنا القول في محله.

أنصَتَتْ «حايلٌ» لقول عظيمٍ لو َهوَتْ ريشةٌ لرَنَّ صداها

يرصدون السلطانَ رَصْدَ هِلالِ العيد، في ليلةٍ تَعرَّتْ سَماهـا

يرقبون ابتسامةً أو عبوساً ولِحاظاً كالشمس رأْدَ ضحاها

«من تريدون أن نُولّي عليكم»؟ فأجاب الحشدُ الجميعُ ابْتِداها

«من سعودٍ أَقِمْ علينا أميراً» دوحة الخير، لا نروم سواهـا

عند لفحِ الهجير نأوي إليها ونَميرُ العيونَ من رَيَّاها

للصدور التي تهفُّ الى الأَزهار، يجري مع الصباح شَذاهـا

للشفاه التي تشظَّتْ، من الظمءِ، نثيرٌ عـلى الظلالَ جَناها

فَيئُها القِسطُ لا يَجورُ، فيُعطي كلَّ نفسٍ كما استحقَّتْ جَزاها

إن يكن جِذْرُها يَمُتُّ الى الأَرض، فأفنانها تناجي الإلهـا

دوحةٌ خيرُها على كلِّ نجدٍ أعلى «حايلٍ» حرامٌ نَداها

. . .

إنَّ رأيَ السلطان أبعدُ شأواً من حُلومٍ فرطُ السخاء ازدهاها

كان في ريبةٍ، أوَقْدةُ شيحٍ؟ يتلاشى مع النسيم صِلاها

أم هي النار وَقْدُها الأَثَلُ الصُلبُ، ضنينٌ عـلى الفناء غَضاها

---

١ مار يمير اتى بالمؤونة لعياله .

سأل السلطان أهل حايل من تريدون أن نؤمِّر عليكم؟ فأجابوا واحداً من آل سعود أو من كبار رجالك فقال عبد العزيز: «لست من رأيكم فقد كنا وإياكم اعداء مدة طويلة فـلا يجوز ان نحكمكم الآن مباشرة وأنا أعرفكم يا أهل حايل انكم أهل قيل وقال أصحاب فتن ولكني لا أخشى أن أؤمِّر عليكم واحـداً منكم واني أريد أن أحافظ على كرامتكم، هذا ابراهيم السبهان فهو منكم وهو رجل عاقـل، هو أميركم واني واثق بالله وعادته معي جميلة، فهو سبحانه وتعالى ينصفني ممن يغدر أو يخون» . (ت . ن .)

لم يجبهمْ لمطلبٍ كان فيه   من لآلي مديحه أغلاها

أوثوبٌ من حرَّةٍ لجليدٍ؟   إنَّ في طفرة النفوس أذاها

إنَّ في «حايلٍ» غِراسَ عِداءٍ   ربعُ قرنٍ من الحقود سقاها

ليس إلّا الزمانُ ينتزعُ الأضغانَ،   فالوقت مصلحٌ لا يُضاهى

ريثما تخلدُ السيوفُ الى السلم،   وتنقى من الدماء شَباها

«سنوَلّي «السبهانَ» منكم عليكم»   ليس أولى من لُحمةٍ بِسَداها

وهو فيكم خير الوجوه انتساباً   وإيالاً وعزمةً وانتباها [1]

من سَراةٍ تداولوا الأمر أحقاباً،   وإن ضُلّلوا هوًى واتّجاها

لم يكُ العيبُ في السفينة لكن   في هواءٍ عن الصراط لَواها

النَواتيُّ من رشيدٍ أمالُوها،   فتاهتْ في اليمّ عن مَرساها [2]

ولقد راقتِ العَواصفُ «باسم   الله تجري سفينتي مجراها»

لقد اخترتُه عريقاً فلا يعمى   بأكنافِ نعمةٍ وسَناها

ومن الحيف أن نولِّي هجيناً   كلَّما استشعر الدناءةَ تاها

ساتراً عيبهُ بأطمارِ عُجبٍ   كلُّ من يحقرُ اللئامَ يراها

ناتئاتٍ نتُوءَ عينيْ أتانٍ   بعد سلخٍ تورَّمتْ مقلتاها

«إنَّ نجلَ السبهان راعٍ حكيمٌ»   سَعِدَتْ «حايلٌ» اذا ما رعاها

فإذا نعجةٌ عن السَمْتِ حادَت   فهو أدرى بردّها لِهُداها

إنْ تَهُبِّ النكباءُ فيكم بشرٍّ   فهو يأتي النكباءَ من مأتاها [3]

---

١ آل إيالا وأولا الرعية : ساسها ودبّر أمورها . ٢ النواتيّ مفردها النوتيّ وهو الملاح في البحر خاصة وكأنه يميل السفينة من جانب الى آخر . ٣ النكباء : ريح تنحرف عن مهبّ الرياح فتقع بين ريحين، بين الصبا والدبور مثلاً .

خيرُكُم عاقلٌ وَعى الشرع فاستهدى بأضواء هَدْيِهِ فاقتفاها

. . .

ليلةٌ في « الرياض » ذاتُ حواشٍ معطفُ الليل، من علٍ دَلّاها

إن تمُرّ الصبيحةُ الوجهِ فيها صبغَ الفجرَ أسوداً خدّاها

من ترى هذه الطويلةَ قدَّ الرمح؟ أقسى من سنِّه منكباها

تتوارى فتخطف الأرْضَ كيلا من إباء، تمسّها قدَماها

أسبَلَتْ فوق جسمها ثوبَها الضافي، فنمّتْ عن قِصْره ركبتاها

ولكان الخمارُ، لولا بروزُ الأنفِ كالفِهر، ناتئاً غطّاها [1]

راب عينَ الرقيب ذاكَ العمودُ الضخمُ، وازدادَ بالغريب اشتباها [2]

حين ولّى كظبيةٍ فتقفّاها، وعن فجْوَةِ النجاة ثناها

---

[1] الفهر : المدقة التي تسحق بها الاشياء . [2] تنكر محمد بن طلال الرشيد في زي امرأة وحاول الهرب من الرياض في ليلة ليلاء، فقبض عليه وجيء به الى السلطان فأمر بأسره في القصر . جلس السلطان في القصر والى يمينه ويساره رجال بيت الرشيد وعلى الدواوين والكراسي خمسون ونيّف من وجهاء الرياض وعلمائها . دخل العبيد ومعهم ابن طلال فأجلسه السلطان الى يمينه ثم قال : « اعلموا يا آل الرشيد انكم عندي مثل أولادي . وأنتم في الرياض تعيشون كما أعيش انا واولادي لا أزين ولا أشين، ثيابكم مثل ثيابنا وأكلكم مثل أكلنا وخيلكم مثل خيلنا وأزين – ترى الصحيح ؟ وليس في القصر او في البلاد تحت يدي ما تبغونه ولا يجيئكم، ترى الصحيح ؟ وهل منكم من يشك في ذلك تكلموا » . لم يفه احد بكلمة. « وأنت يا محمد ما جَرّ عليك الأسر غير نفسك غير عملك المشين كن عاقلاً حكيماً ولا تعر أذنك النساء . اني عالم بما تقول وبما تعمل فاعقل لصالح نفسك . تجنب الطرق التي فيها القال والقيل . كن صادقاً مخلصاً تكرم كل الإكرام مثل أهلك هؤلاء كلهم . والله بالله ان الضرر الذي يمسكم يا آل الرشيد يحرك قلبي قبل لساني الى مسّاعدتكم. أنت يا محمد واحد من بيتي الآن . وكل ما عندي للدفاع عن بيتي عن العيال والحريم أقدمه اذا اقتضى الامر في الدفاع عنك، في الدفاع عنكم كلكم يا آل الرشيد » . ها هنا وقف السلطان فوقف الجميع وأعطى يده لابن طلال قائلاً : أعطيك عهد الله ما زلت مخلصاً لنا . فصالحه ابن طلال ثم قبل عظمته في أنفه وجبينه وتوالت الادعية الرشيدية بدوام السلطان وتوطيد ملكه وكان ذلك الصوت صوت كبير بيت الرشيد يومئذٍ فيصل الرشيد .

(ت . ن .)

مَن تراها ؟ المخاتلُ ابن « طلالٍ » زادَهُ الصفحُ خفَّةً وسَفاها
أُسِرَ النِمرُ بعد أن كان ضيفاً ذلّة القيد بالنفاقِ شراها

. . .

راءَ قصرُ « الرياضِ » يوماً فريداً رَوَّق الأمسَ والغيومَ جلاها
رَحبُه غصَّ بالسراة رؤوساً كان في حومةِ الوغى مُلتقاها
فتلاقى الوجوهُ في نَدوة السلمِ، وقد وَحّدَ الحسامُ لواها
ذلك الخيِّرُ الفراتُ بنجدٍ رَويت من عُبابه ضفّتاها
وعليه تَلاقتا، مثلما لاقتْ شُبولُ الخدر المنيـع أباها
هاهنا أسرة الرشيد، وقد حِيطَتْ برغدٍ فأخفَتَتْ شكواها
فرْقداها ابن « متعبٍ » والعميدُ الباسمُ الثغر « فيصلٌ » كَفلاها[1]
الصنيعُ الجميـلُ ينزع أظفاراً، ويجبي مآسِداً من فَلاها
وهنا نخبة « الرياض » شيوخٌ وكهولٌ تحتُ المعالي نَماها
هَلَّ وجهُ السلطان بالحلم دَفّاقاً، كما ترسـلُ السماءُ حَياها
قال هاتوا الأسيرَ غيرَ أسيرٍ وصمةُ القيد شيمتي تأباها
فأتاه العبيد بابن « طلالٍ » كسرَ الأسرُ ذلك التيّاها
عن يمين السلطان، أجلسه السلطانُ، محواً لشقوةٍ عاناها
« قد نكثتَ العهودَ يا ابن « طلال » » وغدرتَ الذي كريماً رعاها
آيةُ الضيفِ أن يكون نبيلاً فاذا لوّثَ الضيافةَ شاها

---

[1] هو فيصل بن حمود الرشيد الملقب بالبسّام .

«أنا أدرى بما يقول خصيمٌ» نفسه لم يزل يعجُّ قِلاها
كلما زدُته على الذمّ إكراماً، تَعامى عن جُودتي فازدراها
لم يَدَعْ فريةً يُقطِّرُها الشنآن، إلّا أَساغها وافتراها
لا تغرَّنكَ النساءُ في حوّاءَ شيءٌ من ساحرٍ أغواها
لم يَزلْ صوتُه، على قِدَم الأَجيال، جَرْساً تحبُّه أُذُناها
من عبير التفاَّح في كفِّها موتٌ، جنتهُ على الرفيق يداها
لَيتَ ذاكَ الذي يَراها هَزاراً عن شؤون الرجال يُلجمُ فاها
فانْزَعِ الغِلَّ من فؤادك وانظُرْ مقلةَ الشمس طلقةً في سَماها
أَنا أصفى منها فؤاداً عليكم قَسَماً بالذي أفاض بهاها
«إنّكم أسرة الرشيد كأولادي، معاشاً وعزّةً ورفاها»
مثل آل الرشيد مثل سعودٍ وحدةُ القلب تنظمُ الأَشباها

عسير

قمم رادها النسيم فطابا يحمل الشيح ردنه والملابا[1]
بسقت غابة، وغارت وهاداً وعلت قنة، وعزت عقابا
لا يمس الضباب خضر نواصيها، فأقدامها تلف الضبابا
ما يسح الغيث الهتون عليها فأطاريفها علقن السحابا
أهلها مثلها مناعة بأس طالما شابه الأسود الغابا
جبل ينبت الجذوع صلاباً مثلما ينبت الرجال صلابا
الأعالي تغري فتوري خيالا وعلى العزم تجدل الأعصابا
يتربى الهمام والنسر فيها ويظنان غرة النجم قابا

١ جبال عسير كثيرة المياه والثمار والاخضرار جيدة المناخ رائعة المناظر . وهي أحصن الجبال للدفاع، ورجالها من صفوة العرب في البأس والبسالة وأشدهم نفرة من الاجانب . ولقد اقبلوا في ايام آل سعود الاولين على المعتقد السلفي وكانوا يومئذٍ يدفعون الزكاة للامام في الدرعية . وقاعدة عسير أبها، وتعلو عن سطح البحر سبعة آلاف وثلاثمئة قدم وهي قائمة على رأس وادي ضلاع ووادي شهران، بين آكام وقمم تنتصب حولها كالحراس وتحوط بها ثماني قلاع صغيرة تدعى (مفاتيل) وحولها قبائل عديدة كانت تحارب الترك ونجداً والحجاز . ومنها بنو مغيط ودليم ومالك ويزيد وبنو شهر . وشرقيها خميس مشيط قاعدة بني زهران . وفي هذه الناحية وادي شعاف لآل يزيد ومنهم آل عائض الزاعمين انهم من سلالة معاوية . ولم يكونوا قبل الفتح السعودي أمراء في عسير وانما أمرهم سعود الكبير . وآل الحكم سنة ١٩١٢ الى حسن بن علي وكان مستبداً ظالماً، فنفرت منه القبائل وشكته الى ابن سعود . فبعث اليه السلطان بستة من علماء نجد للنصيحة والصلح فكان جواب حسن تهديداً للسلطان اذ قال : اذا كان ابن سعود يتدخل في شؤون قبائل عسير فسنمشي الى قلعة بيشة النخل ونستولي عليها . (ت . ن .)

مَن يَرَ الأزهرين مقبضَ كفيهِ، تَراءَتْ له الصقورُ ذبابا[١]

. . .

فوقَ وادي «شَهرانَ» ترفلُ «أَبْها» لبستْ من شموخها جلبابا

كعروس مَجلوَّةٍ، وحواليها بناتُ الأشراف قامت هِضابا

وقِلاعٌ رواسخٌ راصداتٌ ساكباتٌ على العدوِّ شهابا

حول «أَبْها» قبائلٌ من «مُغيطٍ» و «دُليمٍ» لا يأتلونَ احترابا

وبنو «مالكٍ» و «شَهْرَ» و «زَهرانَ» و«زيدٍ» نَسْلِ الأسود غضابا

وبنو «عائضٍ» وهم نسلُ «حَربٍ» أمويونَ شيمةً وانتسابا

خلعوا رايةَ السعود، ولولاها لكانوا كغيرهم أحسابا

نَعِموا في ظلالها وإليها جدُّهم «عائضٌ» لدى الروع آبا

طالما قدَّموا الزكاةَ لِآل الشيخ، واستهجنوا ذُرًى وقِبابا

فَمَحَوْها تمثُّلًا بنبيٍّ عن حِمى الله أبعدَ الأنصابا

بابن عبد الوهّاب جاءهم النورُ، فلاقوا ربَّ العُلى الوهّابا

. . .

آل، بعد الأتراك أمرُ «عسيرٍ» للذي افتنَّ قسوةً وعذابا

للذي سامَها كفرعون مصرٍ عَنَتاً ساحقاً، وسبعاً صِعابا

فاشتكتهُ «الزهرانُ» من بعد «قحطان» لِمن ينصرُ الضعيفَ المُصابا

---

١ الأزهران: الشمس والقمر.

«حسنٌ» زادَهُ التلطّفُ عُنفاً من زُهوّ الطاووس رَدّ الجوابا
لا يطولُ السلطانَ قبحُ جوابٍ ضلّ فيه المجاوبُ الآدابا
رُبَّ غِرٍّ بِسَهمِهِ رامَ صخراً فسقى من دِمائه النُشّابا
خطَلُ الرأي أن يُغرَّ شِراعٌ بسكونٍ فيستثيرُ العُبابا

• • •

سار للجائر العنيد ابنُ «جَلْوي» عَلَّه يُبلغُ العتيَّ الصوابا[1]
في يدٍ يحمل السلامَ وفي الأخرى، اذا يجمح الجوادُ، الحسابا
عَجَّلَ الحربَ أهوجٌ يُوقِدُ النار، ويمضي اذا استطارت لِهابا
بين «أبْها» العليا، وبين «مشيطٍ» «حَجْلَةٌ» شاهدت ظُبًى وحرابا
أَحدُ القائدين فرَّ، وما كان ابنُ «جَلْوي» المُنَفِّر الهرَّابا
لا يفرُّ القُوَّاد من آل «جلوي» قبل أن يترك السوادُ الغرابا
حَسنٌ فرَّ . . . ! أين يأوي ؟ وقد سدّ، المهيبُ الصدى، عليه الرحابا
عادَ مُستأمناً فأمّنَهُ السلطانُ، عَلَّ المُراوغَ الفِسْلَ تابا
ذكَّرَ «العائضيَّ» عهدَ وفاءٍ وجدوداً أكارماً أصحابا[2]

---

١ أرسل السلطان ابن عمه عبد العزيز بن مساعد بن جلوي ومعه ألفان من الجنود وأمره ان يدعو ابن عائض أولا للسلم فيكون مع ابن سعود كما كان اجداده الاولون . ولقد كفاه ابن عائض مؤونة الدعوة للسلم، فخرج اليه بجنوده وتصادموا في مكان يدعى حجلة، بين أبها وخميس مشيط، فكانت الوقعة شديدة وكانت الهزيمة على أهل عسير . (ت . ن .)

٢ رجع حسن وابن عمه محمد الى ابن مساعد مستأمنين فأمّنهما وارسلهما الى الرياض حيث أقاما شهراً بضيافة السلطان واتفقا وإياه على أن يكونا معه كما كان أجدادهما مع اجداده . قال عبد العزيز : «ما تخلينا ابداً عنكم يا آل عائض وعندما سأل الترك الشريف عبد الله بن عون أن يهاجمكم وينكل بكم أرسل الشريف يستنجد عمي عبد الله» . فأجابه : «ابن عائض رجل منا فكيف نساعدك عليه» ثم عرض إمارة عسير على حسن فرفضها حسن وقال نكون معاونين لمن تؤمّرون أيّدكم الله، ولا تقصروا عنا من جهة الدنيا . لم يقصر ابن سعود فقد أعطاهما خمسة وستين الف ريال ذهباً وخصّهما وأهلهما بالمشاهرات المالية . (ت . ن .)

القُدامى الأُلى أَحَبُّوا سعوداً   لا اضطراراً ولا ولاءً كِذابا

القُدامى يا طيبَ عهدِ القُدامى   كلّما الذكرُ فيهمِ مرَّ طابا

خُلُقٌ من بَساطة الله فيه   لا طِلاءٌ ترى، ولا تَلعابا

أترى العصرَ؟ وهو عصر فسادٍ   خَلَع النُبلَ، واستطاب العابا

«حسنٌ»، لو به غشاءُ حَياءٍ   لَتَوارى، دون الحياء وذابا

جادَه بالعطاء شؤبوبُ غيثٍ   حيثما سحَّ أطلعَ الإخصابا

ملأَ «العائضيُّ» خُرجاً وهِمْياناً،   وكيس ابن عمّه أذهابا[1]

رافضاً إمرَةَ «العسيرِ» نَديَّ القول،   يُضفي على القروح إهابا

ولقد يَثقلُ الحلالُ على باغٍ،   فيستمرئُ الحياةَ اغتصابا

بعد أن جاء جُحرَهُ انتفض الصِلُّ،   وللغدر أشرع الأَنيابا[2]

حلَّ أختَ النجوم «أبها» أميراً   لم يُطِلْ أنمَشُ البُدور الغيابا

حِزبُه الدارعونَ أبناءُ «شهرٍ»   بالشريف الحسين عَزُّوا جنابا

«تربةٌ» لم تزل سِمامَ لياليه،   فما يعرف الليالي العِذابا

يبذل المال والسلاح جزافاً   وبسبع السباع يغري الذئابا

. . .

---

١ الأذهاب: مفردها الذهب واحدته ذهبة . ٢ عند وصول حسن الى بلدته حرملة تمنع فيها وشرع يدسّ الدسائس على ابن سعود . ثم مشى بعد فتنة أثارها بقوة من قومه على أبها فحاصر الامـير فيها عشرة ايام واضطره الى التسليم، فسلم فأسر في خميس مشيط . وكان الملك حسين يستنهض بني شهر ليكونوا وابن عائض يداً واحدة على ابن سعود، ويمدهم بالذخائر والمال فتفاقم الامر واشتد الخطر على السيادة النجدية في عسير . (ت . ن .)

عَبَّس الجوُّ في «عَسيرَ» وجدَّ الجدُّ، واجتاحَت الرياحُ النِصابا[1]
مَن يعيدُ البندَ السعوديَّ خفَّاقاً؟ ويسترجع المعالي غِلابا[2]
قائدٌ دونه جبال عَسيرٍ عزَّ شأنٍ، ونضرةً وطِلابا
أَمردٌ تسطع البطولةُ في عينيه عزماً وفطنةً وشبابا
لَمحوه الفِرندَ طفلًا رَضيعاً فدَعوهُ المُهنّد القرضابا
«فيصلًا» مثل جدّه أمّلوه لم يُخيّبْ فألًا ولا أنسابا
فهو كالباتر المُشطَّب جوداً ومضاءً وبهجةً وضِرابا
لم يُجازِفْ أبوهُ حين اصطفاهُ قائداً راحَ يأمر الأسرابا
إنَّما النسرُ أعلمُ الطيرِ بالأَجواء، فيها نشا، ومنها أصابا
أوَ يَخشى البَطُّ المُمرّسُ بالماء، إذا فرخُهُ يرود عُبابا
حيثما تهلك الطَواويسُ غرقى يمرح البطُّ نزهةً ودعابا

• • •

سِرْ حفيدَ العلى الى «بيشة» النخل، ويَسِّرْ دربَ البُزاةِ عُقابا
هم يطيرون حيثما طِرتَ، في عينيك يلقون للقلوب اجتذابا

---

١ النصاب: الأصل. ٢ بعد سقوط حايل ببضعة اشهر جهّز السلطان عبد العزيز ابنه فيصلًا بحملة على عسير مؤلفة من ستة آلاف من جنود نجد من (الاخوان) واربعة آلاف من عرب قحطان وزهران انضموا اليهم عندما دخلوا تلك الجبال. وعندما وصل الامير الى (بيشة) كان بنو شهر زاحفين الى قلعتها فأمر فيصل بابتداء القتال فهجمت عليهم كتيبة من الجيش فقتلت مئتين منهم وشتت الباقين وكان محمد ابن عائض مرابطاً بجيشه في خميس مشيط فلما علم بدنوّ الامير تقهقر الى حجله فتقفته سريّة من الفرسان فتراجع وجنوده الى أبها بدون قتال. ثم فرّ منها وأهله وهرب معهم من استطاع وأمّن الامير فيصل الناس بشرط ان يسلموا شوكة الحرب، فسلّم فريق منهم ودخل الامير أبها وظلّ فريق مع حسن الذي لجأ الى حرملة وتحصن فيها. (ت. ن.)

فيسيرون في ركابك إخواناً جنوداً، ورِفْقَــةً أحبابا
يُفلِحُ القائدُ المؤيَّــدُ بالحبِّ، ويكبو مَن قادَهم إرهابا
يا بني «شَهرَ» جاءكم «فيصلُ» النجد، فأدّوا إن استطعتم حسابا
السلاح الذي حباكُمْ خصيمٌ سوف يغدو لِجُندِهِ أسلابا
«بيشةً» رمتُمُ فوَيحَ النَشاوى من غرورٍ، وما أساغوا شرابا
أَنْ تدوسوا المرّيخَ أيسرُ من أن تبلغوا من حَصينَةِ «النخل» بابا
قلعة «النخل» دونها «الفيصلُ» البَتَّارُ، يفري غَلاصِماً ورقابا
هاجَموها فصَدَّهُم فرَماهُم مثلما تمزق الهبوبُ ضبابا
بادَ منهم من بادَ وانهزم الجمعُ أباديــدَ يُفعِمون الشِعابا
هالَهم أنَّ فيصلًا حذَقَ الحرب كمن شبَّ في القتال وشابا
أنّه صادقُ الفراسة والمَرمى، لبيبٌ إن رامَ أمراً أصابا
أنّه لم يُرنّحِ الكِبْرُ عطفيهِ، فيزهو بنفسه إعجـابا
فهو في هالةِ الوقارِ وديعٌ لم يُقم حولَه الدنى حُجّابا
وهو كالوالد المُوحّدِ يأبى أن يرى الناسَ منهمُ أربابا

• • •

فتكةُ الشبل يوم «بيشة» دوَّتْ فطوى الأُفقَ رَجعُها صخَّابا
وتولّتْ محمداً رعشةُ الخوف، وما كان قبلها هيَّابا
خافَ ذاكَ الفتى الذي إن يَرُمْ نصراً، له النصرُ ما يشاء استجابا
الذي لا ينــام إلّا عزيزاً فهو سيفٌ ولا يُطيق القرابا

يوم «كرزونَ» «لندنٌ» عرفتهُ فرأت أمجداً يَزينُ العرابا[1]
لم يكن ذلك الفتيُّ لِيهوى ما اصطفَوْه لسنِّهِ ألعابا
لم تكن «لندنٌ» رأتْ وائلياً قبله يشبه الأسود الغضابا
صدَّقتْ أنَّ عزَّةَ العُرب لا تشرى، وأنّ الضرغامَ يأبى انتدابا
فإذا كان شبلُه، وهو غضٌّ الناب، في دارِهم يصرُّ النابا
فخليقٌ بهم، وقد لمسوا العنوانَ، أن يقرأوا وراه الكتابا

...

«عائضٌ» فرّ من «خميس مشيطٍ» مشرعاً للمظفَّر الأبوابا
أمنَ الناسَ «فيصلٌ» فأتاهُ من رأى منهجَ اليقين فتابا
من كَواهُ من «عائضٍ» مِيسَمُ الجور، فراءَ الدنيا ظلاماً وصابا[2]
كلٌّ من ميَّزَ الفراتَ من الضَحْلِ، ورازَ الأشواكَ والأعنابا[3]
«المفاتيلُ» أشرقتْ حول «أبها» وأزاحت عن العيون الحجابا[4]

---

١ زار الامير فيصل لندن سنة ١٩١٩ يصحبه نسيبه احمد بن ثنيّان فاستقبله احد الضباط الانكليز استقبالا لا يتلاءم مع كرامة ابن سعود فغضب الامير وقال : لو جاء هذا القائد بلاد العرب لذبحناه . واراد بعض الموظفين استدراك هذه الهفوة فأدخل الامير ورفيقه الى مكتب اللورد (كيرزون) فحاول اللورد التلطف فوقع هو ايضاً في هفوة ثانية، إذ اراد إيناس ابن سيد الجزيرة فأخذ يسأله عمّا اذا كان منظر القطر الحديدي أعجبه، وقدم اليه شيئاً من النقل، ناسياً ان ذلك الامير، ولو كان في عمر البدر ، فإنّ فيه أنفة العرب . وقد حاول الانكليز بعدها كثيراً من المجاملات لإزالة غضب الامير فيصل .
(انطوان زيشكا في كتابه ابن سعود صفحة ١٥٩)

٢ الصاب : شجر مرّ . ٣ الضحل : الماء القليل . ٤ المفاتيل في اصطلاح أهل عسير هي القلاع القائمة حول أبها . وعندما دخل الامير فيصل أبها لم يجد فيها غير الكلاب والحريم لان العائضيين وأنصارهم فرّوا وتحصّن حسن في حرملة، وهي في معقل من الجبال يستحيل ارتقاؤها إلا من منافذ معلومة لا يعرفها غير أهلها . وكان آل عائض في محاربتهم الاتراك يلجأون اليها وهي بلدتهم وحصنهم المنيع منذ القدم .
(ت . ن .)

تنظرُ القائدَ الغضيضَ جفوناً فاذا مرّتِ النساءُ تغابى
إنّ مَنْ يأخذ الحصونَ غِلاباً بعد إحرازها يصون النقابا
والذي روّع الأسودَ مغيراً سيفه العضبُ لم يُخوّف كعابا
كالهواء الزعزاع يقتلِعُ الجذْعَ ويُنمي الأزهار والأعشابا
أو شعاعِ الشمسِ المذهّبِ يكوي وجهَ صخرٍ ، ويُنضرُ العُنّابا
فتراه على المفاوز وهجاً وعلى النبتِ زينةً وخضابا
« المفاتيلُ » رحّبتْ بعقابٍ عرفتْ آلهُ الكِرامَ صِحابا
إن يَخُنْ « عائضٌ » ذمام سعودٍ فهي أبقى من أهلها أسبابا
عجباً للرجال تبدلُ عهداً مثلما تبدلُ العروس الثيابا
وعظيمٌ حرصُ التراب على الودِّ ، فحاذِرْ من أن تُهينَ الترابا

. . .

« حسنٌ » قرّ شطرَ « حرملةٍ » يبغي الى معقل النجوم اقترابا
تحسرُ العين عند « حرملةٍ » حيرى ، وقد طوّف الطماحُ فخابا
قبل أن يصعد الجنود مراقيها ترى الهمَّ ينشرُ الأوصابا
لَبِسَ الصخرُ والوعورُ مآتيها ، فباتت دروبُها سردابا
أيني « فيصلٌ » ويعجز عنها ؟ فتقول العصورُ مَلَّ وهابا
مثلما ارتدَّ قائدُ الترك مدحوراً ، يعاني تحرُّقاً وقلابا

لا ؟ فعزمُ السعودِ أومضَ في عينيه ، وانساح في العروق لهابا[١]

ذكرَ الفتحَ في « الرياض » وفي « الأحساء » فانقضَّ كاسراً وَثَّابا

يُقحِمُ الخيلَ حيث تعيا الأراوي وتصدُّ الأيايِمُ السِنجابا[٢]

لو شهدتَ «الإخوانَ» تسمو إليها بعد ما أدْمَتِ الصخورُ الركابا

بعد ما أطفأوا العَدوَّ كما قد أطْفَأتْ زَعْزعُ الرياح الحبابا

لَشَهِدْتَ الفهود تطفر حيناً ثم تحبو الى الرِعانِ انسيابا

بلغوا ذَروَةَ العرين فأين الحَسَنُ العائضيُّ ؟ فرَّ وذابا

صافحوا النجمَ من قريب وصلُّوا للذي كَوَّرَ السما مِحْرابا[٣]

وتَراءَتْ لهم قصورٌ خوالٍ عَشَّشَ الظلمُ بينها أحقابا

كَبُيوت الأصنام ، والحصنُ والأبراجُ دارَتْ من حولها أنصابا

لم تكن غيرُ ساعةٍ وأبادُوها ، فعادَتْ أختُ النجوم يبابا

• • •

ما تخلَّى الحسينُ عن غوثِ أنصارٍ ، فغيرُ الشريفِ ينسى الصِحابا[٤]

خلَّهُ كلٌّ من يُؤاذي سعوداً أبِسيفٍ كان الأذى أم زُنابى[٥]

---

١ أرسل الامير فيصل على حسن في معقله بحرملة سرايا من الجيش الواحدة تلو الأخرى . وبعد تذليل العقبات ومعركة دامت ست ساعات استمرّ (الإخوان) في التصعيد حتى وصلوا حرملة فلم يجدوا حسناً فيها فهدموا قصورها وحصونها وعادوا الى أبها . ٢ الأراوي مفردها الأروية وهي ضأن الجبل، والايايم : الجبال . ٣ كَوّر العمامة : لفّها وأدارها . ٤ فرّ الامير محمد بن عائض الى القنفذة ومنها سافر الى الحجاز ليستنجد الملك حسيناً، فأنجده بحملة صغيرة يقودها الشريف عبد الله بن حمزة الفعر ومعها مئتان من الجنود النظامية وبعض المدافع والرشاشات بقيادة الملازم حمدي بك . فأرسل الامير فيصل قوة من الجيش الى تهامة لصدها هناك . ولكن تهامة كانت على (الاخوان) أشدّ في حرّها وحيّاتها من صخور حرملة فلم يمعنوا فيها بل عادوا منهزمين هزمتهم الحمى الى الجبال فتقفى جيش الحجاز أثرهم . (ت . ن .)

٥ زُنابى العقرب مفردها الزنابة وهي الإبرة التي تضرب فيها .

مَدَّ أبناءُ «عائضٍ» بِسَراياه، ووَلّى قِيادَها الأقطابا
الشريفَ بن «حمزةٍ» ثم «حَمْدي» واهماً أنَّه قضى آرابا
فهما اثنانِ وابنُ سلطانِ نجدٍ حَدَثٌ ما أجازَ بعدُ الشبابا
والجذوعُ الكبارُ أصلبُ عوداً من غصونٍ ما زلنَ هيفاً رِطابا
شَبَحُ النصر في تِهامةَ أغراهُ، فأطرى نسيبَه الغَلّابا
لم يَصُدَّ «الإخوانَ» إلا هجيرٌ في جُحور الضِباب يشوي الضِبابا
ما ثَناهُم عن غارة النصر إلا نافضٌ مَصَّ لحمهم فأذابا
لم تَطُلْ فَرْحةُ الحجاز بنصرٍ أحرزته الحُمّى فكان السرابا
وأرادَ الشريفُ نهجَ سبيلٍ ما رآهُ «حمدي» الخبيرُ صوابا[1]

. . .

أذْعَنَ «البيكُ» للنبيل، وما للأنفِ حقٌّ أن يَعلُوَ الأهدابا
عجباً! يترك الزمامَ خبيرٌ ويُولّي القيادةَ الألقابا
مالَ بالجيش حيثما كمَنَ «الإخوانُ» للفتك رُصّداً طُلّابا
جاءهم بالقُطورِ، بالجيش أكباشاً، وكانت أسودُ نجدٍ سِغابا

---

١ كانت القيادة في الجيش الحجازي مقسومة غير متفق عليها . قال الشريف بن حمزة بخطة في السير، وقال حمدي بك قائد الجيوش النظامية بخطة أخرى . ولكن الكلمة الاخيرة كانت للشريف فمشى بالجيش في الطريق التي حذّره منها حمدي بك . وكان خطأ الشريف من حظ (الاخوان) الناقين على تهامة الطالبين الثأر من الجيش الذي جرّهم اليها، إذ ما عتم الشريف عبد الله بن حمزة أن وقع في الشرك فأحاط به أهل نجد وكادوا يفنون جيشه بالرصاص وبالسيف . نجا القائدان بقسم من رجالهما البدو والنظام ولاذوا ببارق فتعقبهم الاخوان ففرّوا منها منحدرين الى تهامة متقهقرين الى القنفذة . وبعد فرار العائضيين حسن ومحمد، وهزيمة الجيش الحجازي، أقر الامير فيصل في أبها ابن عفيصان وهو من أسرة موالية للسعوديين منذ القديم، وعاد الى الرياض يرفّ فوقه علم الخلود . (ت . ن .)

ثأروا من تِهامةٍ ومن الحِمَى ، فصبُّوا حُمَاهُمُ ميزابا

فرَّ جندُ الشريف غيرَ شريفٍ إذ تدوسُ الحوافرُ الأعقابا

أضرموا نارَهُمْ على ابن سعودٍ فرَماهُم في وَهجها أحطابا

نَصرَ اللهُ عبدَهُ ، وحسامُ النجدِ كالموتِ بدَّد الأحزابا

أُسداً في الهجوم كانوا مع الحَمَى ، وكانوا عند الوطيس الذُّبابا

أو نِعاجاً لمحْنَ في كلِّ نجديٍّ هصوراً أو ذابحاً قصَّابا

حمدُوا الأمسَ مقبلينَ فراحوا نُكَّسَ الهامِ يلعنون الإيابا

وتمَنَّوا لو نَدَّتِ الأرضُ عنهم أو يحولوا من فوقها أخشابا

حسبوها من خوفهم لجَّةَ البحر ، فلا تأتلي تمورُ اضطرابا

أينَ أينَ الفِرار ؟ كلُّ حصون الأرض ، في وهمهم ، ظهرْنَ خرابا

ذكروا « تربةً » ، ولو ذكروها قبل إقدامهم لعافُوا الذهابا

. . .

عَلَمُ السعد هلَّ فوق « عَسير » ناشراً في سمائها الأطيابا

رمَقَتْهُ القلوبُ قبلَ المآقي وأجدَّ المُنى وكُنَّ تبابا

كوكباً لاحَ ، بعد ما روَّقَ الليلُ ، فعَمَّ القُصورَ والأطنابا[1]

وتَولَّى ، في ظِلّه من « عُفيصانَ » أميرٌ يُشرِّفُ الأعرابا

فطنةً ، واستقامةً ، وثباتاً مِثلَ أجداده ، وأمراً مُجابا

. . .

[1] روّق الليل : مدّ رواق ظلمته .

عُدْ الى الخدر يا ابنَ سلطان نجدٍ والْبَسِ المجدَ والخلودَ ثوابا
جئتَ ما يُعجزُ الفحولَ الأَوالي وعلى هَولِها دخلتَ الغابا
فطرةٌ فيك ضربُ أُفقٍ بأُفقٍ البطولات لا تُنال اكتسابا
يُولَد الشبل للعظائم طَلّاباً ، كما تُولَدُ الورودُ رطابا
وكما النسرُ يستطيبُ الأعالي ضارباً في جِواءها جَوّابا
وكْرُهُ حيثما يطولُ جَناحٌ أينما كان لا يحسُّ اغترابا
ولقد يُدهش الورى وهْو فرخٌ آتياً في العلاء أمراً عُجابا
صامتاً في الخطوب واليُمنِ ثبتاً لا سريعَ الهوى ولا نَعّابا
عالماً أنه وإن كان فرخاً فهو عن قشعمِ القشاعم نابا
فهو كالسيف نجدةً وصقالا وهو كالشيخ فطنةً وخطابا
وهو أطرى من الغصون مِراساً وهو أمضى من الْجرازِ اقتضابا
أُنسهُ يُفعِمُ النفوسَ ابتهاجاً سيفه العضب يبتر الأصلابا
يا ابن عبد العزيز عُدْ « لرياضٍ » فلقد كَلَّتِ العيونُ ارتقابا
يفرش الروض عُرضَ دَرْبِكَ زهراً وتُدلّي البَواسقُ الأرطابا [١]
ويُباهي بك السيوفَ عَظيمٌ كنت عن مجد عرشه مستنابا

---

١ أرطاب النخل : ومفردها رطب .

خطر النشوة

عرشُ «عُثمانَ» أو مَلاذُ الفساد هَدَفاً باتَ في مَهبّ العوادي
فَرماه «الغازي» فأنقذ تركياً، وكانت فريسةَ استبداد
كان عبدُ المجيد آخرَ فرعٍ طَوَّحته مَظالمُ الأَجداد[1]
فتولّى في ذُلِّ أرملةٍ ثكلى، سليلُ العُلى، حفيدُ «مُراد»

• • •

مَن لها سُدَّةُ الخلافة إلا هاشميٌّ مُشَرَّفُ الميلاد
مَلِكٌ في الحجاز نوّرَ «عَمَّانَ»، وأضفى السنا على بغداد
سادَ عرشَ الحجاز بالنَسَبِ الراقي الى عِترةِ النبيِّ الهادي[2]
وبِلادَ «الأُردُنِّ» والساحلَ المأمولَ، والرافِدَينِ، بالأولاد
بالنجيبين «فيصلٍ» ثم عبد الله، لألأَ عرشهِ في امتداد

• • •

١ أخذنا اسم السلطان المخلوع عن المؤرخ (زيشكا) . ٢ العترة : الذرية والعشيرة .

جاء « عمَّانَ » رائداً مستبيناً مأربَ العُرب من مُقيمٍ وبادٍ[١]
أَوَيَبْغُونَهُ وَلِيّاً؟ وهل جيرانُ « عمَّانَ » حزبه أم أعاد
يا قطارَ الحسين شرّفْ سهولا فرشتها الورود بالأبراد
أَوَ هذا الذي يُثارُ دخانٌ؟ أم بَخورُ القلوب والأكباد
إنَّ « عمَّانَ » بالموالين غصَّتْ واشتكى السهلُ بجرةَ الأجساد
هم على الموقف الحفيل قيامٌ كقيام الفتيان للأعياد
عددُ النحل في القفير، وشبهُ الحقل غطَّاه عارضٌ من جراد
لم يرَ العربُ مثله قبلُ حشداً واحدَ الرأي، وافرَ الوُرّاد
يحسبُ الناظرُ الوفودَ توالى أنَّ ظلَّ الشريف كلُّ البلاد
حوله القدسُ والشآمُ ومصرٌ كالتفافِ الأوتاد، حول العماد
« الحويطاتُ » عنده كبني « صخرٍ » شباب العروبة الأنجاد
وشيوخُ العربان من كلّ فجٍّ حشدوا جمعهم كسيل الوادي
الأهازيجُ رنّحتْ عابرَ الطير، وهزَّ الثرى حداءُ الحادي

---

١ كانت قضية الخلافة بعد انقلاب السلطنة تشغل العالم الاسلامي، وخصوصاً الملـك حسين لاسيا وان نجله فيصلًا أصبح ملك العراق، وعبد الله على إمارة الأردن فجاء الملك حسين عمان ليقرب من الاقطار الحية الراقية في العالم العربي ويجس نبضها في هذه القضية الخطيرة . ولما وصل القطار عمـان شاهد جلالته في المحطة مشهداً فريداً مجيداً خفقت له قلوب الساسة ورفرفت فوقه آمال الملك كلها . هناك كانت الوفود والجمـوع في انتظاره . وفود سوريا وفلسطين ومشايخ العربان من نواحي الشرق العربي . ورجـال الحكومة من عرب وانكليز والصحافيون من مصر والقدس وبيروت والشام والجنود والجموع من بدو وحضر في الثيـاب العربية والإفرنجية والجركسية . وعندما أطلّ من القطار رفع الناس أصواتهم هاتفين : ليحي ملك العرب ! ليحي المنقذ الاعظم ! وقد كان الاستقبال حارًّا باهراً . اصطفت جنود الجيش العربي على الطريق، من المحطة الى المدينة . وجال العربان من فرسان وهجّانة وهم يهزجون الاهازيج البدوية . ورفع تلاميذ المدارس اصواتهم بالهتاف والاناشيد وشاركت في الترحيب الطائرات الانكليزية التي كانت تغمغم في الفضاء . (ت . ن .)

ذكّرتْ عاهلَ الحجاز بعزّ العُرْب، إذ يُخصبون قحطَ البوادي
من «قريشٍ» و«خثْعمٍ» و«تميمٍ»   و«نمارٍ» و«عُذرةٍ» و«أياد»
كالشواهين في رحال المهارى   كالشياطين في متون الجياد
كُلّهم عنترٌ بدون سوادٍ   ناذراً سيفَهُ لبنْت «قراد»[1]
عند أفراسهمْ ترى ألفَ «شيبوبٍ» خفافٍ ضوامرٍ مُرّاد[2]
يطلقون الرماح في الجوّ تلعاباً، ويجرون لاستباق الصِعاد
كاد «عجلونُ» بعد «موآبَ» و«الصلْتِ» يؤدي حبورَه «للحماد»[3]
فاض نهرُ «اليرموك» من بهجة العيد، وهمّت «حورانُ» بالإنشاد
ولكادت آثار «غسّانَ» تحيا   وتفضُّ الأنقاضُ ثوب الحداد
قُطُر الطائرات، من حالِقِ الجوّ، تحيّي الشريف بالإرعاد
فكأنّ الأعْراسَ في الأرض قد حفّتْ، جلالاً، بالموكب الميّاد
لتحيّي أبا الملوكِ، وسبطَ المالئ الشرق، صفوة الأجواد[4]

• • •

يا لَسوق الكلام راجتْ فضجّ المنبرُ المشتكي من الترداد
كلُّ غالٍ في الشرق يكسدُ إلّا   سلعةُ القول فهْي ذاتُ نفاد
خطباءٌ كالبحر يقذف أصدافاً، ويرمي الصخورَ بالإزباد

---

[1] بنت قراد: هي عبلة بنت مالك بن قراد. [2] شيبوب: أخو عنتر من أمه زبيبة وهو مشهور بخفته وبهلوانيته. [3] عجلون وموآب: جبلان في شرقي الاردن. والصلت بلد هناك والحماد بادية مشهورة.
[4] السبط: هو الحفيد ابن بنت الرجل. والمقصود بالمالىء الشرق: النبي محمد ﷺ.

يُنذِرُون الغربَ العتيَّ بسلطانِ مليكٍ، على المجرَّة، عاد
بوليٍّ يستلُّ، من جبهة الشمس، المواضي وعزمةَ القُوَّاد
لم يهزّ التهديدُ في الغرب غصناً لم يُحرّكْ إلّا هواءَ النادي
فاشتكت صاخبَ الهياج الزوايا وتلاشى الباقي على الأَعواد
بيد أنَّ المليكَ أسكره المدحُ، وزادَ الخُمارَ قولُ المنادي
سيّدَ العُرب أنقذِ العُربَ من ذُلٍّ، فقد طالَ عهد الاستعباد[1]
منقذَ العرب يهتف الناس، ولْيَحْيا الشريف الحسين للآباد
ملك المسلمين، سبط رسول الله، فخر الزمان، قطب الرشاد
أَتُرانا أبناء «يَعرُب» مُتْنا؟ أم خُلِقنا لذلّة واضطهاد
فَلْيَذلِّ المستعمرونَ، قُاماتُ البرايا، وطِينَةُ الأوغاد
فَلْيَذُوقوا جزاءَ ما زرَعوه من شرورٍ فذا أوانُ الحصاد
ليس إلّا خليفة الله في الأرض، وما في اللغات غيرُ الضاد
فكأنَّ الدنيا، بأروعَ ما فيها من الطيّبات والأمجاد
لِخداع الشريف بَثَّتْ حُلاها أتراها كانت على ميعاد

---

١ صعد الخطباء والشعراء منصّة البيان وطفقوا يخطبون وينشدون مهللين مكبّرين ومهددين الانكليز والفرنسيس بل الأوروبيين أجمعين . ليحيا ملك العرب المنقذ الاعظم لتحيا النهضة العربية ! ليسقط الاستعماريون والمستعبدون . ويجيب الملك : لا اتنازل عن حق العرب، فلسطين لاهلها العرب . لا اقبل بالتجزئة ولا بالانتداب . ولا أسكت وفي عروقي دم فاذا رفضت بريطانيا ذلك فاني أرفض المعاهدة . الوحدة العربية والاستقلال التام للجميع . ولا عجب بعد هذه التصريحات المدهشة اذا تمت المبايعة بالخلافة . فبعد المآدب والاجتماعات العامة مع رؤساء الوفود وكبار موظفي الانكليز نودي بالملك حسين خليفة المسلمين، وأمير المؤمنين، فبايعه السوريون والفلسطينيون الذين كانوا هناك، ورؤساء عرب الأردن والحجازيون الذين كانوا مع جلالته وفريق من العراقيين . (ت. ن.)

فرأتْ عينَه تميـل إليها ورأت قلبه عـلى استعداد

. . .

وتَرٌ حرَّكوه، والمدحُ يُغري ما فؤادُ الشريف صِنو الجماد
فجرى بالوعود حيناً وحيناً بدَوِيّ الرعـود والإيعاد
مُخلصاً قال: سوف أنذر نفسي وحياتي لأُمّتي وبـلادي
كلُّ أرضٍ في مشرق العُرب أرضي وكذا الهمُّ همُّهم في فـؤادي
مَنهجي في خِلافتي، مَنهجُ الأبطال، غُرِّ الوجـوه من أجدادي
سيرى الإنـكليز أنّي مليكٌ واسعٌ مطمحي، صليبٌ قِيادي
وستروي العصورُ شدّة بأسي ويرى الغربُ كيف كان ذِيادي
وأنا ابن الإمـام صهر رسول الله، نسلُ المُطهَّر السجّاد[1]
نَسِيَ السِبْطُ وهو شهمٌ خبيرٌ آفـةَ الإئتلاف في الأضداد
إنّما القلبُ والسياسةُ خصمانِ، وإنّ الدهـاءَ كبحُ الفؤاد
وَحدَهُ العقلُ بالسياسة أولى ولخيرٌ للقلب نَهْجُ الحيـاد

. . .

أغضبَ الإنـكليز رفضُ عنيدٍ ما درى كيف يصطفي ويُعادي

---

١ السجّاد: الإمام زين العابدين ابن الحسين وهو الذي سلم في موقعة الطف وهو رابع الأئمـة الاثني عشر. عند الشيعة الامامية حسب زعمهم.

يستبدُّ القويُّ، إن كان يستغني عن الأُعطيات والإمداد[1]
يستبدُّ الذي يصيح بوجه الشمس إني الغنيُّ عن إرفاد
يستقلُّ الذي يقول، لأهل الغرب، عندي مَدافعي وعتادي
حسبكم صُحبتي إذِ العرشُ عرشي فوق أرضي يَقومُ، والزادُ زادي
وأنا السيفُ، والحمائلُ تُؤذيني، غنيٌّ عن حليةٍ ونِجاد

• • •

عاد للعرش بعد ذلك مَزْهوًّا، غضوباً، ينأى عن الإرشاد
رأيه لا يضلُّ، كالشمس لا تهفو، فيجري شعاعها في سداد
حوله عصبةٌ تعيش على الزُلفى، رِحابُ الوجدان، سودُ الأَيادي
كلَّما قال كِلْمةً زَعموها آيةَ الدين أو مَناطَ اعتقاد

---

١ إن لسقوط الحسين أسباباً سياسية وإدارية ومزاجية. اما السياسة فأهمّها إغضابه الانكليز في رفضه المعاهدة التي استمرّت المفاوضة بشأنها ثلاث سنوات. وإغضابه أمراء العرب وفي مقدمتهم ابن سعود. ولقد كان في سياسته العربية يظهر غير ما يبطن. فيقول مثلاً انه مستعد للتنازل عن عرشه في سبيل من يصلح له اكثر منه. وهو في أقواله غيره في أعماله فلم يكن يرى في امراء العرب الحاكمين غير من هو في الدرجة الثالثة او الرابعة فلا منقذ سواه. وكان في عنجهيته فريداً لا يسمع غير صوت نفسه وصداها، ولا يقرّب منه إلا من كان صدى لصداه. ان التبعة والحال هذه في جزء كبير من غرور الحسين هي على اولئك الذين كانوا نظّاراً وقضاةً وكتّاباً وضبّاطاً في حكومته فكانوا له أعداء مدرّعين بالمداهنة والمداجاة يسبّحون ويسجدون كلما فاه بكلمة مهما كانت تافهة، وكلما جاء بعمل مهما كان سخيفاً — اي نعم سيدي، من احسن ما يكون سيدي، وحي منزل سيدي. — وكان يتمسك تمسك البخيل بحطام الدنيا فظلم الرعية وظلم نفسه وكل من حوله إلا المنافقين والمختلسين أمواله واموال الأمة. يتملقون اليه من جميع الطرق فيقول أحدهم مثلاً: السنة سنة جدب في نجد، جفّت الآبار وهلك الألوف من الإبل. ابن سعود مصاب بالسلّ، وقد ثارت عليه قبائل الأحساء، وهم يقولون انهم لا يبغون غير الملك حسين. وكان الملك يظن ان مقالاته في جريدة القبلة تترجم في أوربا وتهز العالم. وانه يستطيع وهو في الخلوان (ديوانه الخاص) أن ينقذ البلاد ويؤسس الدولة العربية حاسباً ان العالم الإسلامي يبتسم لابتسامه ويغضب لغضبه وان الذين يخدمونه يخدمون العرب والاسلام، ولا يبغون أجراً غير رضاه. (ت. ن.)

فيقولون: بُلبل الشرق غِرِّيداً، وحيداً، يسمو على الآحاد
جلَّ في ساحة البلاغة عن صِنْوٍ، وفي المالكين عن أنداد
يا لها من بطانةٍ لم تُعَوَّدْ غيرَ خفض الرؤوس والأَجياد
بِنَعَمْ كُلّهم يجيبون فا «لّلا» تتساوى وَبِدْعَةَ الإِلحاد
هم يجيئونه بكلِّ بَهيجٍ حين يبغون خَلْسَهُ باطِّراد
ويُسرُّونَهُ بما يشرح الصدر، ويُلهي عن دقّةٍ وانتقاد
فيقولون: إنَّ قحطاً بنَجدٍ ترك الزرعَ تلَّةً من رماد
المواشي بادتْ وسلطانُ نجدٍ حاجبٌ وَجْهه عن العُوّاد
داؤُهُ أعجزَ الأُساةَ، وَصدَّ النومَ، فالجفن شاخصٌ للسهاد
ولقد ثارَتِ «الحساءُ» عليه واستفاقتْ كَوامِنُ الأَحقاد
كلُّ حرفٍ على الصحائف تُلقيهِ، يُنَدّي غلَّ القلوب الصوادي
يُدهش الغربَ فالتَراجمُ نشوى من أَعاجيب ذِهْنك الوقّاد
رَهْنُ كفَّيكَ، إن تشأْ، عربُ الأَرض، رجالُ النهى، لُيوثُ الطراد
كُلّهمْ! كُلّهمْ، عدا ابن سعودٍ مُرْ يَجئكَ الزمانُ في الأَجناد
تتعالى فصاحةً وذكاءً واقتداراً عن ألسُنِ النُقّاد
عِلْيةُ الشرق جَنبَ نجمك، أعدادٌ تَوالى في صفحة العَدّاد
أَو حواشٍ في «المخلوان» فإن تَبْسِمْ، غمرت الأمصار بالإسعاد[1]
مَن يُجازفْ منهم بخطوة حُرٍ فَلْيُبادَرْ بخِذَم الجلّاد

---

[1] المخلوان: عندهم ديوان الملك الخاص.

كُلّنا، كلٌّ من تكلَّمَ بالضادِ، سيوف المليك في الأَغماد

. . .

هكذا كانت المدائحُ تُغريهِ، فيلْقى الأشياءَ من منطاد
وهْو من بحر مدْحهم في جميعٍ وهْو من زَهْوِ نفسه في انفراد
لا يرى حوله الثعالبَ، في الكَرْمِ، تَسُوخُ يتيهُ في الأبعاد
يسرقون العنقود، وهو يَودُّ القِطفَ، حتى من غَيْضَةِ الآساد[1]

. . .

أهلَ بيت النبيِّ ما كان طه غيرَ قطب المكارم الجوّاد
خبزُهُ، يومَ كان يحظى بخبزٍ للغراثَى، وماؤهُ للصادي
لو ملكتُ الجبالَ تبراً، يقول المصطفى، وُزِّعَتْ على القُصّاد
قانعاً بالكساء من زينة الدنيا، ومأوًى وبُلْغَةٍ من زاد
«أنا عبدٌ، كالعبد آكُلُ مرتاحاً، وكالعبد مَفْرشي ووِسادي»
«يا إلهي، مع المساكين فاحْشُرني، دُعائي لهم، وفيهم ودادي»
وتراهُ بفتحِ مَكّةَ، والأقطابُ حفّتْ به كيوم التنادي
يومَ غنَّى له من الله نصرٌ وبهاءُ الشعاع في الأرْآد[2]
يؤنس الخائفَ الضعيفَ اعتراهُ من جَلال النبيِّ شبهُ ارتعاد

---

[1] القطف: العنقود ساعة يقطف. [2] أرآد مفردها رأد.

قائلًا، والكلامُ أحلى من الزهر، وفي الحرِّ من صبيب العِهاد

لا تخفني فلستُ بابن مليكٍ وَرِث الزهو عن حرير المهاد

إن أمّي كريمةٌ من قريشٍ لم تُمتَّــعْ بنعمة الإرغاد

لم تَعَفْ مأكلَ القديد، ولم تعرف دِمَقْساً للبسٍ واتِّساد[1]

أَحمدُ كانَ ألينَ الناس خلقاً عَصَم اللهُ حِلْمَهُ من عناد

يستشير الأصحابَ شهماً وديعاً وهو أغنى الورى عن استرشاد

حين يُوحى اليه يقطع بالوحي، وفي عيشه، نظيرُ العباد

بل نظير الضِعافِ منهم صبوراً لِسُغوبٍ، وللخطوب الشداد[2]

فكأنَّ العراء والبردَ والزعزاعَ والرعـدَ حصَّةُ الأطواد

...

أهلَ بيتِ النبيِّ كان عليٌّ جدُّكُم، كان سيِّد الزُهّاد[3]

---

١ اتّسد : اتخذ الوسادة . ومما يؤثر عن النبي ﷺ انه يوم فتح مكة جلس على الصفا يبايع الناس . وجاء رجل فأخذته الرعدة فقال له هوّن عليك انما انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد . وكان يقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، واجلس كما يجلس العبد . وكان يأكل مع الخادم . ويحمل بضاعته من السوق . وقد عاش عيشاً خشناً فكان يأكل خبز الشعير غير منخول . وكان ألين الناس عريكةً ما دعاه أحد من أصحابه إلا قال لبيك يخالطهم ويحادثهم ويمازح صبيانهم، ويجيب دعوة العبد والحرّ والأمَة والمسكين ويعود المرضى في أقصى المدينة . وكان أجود من الريح المرسلة، وقال يوماً لاصحابه وقد اضطروه الى شجرة فخطفت رداءه اعطوني ردائي، لو كان لي عدد هذه العضاه نعماً لقسمته بينكم . وفي رواية، لو ان لي مثل جبال تهامة ذهباً لقسمته بينكم . (ملخص عن السيرة الحلبية)

٢ السغوب : الجوع . ٣ كان ابو الحسن يقول : إنّ دنياكم لأهون عليّ من ورقة في فم جرادة تقضمها، وانها كعفطة عنز . ولا غروَ فزهد الإمام ومآثره الخالدة مضرب الامثال وقد استوفينا الكلام عليها في ملحمة عيد الغدير .

قال دُنياكُمُ عليَّ حرامٌ وهي أنثى ، فلن تنال قِيادي
وهي في خاطري كَحَفْنَةِ أوراقٍ ، مشى فوقها نَهِمُ الجراد
رَجَعُ أفراحها كَمَفْطةِ عنزٍ ويواقيتُها رهيف القتاد
أنا لو أسلُبُ الرعيّة فلساً لجفاني ، على النعاس ، رقادي
وعصاني فمي ، وصدَّت لُهاتي عن طعامٍ مُحبَّبٍ وازدراد
ولَشاهَتْ صحيفتي ، وأمّحى أجري ، وزالت مآثري وجهادي
كان ذاك العظيم يعلم أنَّ المالَ والكنزَ أحقرُ الأصفاد
طَهَّر الله صدرَه من غرورٍ وادّعاءٍ ، ونهمةِ الصيَّاد
تحتَهُ كان بعضَ قشٍّ وليفٍ لم تُدنّسهُ صنعةُ النجَّاد
وهو من تصغرُ العروشُ عليه وهو صنو الخلود في الآباد
وهو إن يَفتخِرْ بماضٍ فقدُ الشهب آياتُ فضله والأيادي
كعبة الفهم والبيان المُعلَّى والمروءات والسيوف الحداد
ليثُ «بدرٍ» و«خيبرٍ» و«حُنينٍ» ذكرهُ في فمِ العصور الشوادي
إن يَلُمِّ الميدانَ أكوام فخرٍ فهي غَلّات سيفه الحصَّاد
طَيِّبَ النفس كان يلقى المنايا لانتصارٍ ، أو ميتةِ استشهاد
جودُه بالدماء ، كالجود بالفلس ، فأكرِمْ بالبائسِ الرفَّاد
من يَجِدْ من خَصاصةٍ برغيفٍ وهو أولى ، من سائلٍ ، بالزاد[1]

١ من خصاصة : اي من قلة .

فهْوَ أسخى الورى فبذلُ سواه من أيادٍ وبذلُه من فؤاد

كان ملءَ العُلى أبو الحسن الشهم فما هَمَّ مرّةً باعتداد

فَلِمَ الشمسُ كلّها لا تباهي؟ ويُباهي منها بصيصٌ باد

الحجاز

هاجَ أمرُ الخلافة «الإخوانا» وانتضى من غُمودها الأضغانا
كلُّ ما كان من شجونٍ دفيناً عادَ حيّاً فمزّق الأكفانا
عندما تدمَلُ القلوبُ على غلٍّ يعودُ الأمسُ المكتَّمُ آنا
عقدوا في«الرياض»مجلسَ شورى ضمَّ من كلّ دَوحةٍ أغصانا
رأسهُ مِدرَهٌ تمرّسَ بالدنيا وعانى من أمرها ما عانى[1]
شهدَ العزَّ والمرارةَ والإقبالَ والهمَّ والمُنى ألوانا
والليالي بيَّضنَ لِمّتَهُ السوداءَ فازدادَ هيبةً واتّزانا
فكأنّ الرمادَ في هدأة العمر يُغطّي وقارُه النيرانا
فيعود الخيالُ قولاً رصيناً ومرامي جموحه برهانا
قال عبدُ الرحمن : يا أهلَ نجدٍ قد أتتني أنباؤكم تهتانا[2]

١ المدره : السيد العاقل . ٢ عقد في الرياض اجتماع عام برئاسة الإمـــام عبد الرحمن حضره العلماء ورؤساء القبائل والسلطان عبد العزيز . فافتتح حضرة الإمام الجلسة قائلاً : «قد جـــاءني كتب عديدة من (الاخوان) وهم يبغون الحج . وقد أرسلت هذه الكتب في حينها الى ولدنا عبد العزيز، وها هو أمامكم يجيبكم فاسألوه عمّا يبدو لكم .
السلطان — وصلني كل ما كتبتموه وأحطت علماً بكل ما شكوتموه إنّ لكل شيء نهاية فلا تيأسوا وان الأمور مرهونة بأوقاتها» .
(ت . ن .)

تبتغون الحجَّ الذي قد حُرِمتُم فصرفنا نِداءَكم لِسوانا
للذي ردّ عزّ نجدٍ لنجدٍ وإلى المجد زفّها أوطانا
فاسألوه، فراحت الأعيُنُ الحرَّى، على القُرب، تَنشدُ السلطانا
بين أجفانها السوآلُ، وقد نَصَّتْ، لِتَلَقّى جوابَه، الآذانا[1]
مثلما تشخصُ العيون لنسرٍ تَخِذَتهُ بِجوِّها رُبّانا
فشمٌ قبلها تمرَّسَ بالرّيح، وجابَ العُلى، وراض العنانا
فاشرَأبّتْ رؤوسُها راصداتٍ واستَحرّتْ عيونُها استئذانا
قبل أن تترك الصعيدَ الى الجوّ، وتطوي فضاءهُ طيرانا
فأجاب السلطان: صبراً، فعينُ الله، من فوق عرشه ترعانا
قصدكُمْ حجُّ بيتهِ أنبلُ القصدِ، فلن يُهملَ الرحيمُ رَجانا
كلُّ أمر له من الوقت حينٌ لا مَرَدٌّ له اذا هو حانا
لا تبيحوا صُدوركم لقنوطٍ إنّما اليأسُ يجرح الإيمانا

...

ما عَساهُ الندى يَبُلُّ من الرمضاء فارتْ كُثبانُها فَورانا
حُرِموا الحجَّ منذ خمسة أعوامٍ، فذابوا الى الطُواف حنانا
قلبهم في «الحطيم» في «عرفاتٍ» حيث يَحدون كالغيوم الضانا
فَيهلُّ الأضحى بِهَدْيٍ من الشاء، ومن صفوة النياق هِجانا[2]
ذلك اليومُ يُشبعُ البائسَ العاني، ووحشَ الفلاة، والغربانا

---

١ نصّت: رفعت. ٢ الهدي: هو ما يضحى في العيد. والهجان: هي الإبل البيض، وإنها أجود الإبل.

فيحلُّونَ، دون خوفٍ ولا مَنٍّ، على فضل ربِّهم ضيفانا
ذكروا العيدَ والإفاضةَ والحصباءَ، يرمون في «مِنى» الشيطانا
بعد سعيٍ الى الصفاة مُلبِّين: تقبَّلْ إلهنا مَسعانا
ظلَّ كَبْتُ «الإخوان» ستين شهراً يلتظي في صدورهم حرمانا
من يَسُدُّ القِدرَ الذي تحته النارُ، فقد زاد ماءه غَلَيانا
يستمرُّ اللهيبُ في كبد الأرض يفتُّ الصيخودَ والصمَّانا[1]
فاذا صدَّع الصُّدوعَ وفلَّ الصخر أبدى لِسانَه بُركانا
كان ذاكَ البركانُ شِبلَ «بجادٍ» قذفَ الوقدَ أحمراً والدخانا
قال: يا أيها الإمامُ صَبَرنا فإلامَ الإغضاءُ عن شكوانا
كلُّ شيءٍ له مَداهُ، وذابَ القلبُ والعينُ في ارتقاب مَدانا
يَمثُلُ الحجُّ فكرةً في خفايانا، وحُلماً مُنغَّصاً في رُؤانا
ليس ملكُ الشريف ما فَرضَ اللهُ، ولا حجُّنا ولا حرمانا
فهي ملكُ الله الذي أنزلَ القرآن بالحجِّ يكملُ الأركانا
جعلَ البيتَ للسجود مَثاباً ومُصلًّى ومَركعاً وأمانا

---

[1] الصيخود: الصخرة الشديدة. اندفع سلطان بن بجاد أمير الغطغط للكلام قائلاً: «يا لإمام نحن نبغي الحج ولا نريد ان نصبر اكثر مما صبرنا على ترك ركن من اركان الاسلام مع قدرتنا عليه. ليست مكة ملكاً لاحد ولا يحق لاحد ان يمنع المسلمين أو يصدّ المؤمنين عن اداء فريضة الحج. نريد ان نحج يا عبد العزيز فاذا منعنا الشريف حسين دخلنا مكة بالقوة. واذا كنتم ترون ان من المصلحة تأجيل الحج في هذا العام فلابد من غزو الحجاز لنخلص البيت الحرام من أيدي الظالمين والمفسدين.» (ت. ن.)

وهُدًى للذي استطاعَ سبيلًا فكأنَّ الوحيَ المجيدَ عنانا[1]

نحن من يستطيعُ دربًا إليه وهْو أشهى ما طاب من دنيانا

ولو انَّ الصخور تصطفُّ سُدًّا لَفتحنا أصمَّها بِظُبانا

حَرَمُ الله شاقنا أن نراهُ ونُلَبِّي، ونستطيبَ الأذانا

حيثما شادَ أحمدُ قِبلةَ الدنيا، وهدَّ الطاغوتَ والأوثانا

نعبد الله في حِماهُ ولسنا لسوى الله وحدَه عُبدانا

لا يرانا الشريفُ أعبادَ رِقٍّ لم تلِدْ عندنا اللباءُ جبانا

نحن في ظلِّكَ المديدِ من الأمجادِ نُضفي على الزمان كِيانا

فنُحلِّي ما كانَ منه وجودًا وعلى العزِّ نَركِزُ الإمكانا

نحن إنْ تَعطشِ المواضي سقيناها، إذا أفلَت العدوُّ دِمانا

وهْي لا تنزل المَغامدَ إلَّا عندما يُغمد الثرى شُهَدانا

سيفُنا ضيفُنا فعارٌ علينا أن نخلّي فِرِنْدَهُ ظمآنا

حبَّذا في الحجاز رملٌ حبيبٌ يصطفيه أبطالُنا أكفانا

في سبيل الرحمن تمضي، الى الرحمن، غرًّا بواسلًا قَتلانا

نفد الصبرُ بعد خمسٍ، فلو رمنا مزيدًا لَعافنا وهجانا

• • •

[1] إشارة الى الآيات: «اذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتخذوا من مقام ابراهيم مُصلّى، وعهدنا الى ابراهيم وإسمعيل أن طهِّرا بيتي للطائفين والعاكفين والرُّكَّع والسجود». «فيه آيات بيّنات مقام ابراهيم، ومن دخله كان آمناً ولله على الناس حجّ البيت من استطاع اليه سبيلًا». «جعل الله الكعبة البيت الحرام».

ما عساهُ السلطان يكتم بعد اليوم، والمدُّ جاوز الشطآنا
كَبَتَ الغيظَ جهدَهُ أتراهُ؟ يُلجم النورَ، والنهارُ استبانا
يشهدُ اللهُ قال، أنّا صبَرْنا وطوينا، على الجروح، أذانا
قد حملنا، من الشريف، الذي يُحني الصياصي، ويَبهظُ الصوّانا
ما خفضنا له الجوانحَ إلّا زاد كبراً فعابَنا وازدرانا
قد بذلنا له المودَّةَ والألطافَ تَترى فردَّها أضغانا [١]
وخضوعاً لو للحجارة أدَّيناهُ لاغرورقَ الجمادُ ولانا
«نحن أولادك الصِغارُ فمُرنا ولنا الفخرُ أن نراك أبانا»
كم بذلنا له الخضوعَ صريحاً مثلما يَبرزُ الضياءُ عيانا

١ الألطاف: الهدايا. قال السلطان في هذا الاجتماع مخاطباً العلماء والإخوان: «نحن لا نود ان نحارب من يسالمنا ولا نمتنع عن موالاة من يوالينا ولكن شريف مكة كان دائماً كما تعلمون يزرع بزور الشقاق بين عشائرنا، وهو الوارث من أسلافه بغضنا. ومع ذلك فقد بذلت كل ما في وسعي لحلّ المشاكل التي بيننا وبين الحجاز بالتي هي أحسن وكنت كل ما دنوت من الحسين تباعد، وكل ما لنت له تجافى إي وربّ الكعبة. ولست أرى في تطور الأمور ما ينعش الأمل بل ارى الأمور تزداد شدة وارتباكاً. ولا يحسن الاستمرار في خطة لا تعزز حقوقنا ومصالحنا». وقف السلطان عند هذه الكلمة فهتف الجميع: توكلنا على الله. الى الحجاز! الى الحجاز. (ت. ن.)

وإثباتاً للخضوع الذي كان يبديه السلطان نثبت هنا بعض العبارات الواردة في رسائله الى الحسين فمن رسالة مؤرخة ١٨ ن سنة ١٣٢٨: «قدمنا أخانا عبد العزيز عبد الله السعود لموجب خدمتكم وأحببنا المصاوغة معه لموجب التبرك باقدامكم وأرسلنا معه الصقلاوية والحمداني وكحيلان. ولا والله قصدنا في إرسالها لانكم بحاجتها، ولا شك في غايتنا نبغي نقرّب أنفسنا منكم فاننا هنا حاسبين أنفسنا من خواصكم ولله ثم لكم. وإلا هديتنا لحضرتكم رؤوسنا وما تحت أيدينا». ومن كتاب آخر، وقد شكاه الى الشريف نفر من عتيبة والقصيم، قوله: «فأنا ابنكم وخادمكم ومملوك فضلكم سامع ومطيع لله ثم حضرتكم لأدنى واحد من القصيم او من عتيبة يدعي عليّ بأدنى شيء منه ظلم فكما تأمرون أفعل امتثالا لأمر الله ثم أمركم... وحقنا على جنابكم ان تكونوا على حذر من اقوال الغاشّين للاسلام والمسلمين وانا والله وبالله وتالله إن رضاكم وامتثال خدمتكم عندي أعز من رضا عبد الرحمن وخدمته... ونحن بانتظار تدبير الله ثم تدبيركم وتحت الأمر. هذا ما لزم والرجاء ابلاغ سلامنا الاخوان السادات الكرام ومن عندنا اولادكم محمد وسعود وكافة السعود يقبلون أيديكم ودمتم محروسين.
(عن حافظ وهبه من كتابه جزيرة العرب في القرن العشرين)

لا يكون السعودُ نصفَ صديقٍ بل يُؤدّي مع الفؤاد اللسانا
فهو كلٌّ وجهاً وبسطةَ كفٍّ وخَلاقاً ونجدةً وجَنانا
طالما للشريف لِنّا، ورُمناه، برغم اعتداده، مولانا
ووَدِدْنا نكون بعضَ حواشيه، وفي بعض دَوحِه أفنانا
لجفانا كأنّنا بعض عبدانٍ ضعافٍ، وكاد ألّا يرانا
أو رآنا الأوزانَ، في كفّةِ الهُونِ، لِنُعلي من صَوبه الميزانا
حسب اللطفَ والوداعةَ ضعفاً! لا وَحقِّ الذي جبالًا برانا
وعلى هذه الجزيرة، منذ المجدُ أرسى عِماده أرسانا
قد بَلونا الزمان مُرّاً وحُلواً وأبَينا في الحالتين الهوانا
واشتهينا، قبل المذلّة، أنَّ الخُلد، للصدق والإباء نَعانا
نحن لِنّا لنجعلَ العُربَ قلباً واحداً إن تفرّقوا جثمانا
ليكونوا، وإن تَباعدتِ الأقطارُ، في كلِّ حازبٍ[1] إخوانا
يشهد الله أننا ما رضينا أنّ أبناء يعرُبٍ تتفانى
ورضينا بأن نكون الأضاحي لو لشيءٍ، عند الحسين، رضانا
بُغضُه للسعود، لو كان منظوراً، لَراءتْ منه العيونُ دُخانا
أتراه، يومَ المجيء لِدُنيانا؟ أتى حاملًا إليها قِلانا[2]
طالما ألّفَ الخصوم علينا وبمَسنونةِ السهام رَمانا
وَدَّ لو كان كلُّ شوكٍ بنجدٍ بين أضلاعنا يجول سنانا

---

١ الحازب : الأمر الشديد . ٢ القلى : البغض .

وَذَوَاتُ الْجَناح طيراً أبابيــلَ، لِترمي رؤوسَنا بِحَصانا
ورِمالُ الدهناء تَمسي جراداً وبعوضاً يحوي نقيٌّ هَوانا
صَدَّنا أن نحجَّ، والبيتُ لِلّهِ، تُرانا نظلُّ خُرساً ترانا
ما أُريدُ القتالَ واللهِ لكن ليس مثلي من استَذِلَّ فهانا
نحن بالحرب والمعامع أدرى وبجنـد العدوّ ما أدرانا
ولقد ننثر الخميسَ هباءً لو أدَرنا على الخصيم رحانا
هتف الحشدُ كلُّهم: أيُّها السلطانُ رَخِّص فننزل المعمعانا
وتَوالى دَوِيُّهم كعصوف الريح، أو أزرقِ المدى غضبانا
يتنادون للحجاز تَنادي فتيةِ الحيِّ تنشدُ المهرجانا

. . .

بينما كان سيِّدُ العرش، في الزهراء[1]، يستوقفُ العُلى والزمانا
لِيُديرَ الأحلام في الخاطر الفَذّ، فيغفو آناً، ويبسمُ آنا
جانباً عالماً يتيه به الظنُّ، فَيستأسِرُ الخيــالَ افتتانا
يلمــح التختَ والقوائم ياقوتاً، وأدراجه توَشّتْ جمانا
ويرى دوحة الخلافة سادَتْ كلَّ من كان مسلماً، حيث كانا
إذ يحوط الإسلامُ دَستَ حسينٍ قائماً حول عرشــه بستانا
غرسُهُ الهندُ والشآمُ ومصرُ حدُّه حيث يبسط الصولجانا
فيطول الخضراءَ تونسَ، أو يَستقرِبُ الشأوَ نائلاً غمدانا[2]

---

[1] الزهراء: مكة . [2] غمدان: القصر المشهور والمقصود اليمن .

أوَليستْ «إيرانُ» شيعتَهُ الفُضلى؟ فيولي إنعامه أصفهانا
لا يُسمّى النَّـدِيُّ في تلكُم الأيام بهواً، وخدرهُ «مَخْلَوانا»[١]
بل يُسمّى، على خلوٍّ، من الإشراك، والرجس، والخنى، إيوانا
قطبه أشرف الملوك انتساباً وأجلُّ الورى نُهىً وبيانا
وتراءت له جلالة كسرى ماثلاً من سنائه البلدانا
فرأى كلَّ عاهلٍ عربيٍّ ماثلاً عند عرشه نعمانا[٢]

. . .

بينما كان وهمُهُ، كمُرور الطيفِ بالحلم، يكحلُ الأجفانا
كان جيشُ «الإخوانِ» يمشي اليه لا قصيرَ الخطى، ولا وَسْنانا
من مغاوير «غطغطٍ» و «تميمٍ» إذ تُباري «عتيبةٌ» قحطانا
وعليهم ليث الوغى ابنُ «بجادٍ» والشريف الذي «بتربةَ» بانا
كانَ أضراهُما على صاحب التختِ، وأمدى في ثأره شنآنا[٣]
لم يَسُرِّ «الإخوانَ» أن يقطعوا الآكامَ وثباً، أو يطفروا غزلانا

---

١ مخلوان : دين الحسين الخاص . ٢ يوم كان الملك حسين جالساً على فراش الملك والخلافة، وهو يحلم بسيادة أعظم من السيادة العربية، بسيادة إسلامية شاملة، كان سلطان بن بجـاد الملقب بسلطان الدين، والشريف خالد بن لؤي أمير الخرمة، زاحفين الى الطائف بجيش من الاخوان مؤلف من خمسة عشر لواء من ألوية الغطغط والخرمة وتربة ورنية وعتيبة وقحطان وبني تميم. على ان هذا الجيش مع من انضم اليـه بعدئذٍ من عربان الحجاز وأشرافه كالحرّث وبني ثقيف لم يتجاوز الثلاثة آلاف مقاتل . وقد بلغ قرية الحويّة، وهي تبعد عن الطائف بضعة أميال فقط، ولم يشعر به أحد . يومئذٍ استيقظت الحكومة فأصدر ناظر الحربية الهاشمية أمير اللواء صبري باشا أوامره الى الجنود بالدفاع فخرجوا من الطائف الى الحُويّة بالمدافع واستعرت المعركة فتغلّب الإخوان . (ت . ن .)

٣ أمدى : أبعد .

ما كفاهُم أنّ الجيادَ، لِفرطِ الهمزِ، راحتْ تقطِّعُ الأرسانا
فتمنّوا لو طارت الأرض فيهم أو سَروا في جوائها بيزانا [١]
السيوف التي تروم الأضاحي بعد خمسٍ، ستكثِرُ القربانا
غيرَ لحمِ الكباش تبغي، فما ترضى، لإخمادِ جوعِها حيوانا
ليس تبغي إلّا القرومَ فطوراً وأعالي رقابِهم لُحمانا
من تلظّى للثأر، يَبْغِ الضحايا، بعد خمسٍ جُهمٍ عجافٍ، سِمانا
غلغلوا في الحجاز ما صدَّهم تخمٌ، ولا أظهر الثرى عدوانا
سمع الضادَ في الحديث مبيناً فتعزّى صميمُه واستكانا
شارفوا قرية «الحُوَيّة»، ما لاقوا، لتعكير صفوهم إنسانا
كان جيشُ الحجاز آمنَ من أنْ يَتوقّى فيرقب الحدثانا
خالداً للسكون في ظلّ «صَبْري» قائداً، من كماله، ملآنا
صيتهُ، وهو في القيادة «باشا» قَمِنٌ أن يجندلَ الفرسانا

. . .

خسِئتْ عزّةُ المناصب والألقاب غُرّاً أن تُرهبَ الشجعانا
في «دَيُوجينَ» وهو كالشمس عارٍ عبرةٌ لن تُفارقَ الأزمانا [٢]

---

١ بيزان: مفردها باز. ٢ ديوجين: فيلسوف يوناني جسور استغنى عن الدنيا فاقتصر على ثوب واحد وعصا. وكان ينام في برميل بدلا من أن يأوي الى بيت. وقد مرّ به الاسكندر المقدوني العظيم ذات يوم وسأله عن حاجة يقضيها له، فاجابه لي رغبة واحدة وهي ان تتوارى فقد حجبت عني الشمس. وديوجين هذا هو الذي كان يحمل مصباحاً في ريعان النهار ويطوف به في اسواق أثينا فلما سئل في ذلك قال: اني ابحث عن رجل.

ذلك المالكُ القَطيفَةَ والبرميلَ، ما خافَ من أخـافَ الأَوانا

من دَحى عَرشَهُ على الشرق والغرب، فسادَ الورى، وساد المكانا

إذ يقول الإسكندرُ الفارعُ المجـدِ، لذاكَ الذي ثوى عريانا

« لك ما تبتغي فأَقبِلْ علينا كلّ هذي الدنيا تطول يدانا »

« مَنصباً، أَو ولايَةً، أَو نقوداً أَو جُماناً يُطوّقُ المرجـانا »

عقلكَ الفذُّ جـاز مَتربَةَ الشعب، ونال الفهمُ الرفيعُ ثَنانا

فأجاب الجريُ: عن كونك الأسنى، وكـنز الجُمان ما أَغنانا

« قد حجبتَ الشمسَ المنيرة عَنّاَ فترَحَّلْ واطلبْ فقيراً سوانا »

. . .

لم ترُدّ « الإخوانَ » جلجلةُ الأَلقاب، تخفي وراءهـا غيلانا

قذفَ « الطائفُ » القنابلَ تَترى علّها أن تُصدِعَ « الإخوانا »

ضَيَّفتهمْ ناراً ثلاثة أيّامٍ، فما راع هَوْلُها الضيفانا [1]

سخروا بالممات فابتعدَ الموتُ، كما يُطرَدُ الثقيلُ مُهانا

بأسُهمْ قرّبَ القلوبَ اليهم والبطولاتُ يَستَلِبْنَ الجنانا

---

١ أطلق الجيش النظامي المدافع مدة ثلاثة أيام على (الاخوان) فلم يتمكن من ردّهم. أضف الى ذلك أن قسماً من البدو الذين كانوا في المراكز الأمامية انضم الى الاخوان وسلّم الباقون انضمّ اليهم أشراف الحرّث ومعهم قسم من العربان الذين كانوا في الجيش الهـاشمي. وكان سبب ثورة الأشراف نفرتهم من الحسين وبغية إسقاطه لِما تقدم من الاسباب العديدة. وعندما وصلت أخبـار الهزيمة الاولى الى مكة أمر جلالة الملك ابنه علياً بإنجاد الجيش المدافع. فجاء الامير بسرية من الخيّالة وأخرى من الهَجّانة. وصـل الامير الطائف ليلاً وخرج منها العصر ليعسكر في (الهدى) وهي على مسافة أربع ساعات من الطائف.

(ت . ن .)

فأتاهُم من العدوّ مئاتٌ تحت بند السعود تبغي أمانا
وتقوّي صفوفَهم كجدار جاء عفواً لِيدعمَ الجدرانا
جاءَهم كلُّ من تدلّهَ بالغُنْمِ، وللسلْبِ شمّرَ الأردانا
بَدَوِيّونَ لا يشكُّونَ بالنصرِ، وتُغري المذابحُ السرحانا
يسندون القويَّ، شأنَ سَوادِ الناس، أو يُشبهُ الورى العربانا
جاءَهم كلُّ من تمرَّسَ بالسيف، وعاش الحياة حرباً عَوانا
كلُّ من رامَ دَرسَ أمثولة الحرب، إذا شَيَّب القتالُ الجبانا
كلُّ من خالَ «تربةً» ورأى الغُربانَ في النهسِ ترحم الضِبْعانا
كلُّ من أدَّبتْ حِجاه الليالي فاصطفى قَمحها، ونَحّى الزؤانا
كلُّ أشرافِ «حُرثٍ»، عَلَويّونَ أرادوا أن يبدلوا الألحانا
سَمعُهم ضاقَ بالتألُّهِ حيناً وبِوَهمٍ مُجَنَّحٍ أحيانا
وَيَزهو حتى على أنسباء نَبُلوا أسرةً وخلقاً وشانا
وكأنَّ الأشرافَ قالوا: لماذا يزدرينا والجدُّ طه تمانا
كلُّ طيبٍ في الجذع يسكب في الأوراق طيباً ويغمر الأغصانا
جلَّ عدلُ الزهراء أن تمنحَ التبريكَ بعضاً والآخرين لِعانا

. . .

نَقَل الخطبَ للمليك ثِقاتٌ لَبسوا للمصاب وجهَ الحزانى
فاستشاط المليكُ غيرَ جزوعٍ قال: تباً لهم أهانوا حِمانا
عَجَباً زُمرة «الخوارج» تأتي دون إذنٍ فتُبرِمُ الجيرانا

. . .

فدعا بابنه علياً وقال: أَنفِرْ إليهم، وبدّدِ القطعانا
طِرْ الى «الطائف» العزيز بجيش كلّ جيشٍ، بل كلُّ حيٍّ، فدانا
إزرعِ الأرض في «الحويّة» هاماً وأسِلْ في وهادها الغدرانا
فليُطهِّرْ حسامُك الأرض منهم ولتَداهِمْ صقورُك الذُبّانا
طهِّرِ الأرض حيث مرّوا فقد تلقح سُمّاً، وتنبت الأفعوانا
أو يليها جدبٌ فتغدو مواتاً أو سقامٌ، فتكتسي أدرانا

. . .

منجداً خفّ للغياثِ عليٌّ قائداً كلّ من يقود حصانا
ورماةً راضوا المهارى صغاراً واستووا في رحالها هجّانا
ولكانت بطولة الجيش تجدي لو تصدّ الصُقورةُ العقبانا
ولفازَ الأنجادُ لو غيرُ نجدٍ ملأتْ من سباعها الميدانا
دخل «الطائفَ» الأميرُ ليحميه، ويستنقذَ الجنانَ الحسانا
حيثما تشرحُ الصدورَ الدوالي فتُدلّي حليَّها عِقيانا
ويبثُّ الريحانُ من عطره السابي، ليُغري الحسّونَ والكروانا

. . .

أتراهُ بالطلّ يُخمد أتّوناً؟ وبالكفّ يدفعُ الطوفانا
نقل الجيشَ «للهدى» فلعلّ السدَّ فيها يُصادِمُ الفيضانا
وتلاه في الهاربين إليها كلُّ من آثر الحياةَ فدانا

مَن يقولون: نحن بالعيش أولى وَلْيَمُتْ كلُّ من يَشاءُ عَدانا

ومَطيُّ الأَشراف كانت خفافاً كاليَعافير تنهب الصحصحانا [١]

رُغم من كان فوقها من رَزينٍ كَنَّ في الهودج الخفيف رَزانا [٢]

وتَلاهم بالفرِّ جندُ نِظامٍ زُمراً يركضون أو وِحدانا

لا تُسائِلْ عن البَسالة إمّا غلغل الذُعرُ في القُلوبِ ورانا

فرَصاصُ «الإخوان» قد جاوز الأَسوارَ، والرعبُ جمَّدَ السُكّانا

وانهيارُ النفوس يستتبعُ الأعصابَ حتماً، ويُوهِنُ الأبدانا

. . .

هَبطَ الليلُ والنُمورُ على السُورِ، وأرْخَتْ يدُ البلاءِ العِنانا

وطَغَتْ كلُّ شَهوةٍ تلبس العتمةَ درعاً، وتُفلِتُ الحيوانا [٣]

فَتَشُلُّ الحجى، وتُخمِدُ في الإنسان كُنهاً به غدا إنسانا

---

١ اليعافير: الغزلان. ٢ كنّ: ستر. والرزان مؤنث الرزين. ٣ كان الجيش النجدي يزداد عدداً وقوة فاضطر النظاميون للتقهقر الى الطائف. تقدم الاخوان وأخذ رصاصهم يقع داخل السور فاستحوذ الذعر على الاهالي وكان الأشراف في مقدمة الهاربين. وخرج الشريف عدنان وزير الحربية وجنوده وسائر الامراء والموظفون من المدينة ولحقوا بالامير علي. وبعد خروجهم بقليل دخل الاخوان في ليل ٧ سبتمبر الطائف كالسيل الجارف وهم يكبّرون ويعتزون ويطلقون بنادقهم في الفضاء ثَمّ في الاسواق فقتلوا عدداً من الابرياء الذين لم يسارعوا مثل غيرهم من الاهالي الى بيوتهم مستأمنين. وكان قد تخلف في المدينه جماعات من عرب الحجاز من الطويرق والنمور والبقّوم وغيرهم، ناهيك بمن دخل مع الجيش من البدو (نسور الجثة) رُوّاد السلب والنهب. فاختلطت هذه الجموع في ظلمات الليل وكانت ساعة الهول. راح العربان او الاخوان يطرقون الابواب ويكسرونها فيدخلون البيوت إما قهراً وإما بعد ان يؤمّنوا اصحابها ثم يعملون فيها أيدي السلب وكانوا يقتلون في سبيل السلب. وكان لهذا الحادث ألم في نفس السلطان عبد العزيز فأمر بتأليف لجنة لتقرير الخسائر والتعويض على المنكوبين من الاهالي ومن الهنود ومن الجاويّين.

(ت. ن.)

سَبَحَ البدوُ في الدماء، وفي السلب، وعاثوا ضوارياً ذُؤبانا

جَزِعَ الليل من أنين الضحايا ولوى النجمُ طرفه استهجانا

إنَّ للنجم والدُّجنَّةِ وجداناً، إذا المرءُ ضَيَّع الوجدانا

دامراً دامقاً يُرَوِّعُ أطفالاً، ويغزو حقيبةً وصوانا[1]

عجباً للنسور تُمسي اذا ما أومأ السلبُ والهوى جِعلانا[2]

ليلةٌ هَولُها أشابَ حواشيها، وأجرى زفيرَها حرّانا

نامَ عنها القلب الرحيمُ، وظلَّ الشرُّ، في نَتْنِ جوّها، سهرانا

عائثاً في الدموع والدمِ عربيداً شروداً متعتعاً سكرانا

لم يجد لِلنِهاب أمضى من العُربانِ كفّاً، ولا أحدَّ بنانا

فاصطفاهم للفتك سِرْبَ ذئابٍ وارتداهم لليله قمصانا

يصرعون البريءَ من أجل ثوبٍ أو حلاوى تُطيِّبُ الأسنانا

. . .

يا لَها من فواجعٍ مُوبِقاتٍ عِبْؤها الضَخْمُ آلَمَ السلطانا

قدأرادَ «الإخوانَ» أبطال حربٍ لا غُزاةً تُرَوِّعُ النسوانا

وأرادَ العربانَ أحلاف سيفٍ لا لصوصاً تُعَبِّىءُ الكيسانا

إن أصابت أكفُّهم طيلساناً بالمواضي تقسَّموا الطيلسانا

أو شميمُ الطبيخ ضَرّى شُهاهم فمن الدمِ يصبغون الجفانا[3]

---

١ الدمور : دخول البيوت بدون استئذان . والدموق : دخولها ليلاً . ٢ الجعلان : الخنافس .

٣ شُهاهم : شهواتهم .

وإذا الضرعُ قَفَّ عند احتلابٍ بضعوه ليجرعوا الألبانا
مَضَّ عبدَ العزيز نصرٌ أتاهُ عنه ما لوَّث السيوفَ وشانا
قالَ نمحو بالخير ما دنَّس الشرُّ، ونعطي أموالَنا إحسانا
نحنُ من إثم غيرنا أبرياءُ من جنايات ناهبٍ حاشانا
سنردُّ الغُنمَ الذي انتهبوهُ ألفَ ضعفٍ حتى تجفَّ قُوانا
نمسحُ الدمعَ من جفون اليتامى ومن الفقر ننشلُ الصبيانا
عُصبةُ البدْوِ فديةً ألزمونا سنؤدّي ونُجزلُ الأثمانا

• • •

لم يهزِّ الشريفَ يأسُ انكسارٍ فيعود الزهوُ الشديدُ ليانا
رُغمَ وَفد الأشراف لَفَّهُمُ الذلُّ، فبانت وُجوهُهُمْ زعفرانا [1]
زادَه الخطبُ صولةً وطماحاً وتلظَّى فؤادُه عنفوانا
قال: ويحاً لجندنا أين فرُّوا قبل أن يوردوا الحتوفَ عِدانا
قبل أن يزرعوا السهول رؤوساً قبل أن ينثروا الضلوعَ طعانا
قبل أن يثأروا «لِتربةَ» من قومٍ أتَوْنا وقد طَوانا كَرانا [2]
لبسوا الليل دِرْعَهُم واستعانوه، فأخفى قضيضَهم وأعانا

---

[1] عندما وصل الاشراف وغيرهم من الهاربين الى مكة، وعندما علم جلالته بوصول الامير علي الى عرفات غضب غضبة مضرية وشرع يعد العدة لإعادة الكرة على الاخوان واسترجاع الطائف. جمع شتات الجند وجمع من استطاع من البدو فكانت التجريدة الجديدة خمس مئة من النظام ونحو ست مئة من قبائل الحجاز الموالين اي من هذيل وقريش وبني سفيان ومئتين من أهل مكة ثم أمر الامير علياً بالرجوع الى ساحة الحرب .

[2] أي عندما أتوا تربة ليلاً .

خَسِئوا أن يُقاربوا الليثَ إمّاً يكُنِ الليث خادراً يقظانا
نحن في خدرنا وغابٌ حوالينا ، عوالي رماحنا وشبانا
ما أراهم إلا الزرازيرَ إن صِحْنا ، وفرعونَ إن طَرَحنا عصانا
أهجوماً على خليفةِ طه؟ وضِياءً يرون جهراً عيانا
كيف لم تهبطِ السماءُ عليهم فيميد الثرى بهم مَيَدانا
ويُفيض العقاربَ الشُقرَ آكاماً ، فلا يلمسون إلّا زُبانى
وتحول الرماحُ عِندُهم رُقطاً لِداناً تَقَمَّصُ المُرَّانا
فترى كلَّ نصلةٍ نابَ صِلٍّ وترى كلَّ صَعْدَةٍ ثعبانا[1]
كيف لم يعقل الكُساحُ خُطاهُمْ؟ حينما دَنَّسوا هَواءَ رُبانا
حبَّذا لو عجاجهم حالَ داءً أو شراراً يردُّهم عميانا
أو بَعوضاً يفجو الأُنوفَ سَراديبَ فتغدو رؤوُسهم غِيرانا
أو ذُباباً زُرقاً لها ذَفَرُ القبر ، تمصُّ الجلودَ والشريانا
تزرعُ الأوجهَ القِباحَ بُثوراً وصديداً فتُشبع الديدانا
يا سِباعَ الحجازِ ، يا ابني عليٍّ أين من يبذل الدماءَ صِيانا
كلَّ هذا الحجاز ما كان شيئاً قبلنا ، كان سَبْسباً لولانا
من أحبَّ النبيَّ ذادَ عن العرش ، ومن أبغض النبيَّ قَلانا
وبنا أكثر الإلهُ وصاياه ، وفينا قد نَزَّلَ القرآنا
إنما يُغضب الإلهَ وطه من تعدّى مقامنا أو عصانا

---

[1] الصعدة : القناة المستقيمة .

أقتلوا زمرةَ «الخوارج» إفناءً، فليسوا لمثلكم أقرانا

من يَمُتْ منهمُ الى «مالكٍ» يهوِ، وللخلد والعُلى موتانا

من يمُتْ منكمُ الى جنَّة المأوى، فيلق في بابها «رضوانا»[1]

من يَمسّ المَلِكَ الشريفَ، ولو بالفكر، يلقَ الغسلين والنيرانا[2]

فإذا آبَ دامِعَ الطرف، ندماناً، فقد نرتجي له غفرانا

ومن الهزلِ أنّ عرشاً سعودياً غريراً بنفسه ساوانا

سَنرى في غدٍ اذا احتدمَ البأسُ، وألْقى كلٌّ الجرانِ كلانا[3]

أيَّنا سيِّدُ الجزيرة رأياً وفعالاً ومحْتِداً وسِنانا

...

واستجاب الدعاءَ بعضُ «قُريشٍ» و«هُذيلٍ» والشُوسُ من «سَفيانا»[4]

وشتيت من العساكر والبدو، ومن غرَّ نفسَهُ فاستهانا

وتغاضى عن شوكة ابن «بجادٍ» وتشهّى في «الطائف» الرمّانا

قاصدين «الهدى» بظلِّ عليٍّ قائداً جاءَ للوغى إذعانا

ظلَّ عن ساحة القتال بعيداً حسبُه أن يُبشِّرَ الديوانا[5]

---

١ مالك: هو خازن النار في جهنم ونقيضه رضوان في الجنة. ٢ الغسلين: الصديد وهو والزقّوم المرّ مشرب ومأكل أهل جهنم. ٣ الجران: مقدم عنق البعير. وألقى جرانه أي ثقله. ٤ الشوس: الشجعان. والأشوس: هو الذي ينظر بمؤخر عينه اعتداداً وزهواً. ٥ كان الامير علي يدير هذه المعركة من قصر يبعد ألف وخمس مئة متر عن ساحة القتال وفي هذا القصر هاتف يصله بواسطة مركز الارتباط في سفح جبل كراء بقصر جلالة والده.

«هجم المتدينة علينا فرددناهم خاسرين». «اعاد المتدينة الكرة فأمطرتهم مدافعنا وابلاً من الرصاص فعادوا مدحورين».

ولكنهم في الهجمة الثالثة وعلى رأسهم سلطان الدين نفسه ضربوا الجبهة ضربة ثلمتها، وكان في وسطها سرية من الفرسان من عرب عتيبة فتقهقروا فدخل (الاخوان) من تلك الثلمة. وأول من انهزم من بدو الحجاز هذيل وسفيان ثم أهل مكة، ثم جنود النظام. (ت. ن.)

شيمة الشمس، من بعيدٍ، تهزّ الأرض خصباً، وتنبت البيلسانا
فيقول الأميرُ طوراً دحرناهم، كما تدحرُ البُزاةُ السُمانى
ويميد المِهتافُ للفرح البادي، ويرتجّ يسلكه إرنانا[1]
ويَبشّ الديوانُ من فرحة النصر، ويفترّ جوّه جذلانا
تارةً يهتف الأمير أعادوها، وقد هلّ وبلنا تهتانا
نحن بُرج الحجاز بالجصِّ مرصوصاً، فلن يبلغ العدوّ ذرانا

...

أيكلّ «الإخوانُ»؟ وابن بجادٍ عن سِباع الحجاز، يلوي العنانا
دُحِروا مرّتين، هل ينكص الليثُ، ويمضي لخدره غرثانا
اتبعوني! سُلطانُ قالَ، وهزَّ السيفَ عضباً مُشطّباً حرّانا
لم يزدهم قولاً، ومن يُدرك العلياءَ فعلاً، يُقصّر التبيانا
فعله الفذّ كان أفصحَ من «قسٍّ» ومما يقال عن «سحبانا»
زغردَتْ خلفَه البنادقُ تفجو في سرايا أعدائه خلجانا
فتحوا جبهةً أعزَّ من «الأبلقِ» سوراً، وبُرجِهِ عصيانا[2]
فتوارَتْ «عتيبةٌ» و«هُذيلٌ» وتداعَتْ صفوفُهم خذلانا

...

هدأتْ ثورةُ البنادق حيناً مثلما الصحوُ يعقب الهيجانا

---

[1] المهتاف: التلفون وهي أصحّ من لفظة الهاتف.
[2] الأبلق: حصن السموأل.

مثلما الرعدُ في الغمامة يخبو قبلما الغيثُ يرتمي هَتّانا
أين كان «الإخوانُ»، في مطلع الفجر؟، وقد ذرَّ قرنُهُ إيذانا
سُجَّداً في الصلاة، لا الحربُ تُلهيهمْ، ولا الموتُ هائلاً يتدانى
لو تَرَاهُمْ وهم أسودٌ ضوارٍ في المُصلّى خَلتهُمْ رهبانا
وأذاع الهتافُ أنْ هُزِمَ «الإخوانُ» والعيدُ رنَّحَ «المخلوانا»[1]

• • •

طلع الفجر مثقلاً بهمومٍ يسحب الذيلَ وانياً كسلانا
بعضهم راءه صبيحةَ عرسٍ بعضهم شامَ ضوءه أحزانا
قبل أن ينشر الذوائبَ شُقراً أهلُ نجدٍ رأوا به إضحيانا[2]
ورآهُ جندُ الحجاز، برغم الضوء جهماً، مُشتَّتاً، حيرانا
كلُّ راءٍ يرى الحياةَ بمنظارٍ، فتبدو عن نفسه إعلانا
الصلاة انتهتْ، وتاقَ المُصلُّونَ الى عاجلِ الثوابِ جِنانا
حيثما يهدرُ السُّلافُ نهوراً لا ترى في ضِفافها نشوانا
قطرةٌ من دمِ الشهيد تلاقي ثمناً خمرة الجنان دِنانا

---

١ عند صلاة الفجر سكتت بنادق (الاخوان) فهتف موظف الهاتف يخاطب ضابط الارتباط: «انهزم المتدينة سكتت بنادقهم» وكان السبب في سكون تلك البنادق هو ان أصحابها توقفوا عن القتال ليصلوا صلاة الفجر، ثم عادوا مستبسلين فتقهقر الامير علي بشرذمة من الجيش الى الكر. وعند وصوله الى سفح الجبل، الساعة الثامنة صباحاً أمره جلالة الملك بالهاتف أن يرجع الى الهدى — «الطاعة ولو ذبحت». قال هذا ورجع ورجاله أدراجهم فما كادوا يصلون الى منتصف الطريق حتى انهال عليهم رصاص الاخوان كالمطر. وكان ضابط الارتباط في الكرّ قد ألحقهم بنجّاب يقول: «قد انقطع التلفون بيننا وبين الهدى».
(ت. ن.)

٢ إضحيان: لا غيم فيه.

واستحبَّ المنونَ كلُّ جسورٍ طلبَ الأَجرَ لائباً عَجْلانا[١]
فانبرى للقتال في سَوْرَةِ المحموم، إمَّا يُشارف البُحرانا
خافَهُ الموتُ والأَلِدّاءُ خافوه، فوَلَّوا كالخيل سِيقَتْ رِهانا
وعليٌّ ولَّى، وقد بدَّدَ الذُعرُ السرايا، وشرَّدَ الأَعوانا
لم يكونوا في حومة الموت أنكاساً، وكانوا أشاوساً خُلصانا[٢]
حُبُّهم للشريف كان عظيماً حُبُّهم للحياة أعظمُ شانا
أدركوا أنَّهم دروعٌ ولكن عاجزاتٌ أن تدعمَ التيجانا
أنَّ تاجَ الحسين مهما استماتوا دونَه فالمُقدَّرُ الحتمُ دانى
هرَبوا ينفضون عنهم غباراً ربَّما كان أَصلُه أكفانا
فتأذَّى المليكُ أن يرهبوا الموتَ ويستوحشوا القبورَ مكانا
الأَنانيُّ وَدَّ، قبل ابتلال الكعب بالماء، يُغرقُ الأَكوانا
قال:عودوا الى«الهدى»واذبحوهُمْ واستجيبوا الأَجداد من عدنانا
وكأَنِّي سمعت صوت عَليٍّ أَو حسيساً من صوبه ناجانا[٣]
فأعيدوا عليهم الكرَّ حتى تَرِدُوا الموتَ أَو تفوز منانا
أَطلِقوا النارَ من سُروجِ المذاكي من رُبانا، من قصرنا، من كُوانا[٤]

. . .

١ اللائب : هو الشديد الظمإ . ٢ مخلصين . ٣ الحسيس : الصوت الخفي . ٤ الكوى : مفردها الكوّة .

وَطّنَ النجلُ نفسه ليعيد الكرَّ مُحلوِلكَ المنى أسوانا
قال: والله لو ذُبحتُ لَمُتُّ الآنَ من أجل عرشه فرحانا
مُخطِئاً كان أم مُصيباً سنفدي مَن لعزٍّ ورفعةٍ ربّانا
لا يقول التأريخ إنّا بَخِلنا بدماءٍ يريدها مولانا
طاعة الوالدين من طاعة الله ومنهم تُراثُنا وعُلانا
ستقولُ الأيّامُ في هَرَمِ الدهر أطعنا للموت لمّا دعانا
هاشميُّونَ نحنُ والمحتد العالي من الخَوْنِ والعقوق وقانا
قالها راجعاً وسار حثيثاً فاذا الأرضُ زلزلت مَيدانا
واستدارتْ من الدَويِّ حواليهم فزاغتْ أبصارُهم زَيغانا
كلُّ بأسِ «الإخوانِ» صبَّ عليهم من يصدُّ الخصمَّ والطوفانا
ليس من يُرسلُ الكلامَ خيالاً مثلَ من ينزل الوغى طعّانا
أسهلُ السهلِ أن تُحدّثَ عن مُرٍّ وصعبٌ أن تجرعَ الفنجانا
كلُّ نفسٍ وما أطاقتْ فليس المطلب المستحيل إلّا امتحانا
لا الخضمُّ الأجاجُ ينبت بستاناً ولا البرُّ يطلع الحيتانا
قفلوا راجعين خرساً كأنْ لم يَقرِنِ اللهُ باللّهاةِ اللسانا[1]
لو أراد «الإخوانُ» أن يلحقوهم لهمى في الحجاز دمعُ الحزانى

---

[1] قفل الامير ورجاله راجعين وتوقفت (الإخوان) بعد هذا النصر في (الهدى) فلم يتعقبوا فلول الجيش الهاشمي ولا هاجوا مكة يومذاك، اجتناباً للقتال في ظل الحرم .

(ت . ن .)

أو أرادوا عند «الحطيم» اعتماراً[1] لأتوه ولامسوا الأركانا
حرمُ الله ما أرادوه ميداناً، ولا ركنَ بيتهِ أرجوانا
عسكروا في «الهدى» وحسب قويٍّ أنْ على رأيه يروض الزمانا

---

١ اعتمر: قام بالعمرة وهي شرعاً أفعال مخصوصة تسمى بالحجّ الاصغر.

الى مكّة

الحجازُ المُنكَّسُ الراياتِ غَمَّهُ أنَّ شأنَه في شتاتِ [١]
أنَّ نهجَ الحسين، في الأمرِ والنَّهْيِ، بعيدٌ عن دُرْبَةٍ وأناة
أنَّ آراءَهُ انتِفاضةُ مَوتُورٍ، ورَجْعُ الأهواء مضطربات
أنَّ عرش الحجاز باتَ شِراعاً بين هُوجِ الأنواء والموجات
أنَّ أهلَ الحجاز شِبهُ قطيعٍ سائبٍ حائرٍ بدون رُعاة
خلعوه، وبوّأوا نَجلَهُ العرشَ، فجاء الترياقُ بعد فوات
ما عليٌّ في الدَّست إلّا غريمٌ بَهظَتْهُ مشؤومةُ التركات
زرعَ الشوكَ غيرُهُ وعليه أن يضُمَّ القتادَ للغَلّات
لَيِّنَ الخُلق كان غيرَ غضوبٍ ناضرَ الفهم، واضحَ الغايات

---

١ بتاريخ ٣ اكتوبر (٤ ربيع الاول سنة ١٣٤٣) أبرق وجهاء الحجاز الى جلالة الملك حسين ما هـذا نصه: «صاحب الجلالة الملك المعظم. بما ان الشعب الحجازي بأجمعه، الواقع الآن في الفوضى العامة بعد فناء الجيش المُدافع وعجز الحكومة عن صون الارواح والاموال، وبما ان الحرمين الشريفين خاصة وعموم البلاد مستهدفة لكارثة قريبة ساحقة، وبما ان الحجاز بلد مقدس يعني أمره جميع المسلمين لذلك قررت الأمة نهائياً طلب تنازل الشريف حسين وتنصيب ابنه الامير علي ملكاً على الحجاز فقط مقيّداً بدستور وبمجلس وطنيين الخ. . .» وبعد مجادلات ومناقشات عنيفة تمت البيعة للملك علي في ١٨ اكتوبر. وفي اليوم التالي ركب الملك حسين من ميناء جدة اليخت المسمى الرقتين وغادر الحجاز. (ت. ن.)

لا طموحاً الى المجرَّة يغزوها ، ولا باغياً على الجارات[1]

حِلْمُهُ بالسلام أقصرُ عمراً من نباتٍ ربا على الصخرات

أسلامٌ له وسلطانُ نجدٍ ناذِرٌ ثلَّ عرشه؟ . . . هيهات

لم يُجِبْهُ عبد العزيز لِصُلحٍ وهْو مَن ذاقَ غابرَ اللسعات[2]

تأكل الحصرمَ الأُبُوَّةُ، والأَبناء تَنبُو أضراسُهم في الغداة

أسلامٌ والقائدان «بجادٌ» و «لُؤَيٌّ» على مدى غلوات[3]

وجنودُ المليك باتوا فلولاً رفعت للسما صلاةَ النجاة

بين نومٍ مُسهَّدٍ وانتفاضٍ وليالٍ بخَلْعِهِ مؤذنات

وَدَّعَ العرشَ بعد سبعة أيَّام، الى «جَدَّةٍ» قريحَ اللهاة

جاءها والحسينُ يستشرف البحرَ، شريدَ الأَفكار والنظرات

فتغيم الأَلحاظُ من بسطةِ الأُفقِ، ومِمَّا استهلَّ من عبرات

صانها مَحتِدُ الشريف من الهَمْيِ، فظلَّت بالمجد معتلقات

---

١ أقام الملك علي أسبوعاً في مكة، فأدرك أن قوات الدفاع لديه لا تكفي لرد جيش نجد، ناهيك بغلبته. بل رأى جنوده مشتتين شاردين . وكان (الاخوان) قد وصلوا الى قرية الزيمة التي تبعد ست ساعات عن مكة وهم مصممون على الحصار . فانسحب الملك علي ليلة ذلك اليوم ووصل جــدة يوم كان الشريف حسين يتأهّب للرحيل . ولكن علياً ظلّ خارج المدينة فلم يجتمع بوالده، ولا كان من المودّعين .

(ت . ن .)

٢ كان الملك علي قد أرسل الى السلطان عبد العزيز برقية جاء فيها :

«إن أقصى رغبتي أن يسود السلام في الجزيرة ، وأن تعود السكينة ما بين نجد والحجاز . واني باسط لك رأيي في السلم ومقترح عليك عقد مؤتمر للرجوع الى اتمام المفاوضات» على أنه اشترط جلاء الجنود النجدية عن الحجاز فأجابه السلطان بالايجاز : «ان شروطي الاخيرة هي ان لا صلح بيننا ما دام أبناء أبيكم يتوارثون الملك في الحجاز، وانتم تعلمون ان الحجاز للعالم الإسلامي فلا ميزة لطائفة من المسلمين على طائفة أخرى .»

(ت . ن .)

٣ غلوات : مفردها غلوة وهي مقدار رمية سهم .

لمْ يُودِّعْ نجلُ الحسين أباهُ وهو مِنْ «بَحْتِه» على خطوات
فتحاشى، والجوُّ رنَّقَهُ الحزنُ، اصطدامَ الآهات بالآهات

. . .

طلع الفجر من «كَداءَ» وفيه طُرَرٌ من ضوامرٍ صافنات[1]
زاهراتٍ كالصبح يَلمعنَ إشراقاً، ويَكْحُلْنَ جفنَهُ سائلات
تتهادى الأفراسُ مشيَ عروسٍ لا خِفاف الخطى ولا ضابحات
فوقهُنَّ «الإِخوانُ» رُغمَ انتصارٍ سَرَبوا كالأوانِس الخفِرات
دخلوا مُحرِمينَ، فالسيف مغمودٌ، وما في السروج غير التُقاة
شارفوا الكعبةَ الشريفةَ فانهاروا الى الارض سُجَّداً للصلاة
واستداروا بها يقولون: لَبَّيكَ، وخفُّوا لِمَرْوَةٍ وصفاة
ثم نادوا بالخائفين أَماناً في مَلاذ الأَمان والحُرُمات[2]
ذلك اليوم كان سطراً جديداً في سجلِّ التيجان والدولات
أوْمأتْ مكَّةٌ الى ابن سعودٍ وتلاها الحنينُ من عَرفات
فأَعدَّ السلطانُ، للبلد الأَعظمِ شأناً، فريدةَ الرحلات
مُعلناً انَّه يروح لنشر العدل فيها مُنوَّرَ الرايات

---

١ كداء: اسم مكان يشرف على مكة. والطرر مفردها طرّة وهي الناصية أو الجبهة. ٢ قد استفتت القيادة العلماء في الرياض في ان يحرم الجنود ويدخلوا مكة منكسي البنادق فإن لاقوا من صدّهم عن البيت قاتلوه وإن لم يلقوا أحداً دخلوا. ولكن العلماء منعوهم عن ذلك قائلين: إن دخول الحرم بقصد القتال فيه لا يجوز. وفي ليلة اليوم الذي وصل فيه الملك علي الى جدة وصلت شراذم الجيش النجدي الى مكة ثم مشى في صباح اليوم التالي الشريف خالد يقود بقية الجنود، فدخلوها محرمين وطافوا وسعوا واستولوا بعد فكّ الإحرام على البلد المقدس وهم ينادون فيه الأمان الأمان. (ت. ن.)

أنّه حيثما يرفُّ حمامٌ آمناً من مَصايدٍ ورُماة
يأنفُ التُربُ أن يمرَّ عليه جائرٌ أو يَمسَّ أذيالَ عاتِ
حيثما اختارتِ السما مَهدَ طه صارتِ الأرضُ مهدَ حريّات
ومُصلَّى للمُتَّقينَ طهوراً ليس فيه مَرافقٌ[1] للطغاة

. . .

ودَعاهم عبد العزيز لِشُورَى تجمع المسلمين كالسُبُحات
يسمع البيتُ عهدَهم ويَراهم من خلال الأقوال والنيّات
فاتحاً صَحْنَه لصنعاءَ والهند، وكلِّ الألوانِ واللهجات
فهو مُلكُ الإله، لا مُلكُ إنسانٍ، وزُوّارُه جميع الجهات
راحَ مستخلفاً أباه على نجدٍ، ونجلًا مُوفَّقَ الرَميات[2]
بسعودٍ وَجدّهِ اجتمع القُطبانِ حزمُ الفتى، ورأيُ الثقات
ها هنا العلمُ في جلال مَشيبٍ وهنا عَزْمَةُ القنا والشباة

. . .

١ المرافق جمع مرفق وهو ما يرتفق به من مخدة ونحوها . ٢ في العشر الاول من ربيع الثاني سنة ١٣٤٣ كان السلطان عبد العزيز يتأهب للسفر الى الحجاز وقد خطب في الاعيان الذين جاؤوا لوداعه قائلًا: «اني مسافر الى مكة لا للتسلط عليها بل لرفع المظالم التي أرهقت كاهل العباد . اني مسافر لبسط احكام الشريعة وتأييدها . ان مكة للمسلمين كافة وسنجتمع هناك بوفود العالم الاسلامي فنتبادل وإياهم الرأي في الوسائل التي تجعل بيت الله بعيداً عن الشهوات السياسية . وسيكون الحجاز مفتوحاً لكل من يريد عمل الخير من الأفراد والجماعات» . وقد استخلف على نجد والده الإمام عبد الرحمن ، وأناب مكانه في العارض ابنه سعوداً على أن يعمل بمشورة جدّه . ثم كتب الى بريدة وعنيزة والى بعض الهُجَر من (الاخوان) أن يوافوه بألويتهم وجوعهم الى أماكن عيّنها فاصبحوا جيشاً غفيراً . وكان في حاشيته آل الشيخ وأخواه محمد وعبد الله وابناه محمد وخالد وغيرهم من آل بيته، ونفر من آل السبهان والرشيد وسواهم من الاعيان وراوية نجد المشهور عبد الله العجيريّ . (ت . ن .)

موكبٌ فارقَ « الرياضَ » وفيه من رُباها شَذِيَّةُ الباقات
من أَزاهيرَ مَثَّلتْ عاطِرَ النبتِ وألوانَ روضةٍ مصطفاة
بينهم ناضِرُ الحديثِ، ودُرِّيُّ القوافي، وشارِحُ الآيات[1]
وظريفٌ اذا تَلَهَّبتِ الصحراءُ نَدَّى جفافها بالنِكات
ورُواةٌ ما الأصمعيُّ إليهم غير تشبيه ربوةٍ بالسراة[2]
وسَرايا من « القصيم » مِئاتٌ « هُجَرُ » البدو أتبعتها مئات
فوقهم رايُهُم، كأجنحة العِقبان، خفَّتْ بالنسر مقتديات[3]
في جِواءٍ من الطَلاقة والعزِّ يُصفِّقن للمُنى فرحات
ما عليهنَّ كُدْرةُ الحرب والبطش، ولكن بَشاشَةُ النُزُهات
سَمرٌ في السُرى إذا طال ليلٌ وأملَّ السلطانَ حَدْوُ الحداة
وصفا الجوُّ داعياً لصفاءِ وأطارَ البهاءُ نومَ الغفاة
ودنا النجمُ للبسيطة حتى لَتُشَكُّ الرماحُ بالنجمات

• • •

يا « عُجَيْرِيُّ » : يهتفُ الآمرُ الناهي، نداءً يُلقى الى عشرات
ذاكَ سِلْكُ الصحراءِ في أذْن الليل، دُعاةٌ تمدُّه لِدُعاة
كهبوب العصوف خفَّ المنادي مستحثّاً سريعةَ الراحلات

١ وكان في حاشية السلطان الشاعر عبد الرحمن النفيسة والسيد يوسف ياسين مُدوِّن هذه الرحلة .
٢ السراة : جبال السراة المعروفة . ٣ الراي مفردها راية .

«مُرْ بما شئتهُ فإني سميعٌ» فيقول السلطان: «يا بحرُ هاتِ»[1]
العجيريَّ! ما العُجيريّ إلّا ملتقى أبحرٍ وشيخ رواة
هو موسوعةٌ وَعتْ أدبَ العُربِ، فلَمَّتْ بدائع الأشتات
كربيعٍ ضمَّ الورودَ جميعاً فتخَيَّرْ ما شئتَ من زهرات
أوَعصرَ المأمون تبغي؟ وما فيه من الحسن بارزُ الجَنبات
فإليك البيان! في منطقٍ صاحٍ، وظرفٍ سارٍ، مع اللفظات
لا اندفاعٌ كما يثرثرُ مِهذارٌ، ولا غفوةٌ على السَجَعات
بل حياةٌ تطلُّ من كلِّ حرفٍ وأداءٌ يَرِفُّ بالبهجات
وتجلّي تذكُّرٍ يسرد الأحداثَ، عرضَ المنظورِ في مرآة
فتراه يستحضرُ السفرَ من غيبٍ، ركوضَ الخيال في الصفحات
أتُريد القصورَ في ليل بَغْدانَ، كخدِّ الحسناء مَجلُوّات
بثَّ فيها السُمَّارُ، في آخر الليل، شرار الأكباد مضطرمات
إذ تهيج الأوتارُ فيهم شجوناً فتجاري المشاعرُ الرنّات
وتذوب النفوسُ مما أثارتْ نبضاتُ القلوب معزوفات
بين «بَمٍّ» جهرٍ و«زيرٍ» حنونٍ مَلأٌ من سواحر النغمات[2]

---

١ قال مدوّن الرحلة: ترانا نسمر ونحن في السرى فاذا ما طال الليل وملّ الحادي سمعنا صوت السلطان ينادي العجيري. وقد يكون راوية نجد معتزلا الركب كما هي عادته فيكرر أحد الرجال كلمة السلطان: العجيري! يا عجيري تقدم. فيحث الراوية راحلته وبعد ان يدنو من عبد العزيز يسلم ويشرع يقرأ. أجل انك اذا كنت لا تراه تظنه يقرأ في كتاب من كتب الادب والشعر. ولكن العجيري لا يحمل كتاباً. العجيري يحمل في رأسه (الاغاني) و (الكامل) و (البيان والتبيين) و (الكشكول) وبضعة دواوين من الشعر. له ذاكرة يقيلها اذا كبَت خاطر سريع. وله أدب لا يقيده بحرف ما يروي ولا يبعد عن معناه. وله صوت ونطق وطريقة في الالقاء تدهش أكبر الممثلين. (ت. ن.)

٢ البَمّ: هو اغلظ أوتار العود. والزير: ادقّها.

من جواب «رَصْدٍ» الى «نَهَوَنْدٍ» «فَحِجازٍ» الى «سِجا» «فَبيات»[١]
وتَميعُ القلوبُ من أَنَّة الأَوتارِ، حتى تسيل في الأَنَّات
وتُخال الجفونُ، من سَورة الخمر، جفونَ الأَشفاقِ مُخْتَضَبات
في وُجوهٍ تَشَوَّفَتْ رقصةَ الغيد، فَبَصَّتْ كالجمر محمومات
الجواري بَزَغْنَ من كلِّ أفقٍ كالدراري أَشرَقْنَ منتثرات
يَتَخايَلْن في الدمقس كأشباحٍ، بمثل الشعاع مُؤتزرات
عن لِسان الأعراب جِدُّ غريباتٍ، نقلنَ الدلالَ في اللثغات
يتمنَّى السميعُ وهو فصيحٌ لو يظلُّ الحياة في العجمات
من رأى بينهنَّ، من شُعُباتِ الشمسِ أطياف عسجدٍ ذائبات
إذ تبرَّجنَ مثلها في ضحاها عاريات الصدور مُبْتَذَلات
أَو عَقَصْنَ الضفائر السود حتى عُدْنَ مثلَ الصبيان مطمومات[٢]
قال فيهنَّ مثلَ قول ابنِ هاني مستعيذاً من سحر جِنِّيات

. . .

أَوَ تبغي عن ذلك العصرِ قولاً؟ شرَّف الأَمس حاضراً والآتي
يومَ فضَّ المأمونُ مَكْنونَ آثينا، وهزَّ الأَقلامَ للترجمات
يُتحفُ الضادَ بالبعيد من الشأْوِ، بعلم الأَبْداء والغايات[٣]

---

١ الرصد والنهوند والحجاز والسجا والبيات: نغمات معروفة في سُلَّم الموسيقى الشرقية. ٢ طمَّ الشعر: جَزَّهُ أو عقصه وابن هاني هو ابو نواس والمقصود هنا قوله:

مطمومة الشعر غُلاميَّةٌ جنِّيَّةٌ في زيِّ إنسان

٣ الأبداء مفردها بدء. والمقصود بعلم الأبداء والغايات: الفلسفة.

يا لكَ اللهُ يا ابنَ هارونَ من فَطْنٍ بعيدِ الأنظار والعزمات
منذ ما قام للعروبة عرشٌ مَلَكيٌّ مُفيَّحُ الدارات
لم يَرَ الشرقُ مثل عقلكَ وثّاباً طموحَ الهوى الى القِمّات
أنت زَوَّجتَ للبلاغة فكراً قبلما جئتَ كان رهنَ سبات
فنفضتَ الغبارَ عن كنز آرسطو، فَذَرَّتْ دنيا من العظمات
أنت أحييتَهُ فأيقظْتَ شرقاً كان في الفكر كالعَزاز المَوات[1]
زرعُ كفَّيكَ ما جناه ابن سينا والغزالي، من طيِّب الثمرات[2]
وابن رُشدٍ وكلٌّ من جَنَّحَ العقلَ، وغطَّ اليراعَ بالفلسفات
حيثما العُربُ يفخرون بغَرسٍ بعثوه للغرب في الحسنات
ويظلّون نائمينَ على مجدٍ توارى، إلّا من الذكريات
فليقولوا: المأمون يرحمه الله، أضافَ الحجى لأمِّ اللغات

. . .

عَسعسَ الليلُ والسدولُ تراختْ عن تلالٍ بالطلِّ مشتملات
طَلُّهنَّ الندى فصفَّ اللآلي كدموع الحسان ملتمعات
ما لهُ النابهُ «العُجَيْريُّ» مبهوتاً يدير الألحاظَ في الأكمات

---

١ العزاز: الارض الصلبة . ٢ قد وضعنا ما وضعنا في هـذا الفصل على لسان العجيري لنبدي آراءنا الخاصة في نواحٍ تأريخية وأدبية وما يتصل بها . ولقد كان سرد الحوادث يقف حائلاً دوننا إلا في مـا نفذنا اليه من خلالها فبسطنا في الادب والفلسفة والاجتماع مئات النظرات . أما وقد أتاحت لنـا هذه الرحلة السلطانية حرية القول والتبسط في مواضيع شتى، حتى في الناحية الأسطورية التي أدرناها على بني هـلال — كما سترى — فقد اغتنمنا الفرصة ورافقنا السلطان في نزهة فكرية غير قصيرة المدى . (المؤلف)

فيرى في الندى تليدَ بُكاءٍ   ويحسُّ النَّشيجَ في الدمعات

عجز الدهرُ أن يُجَفِّفَ دمعاً   سحَّ بين «الدَّخول» «فالمِقْراة»

ذاكَ «سقط اللوى» وذكرى حبيبٍ   من هنا حَلَّ «كِنْدَةٍ» من «مِرات»[١]

ملكُ الشعر والمُجون وصيَّادُ الغواني، وفاتنُ الفاتنات

نالَ غفران ربِّه بقوافٍ   من عيون البدور مُستلَبات

فكأنَّ السماءَ وهْي غفورٌ   أَسْبَلَتْ صفْحها على السيِّئات

قال عبد العزيزُ للبلبل الشادي: تَحَدَّثْ ومُدَّ في العندلات

ما هو الشعرُ؟ من هو الشاعر الفحلُ المُجلّي في مطلق الحِقَبات

فلقد جاءني تَعاريفُ شتَّى   بشتيت الميول مصطبغات

أترى الشعرَ تابعاً كلَّ حزبٍ؟   أم له في الحدود بعض الثبات

قال: «مولايَ إنَّما الشعر لحنٌ   عبقريٌّ من عالم الغيب آت

عالَمٌ في غياهب النفس محجوبٌ، عميقُ الأصداء والخلجات

كشُعورِ الإنسان بالكائن الأسمى، يراه الفؤادُ في وَمَضات

فلِذا كان في التَدَيُّن شعرٌ   ولِذا الشعرُ كان في الصلوات

يَتعالى عن طبعِنا وهْوَ مِنَّا   كعُلُوِّ الشذا عن الوردات

جذْعُها في الثرى وتنهلُ منه   وهو غيرُ الأريجِ في النفحات

---

١ مرَّ الجيش او الموكب السلطاني في طريقه على بلدة (مِرات) وطن امرىء القيس ثم جاز تلك الجبال والمياه والشعاب – وضح الحمى والنيِّر والخفاف – وقد طالما زانت قوافي الشعراء وهوذا ربع الريَّان، ذلك الشعب الخصيب وفيه يقول جرير من نونيته المشهورة وهي من اجمل شعره:

يا حبذا جبل الريَّان من جبل   وحبذا ساكن الريان من كانا

وهو الذي حَنَّ الى أهله الشريف الرضي فقال:

أيا جبل الريَّان إن تَعْرُ منهم   فإني ساكسوك الدموع الجواريا

ليس شعراً صقلُ الكلامِ خلياً   من حياةٍ فالشعر شدوُ الحياة
حين تبكي وحين تفرح أو تشكو، ويعلو الشاكي عن التُرَّهات
ليس شعراً وصفُ التعهّرِ والفحش، وسردُ المحاذرِ القذِرات[1]
وهوانُ الرجالِ هونَ عبيدٍ   تتقفّى الأنثى أو الشهوات
انما الحبُّ شعلةُ الله شاعت   في البرايا لتَصهرَ الكائنات
كشُعاعِ الضحى يُبيد الجراثيمَ   ويُهْدِي آلاءهُ للنبات
ليس شعراً ما كان خلواً من الفكر، خُلوَّ القفار من واحات
ليس شعراً ما كان لغزاً عصيَّ الفهم، جمَّ الوعورِ والعتمات
نصفُ عمرٍ يضيع في حلّ معناه، ويفنى الباقي على العطفات
ذاك شعرُ الضعيف يتّشحُ الليلَ فيبغي ترساً من الظلمات
لا يهابُ القويُّ منبلجَ الصُبحِ، وغزوَ الضياء والساحات
إنَّ بين البسيط و «الساذج» الغثّ كما بين روضةٍ وفلاة
زنبقُ الحقل وهو أبسطُ نبتٍ   ناضرُ الحسن، رائعُ البسمات
فالسراطينُ والضِبابُ ورقطاءُ الأفاعي الكثيرة الفقرات
هنَّ في القبح والتعقّدِ آياتٌ فبئسَ الدمامُ في الحشرات

. . .

انما الشاعر المُجنَّح، يا مولايَ،   ضوءٌ للأزمن العكِرات

[1] لا تناقض بين هذا التعريف للشعر وما قدّمناه من اعتراف بشاعرية امرىء القيس وإكباره فبين أدب وتهذيب النفس في ذلك الزمان — عصر الجاهلية — وبين حضارتنا اليوم فرق كبير .

رُبَّما عاش في السفوح ولكن روحه تقطن الذرى العاليات

لا يرى في النجوم إلّا رفاقاً مثله في الهوى وَبثّ الشكاة

وحساناً من كلِّ زيفٍ تَعرَّتْ لِلقاء الكواكب الراقصات

فيجوب الخيالُ ألفَ سناء وَيرودُ اليراعُ ألفَ دَواة

ينهلُ المرقمُ الموفَّقُ منها كَوْثَرَ الخالدين في قطرات

قطرةٌ لو سَرَتْ الى البحر منها لاستحال الأُجاجُ عذبَ فُرات

قلمُ العبقريِّ دنيا فتونٍ وفنونٍ وملتقى معجزات

دونه في السموِّ تحفةُ رسَّامٍ، وخُلْدُ الرُخامِ بالنحَّات

وارتقاصُ الإلهامِ في الوتر الشادي، ونبضُ الحياة في الرعشات

يبعثون الحياةَ في الوتر الميت، وعُرْسِ الألوانِ والصخرات

وهْو من قلبه يسلُّ عطاياه، ويلقي بها لجيلٍ آت

فيعيد الاشياء كالناس أشخاصاً، ويحيي عوالم الأموات

هو ذاك الذي يُمثّلُ غاباً فيبثُّ الأَرواح في الشجرات

فتحولُ الجذوع سوقاً حساناً والأفانين أذرُعاً ضارعات[1]

يَترَقَّبنَ عودةَ الصبحِ والأطيارِ، باللحن والندى حالمات

يَتماوَجنَ للنسيم دلالاً من عَوادي دُعابه وَجِلات

أوَلَيس الذي يُمثّلُ نهراً فيريك العُباب في الصفَّات

عالَمَ النضرة الذي يَلِجُ الأبصارَ حتى يغلَّ في الحدقات

---

[1] السوق مفردها الساق .

فتُشدُّ الجفونُ حرصاً عليه واتّقاءً لغفلةٍ وانفلات
ويريكَ الماءَ الصفيَّ لُجيناً تنزلُ الشهب فيه مبتردات
لتلاقي عرائسَ الماء نشوى ينتهبنَ اللذّاتِ في الأمسيات
عارياتٍ، إلّا من الحسن، أبكاراً، مِلاحاً، كواعباً لَيّنات

. . .

قَلمُ الشاعرِ المجيد وَلُودٌ عبقريٌّ الخيال والوثبات
يثّقبُ الغيهبَ الصفيقَ ويلوي ويجوب الآفاقَ في لَمحات
فَيكُفُّ الغيومَ إن شاء صحواً والليالي يردّها ضاحيات
الفيافي يَنعَمنَ، من ظلّه الضافي، بخضر الظلال والجَنّات
يُسعد الناسَ وهو أنشودَةُ البؤس، وإلفُ الهموم والعبرات
طالما رَنّحَ المسامعَ شادٍ سال إنشادُهُ مع الزفرات
هم يظُنُّونَهُ بروضٍ لفيفٍ وهو من عيشه بصحراوات
فيلاشي حياته في غناء ويؤدي أنفاسه مُحرَقات
باسمَ الثغر صائنَ النفس من ذلٍّ، رفيعَ الهوى عن الرشوات
طاوياً جرحَهُ عن الأَهل لَحًّا وأَحِمّاءَ صَحْبِهِ والأُساة [1]
وهْو يدري أن ليس كالصمت شيء يرفع الصابرين للذروات
مُوجَعاً يقطع الليالي ويجلوها، لأَبصار غيره مقمرات

---

١ الاهل لحّاً : الاقارب الأدنون . والاحِمّاء مفردها حميم .

فهو بالجسم في مكان زريٍّ وهو بالصيت زينةُ الندوات
مَركزُ القول في الحديث على الشعر، وقطبُ السُّمّار في السهرات
يا لَتعس المصباح يفني حريقاً وعيونُ الورى الى المشكاة
أفحتمٌ أن يُبتلى كلُّ عصرٍ بعَماءٍ عن الهدى والهداة
فتراهم في الجاهليَّة، من شحٍّ، يَخُدُّونَ مَدفناً للبنات[1]
ويُؤدّون ضأنَهم وحِلاهم لِرضاء «العزّى» وعطف «مناة»[2]

...

إنَّما الشاعر العميقُ نَبيٌّ سابرٌ للقلوب والمهجات
يتجلَّى في وثبةٍ فَيراها ويُحسُّ الحسيسَ في اللفتات
حادِساً من ورائها وهدةَ اليَمِّ، وَهولَ الأغوار واللُّجّات
مُرهفاً حسَّهُ الدقيق لأصداءٍ، كَرَهْراهة المُنى هاربات[3]
فإذا بالفَطينِ يدرك سرَّ الناس، لمحَ البصير في مرآة
ويجوب الصدور حتى لَيُبدي نبضاتِ القلوب في صفحات
فيرى الناسُ فيه كُلَّ مآتيهم، وألوانَ عيشهم ناطقات
مِن شؤون الهوى، وحزن الحزانى وضُروب المَلْهاةِ والمأساة
عالَمٌ أصغرٌ تلاقت عليه صُوَرُ الناس من شتيت الفئات

١ خدّ الارض: شقّها. والمقصود وأد البنات. ٢ العزّى ومناة: من أصنام الجاهلية.
٣ ترهْره السراب: تتابع لمعانه.

عاشَ عنهم، وُحمِّلَ الهمَّ عنهم   غائصاً لليـدين في العوسجات

حاملًا وَحدَه نوائبَ جيلٍ   من همومٍ جَلَّتْ، ومن تبعات

فكأنَّ الذي تحمَّـلَ عصراً   جاب كلَّ العصور مُختَصرات

كم بهِ عاشتِ الكبارُ، ولولاه لظلَّ الأعـلامُ في النكرات

مجدُ «حمدانَ» شادَهُ المتنبي   بقَوافٍ من السنا حاليات

كم هوَتْ، غيرُ «سَيفِ دولتِهِ» الفردِ، سيوفٌ عظيمةُ الدولات

فتلاشوا كأنَّهم، في مَهبِّ الريح، بعض الهبـاء والذرَّات

بُوركَ الشاعرُ الذي قامَ طوداً   في مئات النجود والربوات

حَضنتْهُ الشهباءُ بعضَ حياة   وهو مدَّ الشهباءَ بالحيوات[1]

فهو في الخالدين ذكراً وهذي   حلبٌ أُمّه من الخالدات

البناءُ الجبّارُ ما شاده الشعرُ، بخير الأقلام، خـيرُ البناة

بادَ عزُّ الرشيد، واندَرَسَ القصرُ، وعاش الرشيد في أبيـات

ذاكَ أنَّ الصخورَ تحيا لوقتٍ   ويعيش القريضُ للأوقات

مَنْ «أخيلٌ»؟ لولا «هُميرُوسُ» ما «طِرْوادةٌ»؟ ما مَليكةُ الملكات

فنُّهُ مدَّ تحت أقدامها الدنيـا، وكانت لولاهُ في العاهرات[2]

---

١ قد جمعنا حياة على حيوات فمن احتجّ علينا بأنها لا تجمع وحكمها حكم (موت) رددنا عليـه بان الانسان يموت مرة ويعيش غير مرة، في رأي المؤمنين على الاقل، فضلًا عن رأي القائلين بالتناسخ. ولخير لنا وللغة ان نخطو هذه الخطوة — وقد أتينا أمثالها عشرات المرات — من أن نجمد مع الجامدين فنجعل حيوات جمعاً ثانياً للحيّة كأنّ (الحيّات) وحدها لا تكفي لتلك المخلوقة الخبيثة.

٢ أخيل: هو أبرز أبطـال إلياذة هوميروس. وهيلين: هي زوجة منيلاوس. وقد تركت زوجها وهربت مع باريس ابن بريام ملـك طروادة وكانت الباعث الاكبر على الحرب وفناء الرجال.

ولَظَلّت «هيلين» غُفْلًا، كما مرَّتْ علـى القفر أحقرُ الظَبيات
أو كما مرَّتِ الضِبابُ على الصخر، وجال النسيمُ عبرَ القناة
وخِضَمٌ التأريخ بحرٌ رهيبٌ كم حوى قبلها من السمكات
كم حوَتْ نجدُ قبل «قيسٍ» و«ليلى» من «قُيوسٍ» جُنّوا «بليلاوات»[1]
وشبيهٍ «لعنترٍ» و «لِعَبلاء»، في العُرب جيش «عبلاوات»
وحده الشعرُ خلَّدَ الحسن والحبّ، وأعطى الحياة للأموات
وأقام الدنيا وأقعد دنيا وأحدَّ السيوفَ والثورات
دونه سَورةُ الجحيم احتداماً إن تلظّى في الحبر والأَسَلات
رُبَّ شعرٍ بالأمس أجرى نهوراً من دماءٍ، وأدْمعِ الثاكلات
مِشعلٌ يلهب الدِغالَ ويمحوها، ويفني الحياة في الغابات
طعناتُ الأقلام، إن مدَّها الحقُّ، وأجّ الضِرامَ في القصبات
واستشاط الخيال فاندفع الإلهامُ، شبهَ السيول مُنفجرات
فَهيَ بالفتك شرٌّ ما عرف الطعن، وقصَّ الرواةُ من فتكات
ولقد يُجهلُ الجمانُ زماناً ويكون البريق للصدفات
بعضها يستوي لبعض ظهيراً ويُضلٌّ الورى عن اللؤلؤات
فاذا غُيّبَ المراؤون والحسّادُ عاش المغمورُ في الذاكرات
إنّ تلك الأقلامَ وهْي قِصارٌ أين منها الرماحُ مشتجرات
ولَئِنْ دلّ فارسٌ بقناةٍ قال فذُّ القريض: هذي قناتي
فإذا مُتٌّ فهي للخلد إرثٌ ليس مني للأرض إلّا رفاتي

[1] أوردنا ليلاوات وبعدها عبلاوات على الحكاية لا على القاعدة لذلك وضعناهما بين قوسين.

إنَّما هذه القنــاة حَمَتْني وَحَمَتْ رَفرَفَ العُلى غاراتي
ببيان كالبرق يَسْتَبِقُ الرعدَ، ويرمي الأوغـاد بالصاعقات
فـيردُّ الذئاب عن صِيَر الضأن، ويُذكي حميَّـةً في الرعاة[1]
أنا صنوُ الشلَّال في دولة الفيض، ورَجْعِ الهـدير والصيحات
مثله رفعــةً ودفقَ سخاءٍ وبشيراً باليُمْنِ والبركات
مثل ينبوعه نقاوةَ كفٍّ نزِهاً عن مكاسبٍ وسِخات
ما رأتني الجوزاء في موقف الـذلّ طريحاً وموطن الشبهات
أو تخلّى عن الإباء يراعي فتردّى في معرض الصدقات
عوّذتني من التبذُّلِ نفسي وانتحتْ بي مراتبَ المكرمات
سرتُ في زحمةِ الحياة وحيداً وأضـلّ المستكبرين أناتي
سوف يمضون في الزمان رماداً ويعيش الزمان في نـبراتي
وتعود العصور تسأل عني كاسرات الجفون معتذرات

• • •

العجيريُّ قالَ، وانشرح السلطان صدراً وَهَشَّ للنفحـات
إنَّما يُفرح الكلامُ على الفنِّ فؤاداً مشى على الغمرات
يُستطاب النسرينُ في موطن الأشذاء، بعد الهجير واللفحات
كُلُّ شبرٍ من هذه الأرض سفرٌ وحديثٌ عن أزمن مُترَفات

---

١ صِيَر الضأن : الحظائر .

ذاكَ وادي « الرشا » وذا جبلُ « الريَّان » طود الخمائل النضرات [1]

فيه للشعر من جريرٍ حنينٌ صارِخٌ في الأزاهرِ الفاغيات

وهنا الركب صاعداً، في رُبى « شهلانَ » بين العرار والسَمُرات [2]

وتكاد المَطِيُّ تسكَرُ من فوحٍ فتمضي مخمورةً هائمات

كم خيالٍ عن أرض نجدٍ بعيدٍ رَفَّ من فوق هذه الأكَمات

يتنشَّى من العرار ويُمليه قريضاً مُنوَّرَ الباقات

فكأنَّ الآفاقَ من مشرق الشمس لِمهدِ العرار ملتفتات

وتُخال الأحبابُ من كلِّ قطرٍ أجنُحاً فوق طيبه حائمات

أيُّها الصاعدون في درجات الوحي صونوا أرجاءه العطرات

جبلُ « النيّرِ » الذي قد وقَلْتم في أعاليه ملعبُ النيِّرات

لا تُثيروا غبارَكم في حَناياه وشدّوا أزِمَّةَ اليَعْمُلات [3]

ولْتَمَسِّ اليَفاعَ مَسّاً رفيقاً واجماتٍ في مصعد التَلَعات [4]

تَلَعاتٌ رقى الخيال اليها لِيُسامي عُلوِيَّة الدرجات

فتدَلّى رفُّ الخلودَ ولاقتْ سِدَّةُ الشعر سدرةَ السدرات

عند ماء « المصلومِ » حُطّوا رحالًا واخشعوا في الوضوء والركعات

---

١ سار الركب السلطاني مصعّداً من الريّان الى وادي الرشا بين جبال شهلان والخوار حيث تبدو أعالي نجد في أبهى الحلل من الاخضرار . تلك البلاد التي يتغنى الشعراء بعرارها وطيب هوائها وفسيح أرجائها. ووادي الرشا يعلو نحو ألف واربعمئة قدم عن سطح البحر، وظل الموكب مصعّداً حتى بلغ ماءً يدعى ماء المصلوم .

٢ السمرات : مفردها سَمُرة : نوع من شجر العضاه .

٣ اليعملات : النياق .

٤ اليفاع : التل المشرف وكذلك التلعات .

يَتَبادَرْ إِلَيكُمُ الأَجرُ والطهرُ، ونفحُ الجمال في الذكريات

. . .

قد أَجزْتُم أَرض «الدفينة» أو سُودَ الصياصي وأوْعرَ «الحرَّات»[١]

وبلغتم أشلاءَ عزٍّ تليدٍ بين هِيف النخيل والأَثلات

أَنبأَتكُمْ تلك الدوارسُ عن مجدٍ، كما ذرَّ غابرٌ من رفات

المغاني من الاناسيِّ أَقْوَتْ واغْتَنَتْ من سوالفٍ وعظات

أين شيخُ الرُواة ينبشُ للسلطان عن أمسها ضُحى البيِّنات

فتعود الأَطلالُ غابةَ أرماحٍ، وتَغنى الربوعُ بالزَّيْنات[٢]

يا «عُجَيْرِيُّ» قال سلطان نجدٍ ما اسمُ هذي المرابع الكالحات

داسَها مِنسَمُ البلى وأناخ الدهرُ، وقَرَ الجران والثَفِنات[٣]

وجهها صار شبهَ خدِّ عجوزٍ وَسَمَتْهُ الأَيَّامُ بالصفعات

بيدَ أنَّ الجمال ما زال فيها شامَةً في مَنازلٍ دارسات

قال: هذي «مُرّان» مولاي فانظُرْ ما أثار النسيانُ في النخلات

١ سار الموكب بعد أن جاز جبل النيّر جنوباً بغرب الى الدفينة وهي في رأس الحرّة التي تعلو نحو أربعة آلاف قدم عن البحر وفيها بقية طريق معبدة . وفي هذة الحرة أعلام منصوبة تدلّ على الارض الوعرة التي لا تسلك . وهناك بعد الحرّة آثار بيوت متهدمة في وسط بساتين من الأثل ونخيل الدوم ، هي (مَرّان) التي وصفها ياقوت بقوله انها قرية غناء كبيرة كثيرة العيون والآبار والنخيل وقد كانت لبني هلال ولكنها اليوم للاضمحلال :

مررنا على مَرّان ليلاً فلم نعُجْ على أهل آجام بها ونخيل

٢ الزينات : مفردها الزينة وهي الفتاة الجميلة . ٣ الجران : مقدم عنق البعير . والثفنات : هي الاعضاء التي تمسّ الارض منه اذا استناخ .

هُنَّ في ذلَّةِ الأَرامل شُعثَ الهامِ، أَو في تفجُّع النادبات
يَتذكَّرنَ من «هلالٍ» بنيهِ أَو بُدورَ المغارب الآفلات
يومَ أُمّوا أفريقيا لِفُتوحٍ بسيوفٍ نجديَّةِ الشبوات
فاشرأَبَّتْ الى «العُجَيريّ» أسماعٌ، كسربِ الجياع، حول فُتات
ومضى في الحديث يقطفه قطفاً، خلِياً من قشرةٍ ونَواة

. . .

قال: في غابِرِ الزمان ألمَّ الجدبُ في هذه الربى الزاهرات
ورأى نجدُنا حِقاباً صعاباً من ثِمارٍ ومن جَنًى عاريات[1]
وسماءً غيومُها من حديدٍ أو أكُفِّ اللئام منحبسات
عقدوا مجلساً تصدَّرَه السلطانُ، رأسُ القبائل السَرَوات
«حَسنٌ» كاسمه، عقيدُ بني «سِرحانَ»، رحب اليدين والجفنات[2]
مثلَ سَيْبِ الغمامِ كان أبو «مِرْعي»، اذا عبَّستْ وجوهُ القُراة

---

١ الحقاب: السنون. ٢ ورد في موسوعة (لاروس) ان بني هلال ارتحلوا الى سوريا حيث قاتلوا الفاطميين. وفي أواخر القرن العاشر نقلهم الخليفة العزيز الى مصر العليا. وفي اواسط القرن الحادي عشر، استقدمهم الخليفة المستنصر ورمى بهم والي تونس المُعزّ الذي شقّ عصا الطاعة على الخليفة، وقد انتصر عليه بنو هلال ودحروه في موقعة حيدران.

ومن الثابت تأريخياً انه قام بينهم أبطال هم في طلائع أبطال العرب منهم أبو زيد الهلالي سلامة ودياب بن غانم وحسن بن سرحان. بيد ان الذي يهمنا إيراده في هذا الفصل هو لمحة أسطورية دارت حول بني هلال وتعرف (بالتغريبة)، اي نزوحهم الى المغرب. وطالما ملأت هذه الأسطورة سهرات السامرين في اثناء القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين في لبنان وفي سائر الاقطار العربية، يوم كانت ذكريات البطولة تغني من الخلاعة والمقامرة. وقد وضعنا هذا المقطع القَصصيّ على لسان العجيري، واقتبسنا حوادثه من (رواية الفرسان الاربعة)، لرشاد المغربي دارغوث، ومما علق في الذاكرة من ذكريات الطفولة في سهراتنا الشتائية الريفية، سقى الله تلك الايام. (المؤلف)

وأحاطت به الغطاريفُ شورى يبتَغونَ السبيل للأقوات

بينهم أسمرٌ أميرُ حسامٍ وقبيلٍ ومِدرهٌ في الدُهاة

أَنْجَبَتْهُ بنو «سَلامةَ» فذًّا أبيضَ الفعل، أحمرَ الغارات

ما رأتْ نجدُ أروعاً كأبي زيدٍ، جماعاً لهمَّةٍ وصفات[1]

جارُهُ أشقرٌ كحَيْدَرَةِ الغاب، صليبُ الألواح والعضلات

فارعٌ قامةً أغرٌّ الثنايا مستطيل الصمصام والعذبات[2]

أو «ديابُ» بن «غانمٍ» فأبو «وطفاء» قصدُ الرماح والغانيات

وهو راعي «الخضراء» بنتِ «الكُحيلاء»، عروسِ الضوامر الصافنات[3]

فوق كرِّ الإعصار سرعةَ جريٍ ورُواء الربيع حسنَ شِيات

. . .

أجمعوا رأيهم على تركِ نجدٍ لبلادٍ موفورة الخيرات

وانتقوا منهم ثلاثة رُوَّادٍ، عيوناً تُنير دربَ الغزاة

منهمُ ألأسمرُ المصورُ «أبو زيدٍ» و «مرعي» مُجَنِّن الغادات

بين أحنائه عزيمةُ رئبال، وفي خدِّه حَياءُ فتاة

وابنُ أخت السلطان «يونسُ» ريَّانُ الحواشي، مُثقَّفُ الحركات

قصدوا «تونساً» وجابوا نواحيها، فرابَ الوليَّ نمُّ السُعاة

---

١ الأروع : من يعجبك بحسنه وشجاعته او مثل ذلك . والجماع بكسر الجيم : الجامع . ٢ العذبات: أطراف كل شيء . ٣ الخضراء : فرس دياب . والكحيلاء : احدى الأفراس الاربعة الاصيلة التي يُردّ اليها كل جواد أصيل وتدعى كحيلاء العجوز .

«الزَّناتي»! وكان ثاقبَ فهمٍ وَعفرنى وَغى، ورأسَ عُتاة[1]
غَلَّهم في غيابةِ السجن أسرى في قيودٍ رهيبةِ الحَلَقات
مُوفداً عبدهم لجلب فِداءٍ ظنَّ عبداً من كان في الذروات[2]
أطلق الليثَ خاليَ الذهنِ من ليلٍ، سيأتي بالخيل والويلات
يُنقدُ المغربيَّ سمر العوالي والمنايا بِدْلاً من الذهبات

. . .

وأَطلَّتْ بنتُ المليكِ لِتَلْهو بالأَسارى، تَوّاقةً لِشَمات
غُرباءُ هُمُ، وكلٌّ غريبٍ يستثيرُ الفضولَ في النيّات
وفضول النساء في فِطرة الجنس، خليطُ الأكبادِ والمُهجات
كلُّ هذا الورى ضحايا فضول بَعثتهُ أشذاءُ تُفّاحات
والفراديسُ لم تَزلْ عابقاتٍ لِتُضِلَّ النُهى بحَوّاءات
أقبلتْ من علٍ على السجن، إقبالَ الدراري تحنو على وهدات
فأضاءَتْ جدرانَهُ واستضاءَتْ بجبين مُنوِّرِ العبسات
يتلوّى على القيود فتبدو كالمرايا في السلك منظومات
وتراءى لَمّاحةً من هلالٍ نطّقَتْهُ الأغلالُ بالهالات
والتقَتْ نظرتان فارتعشت «سُعدى»، كفعل النسيم بالوَرقات
ومشى في عُروقها شبهُ سحرٍ ليس يجري عليه رَقْيُ الرقاة

---

١ العفرنى : الأسد. ٢ أطلق الزناتي أبا زيد ليأتيه بفداء الأسيرين مرعي ويونس وقد حسبه عبداً. وكان ابو زيد يشبه العبيد في اللون فقط.

هي حال الصُوفِيِّ في مطلع الشطح، وحالُ المخمور في السكرات
قلبُها لو، بِقُربِهِ، مَرَّ واشٍ لدرى حُبَّها من الدقَّات
وتَوالَتْ على الأَسير زياراتٌ، وكانت «ڤينوسُ» عقد الصِلاتِ[1]
الأسيرُ الجميل ضيفٌ على الجود، وضيفُ الجمال والقبلات
ما على قائدِ الصفوفِ ابي زيدٍ اذا لم يخفَّ بالنجدات
كلُّ وقتٍ على الغرام قصيرٌ فالليالي أقَلُّ من لحظات

. . .

رَجَّ طبلُ «الرجوج» بالمغرب الساجي، نذيراً بالأَبحُر الطاغيات[2]
نصف مليونَ خلفَه من شيوخٍ وشبابٍ ونسوةٍ مُحصَنات
ولواءُ الأَظعان «جازِيَةُ» العرب، وأختُ السلطان والهمَّات[3]
هي بندُ الحماسة الُموقظُ الفرسانَ، يوم النوائب الغاشيات
حولها كلُّ من تَقَمَّصتِ الحسنَ، وفاقت بالعزفَ والزغردات
واستَوتْ كالَمنارِ في الهودج البَرَّاقِ، بعثاً للبأس والنخوات
كان في صدرها قِلًى «لديابٍ» أو بقايا مَشاعرٍ مبهمات[4]
رُبَّ بُغضٍ يكون غابرَ حُبٍّ غاضَ في حالكٍ من الرغبات
أو بقايا وجدٍ على البطل الضخم، الكثير الإدلال والعَثَرات

١ فينوس : إلهة الحب في الاساطير اليونانية . ٢ طبل الرجوج : في سيرة بني هلال كان يسمع صداه الى مدى بعيد وهو علامة الحرب . ٣ الجازية : أم محمد شقيقة السلطان حسن وكانت ذات نفوذ واسع ونظر بعيد . ٤ كان دياب امير بني زغبة (او زغبي) وعددهم تسعون ألفاً وأخوه زيدان شيخ شبابهم، وابن اخته عقل بن هولا من أفرس الفرسان .

خشيت أن يكون حيدرة الفتح، فبعداً له عن الأجمات
أبعدوه يحم السوائم قالت فبنو «زغبة» خيار الرعاة
فنفوه كنفي عنتر عبس ليصون النياق والغنمات

. . .

وتلاق سباع نجد وأبطال الزناتي، في الأنجد الداميات
وحلت خيلهم بأحمر جياش، وزل الجياد في الحمآت
والزناتي، على بسالة قلب وعناد في الكر والجولات
آثر اللوذ بالمدينة، فالأسوار هزأة من الهجمات
عازماً أن يبارز الغلب الأبطال منهم في صبح كل غداة
فإذا بادت الرؤوس تباعاً تتهاوى جسومها تابعات
لم تشاهد «زناتة» مثله قرماً عليماً بالضرب والختلات[1]
فهو صنو البروق في حدة الطعن، وعدل الجني في الصهوات
وعلى خصمه له ألف عين تتوقى حواسم الضربات
يبطل الطعنة السديدة إذ يلوي، على بحر سرجه، ليات
يا له من مبارز صاد من نجد رؤوساً أبية الجبهات
صفها فوق سوره للتشفي فغدا السور معرض الهامات
تحت ذاك الجدار كم نش خد واستفاق الصفا على الآهات

[1] زناتة: هي المنطقة التي ينتمي اليها الزناتي خليفه.

ليس مَبكى اليهودِ منه بشيءٍ فهناكَ النحيبُ في العادات
وهنا السور كادَ يرفَضُّ من دمعٍ وأجِّ الأنفاس محترقات
ولو انَّ الحجارَ تفقهُ قولًا لاستحالت سوداً من الحسرات
من زفير الزوجاتِ فيها دخانٌ وعويلِ الجدَّات والأمَّهات
بين تلك الرؤوس هامةُ «زيدانَ» سياجِ الكواعب المخدرات [1]
و«البُديرُ» القاضي، و«عقلُ» بن «هولا»
والمغاويرُ نخبة النخبات
صفَّها عابثاً، ثمانين رأساً عَبثَ اللاعبين بالأكرات
فكأنَّ الأفواهَ منكشِراتٍ تندهُ الأقربين للثارات

. . .

حلِمَتْ. والنساءُ في حُلمٍ يمتدُّ حتى في الصَحو والحفلات
حلِمَتْ فتنةُ المغاربِ «سعدى» أنَّ نسراً مُذَهَّبَ الريشات
قَشْعماً أعقفَ المناسِرِ والمنقارِ، مرَّ الصِيال والنقرات
شكَّ منقارَهُ بعين أبيها فاستفاقت موصولة الغَصَّات
من «كَمرعي» يفسِّرُ الحُلْمَ الدامي، ويُغري منكودةَ العاشقات
قال «ذاكَ ابن غانمٍ من بني زُغبي، دياب مُفرِّجُ الكربات»
«ذاكَ خالي وكم له من خصيمٍ في صفوف الأيتام والأرملات»

---

[1] علّق الزناتي على اسوار تونس نحواً من ثمانين رأساً بينها هامة زيدان بن غانم وعقل بن هولا .

كلّما سار مرّةً لقتال كثُرت خلفه جيوشُ النعاة
أجلبوه، قالت، ولو كان في قتل الزناتي فجيعتي ومماتي
بين خطبين: عشقها وأبيها آثرت دولةَ الحبيب المؤاتي
باعت العرشَ والأبوّةَ باللذّات، تبّاً للعهر واللذّات
ثورة الجنس ثورةٌ تبطلُ العقلَ، وتجتاح سائرَ القوّات
بنتُ قَيْلٍ، ونجمةُ القصر حسناً دحرجتْ خلقها الى الدركات[1]
جوعها للوصال والجنس أدنى خسّةً من رغائب المومسات

• • •

أخذتْ سورةُ الإباء «دياباً» قال عدتم اليَّ بعد الفوات
قد نسيتُ القتالَ فاطّرحوني وذروني للنوق والنعجات
ليس مثلُ النساء تعطف قلباً حجّروه فصار في الآلات
اليتيمات والأيامى صبغنَ الكُتْبَ من أدمعٍ ومن شهقات
وجززنَ الشعورَ يُدرِجن فيها حرقاتِ الأكباد في خصلات
بينها خصلةٌ ألانتْ عصيّاً فارتمى قلبُهُ على الشعرات
تلك لون النُضار خصلةُ «وطفاء»[2] وهمَّ الصنديد بالعبرات
قال أين «الخضراء»؟ هيّا بني زغبي! سراعاً للموت أو للحياة

• • •

---

١ القيل: الرئيس. والملك: من ملوك حمير. ٢ وطفاء: هي بنت دياب، وهي كبرى بناته وأحبهن اليه، وكان يكتني بها في القتال فيصيح: لعينيك يا وطفا.

ذاغبارُ«الخضراء»«وطفاءُ»صاحتْ وأطلَّ الرجاءُ في الهبوات
فاذا السهلُ حول « تُونِسَ» بحرٌ من نساءٍ في أدمعٍ غارقات
يَطَّرِحْنَ البَراقِعَ السودَ آلافاً ، ويجرينَ هُيَّماً سافرات
يا « دياباً » يَصِحنَ ، والأَلَمُ اللَّهابُ ، صَدَّ الكلامَ في اللهوات
هارعاتٍ اليــه شُعثَ النواصي خامشاتِ الخدود مبتهلات
ــ « ولِمَن هذه الرؤوسُ » ؟ وغصّ الليثُ وهو المشهور بالزأرات
خالَ تلكَ العيونَ ، وهْي ثقوبٌ نحو إِفرَندِ سيفه شاخصات
ــ « ذي رؤوس الإخوان » صاحت نساءٌ
« أَو كُبودُ الأخوال والعَمَّات »
« ذلك الرأسُ رأسُ « عقل » بن « هَوْلا » لن ترى أمّه مع الباكيات
فَقْدُهُ غيَّضَ الدموعَ فأعماها ، فخالَتْ أيَّامُها ليلات
في غدٍ : قال يفعل الله أمراً وأطال الهديرَ والزمزمات

. . .

طال أمرُ البراز خمسين يوماً وهو تَصْدامُ صخرةٍ بصَفاة
سيفُ « أفريقيا » وَبتَّارُ نجدٍ في ضِرابٍ يُشيبُ سودَ البزات
تتشظَّى السيوفُ حيناً فيَرْتَدَّان شَطْرَ الرماح خَطِّيات
وتطير الرماحُ إِلَّا كقدْرِ الكفِّ منها ، يظلُّ في القبضات
وألوف الصدور تحبس أنفاساً ، وتنهى الأَجفانَ عن حركات
واستحرَّ الصِدامُ ، في يومه الخمسينَ ، حرَّ الغابات مشتعلات

الزناتي أرادَهُ يومَهُ الفَصْلَ، فأهوى بالمِخْذَم البَتَّات
فأصاب «الخضراء» فانبتَرَ العنقُ انحسامَ اليراعِ بالمِبْراة
فَقْدُها أفقَدَ العزاءَ «ديابا» فبكاها رفيقةَ الغزوات
قال: مهلًا لونَ الرَّجاء! فلن أرضى سوى قبضِ رُوحهِ في الدِيات
واستعاض «الشهباءَ» يا نعم بنتٍ هي كرٌّ الشهاب في الحجرات[1]
ليلُه طالَ، يا صباحُ تَفتَّحْ للبراز الأخير، للخاتمات
الكميُّ «الزغبيُّ» أقسمَ ألّا يرجع اليومَ، قبل صبغ الشَباة
أطمعَ المغربيَّ توفيقُه أمسِ، وكم في الظنون من خيبات
خصمه ناله بضربة دَبُّوسٍ أطارت أضراسَه ذَرَّات
هارباً راحَ، لا هُروبَ من «الشهْباء»، إنَّ البنات كالأُمَّات
هالَهُ جَريُها، تلَفَّتَ مذعوراً، وكانت أخيرة اللفتات
غارَ في عينهِ سِنانٌ رهيفٌ وجفا في دماغه فَجَوات
قال: خذها مَنيَّةً من «أبي وطفا» وَذُقْ طَعْمَ حربتي يا «زناتي»
ثمَّ ثَنَّى بسيفه فأطار الرأس شوطاً، كَلاعبٍ بالكرات
رُفِعَت هامةُ العتيِّ على السور، ووارى الترابُ هامَ العُلاة[2]

. . .

سكرة النصر أيقظَت في «ديابٍ» شهوةً للمَناعم المُترَفات

---

١ الشهباء: بنت الخضراء. والحجرات مفردها الحجرة وهي الفرس.
٢ العلاة: أشراف بني هلال الذين أنزلت رؤوسهم عن السور ودُفنت.

«أنا أولاهُمُ بعَرشٍ أثيلٍ ظلَّ لولاي سُدَّةً للعداة»
«لا أميرٌ سوى دياب» مُناديه يُنادي» مُفخَّم النَبَرات
النِداءُ الوَقاحُ مَضَّ أبا «مرعي» وهاجَ الضغائنَ الخابيات
قحطُ نجدٍ بالأمس ألَّفَ أشتاتاً، فصارت في الكُلِّ منصهرات
أجمعوا أمرَهم لِغَزوٍ فسادُوا وتفانوا في قسمة الطَيِّبات
حَسدٌ دونَه الضرائر في الحقد، وبغضُ الحماةِ للكَنَّات[1]
زادَ حقدَ السلطان أنَّ «دياباً» رامَ «سُعدى» أميرة الفاتنات
قلبها بابنه عليقٌ، «بمرعي» بحبيبٍ ملازم الخفقات
أمعَ المُلكِ يُغصَبُ القلبُ ميراثاً؟ كأنَّ القلوبَ في التركات
ذرَّ قرنُ الخصام لولا أبو زيدٍ، وسيطاً مُوَفَّقَ الحلَّات
«حسنٌ يملك المغارب لكن «تونسٌ» للذي أبادَ العاتي»[2]
وهي بِدلُ «الخضراء» تُعطى ويبقى ذكرُ أُمِّ الأَرياف والقصبات
«وَلِمَن رَبَّةُ الكواعب سعدى»؟ قال مرعي، وغَصَّ بالكلمات
«للذي يسبق الجميعَ اليها فارساً ينحني أمام المهاة»
«نَتَبارى أَنا ووالدكَ السلطانُ، والأَشقرُ العديم الأَناة»[3]

• • •

١ الكنّة : امرأة الابن والأخ . ٢ قضى ابو زيد بأن يكون أبو مرعي سلطان المغرب على ان يملك الامير دياب على مدينة تونس مكافأة له على قتله الزناتي وعوضاً عن الخضراء . اما سعدى فتجعل في آخر الميدان كقصب السبق ينالها المجلّي ، فإذا كان دياب السابق صدّته بحيلة ، واذا كان أبو مرعي وهبها لولده وهو المقصود . فاذا كان الفائز أبو زيد تخلى عنها لمرعي . ولكن هذه المؤامرة زادت في حنق دياب فقتل سعدى . ٣ الأشقر : دياب .

فاز بالغادة الرَداح «دِيابٌ» فاتَّقَتْهُ بأبرَع الصدمات
«أنت مني كوالدي فحرامٌ أن تَراني في مَخدع الزوجات
لم تَجُزْ حيلةٌ علـى عَنجَهيٍّ كان يدري مَلامس الحيَّات[1]
رَقص الشاربانِ من سَوْرة الغَيظِ، وشَعرُ الجبـين والهُدُبات[2]
نالَ «سعدى» بصفعةٍ رَضَّتِ الرأسَ، فطارت عِظامُـه نثرات
قال: «بُعْداً للخائنات، ولو كُنَّ اليواقيتَ في الضحى شارقات
ما جمالُ الأجساد إلّا انسجامٌ وخِداعُ الألوان للباصرات
لا جمالٌ إلّا جمالُ نُفوسٍ في نقاء الزنابق العاطرات
انما الحسنُ والتَعهُّرُ ضِدّانِ، فبئسَ الرُواءُ في الوَقِحات
عصبة الخائنات، أجمل منهنَّ ـ على الهول ـ سحنة السِعلاة[3]
أو نُتُوء اللَحْيَيْنِ في وجه قردٍ وغؤورُ العينين في القردات
من تَبِعْ أهلَها بلذَّةِ وصلٍ فعليها سَواكبُ اللعنات
إنّ من سَرَّها مماتُ أبيها فهي رجسٌ يُلقى لقاذورات
مثلُها لا ينال نعمى زواجٍ فالبغايا مَلاجئٌ للزناة
لا يبلُّ الندى ضَريحَكِ يا «سعدى» فيبقى ملاعبَ العَنكبات

• • •

حَسنٌ هَمَّ يقتل الليثَ لو لم يتهَيَّبْ مَهالِكَ العقبات

١ العنجهي: المتكبر. ٢ الهدبات مفردها هدبة وهي شعر أشفار العينين. ٣ السِعلاة: أنثى الغول الحيوان الأسطوري المشهور.

ما ابنُ «زغبي» بمن يُصاد وجاهاً فليصده في غفلة الغفلات
فدعاهُ لمشربٍ فاحَ طيباً وطعامٍ أفنى فُنونَ الطهاة
شَرِهاً كان في السماط أبو «وَطْفا» عشيقُ الرحيق والكاسات
عَبَّ منها عَبَّ السَباسِبِ من ريٍّ، وأُذْنِ الحبيب من وشوشات
فتردّى كالزقِّ أو دَنِّ خمرٍ أَغْفَلَتْ سَدَّه سكارى السقاة
واستفاق الغطريسُ في المحبس الرَذْل العديم الضيـاء والطاقات
الكبولُ الثقالُ قَيَّدتِ الليثَ، وَحزَّتْ في ساقِه حَزَّات
يعجز الفيلُ إنْ تلجلجَ فيها أن يُعِلَّ الرجـاءَ بالإفلات
سجنُ راعي «الخضراء» أضيقُ من صدر الحزانى، وَجَفْنة الباخلات

• • •

لم تفُلِّ السنونُ حقدَ أبي «مرعي»، ولا أثمرتْ دموعُ البُكاة
لا انتحابُ «الوطفاء» جاء بعفوٍ أو أفادَتْ شفاعةُ اللبُوات
ينهنّ الأختُ الشفيقـةُ، أَو سلطانةُ القصر، رَبَّةُ الربَّات[1]
زوجُها وجههُ من الناس لـكن قلبهُ الصَلْدُ كان في المومياث
ذهنُه اليَبْسُ كان خلواً من العطفِ، ومعنى الغفران والرحمات
وكأنَّ الأمـيرَ، وهو طريحُ السجنِ، ضيفُ السلاسلِ العَفِنات
قال: ويحي وكنتُ حاتمَ قومي وسِماطي شريعةٌ للعُفـاة

---

١ الربّة: السيدة فربّ البيت سيده.

غبطتي رؤيةُ المئات عليه كالعَصافير حُوَّماً واردات

ينهبون الأرزَّ قبل الحلاوى والمَحاشي والأكبُش الوَدِكات

وشراباً من مقلة الديك أصفى ونُقولاً تُداف بالعسلات [1]

و«المهابيج» تَسحنُ البُنَّ والهاوَنُ يتلو مُثلَّث الدقّات [2]

وأراني يُرمى إليَّ بخبزٍ! مأكلُ الكلب، يابسُ الكسرات

يا ليالي صُبُوَّتي، في رُبى نجدٍ، وطيبَ العرار في الغدوات

إذ أُفتُّ العَرارَ في الماء ألهو وأرُشُّ الحُملانَ بالشذرات

أو أرشُّ الأترابَ بالماء، حول البئر، بين الهتاف والقهقهات

والصبايا يصبغنَ وجهي بحنّاء، وينثُرنها على غمّاتي

أو يُداعِبْنَ شعريَ الأشقرَ المضفورَ حتى يَنَلْنَ من عَذَباتي

وكَبِرْنا عن الصبا وشبابي لم يُدنَّس بالفحش والمنكرات

يا عُيونَ «المرّان» في أرض نجدٍ وغصونَ النخيل والسمُرات [3]

عند تلك الطلال خَلَّفْتُ قلبي وعلى الدوح حوَّمتْ ذكرياتي

أنا في المغرب القصيِ حبيساً بين أغصانِهنَّ أنشد ذاتي

فأرى الأفْقَ يدفع البدرَ نحوي وأرى الزهرَ والمياه لِذاتي

وتكاد «الخضراءُ» تصدم قرنَ الشمس تحتي، أو تصدم النجمات

كم نشلتُ السلطانَ من موقفٍ ضنكٍ، وصُنتُ القبيلَ من غارات

---

١ نقول مفردها النقل وهو ما يُتنقّل به على الشراب من فاكهة ونحوها . تُداف بالعسلات : اي تخلط بواحدة العسل . ٢ (المهابيج) مفردها المهباج وهو ما تدقّ به القهوة عند العرب . وتكون الدقة مثلثة النغم . ٣ المرّان : من منازل بني هلال كما تقدم .

إذ يُنادي عدوُّهم لبرازٍ فيُنادونني فأحبو حياتي
أنا أورثتُهم عرينَ ابي «سعدى» وكانوا لولاي في الدركات
رُفعت هامُهم بدوني ولكن فوق سور «الخضراء» مبتوارت
ألِأَنّي أبدتُ أختَ الأفاعي؟ وهي ملكي في شرعة الحلبات
أُبتَلى بالقيود سبعةَ أعوامٍ، كأني مُكرَّرٌ في الجُناة[1]
أنتنَتْ هامتي، ورثَّ إهابي والبراغيث عشَّشتْ في «عباتي»[2]
وأنا من رعى الحصان أبو «وطفا» رعتني في محبسي فلاتي
يا ابن «شمَّا» اذا نجوتُ من السجن، فبُشراكَ أشنع القتلات[3]

. . .

ذات يومٍ وكان في القصر عيدٌ والحنايا لِلَّهو منفتحات
رَغِبتْ فتيةٌ، وشاء الصبايا أن يُساقَ الأسيرُ للملهاة
جيء بالليث شاحباً يسحب القيدَ، ويكبو في جرِّه كبوات
مَسَخَتْهُ الصبيانُ دُبّاً عجوزاً ورماه الشبّان باللمزات
وازدراهُ السلطانُ يرمق شزراً بلحاظٍ أنكى من اللدغات
سقط الليث فاقدَ الحيلِ، مغشياً عليه، مُقطَّعَ اللهثات
أختُهُ أُنبئَتْ فطارتْ اليه مَن ليوم الحنان كالأخوات
يفتدينَ الشقيقَ بالبصر الغالي، بعزِّ القصور، بالمهجات

---

١ التكرار يزيد في عقوبة الجاني بحسب نص قانون العقوبات . ٢ أوردنا (عباتي) على الحكاية .
٣ شمّا : والدة السلطان حسن .

فألانتْ فِراشه وأعدَّتْ مأكلًا من دواجنٍ دَسِمات

أيقظتْهُ في الليل مَوجِدةٌ تغلي، ونارُ الضغائنِ المُزمنات

صَرْخةُ الثأرِ ألهبتْ راحةَ الشيخِ، وسلَّتْ مشؤومةَ الشفرات

خنجراً سَنَّهُ، على قيدِهِ الدامي، رهيباً لِأَرْهبِ الساعات

شَبحاً سار في الدجى يلمس الجدرانَ، بين الرِواق والحجرات

وعلى صهرِهِ بخنجره أهوى، فغارَ السكّينُ للفقرات

وأتى قومَه مُشرَّدَ لُبٍّ أربدَ الوجه، غائرَ القسمات

يا «لَجسَّاسٍ» عصره، وَلْولَ الناسُ، هلمُّوا نَطِرْ الى الفلوات[1]

لا تخافوا، قال الغريمُ فإنّي لم أزلْ سيفكم وحامي الحماة

«السلاميُّ» ليس ينسى «ذياباً» إذ قناتي تغوص في اللبّات

غصبوني عرشاً بَناه حسامي نبذوني في السجن طرح القَذاة

كنت أشكو لله مُرَّ عذابي عن شَمات الورى أصونُ شكاتي

ليتني قد بللتُ ناري بدمعي عزَّةُ النفس غَيَّضتْ عبراتي

ما رأتني القيودُ أبكي لئلّا ينقل الغِلُّ ذلّتي للوشاة[2]

...

مأتمُ العاهل المُخضَّبِ أنسى سائرَ الناس غابرَ النكبات

نكَّسوا حوله البيارقَ سوداً سَمَكوا من رِماحهم تلّات

---

١ معلوم أنّ جسّاساً غدر صهره كليباً غدراً فنكتفي بالإشارة . ٢ الغلّ : القيد .

نحروا فوق رَمْسهِ ألفَ كبشٍ وبَعيرٍ، لرحمةٍ وزكاة
هتَكَتْ سِترَها الحرائر إلا أختُهُ لم تَبِنْ مع النائحات
أقسمتْ بالإله «جازِيَةُ» العُرب، بتاج الذبيح، بالحُرُمات
لَتُثيرَنَّها حروبَ انتقامٍ تذهلُ الراضعين والمرضعات
ما هِياجُ اللُّباء للثأر أضرى من غضاب النساء مَوتُورات

. . .

بوّأوا سُدّةَ القتيل أبا زيدٍ، حَوْلَ الهيجاء والأزمات
قام في نفسه صراعٌ رهيبٌ كاصطراع الأمواج مُصطَخِبات
إذ يضيع الشراعُ في اليمِّ هدّاراً، وتخفى معالمُ المرساة
أيسلُّ الحسامَ يُفني بني «زغبي» كبودَ الأعمام والخالات
و «ديابٌ»؟ وإن أسنَّ، فلم ينفكَّ قطبَ الوغى، وشيخَ الكماة
أوَينسى ذاك النسيبَ رفيقاً؟ في الليالي الزواهر السالفات
يوم كانت «مرّانُ» في مشرق العمر، مقيلَ الأسود والظبيات
أوَينسى «تغريبةً» قاسيا فيها شتيتَ الأهوال مجتمعات [1]
«الدُبيسيُّ» و «الخزاعيُّ» و «الغضبانُ» و «التبَّعيُّ» في الوزنات [2]
إذ هما توأمان في ساحة النصر وخوض الغمار مندلعات
رغم ما فيه من ذكاء وبأسٍ ونُهًى زاجرٍ، وبُعدِ التفات

١ التغريبة : هي الأسطورة التي تصف بإسهاب رحلة بني هلال الى المغرب وما صادفوا في طريقهم من العقبات وما نشب من الحروب . ٢ أعلام بعض الابطال الذين قهرهم بنو هلال .

«السلامِيُّ» كان أطهرَ قلباً من كؤوس النَسرينِ مغتسلاتُ[1]
صالَح القاتلَ المريدَ وفَضَّ السلمُ كيد العِدى، وإفكَ الدُعاة
بعد ليلِ الأَحقاد أقلع جوٌّ وصفا من غمائمٍ مُرعداتِ[2]

. . .

دَمُ «قابيلَ»[3] مَضَّهُ أن يرى الأَسياف مغمودة الظُبى نائماتِ
ضَمَّتِ القائدينَ رحلةُ صيدٍ أضرمت في العَتِيِّ نارَ غضاة
فكأنَّ النسيمَ في نشوة القنصِ، أزاحَ الرمادَ عن جذوات
هزَّ دَبُوسَهُ «ديابٌ» وأهوى فرَمى الغدرُ مانِعَ الحَبَراتِ[4]
عنترَ الآخرين لوناً وبأساً قائدَ الخيل للوغى مُعلَماتِ
«يا دياباً! . . . قتلتني! فبكى الجاني، ولكن ما نفعُ دمعِ البغاة
رَقِيَ العرشَ بالدماء خضيباً فارسٌ رمحه على الذُروات
لَوَّثَ الغدرُ صيتَهُ والتعدِّي، واغترارُ المخمور بالنشوات
البطولاتُ بالمآثم تُمحى ضَعَةُ الخلق آفةُ الآفات

. . .

دانَ للغادر القتيلين قطرٌ وأتته الأَقطابُ مزدحمات
غيرُ أنثى لها جمالُ الغواني وعِنادُ المعاقل الراسيات

---

١ كأس الزهرة: هو غلاف الورق الاخضر المحيط بها. ٢ أقلع: انجلى. ٣ قابيل: هو قايين والعرب تسميه قابيل. ٤ الحبرات: الملاءات التي تلبسها النساء المخدّرات.

والمقامَ الأَسنى حصافةَ رأيٍ وإباءُ الأطوادِ في النائبات
باليتيمينِ في القبائل طافتْ تستثيرُ القواضبَ المغمدات
صوتُها بَذَّ كلَّ صوتٍ جهيرٍ مُلهباً حادياً ألوفَ عُصاة
تبعثُ النخوةَ الكمينةَ خودٌ خُلقت للهديل والهينمات
باليتيمَينِ أو قميصَيْ «هلالٍ» ثأرَ «عُثمانَ» أيقظَتْ في الفلاة
تُوغرُ الصدرَ في الحديث على الجاني، تبثُّ الشنآن في الدعوات
وأَعدَّتْ «بُرَيقعاً» ثمَّ «شيبانَ» ليومٍ مُخجِّلِ اللحظات[1]
مثلما ضَرَّتِ اللبُوءةُ شِبْلَيْها، وراضَ الصقّارُ شُهْبَ البُزاة

. . .

بلغت ثورة العُصاة «دياباً» فأتاهم بالسُبَّقِ الصاهلات
ودَعا للبراز فادَّرَعتْ أمُّ اليتامى، وربَّةُ الخفرات
وتَحلَّتْ كما ليومِ زفافٍ واستعدَّت لأشأَمِ الزفَّات
قال: من أنتِ؟ لا أبارزُ إلّا الكُفءَ، ويحي إذاً من الساحرات
«أنا أخت الذبيح، بنتُ المعالي» رايةُ المجد، نبعةُ المكرمات
جمرةُ الثأر أو رسول المنايا أو شظايا البركان منفجرات
بل أنا من أموتُ من يَدِكَ الآن، وتُرْديكَ بعد موتي صلاتي
بلغت مسمعَ السماوات نجوايَ، ورجَّت أفلاكها نقماتي
واستطالَتْ بضربةٍ ردَّها النِمْرُ، وأردى المهاةَ كعبُ القناة

---

[1] بريقع: هو ابن اخيها السلطان حسن. وشيبان: ابن ابي زيد.

هالَهُ الحسنُ بالدماء غريقاً صاحَ: ويلي تَفاقمت سَيئاتي
ليس إلّا الفناء، يُنقذ وجداني، ويُطفي لَواذِعَ الوخزات
أتُراني أَجنُّ؟ أمْ هذه الأطيافُ حُمراً مُوَلّدات الذات
ليس غير الممات ينقذني مني، تعالي يا راحه الراحات
اليتيمان كالعُقابين كَرّا نحوه بالضراب والطعنات
سقط النسر بعد أن ملأ الأرجاء قتلى وأيتمَ الكاسرات
قال، قبل المماتِ: حسبي عزاءً بسيوف العِرابِ كان مماتي
هكذا أفنَتِ السيوف سيوفاً وتَوارَتْ مَعالِمُ العظمات

• • •

يا «عُجيريُّ» قال سلطانُ نجدٍ لاعَدِمْناك يا أمير الرواة
قد نعمنا بقولك الحلو أيّاماً، فلاحت قصيرة الساعات
ولمحنا من الأوائل آفاقاً هِلاليَّةَ السنا مُذهَبات
قد نبشتَ الماضي فصار عتيداً أو رفيفاً من الزمان الآتي
وجَلَوتَ الأبطالَ في عتمة الرمسِ، فَخِلْناهُمُ على الشُرُفات
فَوَهِمنا «الخضراء» في رَكْبِنا تمشي، وفي صَحْبِنا يَسيرُ الزناتي
ورَثَينا لابن «السلامةِ» مغدوراً، يبثُّ الأنفاسَ مُحتَضرات
وشجانا أنَّ القبائل ما انفكّتْ، على البُعد، جِدَّ مشتبهات
نخوةٌ للفتوح تجمع كلّاً وتلمُّ الشتيت في الوحدات
فاذا لاحت المغانم راحوا كبديد الرياح منشعبات

تلك أسبانِيا فمن لم يَعِظْهُ أمسه ظلَّ عمرَه في الغُواة
قد ذكرتَ المأمونَ فاخضوضرَ الشعرُ، وتاق الجمادُ للأبيات
في تفاعيله الحداء، وقد خفَّتْ عليه قوائمُ الناقات
عجباً للقريض، يَسْتَوْفِزُ النوقَ، فويلٌ للأكْبُد الغافلات
بُوركَ الشعر يبعث الناس أحياءً كأنَّ الفرسانَ في الصهوات
وأرانا في قرية « السَّيْلِ » فَلْنُحْرِمْ، فهذا الإحرام في الميقات[١]
يا إلهي لَبَّيكَ فَلْيُحْرِمِ الناسُ، أَطَلَّتْ أرضُ الهدى والصلاة

---

١ كان الركب قد بلغ قرية السيل . والميقات : هو موضع لبس الإحرام للحج والعمرة .

في مكّة

مَوطِنُ الوحي للمواكب لاحا فتراءى على الصباح صباحا
أحرَموا فارتَدوا بياضاً طهوراً وأفاضوا من الوقار وِشاحا
حَرَمُ اللهِ عندما قارَبُوه فارقوا صهوةً، وألقوا سلاحا
نزَلوا ساحَهُ وطافوا ولَبّوا لا أسوداً تصول بل صُلّاحا
لامَسوا ركنَ من بَنى وعلى اسم الله شَقَّ الأساسَ والصَفّاحا[1]
وأَعدَّتْ أمُّ القرى، لِلِقاء الفذّ، يوماً مُحجّلا وَضّاحا
أَتْرَعتْ مَنهجَ الوليِّ بخوراً والثواني مَلأْنَهُ أفراحا

. . .

هل رأيتَ الأطيارَ سرباً على سربٍ، يَرِدْنَ الماء الفراتَ التياحا[2]
أو شهدتَ النُدمانَ، في ليلة العرس، يطوفون ينهلون الراحا
ويهيمونَ كالفَراشِ نَشاوى ينشدون الطيوبَ والأقداحا

---

١ اي انهم استلموا ركن ابراهيم الذي بنى الكعبة بمؤازرة ابنه اسميل . والصفّاح : الحجارة العريضة .
٢ الالتياح : العطش .

فكذاك «الإخوانُ» رَفُّوا عليه كقفير النحلِ الحبيسِ انْداحا[١]

ضَيَّقوا حوله السرادقَ والأسواقَ والسطحَ والمكان البَداحا[٢]

جُلُّهمْ لم يَروهُ من قبلُ إلّا رؤيةَ الركْبِ يلمحون الواحا[٣]

أقبلوا يلثمون خدًّا وعيناً وجبيناً كسيفه لَمّاحا

لم يُمكِّنْ أعيانَ مكّةَ من تقبيل كفٍّ، فصافحوه صفاحا

قال: إنَّ العُروبةَ الصِرفَ تأبى أن تُكِبَّ الأحرارُ تلثم راحا[٤]

إنّما يَحسُنُ التفاضُل بالتقوى وما يُكسب الخَلاقَ الصُباحا[٥]

عوَّدوكُم عَيْشَ الهَوانِ بقطرٍ أعتَق الناسَ ضوؤُهُ وأراحا

فهَدى جاهلاً، وصدَّ ظلوماً وغذا عائلاً، وفكَّ سراحا

عوَّدوكُمْ ذُلَّ التملُّق والخوف، فلا تبصرون إلّا التماحا[٦]

خنقوا نعمةَ البَداهةِ فيكم فغدوتم لا تملكون اقتراحا

وأرادوكُمُ سِخالاً ضِعافاً لا كِباشاً، فالكبشُ يهوى النِطاحا

فدَرَجْتُمْ على التزلُّف عفواً وصبرتم على الهوان اصطلاحا

خمدَتْ وَقْدةُ القرائح فيكم مثلما يورث القعودُ الكُساحا

صارِحوني وجنِّبوني رياءً شيمتي أعشق المقالَ الصُراحا

---

١ انداح الشيء: انبسط متّسعاً. ٢ البداح: المكان الواسع. ٣ الواح: مفردها الواحة.

٤ كان اكثر الإخوان لا يعرفون السلطان فكانت المشاهدة الأولى وقد تهافتوا عليه يصافحونه ويقبلونه في خشمه وفي جبينه وهم يبكون من شدة السرور. ثم جاء من أهل مكة بعض أعيانها وتجّارها فبادروا الى يده يريدون تقبيلها فمنعهم قائلاً: «المصافحة من عادات العرب، أما عادة تقبيل اليد فقد جاءتنا من الاجانب ونحن لا نقبلها». (ت. ن.)

٥ الخلاق: هو النصيب الوافر من الخير. والصُباح: هو الذي فيه جمال. ٦ التمح: أبصر بنظر ضعيف.

وقبيحٌ أن تكتموا النُصحَ عني وتقولوا طيَّ الخفاء قُباحا
مسمعي يحملُ الزئيرَ ولكن لست أرضى، خلف الظلام نُباحا
أمقُتُ اللؤمَ والتملُّقَ والكِذبَ، كما أكره الخنى والسفاحا
أنا منكم، وأنتمُ اليوم منّي لا عبيداً أبغي، ولا مُدّاحا
انصَحوني اذا تخلَّف علمي إنَّ مثلي من قرَّب النُصَّاحا
«حَنْبَليٌّ» فلا التقيَّةُ أرضاها، ولا بِدعةٌ تُثير الجراحا[1]
لا كبيرٌ عندي سوى الله والحقِّ، مُبيحاً للناس ما قد أباحا
ومقيماً حُدودَه لا أداري أو أماري، إيّاكُمُ والجُناحا[2]
إنَّما جئت أبسط العدلَ وَضّاحاً، وما جئت فاتحاً مُجتاحا
جئت أبغي، لكلِّ من وحَّدَ الله، أماناً وغبطةً وصَلاحا
لا اتِّجاراً ولا طلاباً لِربحٍ إنَّ مثلي من يَمقتُ الأرباحا
لا أبيع الحُجّاجَ هَدْيَ الأضاحي لا ولا ماء زمزمٍ رَشّاحا[3]
أتلقّى القُصَّادَ حتى الألِدّاءَ الأعادي ضوارياً أقحاحا
هم يحُجّونَ كعبةَ الله فرضاً مَقْدَساً طاهراً، وبيتاً مباحا
لا يحُجّونَ كعبةَ ابن سعودٍ فهو عبدٌ لله، يرجو السماحا
ذائداً عن مقامه مستميتاً دافعاً عن حِياضه نَضّاحا[4]
ذاكَ بيتُ الرحمن، ما يملك السلطانُ، إلّا الصيانَ والمفتاحا

---

[1] حنبليّ: اي على مذهب الإمام ابن حنبل. والتقيّة: هي الحذر والتجنب والتظاهر بالرضى عن المكروه. وهي أحد أسس المذهب الشيعي
[2] الجناح: الإثم.
[3] الهدي: ما يهدى إلى الحرم من الغنم.
[4] نضّاحا: مقاتلا.

بُورِكَتْ مكّةٌ ثرًى وسماءً وَزَكَتْ جندلاً، وطابتْ بطاحا
قِبلةُ المسلمين من كلِّ قطرٍ لا ظلوماً ترضى، ولا طمّاحا
يشهد الله ما أردنا بِسُوءٍ مَلِكاً وَدَّع الحجاز وراحا
وَسيتلوهُ في الرحيل عليٌّ إن على «جدَّةٍ» هزَزْنا الرماحا
ما جهلنا لهم مكاناً وأصلا ضارَع النجمَ ضاحياً لمّاحا
هم أرادوا إرهاقنا فصبرنا وخفضنا، على الكلوم، جناحا
فسقَونا بكلِّ كُوب أجاجٍ أترعوه من الهوان طفاحا
حسبونا من الخوارج حتى أَنْزَحوا فيض صبرنا إنزاحا[1]
ذلك الشتمُ كان محضَ افتراءٍ واختلاقاً صرفاً، ونعتاً وَقاحا
إنّما نحن في التديُّنِ قومٌ نأخذ اللبَّ والنميرَ القراحا
ونعافُ الكديرَ والطُحلبَ الطافي، وما كان آسِناً ضحضاحا
أَكِتابانِ أم كِتابٌ هو القرآنُ؟ يبغي بالعالمين فلاحا
فتعالوا الى كتابٍ مُبينٍ وأحاديثَ كالشعاع صِحاحا

. . .

اجمعت نجدُ والحجازُ على الفتوى، وزادَ التقاربُ الإيضاحا
عندما تسلم القلوبُ من الغلِّ، تلاقي سُبْلَ الصواب فِساحا
أرْمَدُ العين يكرهُ الضوءَ حيناً فاذا صحَّ يعشق المصباحا

---

١ أنزح الماء : استنفده .

بايَعتْ مكّةُ وَلِيّاً حَباها مثلما الطلُّ يرفد الأدواحا
منهلًا صافياً، وبَعْثَ حياةٍ وهُدوءاً حلواً وصبحاً لِياحا [١]

. . .

«جدَّةٌ»! ما «بجدَّةٍ» غيرُ نارٍ وحصونٍ لمن أراد اجتياحا
هاشميُّونَ سَوَّروها بجيشٍ وسلاحٍ سدَّ القضاءَ البَراحا
سيَّجوها بعوسجٍ من حديدٍ فلَو اجتازهُ النسيمُ لطاحا
وجوارٍ مُصفَّحاتٍ وألغامٍ عن الزرعِ أقصتِ الفلّاحا
طائراتٌ يُنذِرْنَ مكَّةَ بالويلِ ويُوعدنَ غضْبةً واكتساحا
ناثِراتِ الرقاع يُوعدنَ بالثأرِ حريقاً وبُندُقاً وذِباحا
إنَّما العاجز المهدِّدُ يكسو عُريةَ الوهمِ والغرورِ افتضاحا
أو مثلُ «الإخوانِ» يُوعدُ حرباً؟ ويُخلّي نذيرَه مُرتاحا
رُدَّ إن تستطِعْ هصوراً عن الكَبشِ، ونقرْ عن غَيلمٍ تِمساحا [٢]
أو قصْدَ الزلزالَ عن واهِنِ الكوخِ، وروِّضْ من الرياحِ جِماحا

. . .

«يا جلالَ السلطانِ إيذَنْ» ولولا حرمةُ العرشِ خاطبوه صياحا
لا علينا، يغمغمُ ابنُ «لؤيٍّ» أن نُخلّي من الرؤوسِ الساحا
«جدَّةٌ» مثلُ «تربةٍ» وكلا الأختينِ تبغي لِشانِئِها ذبّاحا

---

١ لياحا: أبيض. ٢ الغيلم: ذكر السلاحف التي تقطن الماء.

ولعلَّ الميناءَ منذُ عصورٍ لم يشاهدْ على الضِفاف مَناحا
شاقَهُ الأرجوانُ يأتي من البرِّ فينساح في الخليج انسياحا
سُمِّيَ البحرُ «أحمراً» فلْنُحقِّقْ نَعتَهُ ولْنُصدِّقِ المَلَّاحا
أوَيخشى السلطانُ إمّا أغرنا أن نروعَ الحجّاجَ والسُيَّاحا
تصرع الريحُ كلَّ جذعٍ مَريدٍ فاذا مَسَّتِ القرنفلَ فاحا
لا نرى الحربَ غير نزهةِ صيدٍ وربابينَ طيرها مُزّاحا[1]
حبُّنا في شهادةٍ يبعد الواقع منا، وينطق الأشباحا
فنرى في قنابل الجوِّ حمراً ثمراتٍ تُشاكِل التفّاحا
نسمع الزَمزَماتِ زَعْقَةَ عِقبانٍ، فإن صَفَّرتْ سمعنا الصُداحا

. . .

ما أراد السلطان إلّا حصاراً لو أراد المغامرون انتصاحا
أو أرادَ الخصومُ خَفْضَ اعتقادٍ بفرنجٍ يُدَبِّرون السلاحا
يمتطون المُصفَّحاتِ على الأرضِ، وفي الجوِّ يُلجمون الرياحا
فِتيةُ الروس فيهم قسوةُ القُطب اذا البردُ أسكتَ الصدّاحا
ورَبا الثلجُ في الوهاد جبالاً يعبرُ الدبُّ فوقها مُلْتاحا[2]
فتيةُ الروس هالَهم بأسُ خصمٍ يحسب النارَ والمنون مزاحا
من أحبَّ الحياةَ خافَ المنايا لا شهيدٌ يجيئُها مِفراحا

---

١ المقصود قوّاد الطائرات . ٢ الملتاح : المتغير من جوع أو سفر .

يصعد «الغطغطيُّ» «للطَنكِ» وثباً منشباً من ثُقوبه الأَرماحا [١]

يحسب «الطنكَ» دميةً للتلَهّي لاعباً حول نارهـا ممراحا

مثله «العارضيُّ» في حومـة الموت، اذا الشبلُ بالمغاوير صاحا [٢]

قادَهم «فيصلُ» السعود فنِعمَ القائدُ الفحلُ ماثلَ «الجرَّاحا» [٣]

كرَّ بالخيـل فالمتاريسُ سهلٌ بُلَّ من سُبَّحِ الجياد صُواحا [٤]

فَيطَأْنَ المتراسَ طوراً، وطوراً يَقتَدِحنَ الشرارَ منه اقتداحا

كَسرتْ شوكةَ الدفاع أسودٌ كيف سارَتْ بندُ الكرامة لاحا

...

عَبرَتْ أشهرٌ فعُدَّتْ حصـاراً ودعاهـا عبدُ العزيز كفاحا

كَلكَلَ الذعر والمجاعة، هدَّ القوم في «جـدَّةٍ» وشلَّ الطِماحا

وسواءٌ صرْعُ الغِراسِ بفأسٍ أو هجيرٍ يحتثُّها لَفَّاحا

فاذا جوهرُ الحياةِ عَـداها اطِّراحا الريحُ العصوفُ اطِّراحا

خضَّبَ الهمُّ أُفقَ «جدَّةَ» حتى قذفَ البحرُ موجَـه أتراحا

أُسمِعَ الحاكمون، والعسكرُ المخذولُ، والبائسون، منـه نواحا

---

١ الغطغطي : في النسبة الى هجرة الغطغط التي يرئسها ابن بجاد . ولقـــد رأى من شاهدوا المعركة كيف كان الاخوان يصارعون المصفحات مستشهدين فيدورون حولها ويطلقون البنادق عليهـا وهي ترش الرصاص من رشاشاتها في كل جانب حتى أن عبداً من العتاريس دنا من إحداها بعد أن جال حولهـا كأنها فارس من الفرسان فتمسك بها وصعد الى سطحها وهو يطلق مسدسه . . . وتراجعت المصفحات وقد تكسر بعضها وجرح جراحاً بليغة اثنان من سُوّاقيها الروس . (ت . ن .)

٢ العارضيّ : في النسبة الى العارض، وأهله — كما مرّ — أخلص الناس لآل سعود .

٣ كان الامير فيصل بن عبد العزيز يقود أبطال نجد في هذه المعارك . والمقصود بالجرّاح القائد العربي أبو عبيدة الـذي خلف خالد بن الوليد في القيادة .

٤ الصواح : عرق الخيل .

فرصةٌ يقطف الألِبّاءُ منها ما الجهاد المرءُ الطويل أتاحا
ليس عبدُ العزيز من يتوانى بعدما أطلع الربيعُ الأقاحا
ذاقَ مُرَّ الشتاء فليتأهّبْ وليسارِع الى الشذا فوّاحا
أعلَن العفوَ عن مسيءٍ ونَدمانَ وحِلفٍ عن الصواب أشاحا
عفوه والسماح ساقا إليـه كلَّ من رام أمنَةً وسماحا
كلَّ من عضَّهُ السُّعارُ بنابٍ فغدا من سُغوبه مِلواحا[١]
كلَّ صادٍ الى الفرات ظمىءٍ بعد ما جرّب الأكفَّ الشحاحا
كلَّ من شاهدَ البواسل بالأمس الى الموت يسمون ارتياحا
عفوه والسماحُ ساقا إليه كلَّ من أبصر السنا وضّاحا
قد أزاحَ السلطانُ عنهم شقاءً حمدوا من أغاثهم فأزاحا
وأعاد الحياة للجائع الخاوي وللأنفس المِراض انشراحا
باسطاً كفَّهُ لجيشِ عُفاةٍ مغضياً عن ذنوبهم صَفّاحا

. . .

الخطوب الجسام هدّتْ «عليّاً» يجرع الهمَّ غدوةً ورَواحا
يتقضّى نهارُه في قنوطٍ والليالي يزِدْنَهُ إفصاحا
ليس إلّا رُؤى دماءٍ وصرعى وطيوفٍ يلُحْنَ سوداً قِباحا
وغرابٍ يمرُّ في جرحةِ الأسحار من حول قصره نوّاحا
غلغل الجرحُ في المليك ثخيناً وتعامى طبُّ الأساة فقاحا

١ الملواح: الضامر الهزيل.

«فرقةُ النصر» في انتقاصٍ مبينٍ ... خير قُوّادِها لِمكَّةَ راحا[1]
هُوَذا «فيصلٌ» وأيُّ خصيمٍ ... في لقاء البتَّار حاز نجاحا
جاءهُ من دَهى جبالَ «عسيرٍ» ... ورمى حصن «حَرمَلا» فأطاحا

...

المليكُ النبيل أشفقُ من أن ... يترك الثغرَ للأسود مُتاحا
ومتى صارَتِ البحارُ جبالاً ... ليس كالشطِّ ينقذ السبَّاحا
ليس خطبٌ يصيبنا غير ما قدْ ... أودَعَتْهُ العِنايةُ الألواحا[2]
نزل العاهلُ الكئيبُ الى البحر، وقد طوَّفَ الخيالُ فَساحا
ذاكراً في الحجاز أوقات صفوٍ ... كُنَّ مثل النهار غُرًّا مِلاحا
والليالي التي «بِجدَّةَ» مرَّتْ ... وهو غضُّ الشباب، غِيداً صِباحا
فوداعاً أرض الحجاز وسقياً ... كلَّما الليل أطلع الأصباحا

---

١ فرقة النصر كانت عمدة الجيش في المعسكر الهاشمي وقد جمعها الأمير عبد الله عهدئذٍ من شرق الأردن وسوريا وفلسطين. ساءت الحال في جدة الى أبعد حد فلا مال ولا زاد وقد ذهب كثيرون من المعسكر الهاشمي الى ابن سعود. وها قد عاد (الإخوان) الى معسكرهم في الرغامة في سفح الجبال. عادوا بأمر السلطان عبد العزيز يقودهم أخوه الأمير عبد الله ونجله الأمير فيصل. وأخيراً استقال الملك علي وركب البحر الى عدن فالعراق.   ٢ «اشارة الى الآية: قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا».

الملك عبد العزيز

« جَدَّةَ » الأمس، قلعة النيرانِ سَلِّمي سَلِّمي على السلطانِ
أَطلِقي هذه المدافعَ أفواهاً، يُواكِبْنَ فرحةَ المهرجان
مرسلاتٍ مع الهزيم بديلًا من سُيولِ النيران سيلَ التهاني
لا يُطيقُ السلطانُ سمعَ غناءٍ وأغاريد مِزْهرٍ وقِيان
أطربيهِ بمدفعٍ وهَديرٍ يَتَمادى على صهيل الحصان
للبطولاتِ شرعةٌ في بنيها تتعدّى شجاعةً في الجَنان
وَسْمُها يطبعُ الفؤادَ، وألواحَ التراقي، والذوقَ في الآذان
هُوَذا جاءَكِ الغضنفرُ، حاطَتْهُ حِرابُ المُشاةِ والفرسان
وتبارَتْ قناصلُ الغرب في زفِّ التهاني، وعاطر الشكران
حَمدوه على الحصارِ ولولا حلمُه خَضَّبَ النجيعُ المواني

. . .

سَرَواتُ الحجاز خفُّوا اليه وعيونُ الأشراف والأعيان

نحن أهلَ البلاد قالوا وإنّا بضعةٌ من تراب هذا المكان
نحن عُنوانُها وحقَّ لنا القولُ ، فكلّ الكتاب في العنوان
ليس للمسلمين ممّن عدانا غيرُ رأيٍ ، ورأينا رأيان
حقٌّ من وحّد الإلهَ ، وحقُّ الحبِّ بين الأوطان والسكّان
« صاحبُ البيت بالذي فيه أدرى » هبْ لنا جرأةَ النهى واللسان
قال هاتوا ولا تهابوا مقامي قد كُفيتُمْ تخوُّفَ العُبدان
لكمُ الرأيُ كالشعاع صُراحاً لكم اللهُ لا تهابوا مكاني
نحن في ظلّ بيتهِ فاصدُقوني واتّقوا من يراكُمُ ويراني
لا أرى بينكم خؤوناً ولا نِكساً ، له في مقالِه وجهان

. . .

« مُدَّ عبدَ العزيز كفّاً نُبايعْ أنت أولى الورى بهذا الشان »
منذ مالَ الإسلامُ عن ذِروَتيهِ ما رأى مثلَ وجهكَ المسجدان [1]
عادلاً صارماً ، نبيلاً ، حليماً عُمَريَّ الحسام والإيمان [2]
يا مليكَ الحجازِ مُدَّ يميناً ولْيُشَعشِعْ في عيدك الفرقدان
ينسجُ البدرُ حولَ عرشك وشياً وذُكاءُ تقرُّ في الصولجان
لا تُقاسُ العروشُ بالجيش مجراً والنُضارِ الزخّار والبلدان
لوُكُورِ النسورِ هالةُ مجدٍ وهي بعضُ الصُدوعِ في الصوّان

١ ذروتيه اي ذروتي الدين والدنيا . والمسجدان : مكة والمدينة . ٢ عمَريّ الحسام في النسبة الى عمر الفاروق .

أوعِشاشٌ فوق الشِعاف تدلّتْ كالمصابيح من جِباه الرِعان[1]

هالةٌ من كرامةٍ لا تراها في مَراح الأَنعام والغزلان

حسبكَ اليومَ يا مُتوَّجَ نجدٍ أن يُباهي بتاجك القطران

في حِماكَ المهدُ الذي ملأَ الدنيا، فعاد الزمانُ غيرَ الزمان

في حِماكَ المُقدَّساتُ التي باهتْ، بها أرضُنا، جميعَ المغاني

في حِماكَ المصرُ الذي شغلَ الكونَ، ومجدُ الإسلام، والحَرَمان

سِرْ بنا سيرةَ الصَحابةِ حُفّاظِ الأحاديث شُهَّدِ القرآن

الأُلى واكَبُوا نزول اللآلي واستضاءتْ أيّامُهم بالجُمان

فترانا مُبايعيكَ على نهج القُدامى، وحُرمةِ الفُرقان

عند «باب الصَفا» من المسجد الطُهر، عقيب الصلاة، بعد الأذان[2]

تحت هذي الشمسِ الشهيدةِ، لا قصرٌ، ولا زخرفٌ وحسنُ مَبان

إنَّ هذا الفُسطاطَ، وهو من الشَعْرِ، لأَسْنى من روعة الإيوان[3]

لَنرى في عبائكَ الصوف نبلًا وبهاءً في الذيل والأَردان

لم يُمتَّعْ بمثلها «أزدشيرٌ» والأَعزُّونَ من بني ساسان

أيُّ تاجٍ يبذُّ «شَمْلَتَكَ» البيضاءَ، يومَ الفَخارُ بالتيجان[4]

مفرقَ الراشدين زانتْ، وزانتْ هامَ آل العبّاس في بغداد

• • •

١ شعاف الجبال: رؤوسها. والرعان: الجبال الطويلة. ٢ بعد صلاة الجمعة في ٢٥ جمادى الثانية سنة ١٣٣٤ يناير سنة ١٩٢٦ اجتمع الناس في المكان المُعدّ للحفلة عند باب الصفا من المسجد الحرام، وتمّت المبايعة وكان المشهد عربياً صافياً اي بسيطاً ديمقراطياً. (ت. ن.)

٣ إيوان كسرى المشهور. ٤ نستعمل الشملة بمعنى الكوفية.

قبل البَيْعَةَ المليكُ فَردَّتْ آيةَ الشكر غيمةٌ من دُخان[1]

بَعَثتْها مَدافِعٌ هاتفاتٌ بلِسانِ الجَماد والإنسان

طاف حولَ البيتِ العَتيق وصلّى حيث صَلَّتْ كواكبُ الأزمان

منذ نادى الى الصلاة «بَلالٌ» واشرأبَّتْ مَسامعُ الأكوان[2]

نبأ ذاعَ في البسيطة ذَيْعَ الفكر، جاب الدنيا ببضع ثوان[3]

خبرٌ كان للمَشارق بشرى ولأهل الغروب رجعَ أغان

دُولُ الغرب أيَّدتْ عرشَ مَلْكٍ صَفَّقَتْ في ظلاله الرايتان

فتآخَتْ قبائلٌ وبطونٌ وتنادى للفرحة الجاران

وكأنَّ الحجازَ صنوٌ لنجدٍ فَهُما منذ كُوِّنا توأمان

مَرَجَ الله بالأُخوَّة بحرينِ، بظلِّ المليك لا يبغيان

. . .

يا سعودُ الكبيرُ نَمْ في أمان كلُّ هذي الرؤوس من عدنان

لا يُغيرَنَّكَ المَليكُ «أبوتركي»، غدا أوَّلا فصرت الثاني[4]

شادَ عرشاً من بعد ما انتثر العرشُ، كما حُطِّمَتْ عِتاقُ الأواني

لَمَّ أجزاءه بجدِّ حسامٍ وحمى عِزَّه برأس السنان

وبِخُلْقٍ دعا القلوبَ فَلَبَّتْ كَدُعاء الغدير للعطشان

---

[1] إشارة الى ان قلاع مكة أطلقت مئـة طلقة من مدافعها ابتهاجاً بالمبايعة . [2] بلال الحبشي مؤذّن النبي وهو أول من رفع صوته بالأذان . [3] نبأ مبايعة الملك وقـد اعترفت به أمم دول الغرب .
[4] اشارة الى سعود الكبير الذي احتلّ الحجاز وأفلت منه كما أشرنا الى ذلك في حينه .

من رآه في قصره راءَ شهماً ... فائِضَ الجود والحجى والحَنان
وَهوَ في هيئة الرعيَّة لولا ... هَيبةٌ في الضراغم الرعيان
وعيونٌ اليه من كُلِّ صوب ... كالصحارى الى السحاب رَوان
وهو فيهم «عبدُ العزيز» أبو تركي» «الطويلُ العُمرِ» الرحيبُ الجِفان [1]
يحسبون الألقابَ نفلًا كَنفلِ الكُحلِ في هُدْبَةِ العيون الحسان
أَو مَصابيحَ تصدُفُ العينُ عنها ... إذ يكون النهارُ في الرَيعان
أَلِفوه خلفَ العَجاجةِ سيفاً ... عارياً من قِرابه والدهان
فهْو فيهم عبدُ العزيز مليكاً ... مثلُ عبدِ العزيز في المعمعان
فهناكَ الليثُ المُوكَّلُ بالنصر، يمدُّ السماط للغربان
وهنا صَغَّرَ «البَرامِكَ» جودٌ ... أين منه مآدبُ النعمان
ما ابنُ ماء السماء؟ ما جودُ مَعْنٍ؟ ... ما حُماةُ «البريص» من غسَّان
كَرَمُ الأوَّلينَ ظُنَّ أساطيرَ ومُلهىً للسامر الندمان
فاذا بالمليك، بابن سعودٍ ... يتعدَّى مَعالِمَ البرهان
ما الأَساطيرُ ما سمعتَ ولكن ... هي ما وثَّقَت شهودُ العيان
من سخا بالحياة، عن غير يأسٍ ... عارضاً صدرهُ على الأَقران
في زمان الرصاص، والمدفع الرشَّاش يهمي باللاهب الهتَّان

---

[1] الفريق الاكبر من سكان الجزيرة ولاسيا البدو او القبائل الرُحَّل لا يعرفون الألقاب الشائعة في الاقطار الاخرى فهم ديموقراطيون بفطرتهم، يدعون بعضهم بأسمائهم المجردة ويخاطبون ملوكهم وامراءهم باسمائهم وألقابهم العادية، فاصغر البدو يخاطب الملك بيا عبد العزيز، أو يا أبا تركي، أو يا طويل العمر . والملك نفسه قلّما يعبأ بالالقاب . (ح . و .)

ونعيد التنبيه الى اننا نرمز بحرفي الحاء والواو الى السيد حافظ وهبه في كتابه جزيرة العرب في القرن العشرين كما نرمز بحرفي التاء والنون الى تاريخ نجد الحديثة لأمين الريحاني .

لا يرى في السخاء غيرَ ارتياض ؟ وانفراجٍ عن حافزٍ نفساني
لذَّةُ السامعِ الأغاريد أدنى من سرور المغرّد الكروان

. . .

بُورِكَ المُنصفُ الذي وحَّدَ العدلَ ، فمدَّ التوحيد للميزان
واحدٌ عنده القياسُ فما في كفَّةِ القِسْطِ عنده وزنان
شرف الحقِّ فوق كل شريفٍ لا يدانيه في السُموِّ مُدان
فوق عبد العزيز فهو قمينٌ إنْ هفا أن يقول : هذا بياني
أنا تحت الشرع الشريف ولكن فوقَ كسرى العالي أنوشروان[1]
أنا لو جئت فريةً لتلظَّى وهجُها في أضالعي فكواني
بين جنبيَّ زاجرٌ لا يُداري بين جنبيَّ حاكمي وجداني
فهو خصمي وشاهدي ونذيري وصديقي وناصحي وكياني

. . .

يا ابن عبد الرحمن عدلكَ أصفى من رفيف الأريج في البيلسان
فوحُهُ شاعَ كالضياء على الصحوِ ، ودفق العبير في نيسان
جاوز المُدْنَ للقفار الخوالي واستوى عرفُه على الكُثبان
أَنت فيها رفيق كُلِّ وحيدٍ جاز ما بين « جدَّةٍ » و « عُمان »
بين وادي « الدّواسر » الموحشِ القفر ، وبين « النفودِ » « فالصَّمّان »

١ أنوشروان الملقب بالعادل .

بين ثغرٍ «لفارس» حضنَ الدُرّ، وبحرٍ كَنّوهُ بالأرجواني[1]

ليس بعد الإله إلّا خيالٌ منك، يحمي قوافل الركبان

يرهبُ الغادرون بطشَ مليكٍ ساهرٍ في منامه يقظان

وعلى شعبه له ألف عينٍ تتولّى صيانةَ البستان

عبقريٌّ الملوك من يتجلّى وهو فذٌّ، في سائر الأعوان

يعكس الضوءُ ذاتَهُ في المرايا واحداً، رغم كثرة الألوان

أنكر الغربُ قسوةً لابن «جلوي» كيف يُنْهي بقطع كفِّ الجاني

قسوةٌ؟ وهي رحمةٌ لو تأمّلتَ، وعين النهى، ودربُ الأمان

إنّ داء السرْقان في البَدْوِ أدهى من وَباء السُلال والسرطان[2]

سرطانُ الصحراء حبسُ سحابٍ وانفلاتُ الصعالك الذؤبان

إنّما العدل والشرائع أصداءٌ وظلٌّ لحقبةٍ ومكان

لا يجوز البعيرُ في غاربِ البحر، ولا البارجاتُ في الصحصحان

أَبِحبس اللصوص يُحمى «نفودٌ»؟ أم بتأنيب حاكمٍ ملسان

إنّما السجنُ للصعاليك حصنٌ لِيقيهم غوائلَ الحدثان

في زواياه موئلٌ للكسالى وطعامٌ للشارد الجوعان

فهو في عَينهمْ خَليّةُ إغراء، وقرصُ الحلواء للذبّان

. . .

---

١ ثغر فارس هو الخليج العربي. والأرجواني هو البحر الاحمر وهما الحدّان الشرقي والغربي للمملكة السعودية. ٢ السرقان: السرقة. السلال: السلّ.

عدلُ عبد العزيز، ردَّ الى الصحراء، عدلَ الفاروقِ، بعد الأوان
مثله شدَّةً وميلًا الى الزهد، بسيط المعاش والديوان
لا بطيئاً ولا نؤوماً فلم تُشرق ذُكاءُ على تَريفٍ[١] وان
يسبق الفجرَ للوضاءة فالركْعِ فأخذ الإبريق والفنجان
طيِّبَ النفس ناشطاً لمهمّاتٍ يعاني في حَلِّها ما يعاني
فهو كالبحر حاملًا ألف عبءٍ ويُرى باسماً على الشطآن
صِنوه غاضباً يُناهض ظلماً صنوه في بشاشة الرضوان
يسحر القوم سامراً وعشيراً ويخافونه لدى الفوران[٢]
فيه من ثورة البراكين لكن ليس فيه أذيّةُ البركان
فهو كالنار، حين تلمح في الرعد، فتخلو من فحمةٍ ودُخان
يخلص القول والسريرةِ، فوقَ المكر، فوقَ الذُحولِ والأضغان
وادعاً وارفَ الوقار حليماً واسطاً بين شدَّةٍ وليان
منشئاً وُلْدَهُ على خشية الله، وخُلقٍ كصفحة الهندواني
عالماً، أنَّه يُربّي ملوكاً لغدٍ واسعٍ جليل الأَماني
فِعْلَ ربِّ البستانِ قامَ على الغَرسِ، فأضلاعه عليه حوان
يَدْرَأُ الطيرَ والسوائمَ عنه ويُنقّي بَراعمَ الأغصان
نابذاً كلَّ شوكةٍ تُثقلُ الغصنَ وتؤذي، عند القطاف، الجاني
ساقياً هذه الغرائسَ من ماءٍ نميرٍ جرى به منبعان

١ التريف : المترف . ٢ أخذنا هذه المعلومات عن كتاب جزيرة العرب في القرن العشرين لحافظ وهبه، في الفصل الذي عقده عن الملك في حياته الشخصية .

مَنبعُ الجود والبشاشةِ، وهو القطبُ في جمع كِلْمة العربان
منبعُ البأسِ والشجاعة، فالأخلاقُ فرعٌ وأصلها هَذان
لا يسودُ الصحراءَ غيرُ سخيٍّ حسنِ الملتقى نديِّ البَنان
لم تُغضِّنْ جَبينَهُ كثرةُ الضيف، وضيقُ العافي، وسقمُ العاني
ما قلوبُ الأنام إلّا طيورٌ حائماتٌ على ربيع الجِنان
أنزِلوها على بساطٍ من الظلِّ خصيبٍ مخضوضرٍ نَديان
تُخمِدُوا في الصدور فطرةَ شرٍّ هي أدنى لفطرة السرحان
قد تكُفُّ الأظفارَ بسمةُ ثغرٍ وتُفلُّ الأنيابُ بالإحسان

. . . .

قال عبدُ العزيز يُوصي بنيهِ «من ملام العُذّال صونوا خِواني»
ليس في القَذْعِ والتهكّمِ أنكى من أراجيف حانقٍ غرثان
«باقلاً» في الرضى يكون فإنْ يَغضَبْ، فويل الأسماع من «سحبان»[1]
يزرع البيدَ والحواضرَ هَجْواً ويُغالي في الكذب والزَيغان
قلّما تُشغَفُ المسامعُ بالمدح، وتهوى بَهارجَ البهتان
ذاكَ أنَّ الأنامَ من نسل حوّاءَ، وفيهم شيءٌ من الثعبان
يتغاضونَ عن جمال ذُكاءٍ وهِباتٍ يُفيضها القمران
وحياةٍ ترفّها الشمسُ للأرضِ، حياةِ النبات والحيوان
هَمُّهم في الكسوف أو في خسوفٍ فمثارُ الفضول في الحِرْمان

١ باقل : رجل يضرب فيه المثل بالعيّ . وسحبان : هو الخطيب الأشهر المعروف بسحبان وائل .

قَلَّما تُشكَرُ المَنابعُ للفيضِ، ولكن تُذَمُّ للنقصان

«راقبوا فعلَ خازنٍ ووكيلٍ وأجيرٍ وخابزٍ عجّان»

«راقبوا ساسَةَ الخيول، وتدبيرَ الطواهي، ودُرْبَةَ القهرمان»

كُلُّ ما قصَّر النَواتيُّ فيه فوخيمُ العُقبى على الربّان[١]

«واذكروا نكبةً أحاقتْ بعبد الله عمّي، وكان ملءَ الآن»[٢]

طَيِّبَ القلب والشمائل، رحبَ الكفِّ، أنشودةَ الحسام اليماني

هدمَتْ عرشَهُ حواشٍ لِئامٌ كُنَّ شرَّ الصدوع في البنيان

سوَّدوا صفحةَ الأميرِ بما رشُّوا عليها من قاتِمِ الألوان

إذ يسومون شعبه، فوق ذُلِّ الشحِّ، قولَ الخنى، وسوطَ الهوان

نَفَّروا من وَلائِهِ كلَّ حُرٍّ بين جنبيه للإباء معان

أُفلِتوا من رقابةٍ فغَدوا شُمْساً، بلا زاجرٍ ولا أرسان[٣]

ذاكَ أنَّ النقصَ المركَّبَ فيهم ساقهم للعُتُوِّ والطغيان

وهو نَقْصُ الهجينِ عِرقاً وخلقاً فهو كالنغْلِ من نِتاج الأَتان[٤]

---

١ النواتيّ مفردها النوتي وهو ملاح البحر. ٢ قال السيد حافظ وهبه في كتابه جزيرة العرب صفحة ١١١ : «ولما حضرنا الى مجلس الملك كان وليّ عهده الامير سعود هو رئيس الركب أخذ جلالة الملك يعطيه درساً من أنفس الدروس في المراقبة والملاحظة وعدم الاعتماد على الخدم. ثم أخذ يقصّ علينا درساً تأريخياً فيما أصاب أعمامه من تركهم الحبل على الغارب للخدم الذين لم يكونوا يراعون مراكز الناس ومشايخ القبائل حتى انفضّ الناس من حولهم. وورد في الصفحة ٢٢٧ ان عبد الله بن فيصل كان معروفاً بالكرم والتقوى، وكان طيّب القلب شجاعاً ولكنه أسند الأمور الى غير أهلها وأطلق يد موظفيه، وبعضهم ليسوا من العائلات المعروفة، فعاملوا رؤساء البلدان والقبائل بغير ما اعتادوه في ايام فيصل من كرم الضيافة والرعاية. ولا شيء أسوأ أثراً في نفس العربي من سوء المعاملة. كما لا شيء يحدث أحسن الاثر اكثر من الإكرام وطلاقة الوجه. ٣ الشُمْس : مفردها شموس وهو الفرس البطر. ٤ النغل : حيوان متوسط بين الحمار والبغل أمّه الأتان وأبوه الحصان.

«لُؤْمهم أَلَّبَ السيوفَ عليه ورماه أُضحِيَّةَ القُربان»
واقتدوا بي شجاعةً وسماحاً انما البأسُ والندى أَخوان
لا تقول الأجيالُ قصرُ سعودٍ ظَلَّلَتْ جُدرُهُ فؤادَ جبان

...

يا حفيدَ الأبطالِ، خيرَ سيوف العُرب، من وائلٍ الى «مَرْخان»[1]
خدركَ الفذُّ لن يضمَّ جباناً إنَّ كُنْهَ الجذوع في الأَفنان
لو أراد الخنوعَ منهم صبيٌّ لَفَظَتْهُ نَوافِذُ الجدران
من يُرَبِّي للمكرمات نخيلاً لن يرى بينه حقيرَ الزؤان
أَنت فَتَّحتَ سمعَهم منذ كانوا بعدُ في نضرة الغصون اللدان
لحديث الأَبطال من كلّ عصرٍ فاستطابوا مواردَ الشجعان
قَبَسوا منك في العرين دروساً ونَمَوا في منابت المُرَّان
عايَشوها ملاحِماً تشرحُ الصدرَ لسيفٍ وصَعْدةٍ وحصان
هَمُّهُم للقتال يومَ سِواهُم من فُروخِ القصور في الأَحضان
أو نَشاوى في غمرة الرقص، والقصف، ورشفِ الخمور والألحان
فتحارُ العيونُ فيهم، أَوُرَّاثٌ لِعرشٍ، أم صبيةٌ في حان
أم جوارٍ تُعَدُّ للبيع في سوق الملاهي ومسرح المُجَّان
أنت عبد العزيز علَّمتَ كيف الرقصُ، لكن في حومةِ الميدان

---

[1] مرخان: أحد جدود الملك عبد العزيز.

رقصةَ الحرب يرقصون، كذا النسرُ يُعِدُّ الأفراخَ للطيران
أنت لَقَّنتَهمْ بطولةَ أعوامٍ فأوجزْتَها ببضع ثوان
« يقظةٌ في الوغى وجأشٌ صليبٌ وسدادٌ في الكرّ والجولان
« وذيادٌ عن الكرامة والحقِّ، وبذلُ الأرواح للأوطان »
« واتّكالٌ من قبل ذاك على الله، فكلٌّ سوى المُهيمِن فان »
أنت أعددْتَهمْ ليومٍ عظيمٍ شاحذاً من مَناسِرِ العقبان
فاستفاق الكبارُ منهم على أفقٍ خضيبٍ، كحدِّ سيفكَ، قان
قطفوا النصرَ مُبكِرينَ فكانوا قادةً حيثما التقى جمعان
ما سعودٌ وفيصلٌ منك إلّا جانِحا ضيغمٍ، وحدّا سِنان
أو هُما في يديك، حين يصيحُ المجدُ: هاتوا وَسائلي، فيصلان
ونجيدٌ محمَّدٌ ثالِثُ الشبلين أكرِمْ بثالث الفرسان
في حَناياهُ نخوة الليثِ إنْ يُندَبْ الى شَنِّ غارةٍ وطعان
البوادي يشدون باسم أميرٍ ويُفَدُّونَ أكرمَ الفتيان
السخيُّونَ باليمين يجودون، وتفني أموالَه الراحتان
كلُّ أكرومةٍ الى الخلد تُعزى للأميرِ الهمام فيها يدان

. . .

إيهِ عبدَ العزيز لم تقصرِ الهمَّ على بيتكَ الصميم الداني
فأردْتَ الحجازَ والنجدَ شعباً ناعماً بالرفاه والعمران

تنشد الخيرَ والرُقيَّ لقومٍ فطموا نفسَهمْ عن العرفان
حَصَّنوا تلكمُ العقولَ بأبراجٍ، من الجهل، صَلْبةِ الأركان
فهْي من شدَّة التعصُّب والعُقْمِ يُغشّي صَفاءها ليلان
قد فتحتَ الحصونَ بالسيف لكن سوف تَصْلى نيرانَ حربٍ عوان
وهْي أدهى مما لقيتَ من الخصم، فصبراً يا فاتحَ الأذهان
إنَّما القولُ بالحضارة فيهم بدعةٌ دونها جِنايةُ زان
أبسيَّارةٍ تُبدَّلُ بُعراناً؟ فأين الوفاءُ للبعران
إنَّ هذا الحديد يجري، بلا خَيلٍ، لَمِنْ صُنعِ مَعملِ الشيطان
كُلَّما أعجزَ البِدائيَّ لغزٌ قال: إبليسُ أو مُلوكُ الجان
فكأنَّ الرجيمَ في خِيْلَةِ الدهماء[1] ربٌّ من طينةِ السودان
شعرُهُ التفَّ كالتفاف الأفاعي يَتلاقى من فوقها قَرْنان
وله مِنخَران، أو بِرْكتا نارٍ، كجمرِ الأتّون تحتدمان
فوق أنفٍ كأنَّه جحْرُ نِمسٍ أو وِجارُ الضِباع والذُؤبان
كنُيوب التمساح أنيابُهُ الصُفْرُ، وسُمُّ الحيَّات في الأسنان
ولِسانٌ كظِلْفِ ثورٍ، له لونُ الديَاجي وكثَّةُ الأفعوان
يُحرِقُ النبتَ إنْ تلَهَّثَ كِبريتاً، ويفني مَباسمَ الأقحوان
كالسواري رِجلاهُ، كالدَوح زنداهُ، جُذورَ الأهرامِ تقتلعان
أبدون الشيطان ينتظمُ الصوتُ الفَيافي وغائرَ القيعان

---

[1] خيلة الدهماء: مخيلة الطغام.

أتراهم يغرونه بالضحايا من جداء ومن كباش سمان
كيف عبد العزيز يصطنع البرق؟ أما خاف نقمة الديّان
يقطع الدوّ مثلما يلمح الفكر، وفي مثل ردّة الأجفان
بدعة مثلها مقالة مزّاح يقول: الغبراء في دوران
كيف دارت هذي البسيطة؟ لو دارت لكبّت هوادج الأظعان
ولراح الخزّاف يبكي على الفخّار في عقب مأتم الكيزان

. . .

أصعب الفتح فتح ذهن صفيق كفّنته الأزمان بالأدران
وتسمّى الصواب وهي ضلال أورثته القطعان للقطعان
سمكتها العصور وهماً على وهم، فلان أفضى به لفلان
التقاليد تأسر الناس حتى لتصير الدماء في الشريان
فهي العقل لا محطّ لعقل غيرها في المضلّل الغفلان
من دعاه لنقدها رام منه أن يزيل البحران بالبحران

. . .

إنّ داء التعصّب المرّ شرّ قد يضاهي عبادة الأوثان

---

١ بلغ الجهل والتعصب من المقاومين الحركة الإصلاحية أن بعضهم كان يباغت عامل المحطة اللاسلكية لسؤاله عن موعد زيارة الشياطين، وهل الشيطان الكبير في مكة أو الرياض. وكان بعضهم يعتقد ان التلغراف اللاسلكي لا يشتغل إلا بعد ان تذبح عنده ذبيحة يذكر عليها اسم الشيطان.

(ح٠و٠)

وَثنيٌّ من يعبُدُ الجذعَ وهو الصاقِلُ الجذعِ، لامعاً بالدهان

وثنيٌّ من يعبُدُ الرأيَ أعمى فكأنْ لم تكُن له عينان

عنجهياً[1] يظلُّ مُنغلِقَ اللبِّ، فلا يهتدي الى ميزان

أحصفُ الناسِ من يَشكُّ ولكن شكُّ بانٍ الى الحقيقة رانِ

كالغزالي، وكان كعبةَ فهمٍ راودَتْهُ في رَيبِهِ كِفّتان[2]

حارَ فاستَشرَفَ اليقينَ ولم يَقنَطْ، ولا هدَّ عزمَه الضِدّان

واهتدى للصواب غِبَّ صراعٍ واستطارتْ أضواؤه للعيان

أسخفُ الناسِ من يصدُّ جديداً هائماً بالعتيق والأكفان

كُلٌّ من آثَرَ الجمودَ فجانٍ يتعدّى مشيئة الرحمن

ليس إلّا الرحمنُ يبقى على حالٍ، فليس الجمودُ في الأكوان

من تغاضى عن الرُقيِّ اختياراً فقد اختارَ ظلمة العميان

وكذاكَ الخفّاشُ، يجرحُهُ النورُ، فيغشى حوالِكَ الغِيران[3]

أُطلُبِ العلمَ، كان في الصينِ، أم في الغَربِ، أم في جزائر اليابان[4]

وسواءٌ أتاكَ من مُوسَويٍّ أو حَنيفٍ، أو جاءَ من نصراني

من ضِفاف «التاميز» أو ضفَّةِ «الكَنج» تأتّى، أو مَعبدِ الرهبان

إنّما العلمُ. والرُقيُّ مُشاعانِ، شُيوعَ الهواء للإنسان

فهو حقٌّ لكلِّ من برَأَ اللهُ، ورفَّتْ في صدره رِئتان

أيصدُّ النسيمُ؟ من «حملايا» هبَّ، أو هبَّ من رُبى لبنان

---

١ عنجهياً: متكبراً. ٢ انظر كتاب حجّة الاسلام للامام الفيلسوف ابي حامد الغزالي وعنوانه: المنقذ من الضلال. ٣ غِيران: مفردها الغار. ٤ إشارة الى الحديث: اطلبوا العلم ولو في الصين.

حاملاً للصدور عُمراً جديداً سَكَبَتْهُ الذُرى على الريحان
ناشراً عَبقــةَ الأماليدِ في الأرز، وعُمقَ الدهور في السِنْدِيان

. . .

مَلِكَ النجدِ والحجازِ تَجاوَزْ عن جَهول جَزاكَ بالعصيان
رُبَّما أغضبَ الرُخامَةَ إزميلٌ، فَأَنَّتْ من ضربة الفَنَّان[1]
لو دَرَتْ أنه سيخلق منها غادةً، لو سَعَتْ بها قَدمان[2]
فيصوغ الجمـالَ في صدرها الرابي وتُبدي رُواءَها الوجنتان
لانحنى ثغرُها على راحتيه ولَهَمَّت بشكره الشفتـان
في غدٍ تُفتحُ العقولُ عـلى العصر، ويشدو بذكرك المِصران
يحمدون المَلِكَ الذي حَضَّر الصحراء رغم العُقـوق والعدوان
يتلاقى عليك، يا قِمَّةَ القطرين، في رفرف العـلى عَلَمان
سيِّدَ العُربِ والجزيرة، فَلْيَنْعَمْ بأمنٍ في ظِلّـك الحَرَمان

---

١ نستعمل لفظة الفنّان برغم جمود المعاجم بعد ما صقلتها الألسن ونراها أقرب الى لغة الحياة من المفن".

٢ اي ان هذه الدمية التي صاغها المثّال من الرخام فصارت كأنها غادة حسناء لا ينقصهـا سوى الحركة والمشي كان يجدر بها أن تقبل يد المثّال شاكرة، فلا تئنّ من ضربة الإزميل لو درت عظيم فضله بمـا يخلع عليها من الجمال .

ثورة الاخوان

أبطرتهم حميّةُ الجهلاء فغلوا في الضلال والخيلاء
وهموا أنهم من النجم صِيغوا وسواهم من طينة الدقعاء
أن كلَّ الأنام ممن عداهم هيّمٌ سادرون في الأهواء
ليس عجباً أن ينظر الناس حولاً كلُّ راءٍ بمقلةٍ حولاء
حسبوا الحقد والتعصّب ديناً أيُّ دينٍ يبقى مع البغضاء
يغفر اللهُ للمُحبِّ، ولو ضلَّ، فإنَّ الرحيم للرحماء
أيُّ دينٍ يقول بالبُغضِ؟ عيسى؟ أم رسولُ الشريعة السمحاء
يا غلاةَ «الإخوانِ» ضيّقتمُ الدنيا، وزغتم عن منهج الحُنفاء
ما رأيتم منها سوى الكبْتِ والحقدِ وإبداء نقمةٍ وازدراء
وانتقاضاً على الشوارِبِ والثوب وميلًا لغزوةٍ وعداء
وكأنَّ البديعَ ما زيّن الهامَ بغير العمامة البيضاء [1]

---

١ البديع : المبدع . لقد غالى الاخوان في التعصّب واعتقدوا انهم وحدهم على الحق وكل من سواهم في ضلالة . فاساؤوا الظن بغيرهم من حضر نجد وبوليّ أمرهم الملك عبد العزيز واصبحوا يعتقدون ان لبس العمامة هو السنّة، والعقال من البدع المنكرة، بل غالى بعضهم فجعله من لباس الكفّار ويجب مقاطعة لابسيه . واعتقد فريق منهم ان المشايخ مقصّرون مداهنون لابن سعود وقد كتموا الحق عنـــه وان الغزو واجب . ولقد نال بعضهم الإمام عبد العزيز فرموه بموالاة الكفار والتساهل في الدين ، وأنكروا عليه تطويل الثوب والشارب ولبس العقال . وقد سرت هذه الروح المتمردة بواسطة الجهلة وأنصاف المتعلمين الذين انتشروا في قرى الإخوان باسم العلم . وكان الاخوان اذا صادفوا في طريقهم رجلًا طويل الشارب قصّوا شاربه وكذلك القول في الثوب الطويل .   (ح . و .)

وكأنَّ الصواب حُدَّ بما فيها فأصحابُها مَنارُ الذكاء
أو دروعُ الحجى فمن لم يُعَمَّمْ فَمُباحُ الدماء والأشياء
لو بَياضُ العِمامِ نَوَّرَ في القلب فأغناكُمُ عن الأسواء[1]
لَكُفيتمْ أن تنظروا مَنْ سِواكُم من خِلال النَّظَّارةِ السوداء
وَشهِدْتُمْ دنيا جمالٍ وُحبٍّ مَدَّها اللهُ رحبةَ الأرجاء
هي ظلٌّ له، فليس ابتداءٌ لِمداها، ولا حُدود انتهاء
في لِياحِ الأرْآد والفجر والزهر، ورَفِّ الأُمْسيَّةِ الزهراء[2]
وَسِعَتْ كلَّ نسمةٍ بَرأَ اللهُ، فعمَّتْ عوالِمَ الأحياء
أَفضاقتْ صُدُورُكم بعقالٍ؟ أو بِثوبٍ ضافٍ وفضلِ رداء
فَنصبتُم نفوسكُمْ حرَس الدين، وصِرْتم عليه في الأوصياء
النَبِيُّونَ ما أتوا لانتقامٍ أفأنتم أتقى من الأنبياء
قد عَرفناكُمُ جنودَ مليكٍ فمتى صرتمُ جنودَ السماء
اتَّهمتُمْ مشايخ الدين بالزيغِ، وحبِّ الزلفى، ونهجِ الرياء
آلُ عبدِ الوهَّاب كانوا، وما انفكُّوا مصابيحَكُم لدى الظلماء
فمن العار أن تعيبوا حِجاهُم وتَسُنُّوا للطعن لُسنَ افتراء
ومن الهزل أنكم عِبتُموهُمْ حين أمسى «الدَوِيشُ» في العلماء[3]

---

[1] العمام : مفردها العمامة . [2] اللياح : البياض الناصع . [3] فيصل الدويش وهو اكثر الزعماء غلوّاً وتعصّباً وحماقةً . عقد الاخوان مؤتمراً في الأرطاوية حضره رؤساؤهم من مطير وعتيبة والعجمان تعاهدوا فيه على نصرة دين الله والجهاد في سبيله . ومما انكروه على الملك عبد العزيز موالاته للانكليز وعقده معاهدة معهم، وإرسال ولده سعود الى مصر بلد الشرك، وإرسال ولده فيصل الى لندن واستخدام السيارات والتلغرافات والتلفونات . وطلبوا منه النظر في شيعة (الأحساء) والقطيف واجبارهم على الدخول في مذهب أهل السنة والجماعة . (ح . و .)

ومن الجرم أن تُسيئوا ظنوناً بمليكٍ من الظنون بَراء
عيبُهُ أنه بعيدُ المرامي عبقريٌّ الأهداف والأجواء
أنَّهُ ما ثنى لِأصنامِ جهلٍ ركبةً، أو مشى بِرَكْب العماء
غاظَهم منه أنه مدَّ للإفرنجِ كفًّا رشَّاحةً بالولاء
أيُوالي الكُفَّارَ! أولئكَ الأرجاسَ! بئسَ الكُفَّار من حُلَفاء
عيسَوِيُّونَ، لو يمرُّ نسيمٌ من حِماهُم بجانب الدهناء
صوَّحَ النخلَ في «الرياض» وآذى في جبال «القصيم» صفوَ الهواء
نجله فيصلٌ «بلندُنَ»! يا لله وِزْرُ الجناية النكراء
بَلَد الكفر غلغلَ الرجسُ فيه في ثراه، في جوِّه، في الماء
وسعودٌ! وليُّ عهدٍ أتى مصراً، ومصرٌ كريهةٌ كالوباء
بلد الشِركِ والحضارةِ، فالتمدينُ كالشرك منبتُ الأرزاء
حسبهم في «كنانة» اللهِ شِرْكاً أنهم محدثون في الأزياء
أتُراها تلك «الطرابيش» حمراً قُذِفَتْ من جهنمٍ حمراء
غاظهم أمرُ شيعةٍ لِعَليٍّ في ظلال «القَطيف» و«الأحساء»
رافِضِيُّون ينعمون بأمنٍ؟ وتساوٍ في رتبةٍ وإخاء
وبحرِّيةِ الشعائر والرأي، فبُعداً حرّيةَ الآراء

. . .

رابَ تلك العيونَ سيَّارةٌ أزَّتْ، وسلكٌ أرَنَّ بالكهرباء

وَيحَ تلك الأَسلاكِ، أَلْسِنَةِ الشيطان بَصَّتْ كالحيـة الرقطاء
قطعوها عن المليك مراراً وتمادَوا في العسف والإيذاء
ضجَّ نجدٌ منهم، وضجَّ حجازٌ واستعاذت جوانبُ البطحاء
كُلُّهم مُصلحٌ يدين ويقضي كلُّهم في الأَئِمَّةِ الفقهـاء
كُلُّهم نائبٌ، على الأَرض، لله، عليمٌ بحكمه والقضاء
يا غُلاة «الإخوان» فاتَكمُ الحكمُ على الريح في ليالي الشتاء
وعلى النَّيْزَكِ الذي يمزقُ الجوَّ شهاباً، في القبَّـة الزرقاء
أَبلا إذْنِكُمْ يَطِرُّ نباتٌ؟ ويهلُّ الرجاء في الخضراء
أَو تجوزُ الأسودُ في الأَجَمِ اللِفِّ وتُفضي بشوقها لِلُّباء
أَو يطير الجرادُ، أَو ترحف الحرباء سعياً لِصرعـةِ الخنفساء
ذاقَ منكم عبدُ العزيز خطوباً مثلها لا يُطيق صدرُ الفضاء
فَجزاكم صبراً جميلاً وأغضى وأُوَيتم لنفسه الفيحـاء
كلّما ثارتِ الشكاوى عليكم قال: صـبراً فإنَّهم أَبنائي
يسأمُ البحرُ منهمُ قبل صدري وتضيق الدهناء، قبلَ امتلائي
سأَظلُّ الصَفوحَ ما دام للغفران مقدارُ قطرةٍ في إنائي

---

١ كثيراً ما كان الاخوان يقطعون أسلاك التليفون لانه منكر يجب إزالته . وكثيراً ما كانوا يتعمدون قطع الاسلاك الموصلة الى قصر السلطان أثناء وجوده في مكة . وكان الملك يغضي عن أذاهم ويحتمـل تقدم بحلم وصبر . وقد اضطرّ ان ينزل على رأيهم في إيقاف تلغراف المدينة اللاسلكي وهدم بعض المساجد المقامة على القبور . وقد كان الامير عبد الله بن جلوي وغيره من آل سعود وكبار آل الشيخ ينصحون الملك عبد العزيز بالتبصر في غلو الاخوان وخروجهم عن حدودهم . ولكن الملك كان يقول : «هـؤلاء أولادي وواجبي احتمالهم وبذل النصح لهم واني لا أنسى أعمالهم واني اعتقد انهم حسنو النية .» (ح . و .)

لست أَنسى جهادَهم ويَقيني أنَّ أَسواءَهم ثِمارُ الغباء
حسنوا نيَّةً وساؤوا فعالًا سيعودون للسبيل السواء

. . .

ما ثناهُم حلمُ الحليم فراحوا يبذرون الفسادَ في الدهماء
يزرعون الفوضى بكلِّ لسانٍ شحذوه على مِسَنِّ الهجاء
أيقظَ الفتنةَ «الدويشُ» فلاحت من خلال الرماد حُمرُ الجذاء
في حدود العراق أضرمَ ناراً أرْعَنٌ عمرُه فصولُ اعتداء
غدرةٌ جرَّتِ الخطوبَ على نجدَ وهاجتْ براثنَ الأقوياء
طائراتُ «الكُفّارِ» يا ابن «دَويشٍ» فتحمَّلْ نوازلَ الإفناء[1]
أين عبدُ العزيز يدفعُ بالحسنى ذيولَ الإغارة الحمقاء
طوَّقتْهُ الأرزاء من كلِّ صوبٍ مُنذراتٍ بنكبةٍ دهياء
غضبةُ الإنكليز، فتنةُ «إخوانٍ»، وعينُ الحسود في صنعاء
والنذيرُ الذي «بِعمَّانَ» يُغري ويَمُدُّ «الإخوانَ» يومَ النجاء
كلُّ خطبٍ من الغريب يسيرٌ عند حربِ الأعضاء للأعضاء

---

١ أبى فيصل الدويش إلا خلق المشاكل لابن سعود ذلك أنه أرسل قوة صغيرة في اكتوبر سنة ١٩٢٧ قتلت عمّال مخفر بُصيَّه على الحدود العراقية النجدية وقتلت بضعة أنفار من الشرطة كانوا مع العمال فأدّى هذا العمل الى انذار السلطات البريطانية في العراق ثم هجوم الطيارات واشتباكها مع العشائر النجدية نحو ثلاثة أشهر . ودعا الملك وجوه المملكة الى مؤتمر في الرياض فحضره نحو ثماني مئة من الرؤساء والعلماء وحضر وبدو . ولم يحضر الدويش ولا ابن بجاد هذا المؤتمر . وقد افتتحه الملك بخطبة شرح فيها تأريخه في نجد من بدء استرداده الرياض الى ذلك اليوم ١٩ اكتوبر سنة ١٩٢٨ وأعماله في توحيد الجزيرة وتأمين الطرق والإخاء بين العشائر . وبعد انتهائه من الخطبة عرض على الحاضرين تنازله عن العرش ووجوب اختيار غيره من آل سعود وهو يعاهدهم أنه سيساعد من يختارونه . (ح . و .)

كلُّ هَمٍّ في داخل البيت يؤذي وَلَوِ الهمُّ صادراً عن إماء
المليك الحليمُ بَثَّ نداءً فمَشَتْ نجدُ كلُّها للنداء
من وُجوهٍ وقادةٍ وسُراةٍ ووُجوهِ «الإخوان» والزعماء
ما عدا «فيصلَ الدوَيش» و «سُلطانَ» وقُوَّادَ عصبةٍ رَعناء
غصَّ بالوافدين قصرٌ فسيح السَاحِ، رَحْبُ الرواق والأبهاء
قلقٌ سادَ في «الرياض» فلم يبقَ مكانٌ خِلواً من الضوضاء
كثُرَ الهمسُ والتكهُّنُ والإرجاف بين العذَّال والخلصاء
وأطلَّ المليكُ وانقطعَ اللغطُ فكلُّ الحضَّار في إصغاء
قال، لا ساخطاً ولا مكفهرّاً لا بطيئاً ولا سريعَ الأداء
أهيباً يملكُ المشاعر عفواً غيرَ ذي قسوةٍ ولا كبرياء
أيُّها السامعونَ لم أدْعُكمْ خوفاً، فما خفتُ غير ربِّ السماء
إنما رُمْتكُم لأجلو لديكم صفحةً أشكِلَتْ على الأغبياء
إنْ أصادِقْ غرباً فحبّاً بشرقٍ لم يزل رازحاً على الغبراء
لا غرامٌ بين الملوك ولا دِينٌ، ولكن منافعُ الأكفاء
لا هيامٌ بين الأساةِ ومَرضاهم، ولا بين مِعْدَةٍ ودواء
أيُّ دينٍ عن الحضارةِ ينهى؟ وينادي بوثبةٍ للوراء
أيُّ دينٍ يعيبُ سيَّارةً تجري؟ وفاءٌ للناقة الوجناء
أنا من رامَ للعروبة مجداً غابَ عن لحظ أعيُنٍ عمياء
مُفرَداً جئتُكُمْ فطهَّرتُ نجداً بحسامي من دولة الغرباء.

من عُبودِيَّةِ الدخيل، فما خَلَّيْتُ شبراً يدين للـدخلاء
ورفعتُ الهلالَ يَبْرَقَ نجدٍ فكُفِيتُمْ تَصلُّفَ الطغـراء
دولةَ الترك قد هزمتُ وكانوا في الميادين عِلْيةَ البُسلاء
لم أبعْ وحدةَ البلادِ بأعلاقٍ، حماني عزّي، وجلَّ إبائي
وخلاقٌ ورثتـهُ وائلِيّاً واعتزازٌ أخذت عن آبائي
لم أغامِرْ من أجلِ نجدَ بمالٍ بل بروحي، رهنتُها بدمائي
كنتمُ الأمس كالعُصافةِ نثراً ورُكاماً مُبعثَر الأجزاء
أنا من شادَكُمْ بِنـاءً، فهل منكم خصيمٌ أو مُنكِرٌ لبنائي
جئتُكُم والأمانُ أسطورةٌ فيكم، فما تفقهون غير السِباء
تتفانَونَ كالذئاب فما نِمْتُمْ وذُقْتُمْ هناءةً في الغفـاء
كالسَراحين إنْ تناموا بعينٍ تفتحوا أختَها لِدَرْءِ البلاء
قيمة المرء عندكم قيمةُ الجدْيِ، فإن يرتَفِعْ فقـدرُ الشاء
لا مَقرٌّ لِبَدْوِكُمْ غير أرْحالِ الأباعـيرِ في اطّلاب الكلاء
جهلوا نعمة الزراعة، والآبار، والخيرِ ساكباً في الـدِلاء
أنا أيقظتُهم لعيشٍ قريرٍ وفتحتُ الأذواقَ للنعماء
وفتحت الأذهان للدين، أحبوُهم كِرامَ الرجـال من فقهائي
أيدينوني بأنصاف أُمّيينَ منهم وينـكرون حِبـائي
عجباً للظلال في الصُبح تنفي كَرَمَ الشمس، وهي خلقُ ذُكاء

١ الأعلاق: مفردها العلق وهو النفيس من كل شيء. ٢ السباء: مصدر سبى.

وَلَظَلَّت لولا الغزالةُ ذيلًا للدياجي في ليلةٍ سحماء
أَنا آخَيْتُ بينكم فنَعِمتُمْ بأمـاني وذِمَّتي وإخائي
أَنا منكم فلم أُمَيَّزْ بشيءٍ غير حَمْل الألقـاب والأَعباء
وليال أغالِبُ النوم فيها مفرشي الهمُّ والسُّهادُ غطائي
لا لِباسي من الحرير، ولا الديباجُ رُدْني، ولا الدِمَقسُ عبائي
شهد الله ما ادَّخرتُ لنفسي مغنماً أَو تَخَلَّفتْ آلائي
أَيُّ شاكٍ صرفتُ عنه سَماعي ؟ أَيُّ كفٍّ منعتُها من عطائي
لم يَرُقْكُم عدلي، ولا سَرَّكُمْ حلمي، ولا طَيَّبَ النفوسَ بلائي
يشهد الله لست طالبَ مُلكٍ فلماذا ترمونني في الخفـاء
وتخوضونَ في التخرُّصِ واللغوِ، وتبنون تلَّـةً من هباء
قد خلعتُ التاجَ السُّعوديَّ عنِّي فهلمُّوا وأَيِّدوا استعفائي
ينشرحْ خاطري فلي ألفُ عرشٍ من مَآتٍ تركتُهنَّ ورائي
ما مَقامي على الأَريكة أعلى من مَقامي على بساطٍ عفاء
لا يزيد العرشُ المؤثّلُ قَدري أين أرسيتُ كنتُ في العلياء
قد تنازلتُ فاصْطَفوا للمكان الخلْوِ غيري كِفْئاً من الأَمراء

. . .

خطْبَةٌ هاجتِ المسامِعَ فالأجفـانُ أَرْخَتْ أَهْدابَها للبكاء
ريقُهم جفَّ والحناجرُ غَصَّتْ حين دَوَّتْ أصواتُهم بالدعاء

١ الغزالة : الشمس .

لا وربِّ السماء صاحوا، ستبقى ملكاً ما بقيت في الأَحياء
ولْيَطُلْ عمرك الملي، بمجدٍ هو مجدُ العروبة الشمَّاء
أترانا نروم عنك بديلاً ؟ لا بديلٌ لواحد العظماء
لستَ سلطاننا فحسبُ ولكن أنت مَلْكُ القطرين دون مِراء
ملكَ النجد والحجاز، كلا المِصْرينِ، فخراً، يختال تحت اللواء
وسنفديك بالدماء، بلا مَنٍّ، بأبنائنا، وبالآباء

. . .

ذلك الفجر بعد ليلٍ ضريرٍ كان جرحاً في الأعين الرمداء
كان صعقاً لابن «الدويش» و«سلطان بجادٍ» وعصبة الخبثاء
لا تَقِرُّ الأصلالُ إلّا على اللدْغ، وعرسُ النمور سفحُ دماء
زَمْجروا للوغى، فلبّى نِداُهم كلُّ هاوٍ مَنيَّة الشهداء
شهداءُ للجهلِ ! كم من غبيٍّ ماتَ من أجلِ فكرةٍ جوفاء

. . .

يا غُلاة «الإِخوان» ما كلُّ حربٍ سُلَّما تسلكونها للعلاء

---

١ لم يقبل المؤتمرون تنازل الملك عن العرش لانهم يعلمون ان ابن سعود لم يصل الى ما وصل اليه إلا بمعونة الله ثم بسيفه ولذا فلقد بايعوه مرة أخرى على السمع والطاعة والسير وراءه، (وبذلك أضحى ملك نجد والحجاز وكان قبلها ملك الحجاز وسلطان نجد) وفي الواقع لم يكن الملك يرمي في هذا المؤتمر إلا الى اجتماع كلمة النجديين وإثارة حميتهم ضد الاخوان المتطرفين ، وهذه الناحية قد نجح فيها نجاحاً تامّاً . اما الاخوان المتطرفون الذين التفوا حول ابن بجاد وفيصل الدويش وابن حثلين فانهم لم يأبهوا لهذا المؤتمر. وقد أذاعوا في الهجر أنهم قائمون بأمر الدين وإقامة الشريعة التي كاد يهدمها ابن سعود وانه طالب ملك، وموالٍ للكفار الخ ... وأتبعوا تهديدهم بالإغارة على القوافل . الخ ... (ح . و .)

كنتم الغالبينَ يومَ الأعادي دونكم في الغرام بالهيجاء
يهدُرُ النهرُ وحده حين يجري مزبداً طاغياً على الأوداء
ويخفُّ الهديرُ في الساحل الرحب، ويفنى في لُجَّةِ الدأماء[1]
تحت بندِ المليك أبطالُ نجدٍ قِمَمُ البأس والندى والوفاء
طالما مضَّهمْ سكوتُ ابي «تركي» وعابوا سياسةَ الإغضاء
أَزِفتْ ساعةُ الحساب وجلَّتْ حُمْرُ أرقامه عن الإحصاء

. . .

شاء حلمُ المليكِ يستنفِدُ النصحَ، قُبَيْلَ الإغارةِ الشعواء
قبل أن تشهد الأباطِحُ في «الزلفى» غبارَ الصوافن الجرداء
باطِلًا تنصح الوقاحَ وترجوه، لإخماد فتنةٍ وارْعِواء
أرسولُ الثوَّار يأتي مُدِلًّا عاتياً داغراً قليلَ الحياء[2]
لم يُحيِّ المليكَ بل ولجَ الفسطاطَ شأنَ الساري على يهماء[3]

---

١ اجتمع أهل نجد حول راية ابن سعود في القصيم كما اجتمع حوله كثير من (الاخوان) حرب وقحطان وبعض من مطير وعتيبة الناقين على الدويش وابن حميد فلما علم (الاخوان) بوصول ابن سعود الى بريدة اجتمعوا وعزموا على مهاجمة ابن سعود وهم واثقون من الفوز تمام الثقة، وتقارب الجيشان في السبلة قرب الزلفى. (ح . و .)

٢ أرسل ابن بجاد رسولا الى الملك في معسكره فدخل الرسول يحمل كتاباً الى ابن سعود فلم يسلم على الملك لانه مبتدع في زعمهم. انها لكبيرة وهل يصبر ابن سعود على هذه الإهانة؟ من أنت؟ ألست ماجد بن حثيلة؟ وأخذ يسرد عليه تأريخه. أتدخل ولا تسلم؟ إذهب من فورك الى الذي أرسلك وأخبره اننا قادمون للهجوم عليهم غداً فاذا أرادوا أن يحقنوا دماءهم فليستسلموا بدون قيد ولا شرط وكان ابن حثيلة كالوزير لابن بجاد فأشار عليه بالخضوع لان ابن سعود لم يعد ذلك الرجل اللاين الذي كانوا يعهدونه. (ح . و .)

٣ اليهماء: الفلاة.

مبدعٌ عندهم وما يجب التسليمُ شرعاً إلّا على الأتقياء
رَقَصَتْ لحية المليك من الغيظ ولاحَ السعيرُ في السيماء
صاحَ «تباً يا «ماجدَ بنَ حُثَيْلٍ» أوَقاحاً مستكبراً بإزائي»
لو أجاز الكرامُ قتلَ رسولٍ لم تَعِشْ بعدَها لمرأى الضياء
قلْ لِمَن أرسلوكَ موعدُنا الصبحُ، غداً ينجلي صفيقُ الغشاء
جاوز الحلمُ حدَّه، كلُّ شيءٍ ذو ابتداءٍ فأمرُه لانتهاء
كان رِفقي بكم سبيلاً لعصيانٍ، فهيَّا إنِ استطعتم لقائي
«ماجدٌ» عاد ينفضُ الموتَ مرتاعاً، على وجهه غضونُ العياء
مُلقياً نُصْحَهُ الى ابن «بجادٍ» منذراً بالهزيمة الشنعاء
لائمهُ «فيصلُ الدويش» على الخوف، وقد خالَه من الجُبناء
«ها أنا ذاهب اليهم لآتيكم بصدق الظنون والأنباء»
فاذا لم أَعُدْ مساءً اليكم فاعلموا أنَّ في القيود مسائي
أطلبوني بكلِّ سيفٍ شطيبٍ لا يبيتُ «الدويش» في الأسراء

. . .

جاء نادي المليك يحملُ وجهينِ، كفعلِ اليربوع في النافقاء
عاتباً ساخطاً على ابن «حميدٍ» باسطاً للمليك عهدَ ولاء
لم يَجُزْ مكرُهُ على عبقريٍّ قرأ الغشَّ في جبين المرائي

١ اليربوع : نوع من الفأر وجحره مدخلان النافقاء والقاصعاء فاذا أتي من احدهما لجأ الى الآخر .
٢ ابن حميد : هو سلطان بجاد .

مثلما يقرأ المعلّمُ للتلميذِ، رأدَ الضحى، حروفَ الهجاء

«إنْ تكنْ صادقاً فَنُدَّ عن القوم، وإنْ كاذباً فَغادِرْ خِبائي»

رُحْ فنَمْ عندهم فلستَ أسيري لستُ أخشى مَضرّةَ الحرباء

لا أصيدُ الذئابَ إلّا وِجاهاً صانَني اللهُ من حقيرِ الدهاء

رجعَ «الفيصلُ» «الدَّويشُ» الى القوم، مُدِلّاً بِبَسمةِ استهزاء

هَتفوا قائلينَ ماذا؟ أحقّاً «ماجدٌ» قال أم مضى في الهراء

قال: إنّي وجدتُهُ حَضَرِيّاً واهناً مثلَ سائرِ الأغنياء

أخذَتْهُ ارتعاشَةٌ إذ رآني فالْتقاني بِسَحْنَةٍ صفراء

حولَهُ جُنْدُهُ الرعاديدُ، حُضّارٌ[1] جَفَتْهُمْ صَلابَةُ البيداء

خَنَّثَتْهُمْ حَضارَةٌ فهمُ الذُكْرانُ، لكن لهم قلوبُ النساء

حَضَرٌ رُفِّهوا فعمّا قليلٍ يصبغونَ البَنانَ بالحنّاء

هم طُهاةٌ تَبدّلوا مقبضَ السيف بِطَهْيِ البقول والحلواء[2]

تَخِمُوا من طَراءَةِ العيش حتى شغلُهم بين قهوةٍ وعشاء

واتِّكاءٍ على حشايا دِمَقْسٍ وانتهابٍ لِلَذّةٍ وعطاء

---

١ حُضّار: مفردها حاضر وهو ساكن الحضر. ٢ جاء الدويش معسكر ابن سعود جاسوساً، وقبل ان يترك قومه قال لهم اذا لم أرجع مساء فمعنى ذلك ان ابن سعود اعتقلني. وصل الدويش الى المعسكر وأخذ يتملّق الملك ومن معه وأظهر استعداده للتسليم وانه ليس على رأي ابن حميد (سلطان محاد) وانه سيبيت عندهم فقال له الملك قم فنم عند قومك. وموعدكم غداً بعد شروق الشمس. وان كنت صادقاً فتنحّ عن الجماعة وان لم تكن صادقاً فسترى وخامة العاقبة. رجع الدويش الى قومه يقول رأيت حضَرياً ترتعد فرائصه من الخوف وليس حوله إلا (طبابيخ) طهاة لا يعرفون إلا النوم على (الدواشق) المراتب ابشروا يا اخوان لقد وجدت لديهم أموالا عظيمة فابشروا بالكسب والغنيمة وسنقهر هذا الطاغوت غداً ونستولي على أمواله.

(ح. و.)

كسلٌ أوهنَ السواعدَ منهم   وتراخٍ على بساط الرخاء

إبْشِرُوا بالفلاح يأتي اليكم   بالسبايا ، بالرَّغْدِ ، بالإثراء

في غدٍ تسبحُون في غمرةِ العزّ ، وتعيا أكفُّكُمْ بالغَناء

عَنْوةً تنهبونَ مالَ سعودٍ   دونَ ما منَّةٍ ولا استجداء

تملكُ «الخرجَ» و«القصيمَ» ونَسْبي   كلَّ خودٍ مَليحَةٍ غيداء

إنْ تثنَّتْ تكسَّرَ الحسنُ فيها   كَذُكاء تكسَّرَتْ في ماء

أو رنَتْ هاجتِ القلوبَ فدقَّتْ   قلِقاتِ المصير في الأحناء

في غدٍ كلُّكُمْ مَليكٌ صغيرٌ   في غدٍ تمَّحي طيوفُ الشقاء

. . .

الغدُ المرتجى أطلَّ ولكن   حاملاً للعُصاة لحنَ الرثاء

ثبتوا ساعةً وفرُّوا ، كما فرَّتْ من الأُسْدِ ، هارِباتُ الظباء[1]

كسرَ القيدُ شوكةَ ابن «بجادٍ»   و«الدَويشُ» الجريحُ في إغماء

حملوه الى المليك طَريحاً   وهو من سَيْبِ دمِّهِ في كساء

حوله نِسْوَةٌ ، بناتٌ وزوجٌ   يَتَعثَّرنَ من بُكىً وحفاء

لانَ قلبٌ يستقبلُ الموتَ مفترَّا ، ويَدْمى لِرؤيةِ الضعفاء

يحملُ الهمَّ والشقاء ويأسو   ألمَ الموجعين والأشقياء

---

١ في ٣٠ مارس سنة ١٩٢٩ هاجمت جيوش الملك جنود الاخوان وحملوا عليهم حملة عنيفة لم يقدروا على ردّها فهربوا وجرح الدويش وحمل الى الملك تحوط به بناته وزوجته وهُنّ يبكين يستشفعنَ فيـه ، فتأثر الملك من هذا المنظر وعفا عن الدويش الذي عاهد على السمع والطاعة بعد ذلك . وبعـد ثلاثة أيام استسلم بن بجاد في شقرا فأمر الملك بسجنه لانه كان خطراً على الأمن .   (ح . و .)

صاحَ : نادُوا له طَبيبي فليس اليومَ أولى من تاعسٍ باعتنائي
دَمُهُ طَهَّرَ الذنوبَ كما يُغسلُ رجسٌ بديمةٍ وطفاء
يَصْغُرُ الصفحُ وَحدَهُ عن جَريح فلْنَقَدِّمْ أُساتَنا للشفاء[1]

. . .

بَرِئَ الذئبُ من جراحٍ ولكن خُلقُهُ الغثُّ ظلَّ في السُّقَماء
عَبثاً تطلبُ الشرابَ طهوراً إنْ يَكُ الخُبْثُ من كِيان الإناء
عادَ مُستَنْهِضاً «عُتيبةَ» و «العجمانَ» بين «الكُويتِ» و «الأَحساء»
ثورةُ الأَمسِ غيمةٌ من دُخانٍ ثورةُ اليومِ لَفْحَةُ الرمضاء[2]
إنَّ أَدهى من السقام انتكاسٌ يتأَتّى من شِرَّةٍ في الداء
جَذوَةُ الأمس أَمرُها لخمودٍ وَقْدَةُ اليومِ غيرُ ذاتِ انطفاء
رُوِّعتْ نجدُ والحجازُ من السَّلْبِ، وقتلِ الرَعِيَّةِ الأبرياء
من شيوخٍ أَجِلَّةٍ وعَذارى وحَبالى وصِبيَةٍ رُضعاء
ليس مثلُ الجحود من بعد صفحٍ يطعن المرءَ في صميم الرجاء
فيُحِسُّ الفراغَ في قلبه الخاوي، وحزَّ الشفارِ في الحوباء

---

١ الأساة : الأطباء . ٢ رجع الملك الى الحجاز بعد ان قهر (الاخوان) غير ان الضربة لم تكن فاصلة، فإن الدويش ترك الأرطاوية واستقر بين الكويت والأحساء وانضم اليه العجمان وأخذوا يعيثون فساداً. ولم يقتصر الامر على النهب والسلب بل تعداه الى قتل النساء والاطفال والشيوخ . عادت الثورة أشدّ ما كانت فعتيبة انتشرت بين نجد والحجاز وفصلوا المملكتين بعضهما عن بعض وكادت المواصلات تنقطع بين مكة والرياض والخليج العربي . عاد الملك من الحجاز ليقود القوات بنفسه هذه المرة . ووقعت في أم الرضمة معركة دامية بين ابن مساعد بن جلوي وعبد العزيز بن فيصل الدويش فقتل فيها ولد الدويش، ولم يفلت من العصاة سوى بضعة أنفار . وكان القتلى أفضل رجال (مطير) الحربيين . والتمس فيصل الدويش الصلح فأبى الملك إلا التسليم بدون قيد ولا شرط، واعداً بالعفو عن حياة الدويش فقط . (ح . و .)

عادَ عبـدُ العزيزِ من مكّةَ الزهراءِ يَغلي من غـدرةِ اللؤماءِ

هاتِ عبـدَ العزيزِ من عزمكَ الماضي ومَهِّدْ للضربـةِ العذراءِ

يا دُعاةَ الـدّمارِ لا صفحَ بعدَ اليومِ دالَتْ سياسةُ الإرخـاءِ

جاءَكم بالسيوفِ من آلِ نجدٍ وسيوفٍ منكم ذَواتِ مَضاءِ

عصمَ اللهُ بعضَ «إخوانِ» «حَربٍ» وسواهُم من فتنةٍ هوجاءِ

نفروا من جنايةٍ وشذوذٍ ومُجاراةِ أنفسٍ جرباءِ

يا لَيومٍ في «أمِّ رَضْمَةَ» دامٍ كانَ للثائرينَ شرَّ مساءِ

ماتَ نَجلُ «الدَّويشِ» ذَلَّتْ «مُطيرٌ» ومَضتْ في هزيمـةٍ خرساءِ

«الدويشُ» الغَدّارُ يطلبُ سِلْماً لا سلامٌ يا جاحـدَ الآلاءِ

«مُحسِنُ الفَرْمِ» سامَ خِدرَكَ خسفاً فهو قيدُ الخرابِ رهنُ الصلاءِ [1]

هو ذا أقبلَ المليـكُ فَهدّئْ رَوْعَ جيشٍ أَلِفْتَه لامِحاءِ

لا تُصدِّقْ بالحظِّ قد هربَ الجمعُ وبارَتْ مفـاتنُ الإغواءِ

نَشقُوا ريحةَ الغضنفرِ عن بُعدٍ فولّى التيوسُ قبلَ الجِداءِ [2]

---

١ هبّ أهل نجد لمقاتلة الدويش ولاسيما الحاضرة المخلصة لإمامها ومليكها لتواضعه وكرمه وسهره عـلى مصالحهم وتفانيه في الدفاع عنهم . وهل كانوا ينقمون عليه إلا تساهله مـع الإخوان وغضّه الطرف عن مساوئهم . إن الفرصة قد سنحت لتقليم أظافر الفوضى ودعاتها . وكان هناك بعض الاخوان من الناقمين عـلى الدويش فانضموا الى جيش الملك ومنهم زعيم من حرب اسمه محسن الفرم ومعه عربان العراق ابن طواله وابن سويط فانتهزوا الفرصة السانحة للانتقام وأشعلوا النار في خيمة الدويش . (ح . و .)

٢ تفرق الثائرون من حول الدويش عندما شعروا بوصول الملك الى عين آلصاقه بعد ما أيقنوا ان ليس في طاقتهم المقاومة ولجأ بعضهم الى الحدود العراقية وبعضهم الى نجد . واستسلم الدويش وبعض رؤساء مطير والعجمان الى السلطات الانكليزية التي كانت بالجهرة في ٩ يناير سنة ١٩٣٠ . وبعد انعقاد مؤتمر (خبارى) وضحا في جنوبي الكويت وافقت الحكومة البريطانية على تسليم الدويش ورفقائه على ان يبقي الملك عـلى حياتهم . وصل الدويش الى خيمة جلالة الملك بعد ان اخترق المعسكر ولم يسمع اللعنات التي كانت تصوّب اليه بسبب مسير السيّارة . (ح . و .)

ما الكِباشُ القَرناءُ في حضرة السبع، سوى رأسِ نعجةٍ جمّاء
سربوا كانسراب خمرٍ من الزقِّ وقد هَلْهَلَتْ شُقُوقُ السِقاء
يا افتضاحَ المُدَلَّهين السكارى وافتضاحِ المُضَلّلِ السقَّاء
لَجَأوا في هُروبهم لِحُصونٍ لم يروا غيرها قِلاعَ نجاء
دولةِ الإنكليز أين سواها؟ مَوئِلٌ شامِخٌ، ودرعُ وقاء
يوم لا يُنقِذُ العُصاةَ من الموت، سوى حكمةٍ، وعُمقِ دهاء
أسلموهم عَقيبَ يوم «خُبارى» غِبَّ وعدٍ لهم بحقِّ البقاء
جِيءَ بالفيصل «الدَوِيش» الى الفُسطاط، بين الهوانِ والإزراء
كان لولا سيّارةٌ سيَّجَتْهُ بصفيق الهدير والضوضاء
ذابَ من كثرة اللِعان ومِمّا رَشقُوهُ به من التَهجاء[١]
جازَ في عسكرٍ فجازَ عباباً من لِعانٍ مُرَجَّعِ الأصداء

. . .

أيُّ فَرقٍ ما بين يوميكَ، بين الأمسِ واليومِ، يا عديمَ الوفاء
كنت تأتي الى «الرياضِ» أميراً معجباً شامخاً على الشرفاء
ترمقُ الناسَ عامداً بامتهانٍ وازورارٍ ونظرةٍ شزراء[٢]

---

١ التهجاء: الهجاء. ٢ كان الدويش حينما يأتي الرياض يصحبه نحو مئة وخمسين رجلًا مسلحين يدخلها كقائد عظيم له منزلة عظمى في نفوس أهل الرياض وعلمائها وملك نجد. اذا جلس لا يجلس إلا بجوار ابن سعود يعتبره الملك كصديق قديم وقائد من قواده العظام. أما غطرسة الدويش وجفاؤه وترفعه عن السلام لأي مخلوق يضمّه القصر — ما عدا العلماء طبعاً — فحدث عنه ولا حرج. وكان كل من يعرف الدويش في الجاهلية (اي قبل بناء «الهُجَر») ويعرف أخلاقه الشخصية يجزم بانه منافق في دينه وان ما يظهره من الشدة والغلو مصطنع. أما اذا استأذن الدويش الملك في الرجوع الى الأرطاوية فإن القائمة التي اعتاد تقديمها للملك تبتدىء من حبال الآبار ونعاله، الى السلاح والجواري، وما بين ذلك من ملابس له ولأولاده وزوجاته والطيب والعود. وكل قائد من قواد الاخوان يطلب هذه الطلبات وتكون قائمته محلًا للرفض او التحوير أما قائمة الدويش فلا يدخلها اي تحوير او تعديل. (ح. و.)

تَطأُ الأرضَ، أو تمنُّ عليها إنْ تَرَجَّلْتَ باعتناق الحذاء
مشفقاً ان تميدَ من بأْسِكَ الضخمِ فتمشي تيهاً على الحصباء
كنت إذ تَهبطُ «الرياضَ» يَلُمُّ الناسَ وَفْدُ الخيولِ والخُيَلاء
حولَكَ الركبُ طيّعاً من عبيدٍ وكُماةٍ حُمسٍ، ومن خُفراء
ينقضي ما تريدُ باللفتة الأُولى، بِهَمْسِ الشفاه، بالإيماء
كنتَ حُلماً لسامعٍ عنك أخباراً، ونِمْراً مُؤَنَّساً للرائي[1]
يَهْمِسُ الناس: جاء شيخُ «مُطيرٍ» مَن جرى صيتُهُ الى الزوراء
فخليجِ «الكُويت» فاليَمَنِ القاصي، فطَودِ الكليم في سيناء
تدخل القصرَ رافلًا بسلاحٍ ساخراً بالوجوه والوزراء
ليس إلّا المليكُ فوقكَ، إذ تلقي سلامَ المضطرِّ للعلماء
ما غُلوٌّ في الدين كي تسترَ الكِذبَ بِمُسْتَغلِقٍ على الأذكياء
المُغالاة في التجمُّلِ سترٌ لِدَفينِ العيوب في الشوهاء
رُبَّ صدرٍ مُزَوَّرِ النهدِ ممسوحٍ، على قدِّ عانسٍ مَسْحاء
ولقد تُسكَبُ العطورُ سيولًا لتواري نتانَةَ البَخْراء
لم تكن غيرَ طامعٍ دُنيَويٍّ ظامئٍ للنعيم والسَّرّاء
في سبيل الدنيا تُتاجِرُ بالدين، وتمشي لها على الأشلاء

...

[1] مؤنّساً: لابساً جسد إنسان.

كنت بعد المليك تأمرُ في القصرِ، فتُعطى ما شئته من عطاء

من عَباءٍ مُقصَّبٍ وبُرودٍ وحريرٍ مُفوَّفٍ وفِراء

ولآلٍ وتَشتُ مَقابِضَ أسيافٍ، يمانيَّةِ الظُّبى حدباء

ونُضارٍ حلَّى الخناجرَ عُقفاً حَدَباتٍ على طراز الراء

فهْيَ في الغمد حاجبُ الشمس تحنياً مُوشَّى بالماسةِ الغرَّاء

فاذا جُرِّدتْ فزُرْقُ المنايا سطعَتْ من أهلَّةٍ زرقاء

وجوارٍ من كلِّ فارعةِ القدِّ، لماها كالمِسْكَةِ السمراء

وثيابٌ لوُلْدِكَ الكُثرِ والأزواجِ، غير الألْطاف والأشذاء[1]

ولقد كنتَ تُبرِمُ القصرَ لا تعرفُ حدًّا لِشَبْعَةٍ وارتواء

ليس غير الصفيق حسًّا وفهماً يَستغِلُّ السخاءَ في الكرماء

الوِهادُ الجوفاءُ تبتلِعُ البحرَ، وتُروى الأزهارُ بالأنداء

يُسعِفُ الأشعيَّ حِشمةُ جوَّادٍ، فإنَّ الكريمَ جمُّ الحياء

عَجَبٌ يا «دَويشُ» موقِفُكَ اليومَ ذليلًا في مجلس الكُبراء

بينهم من رمَقْتَ بالأمس شزراً من وُجوهٍ في القصر أو رُفَقاء

وَهُمُ الشامتونَ فيك، فلا تعجبْ لِهاجٍ أو ناظرٍ بجفاء

اللبيبُ اللبيبُ، من لا يدوسُ الناسَ، في دربه الى العلياء

لا يشقُّ الفطينُ مِعطَفَهُ صيفاً، ففي بالِهِ جليد الشتاء

• • •

---

١ الألطاف: الهدايا.

قال عبد العزيز: يا ابن «دَويشٍ» دَرَنٌ أنت في جبين السناء

ما تُراني حبستُ عنك من الخير فصرتَ اللدودَ في أعدائي

الجميلُ الذي أفأتُ عليكُم لم يَنَلْ بعضَ بَعضِهِ أقربائي

طالما غِظْتُ أهلَ نجدَ لِأُرضيكم، فكان العصيانُ منكم جزائي

صِرتُمُ الصابَ والشَجا في لُهاتي واحتدامَ السعير في أحشائي[1]

قد تخِذْتُ القوَّادَ منكم فكنتم في ميادين سلطتي شركائي

فَسطَوْتُمْ على العِبادِ غُروراً وتعامى عن زهوكم وُزَرائي

وفعلتم فعلَ الملوكِ وسُدْتُم لم يَفُتكُمْ منهم سوى الأسماء[2]

دون فضلٍ منكم، إذِ الفضلُ لله رَعاني في محنتي وشقائي

ولِسَيفٍ جرَّدْتُهُ فأتيتُمْ كَرْهاً تحتمون في الميناء

هَمَلاً كنتُمُ بدون رُعاةٍ أو رُعاعاً في رُتبةِ العجماء

فَكَبُرْتُمْ لأنَّكُمْ أصدقائي وانتصرتم لأنَّكُم حُلفائي

«يشهد الله لم تَقُلْ غيرَ حقٍّ وسردتَ القليلَ من أشياء»

قالها «فيصلُ الدويشُ» كسيرَ الجفن في مثل ذلَّة الأُجَراء

---

١ الصاب : شجر مُرّ . ٢ وقف فيصل الدويش ذليلاً أمام الملك وقوّاد الجيش وأكثرهم دونه منزلة فخاطبه الملك قائلاً : انك تعلم يا فيصل ما فعلت معك في الماضي ما قصّرت في شيء نحوكم لقد كنت في حرب دائمة مع أهل نجد من أجلكم فهل هذا جزائي معكم ؟ لقد كنتم كلكم ملوكاً في الجهات التي كنتم فيها من منكم له الفضل عليّ ؟ الفضل لله وحده . من منكم لم آخذه بسيفي ؟ ليس منكم إلا من قتلت أباه أو اخاه ولم أخضعكم إلا بالله ثم بالسيف . قد كنت أنفذ رغائبكم فكنت أشقى لاجلكم وأواصل الليل والنهار لراحتكم وسعادتكم . فأجاب الدويش يعلم الله انك لم تقصر معنا وقد فعلت كل ما يبيض وجهك، وقد قابلنا معروفك بالإساءة ويكفي ما اشعر به من الهوان والصغار أمام (الاخوان) بعد ما كنت عزيزاً محترماً . قاتل الله الشيطان لقد أغرانا وزيّن لنا سوء أعمالنا . ثم نقل الدويش ورفاقه الى المعتقل وكان ذلك اليوم حدّاً فاصلاً بين الفوضى والنظام ومدعاة لسرور الجميع وفجر حياة جديدة . (ح . و .)

قال حسبي من الهَوانِ بنادٍ كنت فيه مُقَدَّمَ الجلساء
ولقد صرتُ، والعيونُ تؤاذيني كأني الأخير في اللُّقطاء
غَيَّبُوني في السجن ستراً لعاري فلقد تجرح الجفونُ عَرائي
إنَّ في عزلتي عن الناس حجباً لِهَواني وفترةً لعزائي
ألأَمَ الناس في البرِّية كنا أنا والغادرون من زُملائي
إنَّ إبليسَ غَشَّنا يوم كنا نتملَّى النعيم في الأفياء

. . .

عَيَّدتْ نجدُ والحجازُ ليومٍ كان فيه انبعاثُ عهد الصفاء
الصدورُ اللائي تَقَبَّضْنَ أعواماً تَنَشَقنَ النسيمَ خَفْقَ هناء
إيهِ عَبدَ العزيز لاقيتَ ما لم يَلْقَهُ فاتِحٌ من الخلفاء
بحسام اليقين قَوَّمْتَ جيلًا أهْلُهُ في ضلالةٍ والْتِواء
أنت شِدْتَ العمرانَ من جبهة الليثِ، وعُرْيِ المفازة الصمَّاء
أعْجَبُ الفاتحين من فتحَ القفرَ بديعاً لدولة الصحراء
يا صَحارى، رَجِّعنَ ذكرَ أبي «تركي» صدًى ينتهي الى الجوزاء
ولْتُدَوِّنْ أجواؤكُنَّ الصواحي صِيْتَهُ فوق مَفْرَقِ اللألاء

اليمن

ما لِجارٍ على الجوار استطالا ... حسداً، أو تبرُّماً، أو ضلالا
كان حقدُ الإمام «يحيى» قديماً ... قلّما تطفحُ القلوبُ ارتجالا
الجبال التي تَمُجُّ دُخاناً ... هي بالنار منذُ دَهرٍ حبالى
«أعسيرٌ» تَدينُ لابن سعودٍ؟ ... وبها الماءُ ما يزالُ زُلالا
كيف لم يَستَحِلْ دماءً وغِسْليناً ... ويُصبحْ نميرُهُ أوْحالا
ومتى كانتِ الأَباعِدُ تأتي ... تَنزل «الأيمن» السعيدَ احتلالا [1]
إنَّما الأقربون بالحكم أولى ... أغريبٌ عادٍ يسودُ الشمالا [2]
كيف لم تُثْنِهِ عِقابٌ تعالَتْ ... أَسَلاً تارةً، وطوراً جبالا
وحصونٌ من «تُبّعٍ» راسياتٌ ... سَمَكَتْ في أَساسِها أَجيالا

---

١ المقصود اليمن السعيدة . ٢ كان امتداد سلطان ابن سعود في جزيرة العرب ممــا أثار حفيظة الإمام يحيى . وكانت عسير قذى في عينه، ومثلها نجران التي يدعي الإمام أن قسمها الشمالي داخل في أراضيه. ومما زاد في حقده استيلاء ابن سعود على إمارة الأدارسة وكان يعتقد أنه أولى بكل ذلـــك من ابن سعود الذي قصد اليها من قلب الجزيرة . بيد أن العاهلين : السعودي واليمني تفاهما وعقـدا معاهدة صداقة وحسن جوار سنة ١٩٣١ تعهّد فيها كل منهما بمراعاة الصداقة والمودة وتسليم المجرمـــين . وفي سنة ١٩٣٢ انتقض الأدارسة على عمّال الحكومة السعودية واضطرمت في عسير ثورة خطرة وهوجمت القوات السعودية بشدة، وأخمِدت الثورة بعد خطوب وفرّ الأدارسة لاجئين الى حماية الإمام . وقد أيقن ابن سعود أن يحيى هو الدافع الى الثورة خصوصاً وانه رفض تسليم المجرمين وفقاً للمعاهدة السابقة .

(عن كتاب سيد الجزيرة العربية ابن سعود : لعمر ابي النصر)

وأَكامٌ تُرابُها بعضُ «أذْواءٍ» فإن بُعثِرَتْ بَدَتْ أقيالا [1]

كيف لم تُثنِهِ مَهابةُ «يحيَ» مَن زَكا فرعُ أصلِه فتعالى

«فاطِميٌّ» له «الزُيودُ» عبيدٌ تنحني عند رجله إجلالا [2]

ويموتون لا ازْدِراءً بموتٍ بل يُوَدُّون للإمام امتثالا

أيسودُ «الأدارسَ» ابنُ سعودٍ؟ إنَّ «يحيى» الذي يسود الرجالا

فَلْيُثِرْهم على السعوديِّ ناراً تبلغ النجدَ والحجازَ اشتعالا

ما عهودٌ بالأمسِ؟ حُسنُ جوارٍ ووَلاءٍ؟ أَلَمْ تكُن أقوالا

كَلِمٌ في الهواء، ما زادَها الخطُّ وثوقاً بل زادَها إشكالا

كلُّ عقدٍ عند الإمام له حلٌّ، فمن مِثلُه يجيد الجدالا

لا عهودٌ إن لم تُوَثَّقْ برهنٍ بَشَرِيٍّ يُمكِّنُ الأغلالا [3]

بِدْعةٌ للإمام يَرتَهِنُ الأنجالَ، فاحذَرْ أن يَذبحَ الأنجالا

فَشِعارُ الإمام: نَكِّلْ قَويّاً أو فكُنْ غامِضَ الهوى خَتّالا

. . .

تنبيه: في هذا الفصل الذي نتحدث به عن الحرب بين السعودية واليمن نعيد التنبيه الى اننا نعتمد التأريخ فنذكر للناس مناقبهم ومعايبهم، بصرف النظر عن مكانة الاشخاص ورفعة مناصبهم فنذكر للامام يحي تقواه وقنوته وعلمه وشاعريته ولا نتغاضى عن ذكر شحّه وتقتيره لعلاقة ذلك بموضوعنا. هذا مع احترامنا للقائمين على حكومة ذلك البلد اليوم. ولا ريب ان اليمن اليوم يختلف عنه بالأمس ذلك أن بوادر الإصلاح آخذة في البزوغ، وأن الشرق العربي ينتظر حياة جديدة لهذا القطر الغني جمالا وتربة ومناخاً

(المؤلف)

[1] الأذواء والأقيال والتبابعة: هم ملوك اليمن الغابرين. [2] الزيود: طائفة الزيدية المعروفة.

[3] كان الإمام يرتهن الرهائن اي انه يأخذ الى صنعاء أبناء شيوخ القبائل فاذا بدر من الآباء عصيان أو حركة عدائية كانوا هم الضحايا.

زَلْزَلَتْ ثورةُ «الأَدارِس» ركناً   في «عسيرٍ» لولا قليلٌ لمالا
خنقَ الفتنةَ الخطيرةَ، في المهدِ، مليكٌ جابَ الحياةَ نِزالا
لم يَطُلْ عهدُ ثائرٍ بقتالٍ   فرَّ عند الإمام يبغي وِئالا
واحتمى بالوليِّ فاعجبْ لِكَهْفٍ   كان للحرب مصدراً ومآلا
ولو أنَّ المُجيرَ كان بريئاً   لم يُحاولْ نكيثةً ومِطالا
وتغاضى عبدُ العزيز عن الجرمين: خِلٌّ غوى، وعهدٌ زالا
بل تَعالى عن قِمَّةِ النُبلِ حتى.   جاز ما يعرف الكرامُ خصالا
رَفَدَ الخائنَ العصيَّ بمالٍ   وإلى مُبغِضيهِ ساقَ النوالا [1]
عجباً للإمام يمحو عهوداً   وعلى الغدرِ يحملُ الغوّالا
ويسومُ المغدور غوثَ خؤونٍ   أُترى كان لاعباً هزّالا
بل هو الجِدُّ، كان «يحيى» — على تَقْواهُ — جَعْداً مُقتّراً بخّالا
لَغَطَتْ ألسنٌ بِشحٍّ شحيحٍ   قَلَّما أطلَقَتْ يداه الريالا

---

١ مما ورد في خطاب الملك عبد العزيز في المأدبة التي أقيمت في القصر الملكي في ذي الحجة سنة ١٣٥٢ انه في سبيل الوفاء بالعهد للأدريسي كان يتحمل نفقات طائلة. وبعد خيانة الأدريسي وإخماد الثورة وتنصّل يحي منها ومراوغته ونقضه المعاهدة لم يشأ الملك فتح باب الشقاق معه فترك الأدريسي ليحي بشرط ان يمنعه من أيّ مُداخلة ويبعده عن الحدود. ثم كتب الإمام الى الملك يقول: «هؤلاء الأدارسة اصدقاؤك واعداء لي فهلا انعمت عليهم وسددت حاجتهم.» فخصص لهم الملك ٢٥٠٠ ريال شهرياً. ومما ورد في خطاب الملك انه بعد إخماد الثورة أمر جنده بالرجوع. «فلما رجع الجند وردتني برقية من يحي يذكر قبيلة يام ويذكر وصول أهلها الى أبها لمقابلة قائد الجند فلم يخطر لي ان يكون له مقاصد أخرى فأجبته ان لا غرض لنا من الولاية عليهم إلا نجران والبادية لعلاقتهم بنا من قديم وحديث. ثم أرسلت له وفداً حبسهم مدة طويلة. وقد قال ان المعاهدة إن شاء عمل بها وإن لم يشأ لم يعمل بها. وقد كتبت له بشأن الوفد وانهم لم يجرموا حتى يعاقبوا». وفضّاً للنزاع، ومع أن لا حق للامام بنجران ويام لانهم يؤدون الزكاة لآل سعود منذ القديم اقترح الملك ان تكون نجران بلداً محايداً فأجابه الإمام بالرفض.   (عن كتاب سيد الجزيرة: لعمر ابي النصر)

فالإِمام العليمُ أصلُ بَلاياهُ ادِّخارٌ يُموِّنُ الأَمثالا

. . .

سَكَتَ ابنُ السعود عن ثورةٍ ماتت، ولم يَسْكُنِ الْمؤَرَّقُ بالا
عاوَدَتْهُ «يامٌ» وأشباحُ «نجرانَ» فَهاجتْ في صدره بلبالا
لو أعادَتْ «نجرانُ» عهدالنصارى أو تَهاوَتْ فزلزلَتْ زلزالا
لم يكن خَطْبُها بأفظعَ هولاً من سعودٍ يضفي عليها ظِلالا
باطِلًا قدَّمَ المليكُ حقوقاً قِدَمُ العهدِ زادَهُنَّ جلالا
فرعايا «يامٍ» و«نجرانَ» باتت فلذةً منه لا تطيق انفصالا
مَنَعَتْ وحدةُ العُروبة صدراً في رضاها تحمَّلَ الأهوالا
أن يُبادي خصيمَه باحترابٍ قبل أن ينفرَ السلامُ كَلالا
بَعَثَ الخيِّرينَ وفداً، لعلَّ الوفدَ يَثْني عن غَيِّهِ مُختالا
تخضعُ المُمكِناتُ للعقل لكن يعجزُ العقلُ أن يحلَّ المُحالا
حبسَ الوفدَ لا احتفاءً بضيفٍ[1] وَدَّهُمْ كالرياح تجري عجالى
لَيتَهُمْ، والرِحالُ بعدُ على العيسِ، يشدُّون للإِياب الرِحالا
حبسُهُ الوفدَ لم يكن عن سخاءٍ كان إمساكُه الضيوفَ اعتقالا
ليس شيءٌ حرًّا بصنعاءَ غير الشمس، إنْ جازتِ الحدودَ انسلالا
حاذِري يا ذُكاءُ إمّا تمرّي أن يقيموا في وجهكِ الأقفالا
أو تُؤدّي بالرغم منكِ مكُوساً فهَلُمّي ولمّي الأذيالا

---

١ الضيف : للمفرد والجمع .

ما ترى الوفد فاعلاً ؟ ومقامُ الوفد كالعبد في القيود مُذالا[1]
يسمع الأمرَ لا سؤالٌ ولا نهيٌ ، وهل يملكُ الأسيرُ السؤالا
رَضِيَ المَلكُ بالحياد « لنجرانَ » وضحَّى قصدَ السلامِ وغالى
باسطاً للإمام حلًّا رحيباً زادهُ فوق زهوه إدلالا
أتراهُ من بعد مكرٍ جزيلٍ فاض حتى تجاوز المكيالا
وافياً بالعهود أم يطبخ السمَّ ، ويستغنم الزمانَ احتيالا

. . .

غمرَتْهُ إيطاليا بصنيعٍ وهْو رامَ الوفاءَ والإجزالا[2]
ليس من مالِه ولو أمطروهُ ذهباً لم يَهَبْ لهم مثقالا
يمنحُ الباخلونَ مالَ سِواهُم ولَوِ الرِفْدُ يملأُ الأعدالا
فكأنَّ النقصَ الذي قرَّ فيهم من سواهم يُحاولُ استكمالا
أيها الواهبُ «الفرَنجَ» «عسيراً» قد وعدتَ الصعبَ العسيرَ منالا
لو وَهبْتَ العيُّوقَ أو نجمةَ الصبح، او الشمسَ، أو منحتَ الهلالا
أهُجوماً على «العبادِلِ» و«الفيفاءِ» حقًّا؟ متى حذَقْتَ القتالا

---

١ مذالا : ذليلاً . ٢ قبل ان يتعاقد الإمام مع الإيطاليين حاول أن يفاوض الحاكم الفرنسي في جيبوتي بعقد علاقات تجارية وشراء ذخائر حربية ... فرفض الحاكم وكان رفضه من الغلاظة بحيث صحت عزيمة الإمام على فتح ذراعيه للايطاليين . ومنذ ذلك الحين أخذ هؤلاء يبذلون جميع المساعي لإرضاء رغائب اليمنيين حتى لم يجد الإمام بدأً من مكافأتهم على الخدم التي أدّوها لبلاده فوعدهم بمقاطعة عسير وكان وعده هذا سبباً في ما وقع بينه وبين المملكة السعودية من سوء تفاهم وحرب بعدها .

(عمر ابو النصر في كتابه : سيد الجزيرة العربية)

إقْرِضِ الشِعْرَ عنترِيًّا، اذا ما شئتَ، واملأْ رَوِيَّهُ تَصْهالا
ودويًّا وزأرةً ودماءً ليس يُردي ذاكَ السِلاحُ النِبالا
أنت في الخيرِ ما بَقيتَ حكيماً لا ترى في الخَيالِ إلّا خَيالا
حاذِرِ اللحنَ في القريض وحاذِرْ عند جَوْبِ العَرائِنِ الرئبالا

. . .

قد أتاكَ السعودُ نازِلْ إنِ اسْطَعْتَ وأبْعِدْ عن قَومِكَ الآجالا
ونُمورٌ هُمُ «الزُيودُ» ولكن لا تصيدُ النمورةُ الأشبالا
ما عَساهم أن يفعلوا وسعودٌ لَبِسَ الموتَ للوغى سِرْبالا[1]
إنْ يكُنْ قبلَهُ أبوهُ يُبالي بالَمنايا فالنجلُ بالموت بالى
سَلْ به «صعدةً» و «نجرانَ» والأوعارَ والسهلَ، وادياً وجبالا
هل رأَتْ مثلَ حزمه عبقريًّا؟ أَو رأَتْ مثل كَرّه خيَّالا
وأخوه محمَّدٌ يقدمُ الخيلَ، ويُجْري في إثْرِهِ الأبطالا
لست تدري أهازِجينَ بعرسٍ أم يجيئونَ حومةً واقْتِتالا
يَنْتَخِي نخوةَ القُدامى كما نُبِّئْتَ «عبساً» و «تَغْلِباً» و «هِلالا»
غيرُهُ يأخذُ القُرومَ فُرادَى وهْو بحرٌ يبيدُها إجمالا
جاءَكَ الفيصلُ الذي عرَفْتَ قبلًا «عسيرٌ» فكيف تنعمُ بالا

---

١ ومما قاله الملك ان الإمام عمل قبيحاً فغدر وأرسل عبد الوهّاب الأدريسي واحتلّ بلاد العبادل وفيفاء وبني مالك وما برح يتملّص ويراوغ لذلك أمر الملك ولي عهده سعوداً أن يتقدم بجنوده الى الأمام ويدافع عن كيان وشرف المملكة . (عمر ابو النصر)

الذي دمَّرَ الحصونَ «بِأَبْها» يقطع الشطَّ نُزهةً والرِمالا

ساحلُ البحرِ دانَ والناسُ دانوا لأميرٍ عمَّ الشواطِئَ نالا[١]

يعبدُ الناسُ بعد ربِّ البرايا خَيِّراً ليس يعبدُ الأموالا ؟

أَلِفُوا الجدبَ أو سحاباً رذاذاً «فيصلُ» الجود جاءَهُم شَلَّالا

فلماذا أثرتَ حرباً ضروساً؟ أوَيُرضيكَ أن تزيدَ الثكالى

أَعلى قومِكَ العديدَ اعتماداً أم على الجيش والسلاح اتِّكالا

ربَّما كثرة الصُقورةِ والعقبان يَصبُغْنَ بالدماء الغزالا

ومُحالٌ مهما تكاثَرْنَ أن يُردينَ في حَومَةِ الوغى الأفيالا

ولديك السلاحُ من رفدِ «رُوما» يبهرُ العينَ كثرةً وصقالا[٢]

أنت أوْعدْتَهُمْ تِلالَ «عسيرٍ» فأَعدُّوا لك العِتادَ تلالا

ولديك القُوَّادُ من تَرْكَةِ الأَتراك، رِيضُوا على الوغى أطفالا

كلُّ ذاكَ الجيش العرمرم وَلّى بعضُهم إثرَ بَعضِهم خُذَّالا

آيةٌ في الجمال تمثالُ «موسى» لو تَزينُ الحَمِيَّةُ التمثالا[٣]

١ النال: هو العطاء. ومما يجدر بالذكر ان الامير فيصل السعود هاجم الجيش اليمني، على رأس ثماني مئة سيارة، فاحتلت جنوده تهامة ومرفأ ميدي ولحية والحديدة على البحر الاحمر. وقد اغتبط الساحل المحتل كثيراً بهذا الاحتلال وعلى الاخص الموظفون اليمنيون لانهم ثبتوا في مراكزهم وزيدت مرتباتهم. ٣ كان لدى الإمام يحيى قوة عسكرية حسنة. منها مدافع اشتراها من احد المصانع الايطالية. وكان جيشه يقدر بخمسة وثلاثين الف مقاتل، وهو مجهز تجهيزاً جيداً، ومدرّب على أيدي ضباط من الترك قد تخرجوا من الكلية العسكرية في الاستانة، وظلّوا في اليمن بعد انهيار السلطنة، مفضلين الحياة فيها. ولكن هذا الجيش الحسن كانت تنقصه حماسة الوهّابيين. فتوغلت القوات السعودية في نجران وعسير بسرعة مدهشة، واحتلت جميع الجهات والمواقع التي كانت موضع النزاع، وتقدمت بعد ذلك حتى ثغر الحديدة وهو أهم الثغور اليمنية واستولت عليه بعد فرار اليمنيين. (عمر ابو النصر)

٣ تمثال موسى هو الرائعة الفنية التي نحتها إزميل ميكلانج.

يحرزُ النصرَ من اذا فاتَه البتَّارُ يبري من الضُلوعِ نِصالا
مَن إذا اعتلَّ في يديهِ حسامٌ زندهُ كان ماضياً فصَّالا
إنَّمـا مَنبتُ المآسدِ نجـدٌ غيرُها يدَّعي الأُسودَ انتحالا

. . .

نصرُ عبد العزيز أقلقَ أورُبَّا، فرامَتْ لِظُفرِها إدخالا [١]
إنَّما يدخلُ الوباءُ على الجسم متى دقَّتِ الجسومُ هُزالا
يَلِجُ الأفعوانُ ثقبَ جدارٍ أورثتْهُ الريحُ العصوفُ اختلالا
أقبَلَتْ دارِعاتُها تتهـادى في اختيال العروس تاهتْ دلالا
في بساطٍ من زرقةٍ واخضرارٍ تحت ضافي دُرُوعِها يتلالا
حارساتٍ وما أردنَ سلاماً حائداتٍ وما كَرِهنَ الصيالا
حائماتٍ حول «الحُدَيدَةِ» كالعِقْبان راءَتْ دماً على الأَرض سالا
فوعدْنَ اللُّها برِيٍّ قريبٍ وتقاسمْنَ في المنام الرِحالا
يَتوسَّلنَ بالحماية والرُعيـا، ويُبدِعنَ حُجَّةً ومقالا
«أنا أوْلى منكم بحفظ رَعاياكم، فسيفي عنهم يردُّ الوبالا»
هكذا أنفذ المليكُ اليهم قبلما الشرُّ يبلغ استفحالا
قبل أن تَنشَبَ المخالِبُ في الغاب وتأوي البَراثِنُ الأَدغالا

---

١ أقلق انتصار الملك السعودي اوربا فرست بوارج انكليزية وفرنسية وايطالية في مياه الحديدة ، بحجة المحافظة على الرعايا الاجانب فانفذ اليهم الملك عبد العزيز مذكرة مآلها انه يأخذ على عهدته سلامة رعاياهم . لئلا يتخذوها ذريعة فيحل باليمن ما حلّ بمصر عقب ثورة عرابي باشا فاحتلها الانكليز . وكان الخوف على اليمن هذه المرة من جهة الايطاليين على الاخص .

حُجَّةُ الأمن حُجَّةُ الذئب فاذكُرْ ما بمصرٍ تُمزِّقِ الأسدالا
رَسَفَتْ في القيود سبعين حولًا هكذا تفرِسُ النمورُ السِخالا

. . .

خمدتْ سورةُ العُتوِّ «فيحيى» خاب فألًا فطلّق الآمالا
وانتفاخُ الأمس المُبَهْرَجِ بالوهم الى الرُعبِ والضُمورِ استحالا
عادَ ذاكَ التهديدُ لابن سعودٍ بعد ما رُوِّعَ الإمامُ ابتهالا
ملكَ النجدِ والحجاز أماناً صاحَ «يحيى» غمرتَنا إذلالا
حسبُنا من سيوفكم ما لَقينا هَبْ لنا هذه البلادَ حلالا
مثلُ عبد العزيز من عفَّ عن قطرٍ وقد كان يستطيعُ احتلالا
فوزُهُ بالبلاد بعدَ بَلاءٍ دون حلم «الطُليانِ» بالقطر حالا
فكأنَّ المليكَ وهو المُجلّي ردَّها أو أنالها استقلالا
من ترى كان صدَّهُ؟ لو بغاها رِمَماً أو أحالها أطلالا [١]

. . .

أوَينسى من بعدها يَمَنِيٌّ؟ فضلَ عبدِ العزيز ما العمرُ طالا
ما جرَتْ ألسُنٌ بذكر عظيمٍ ذكرُهُ كالخلود يأبى الزوالا

---

١ لقد كان في استطاعة الملك عبد العزيز ان يحتل اليمن كلها . وليس من ينكر ان انتصاره حرر اليمن من نفوذ أجني وبخاصة النفوذ الايطالي . وقد أدرك الإمام يحيى خطر الموقف وعبث الخصومة والمقاومة فأقرّ الملك عبد العزيز على مطالبه التي اشترطها منذ البداية لوقف القتال وانتهت القضية الى معاهدة الطائف .

(عمر ابو النصر)

من يُوجِّهْ اليه خاطرَ شرٍّ فهو نذلٌ يُدنِّس الأنذالا

ما يُسمَّى؟ الذي يَهبُّ اليه هِبَّةَ الذئب غادراً مُغتالا[1]

حين كان المليكُ، في كعبة الله، يؤدِّي حقَّ الإله تعالى

حيثما طاف قبلَه سيِّدُ العُرب، وحاكى هدلُ الحمامِ «بلالا»[2]

كَمنت عصبةٌ، ثلاثة أصلالٍ، فدعْني أستغفر الأصلالا

لو درى الصِلُّ حُرْمةً لِمقامٍ ومليكٍ زادَ الجلالَ جلالا

لخبا العُربَ عزَّةً، بعدَ ما ذَلُّوا عصوراً ومُوِّتوا إهمالا

وجرَوا في مُؤَخَّرِ الركْبِ جُبْناً أو هُمُ السابقونَ لكن رِئالا[3]

لَرَمى نابَهُ وتاب وأسرى جهةَ القفرِ ينْصَحُ السرحالا[4]

. . .

لمعَ الخنجرُ الأثيمُ، وكرَّ الوغدُ كالذئب مُرقِلًا إرقالا[5]

صانكَ الساهرُ الرحيمُ أبا «تركي» فلم يُورِثِ العلى إثكالا

لخباكَ المِجَنَّ من دِمكَ الغالي، فأدَّى دِماءَه استبسالا

عارضاً ذاتَه على الموت بَرًّا بأبٍ سدرةَ المفاخر طالا

حائلًا بين خنجرٍ ومليكٍ راضياً بالمنيَّةِ استبدالا

---

١ بينما كان الملك عبد العزيز بتاريخ ١٠ ذي الحجة سنة ١٣٥٣ هجرية يطوف حول الكعبة هاجمه ثلاثة من اليمنيين يريدون اغتياله . وقد اهوى عليه احدهم بخنجره فوقف ولي العهد الامير سعود حائلًا بين الخنجر والملك فجرح . وقد صرع المجرمون الثلاثة برصاص الحرس . ٢ بلال : هو بلال الحبشي مؤذن النبي .
٣ الرئال : ذكور النعام . ٤ السرحال والسرحان : الذئب . ٥ أرقل : أسرع .

كان يستقبلُ الضيوفَ بديلًا منك فليقبلِ الشفارَ الصقالا
خَنْجَرَ الإثمِ غُـرْ بِكتْفِ وليِّ العهد وأنْهَلْ نجيعَـهُ سيَّالا
لا تُدَرْذِرْ دمَ الفِـداء على الأرضِ، ودَعْهُ الى السما يتعالى
هكذا الشبلُ بالحياة يُضحّي عندما الموتُ ينشدُ الرئبالا
يا سماءُ اشهدي بأنَّ سعوداً أبدَ الدهر شرَّفَ الأنجالا
لم تَرُعْهُ السكّينُ تُغمَدُ في الظهر فَتَفْري وتنْهَش الأوصالا
وكأنّي به يقولُ: أبا «تركي» فِداكَ السُعود وُلْداً وآلا
نحن في خِدرِك المنيعِ رَبينا وأخذنا عن خُلْقِكَ المنوالا
أنت أعدَدْتَنا ليومٍ عظيمٍ لم نَهِنْ ساعداً، ونضمرْ دَلالا
مَرَدَتْ هذه الكَواهلُ في الجُلّى، فباتت لا ترهب الأحمالا
قد حملْتَ الهمَّ العظيم وحيداً هاتِ نُلقي عن كِتْفِك الأثقالا
ندفعُ الموتَ عن أبٍ عبقريٍّ فتقول العصورُ مُتْنا شِبالا

• • •

عصبةَ الغادرينَ، يأبى لِسانُ العُربِ، في الهجو، أن تُسمّوا نِذالا
يَصِمُ النعتُ بالنذالة ناساً لا ذِئاباً، فمن دَعاكُم رِجالا
أعرقَ الراضعين لؤماً وشرّاً وأخسَّ الأنام عمّاً وخالا
لو جرى ذِكْرُكُم بِمرقم هاجٍ أوجَبَتْ نفسهُ عليه اغتسالا
هَبكُمْ فُزْتُمْ بقتلِ مليكٍ أوَتمحُونَ بعدَه الأفعالا

أَمعَ الموتِ ينتَهي كلُّ شيءٍ؟ قد خسِئْتم رأياً وخِبْتم فالا
يَهدمُ الموتُ خامِلًا لم يُحاوِلْ وهْوَ حيٌّ أن يخلدَ استقبالا
يمسَحُ الموتُ ذكرَ من قدِموا الدنيـا طُبُولًا وغادَروها كسالى
فيعيشون في الفَراغ فَراغاً ويَدورُون في الوُجود ثِقالا
يهدم الموتُ عنجَهيًّا سخيفاً لم يَزِدْ في المكان إلّا اشتغالا
ومضى في الزمان غُفْلًا فزادَ الرقمَ عدًّا، وأكثرَ الأغفالا
يعجز الموت أن يُبيدَ عظيماً بالرهيفين شرَّف الأعمـالا
بحسامٍ أو مِرقَمٍ شَغَل الدنيا مَضاءً وحكمةً واشتمالا
بل يزيـد الزمانُ في قَدرهِ الغالي كما ضاعفَ اليهودُ المالا
لو قَتَلْتم عبـدَ العزيز لألبَستم جبين العُروبـة الإرمالا
وفَتَحْتم في جبهة الشرق جرحاً أبد الدَهرِ لا يطيق اندمالا

. . .

كلّما أعجزَ «المَـلاجمَ» فذٌّ في جبين الجوزاء حطَّ النِعالا [١]
وعلا عصرَهُ فـلا تجدُ الأبصارُ نِدًّا لبأسهِ ومِثـالا
وبَدَتْ حولَهُ الجبـابرُ أقزاماً، ولاحَ المستكبرونَ ضِئـالا
إذ تَراءى وَهْـجَ الأَشِعَّـةِ في الصبح، وباتوا حُباحِباً أو ذُبالا [٢]
وثَبَتْ عصبـةُ الذئابِ عليـه تطلب الضيغمَ الهصورَ اغتيالا

---

١ الملاجم: اشارة الى عبد الرحمن بن ملجم قاتل الإمام علي في مسجد الكوفة. ٢ الحباحب: ذباب يطير في الليل والعامة تسميه سراج الليل. والذبال: فتائل المصباح.

أَعزلاً يطلبونَه في المُصَلَّى خشيةُ اللهِ أورثتْهُ انذهالا

يَهَب اللهَ جبهةً لسجودٍ والأَذَلُّون ينهشون القذالا [١]

قد حماكَ الإله يا ابنَ سعودٍ حاميَ المجدِ والقَنا العسَّالا

وأَبَلَّتْ أَبناءُ يعرُبَ لمَّا شِبلُكَ الفذُّ أُوتيَ الابلالا

---

١ القذال : مؤخر الرأس .

الصقرُ يتوارى

جَبلَ « الطّائفِ » النَديِّ الحالِمْ ... يا مَجال الْمعطَّرات النَيا سِمْ[١]

يا رِياضاً تَوَشّحتْ سُندُسِيّاً ... من أماليدَ في الصباح بَواسِم

إِتَّئِدْ يا نَسيمُ فالصقر ساجٍ ... أَمَهِيضُ الَجناحِ أمْ هو جاثم

كنتَ أوْلى بذلك الصقر لمَّا ... كان بالذُرْوَةِ العليَّة هائم

لِبساطِ اللألاءِ سُمرُ خوافيهِ، ... وللكَرِّ والصراع القَوادم

أَعلى الهيناتِ أَطْبَقَ عينيه؟ ... أم البالُ بالفتوحات حالم

هَمَستْ ألسنُ المكارم أودى ... فأجاب السِماكُ بل هو نائم

لم يُمَتَّعْ بمثلها ضجعةً كبرى، ... فقد ظلَّ في المَجرَّةِ حائم

جابَ هذي الأجواءِ سِتّينَ حولًا ... وهَوى اليومَ تحتَ غار العَظائم[٢]

ماتَ! ما ماتَ مَنْ فمُ الدهرِ يَرويهِ، ... الى مسمع الحياة الدائم

---

١ توفي الملك عبدالعزيز في الطائف ونقل جثمانه بالطائرة إلى الرياض حيث دفن في مدافن آل سعود بالعود عام ١٣٧٣ هـ .

٢ قد عمّر المغفور له الملك عبد العزيز نحواً من أربع وسبعين سنة ونظرنا في قولنا (ستين حولا) الى مدة كفاحه باعتبارها بدأت منذ البلوغ .

إنَّ عبدَ العزيز والمجـد صِنْوانِ، وما يفصلُ الخلودُ التَوائم

كلُّ يومٍ من عُمرهِ حِقْبَةٌ مَلأى بمجـد الفتوح أو بالمكارم

آنَ أن يَهْدَأَ الحسامُ فيأوي لِديار الخلود حيثُ الأعـاظم

خالِدُ ابنُ الوليدِ وابن زِيادٍ و «هَنيبَعْلُ» أعرُبٌ وأعاجم[1]

طَوِّقوا نَعشَهُ بسُمْر العوالي واقطعوا صمتَهُ ببيض الصوارم

وَضعوا في شمالِـهِ صَعدةَ الرمح، وفي كَفِّهِ اليمـين القائم[2]

لو فعلتم لاخْضَوضرَ السيفُ من ذكرى، فيا طالمـا سَقاه الجماجم

جَنّبوا يومَهُ الدموعَ الدَّوامي فَهْو يومٌ مُحجَّلٌ في المآتم

صَيِّبُ الدمـع كان مُبْتَـذلَ الحزن، فما هكذا وداعُ الضراغم

شَيِّعوهُ بِمِدْفَـعٍ وَهزيمٍ إنَّ في الأُسْدِ صَبوَةً للزمازم[3]

عَطِّروا نَعشَه بِرائحَـةِ الهيجاء، يا طِيبَ فَوْحِهـا في الخياشم

بِصَهيل الخيـول مُتَّصِلِ الأَسجاع، مُستَتْبَعِ الصدى والحماحِم

لا بُكاءً بل افتِقاداً لِوَجـهٍ لم يُشارِكْهُ في البهـاء مُزاحِم

كلَّما سُدَّةُ البُطولة أقوَتْ ذَكَرَتْ هَيبَةَ الهصور الضُبارم[4]

فجرى صيتُهُ العريضُ أريجاً وجرى قلبُها الكئيبُ مَراحم

. . .

قَسَماً بالذي بَراكَ أبا «تُركي» فجعتَ الضِيـاءَ فالجوُّ قاتم

---

١ المقصود بابن زياد : البطل طارق فاتح اسبانيا، وهنيبعل : هو القائد القرطجي المشهور . ٢ قـائم السيف : هو مقبضه . ٣ الزمزمة : الصوت الذي يسمع من بعيـد وله دويّ . ٤ الضبارم : الأسد .

كلُّ مصرٍ تَوَشَّحَ الضادَ حَلْياً   باتَ كالرمسِ يومَ فقدِكَ واجم

وتَلاقَتْ عليك سُودُ قِلاسٍ   للنصارى، وناصعاتُ العمائم[1]

ذاكَ شأنُ الأطواد إمّا تَناهتْ   رِفعةً عانقَتْ شَتيتَ الغمائم

فاجِعُ الرزءِ فيك جازَ بلاداً   وتُخوماً معهودةً ومَراسم

إن تَكُنْ عاهِلَ الحجاز ونجدٍ   فَسَناكَ اللمّاحُ يطوي المَعالم

المدى يحصرُ الولايةَ لكن   شَرعةُ الحبِّ فوق تلك المزاعم

ليس مُلكُ العظيم ما عرفَ التأريخُ من ثروةٍ، وسلطان حاكم

مُلكُه حيثما أحسَّتْ قلوبٌ   وتَصبّى مجدُ الكريم الأكارم

لم يَجُدِّ المكانُ من «خالدٍ» ذكراً، ولا استأثرَ الزمانُ بحاتم[2]

صُدَّ إمّا استطَعتَ لألأَ صُبحٍ   أو رفيفَ الشذا، وخفقَ النسائم

إنَّ للخالِدينَ في كلِّ أرضٍ   وزمانٍ رعيَّةً وعوالِم

ولَهُمْ في الوجود، من مشرقِ الشمسِ الى مغرب الضياءِ، عواصم

فكريمُ النُضارِ معدنُهُ الأصلُ، فلا يُسألونَ: أينَ المَناجم

أنت عبد العزيز موطنُك الأُفْقُ، كما الجوُّ موطنٌ للقشاعم

قد تَجاهى لبنانُ فيك ومِصرٌ   ودِمَشقٌ كما تَجاهى الحضارم[3]

نَشَدَتْ قبلك العُروبةُ ظِلّاً   تُتَّقى فيه لافِحات السمائم

ساعداً يجمعُ الشجاعةَ والجودَ، ورأياً كالسيف أغلَبَ حاسم

أنفَدَتْ صبرها ارتقاباً لِحُرٍّ   يُجتلى فيه عزُّها المتقادم

---

١ القلاس : مفردها قلنسوة وهي نوع من ملابس الرأس عند رجال الدين المسيحيين . والعمائم رمز علماء المسلمين .

٢ المقصود خالد بن الوليد وحاتم طي .   ٣ الحضارم : نسبةٌ إلى حضرموت .

فيكون اختلاجةَ البعث فيها والأَساسَ الذي عليه الدعائم
باطِلًا راحتِ اليتيمـةُ تبغي للعيون المُقرَّحات بلاسم
تَنشدُ الواحـةَ الخصيبةَ، لا تَلْقَ سوى القفر والصعيدِ الناقِم
لم تُصادِفْ سوى بَريق سرابٍ رِيَبٌ خَلْفَ وَهْجِهِ وطلاسم
جئتَ فالعربُ حول عرشك أكبادٌ، كما طوّق الغديرَ الحمائم
السيوف التي تأَلّقتَ باتتْ حدَباتٍ لِدَعمِهِ وقوائم
والقلوب التي صَبَوْتَ اليها من بعيدٍ رنَتْ اليه حوائم
جئت والعُرب مُخلِقونَ شباباً وأَماناً وأُلْفَةً وعزائم
فرأَوا فيك مُنقذاً يفرش الخيرَ ويَستنبتُ الزمانَ الآزم
كنتَ تاجَ الصحراء في نصف قرنٍ هو أنشودةُ الربيع الباسم
حيثما أنت ليس للبؤس طيفٌ فعِيالٌ على نَداكَ المواسم
حيثما كنتَ ما خلا رمضاناً تكْرَهُ الشمسُ أن ترى وجه صائم
دوحةَ الخيرِ كنتَ ما أَمسَكتْ ظِلًّا، ولا خيَّبَتْ رجاءَ الطاعم
تهرع الطيرُ عاكفاتٍ عليها كُلَّما ارْبَدَّ في العَشيّاتِ غائم

. . .

كَفِّنوا سَيِّدَ الجزيرة بالوردِ، بآسِ الرُبى وعِطر الكمائم
بِوِشاح الثلوج من شُمِّ لبنانَ وأنداله النِطافِ البواسم[1]

---

١ النطاف : مفردها نطفة وهي الماء الصافي .

بذؤابات أرزهِ وابتلالٍ من عَشاياه في الحواشي النواعِم
واحملُوه من الحجاز الى نجدَ، فلِلوكْرِ قُدسُهُ في المحارم
يَلمُسُ المرءُ في التراب، ولو مَيْتاً، ترابِ الأوطان قلباً راحم
وادْفِنُوهُ في ربْوةٍ تُنبِتُ المرّانَ صُلباً، وتستعيدُ اللهاذم
فوقها يَخفُقُ العَرارُ على الرَّمسِ فتَشذى بالهينمات النواسم

. . .

جيءَ بالصقر طائراً بل مُطاراً في أثيرٍ مغرورقِ الجفن جاحِم
عهدَ الصقر يبهرُ الشمسَ لحظاً ويُقاوي كواسراً ويُصادم
ما لَهُ اليومَ مُدلِجاً، سادرَ العينين، مُحلَوْلِكَ الأسارير جاهم
كاليمانيِّ مُغمدَ الحدِّ يَغفو بِقرابٍ من مَجدِهِ المتراكِم
قد تَردَّى العلياءَ مَيْتاً وحيّاً غابَ جسماً ورُوحه آبَ سالم
عادَ يا نجدُ من حماكَ هصوراً يرهبُ الأُسْدُ زأرَهُ والأراقم
هيكلاً سامقاً وزنداً جديلاً تحتَ فرعٍ كالليل حرّان فاحِم
فتَشوَّفْ الى الغضنفر وانظُرْ مفرِقاً شابَ من عجاج الملاحم
وتَهيَّبْ ذاكَ العظيمَ المسجّى واخفِضِ الطَرْفَ إنّما الليث آجم
نكِّسوا لاغترابِهِ كلَّ بَندٍ سوِّموا الخيلَ والنِياقَ الرواسم
أوطِؤوها الترابَ جساً فلا تشتدُّ فيه سَنابِكٌ ومَناسم
فتسير الجيادُ نُكّسَ النواصي كاسِفاتِ الوُجوه رُبداً سَواهِم

غيرَ مَشدُودةِ الأَعِنَّةِ والأَعرافِ، مَرخيَّةَ الشَوى والشَكائم[1]

أطرِقوا حولَ نَعشِ من كان يحميكم، إذا شوَّه المروءةَ آثِم

من حَباكُمْ عِزَّ المقام وكُنتم قبله للدخيل بعضَ المغانم

أَو رقيقاً يُسامُ خسفاً وذُلًّا كلّما فُوّقتْ سِهامُ المظالم[2]

ويُساوِيكُمُ الهوانُ، كما ساوى قُساةُ الرعيان بين السَوائم

سِلَعاً تحسبون يوم نفيرٍ فيَسوقُونكم لِدَفعِ المَغارم

فتكونون عندهم شِبهَ أعدادٍ جرَتْ فوقها يَراعُ الراقم

لا نظامٌ لكم ولا حُرمةٌ تُرعى، تعيشون رُحَّلًا أو شراذم

عَيشُكم عابسٌ، وأيّامُكم سودٌ، وأفعالكم كِبارُ الجرائم

أطرقوا ساعةً لذكرِ عظيمٍ لا رَهيب اللقا ولا مُتعاظم

قدْوةً كان بينكم في السجايا ولقد كان دونكم في المَناعم

• • •

ودَعوا ذلك الجبينَ بأبصار عن الحبِّ والشجون تراجم

فالبطولات بعده ربّما شُرِّدنَ دهراً مُولَّهاتٍ أيائم[3]

إحمِلُوهُ على الرقابِ الى الرمس وردُّوا أكتافَكم والمعاصِم

سلِّموا كَنْزَكم الى كفِّ «رِضوانَ» فيرعى عهدَ المليك القادم[4]

ضُوعِفَتْ ثروةُ الخلودِ بمرآه، وقامَتْ أعراسُهُ والولائم

---

١ الأعراف مفردها العرف وهو شعر رقبة الفرس. والشوى: الأطراف. ٢ فوّق السهم: سدّده. ٣ أيائم: أرامل. ٤ حارس الجنة.

عندما تعظمُ المناحةُ في الأرض، فوجهُ السماء عرسٌ قائم
أُمَّةً وَحْدَهُ يُعَدُّ أبو «تركي» هو الماسُ والملوكُ دراهم
رجلٌ حوله تجمَّعَ تاريخٌ، كما ألَّفَ الجمانَ الناظم

. . .

إيهِ عبدَ العزيز جلَّ عزاءٌ ببنيكَ المطَيَّبينَ الأكارم
منك هذي الغصون والثمرُ الداني، وحلواؤه، وطهر البراعم
عرشكَ العرشُ يا سعودُ فبادِرْ واملأِ الشرق سؤدُداً ومكارم
انما يخلفُ الكبيرَ كبيرٌ ويسيرُ العظيمُ نهجَ الأعاظم

تحيّة لبنان الى الملك سعود

قَلمي لو دَرى مآلَ بَيانِهْ لأَتى الصُبْحَ في سنى ريعانِهْ
ومضى يَقطِفُ الشُعاعَ ويُسديه نظيماً من تبرهِ وجُمانه
وأتى الأَرزَ في صَفاء العشايا والنجومُ الحِسان من جَيرانه
واصطفاها لِصاحب التاجِ تاجاً وسماءً تُشعُّ في صَولجانه
للنخيل التيَّاهِ، من خِلِّهِ الأرزِ، وَدادُ الأحبِّ من إخوانه
فالقَصِيَّانِ في الجزيرة داراً يَهْويانِ العُلَى ويَبتَدِرانه
في تِلال «القَصيمِ» نَفْحةُ لبنانَ، ونَفحُ «القصيمِ» في لبنانه
فكأنَّ البيتَ السعوديَّ مَهْوى كلِّ شهمٍ خلا الى وجدانه
قِبلَةُ الطيِّبينَ من مطلع الشمس وخَفْقِ الضياء في مغربانه
جَوسقٌ في «الرياض» أومأَ للعُرْب، فطاف الحنينُ في جدرانه[1]

. . .

[1] الجوسق : القصر .

هاكَ لبنانَ يا سعودُ، فهل أُنْزِلْتَ غير الأحناء من سُكّانه
جئتنا والصرودُ لون سَجايانا ثُلوجاً تألّقت في رعانه
فوَطِئْتَ الثرى فأَطْلَعتَ ورداً واستَبَقْتَ الربيعَ قبل أوانه
فالعِقابُ التي بها الصيفُ شاتٍ صفّقت للجمال في مهرجانه[١]
ومشى في ظِـلالِك الطودُ مختالاً يَشيعُ البهاءُ في ألوانه
يسكبُ الدوحُ طيبَه ويفضُّ السفحُ عقدَ الجُمان عن ريحانه
والأناشيدُ في الحدائِق تترى كلُّ حيٍّ مُعبِّرٌ بلسانه
قد تبارتْ عنادِلُ الضادِ شدواً فأتاك التغريدُ في نيسانه
فكأنَّ القريضَ لم يَفْقدِ «الطائيَّ» أو يَفتقرْ الى «حسّانه»[٢]
هاكَ لبنانَ موئلَ الشعر والُحسنِ، وهذا البيانُ أيكُ جنانه
كان بالأمس قيّماً يكلأُ الفصحى، وما انفكَّ ظِئْرَها في آنه
نزَلتْ في رحابِهِ منزلَ الجار، فعادت لصيقةً بجنانه
وجرى حُبُّها بكلّ فؤادٍ جريانَ الدماء في شريانه
نافس العيسويُّ فيها حنيفاً وأحبَّ الإسلام في قرآنه
وبها يُعربُ الرهابينُ في الديرِ كتابَ الملوكِ من غسّانه
أيّ ديرٍ حللتَ خلتَ «عكاظاً» في أنيقِ البيان من رهبانه

. . .

١ إشارة الى قول المتنبي :
وعقاب لبنانٍ وكيف بقطعها وهو الشتاء وصيفهنّ شتاء

٢ الطائي : هو ابو تمام . وحسّان ابن ثابت : هو شاعر النبي .

يا سعوداً حملتَ نجداً الينا وقرأنا الحجاز في عنوانه
وشهِدْنا عبدَ العزيز فتياًّ يومَ صدرُ البِطاحِ مرْجُ حِصانه
قد رأينا العظيمَ في السلم ليثاً فعرفنا ما كان يومَ طِعانه
بارقُ العزم بين عينيه لمَّاحٌ، وبحرُ السخاء في أردانه
ورَواكَ الأرزُ الفصيح قصيداً فأصاخَ الزمانُ في أغصانه
موطِنُ الحسن والبُطولات، كان الحبُّ معنى بقائِه وكيانه
يَكْمَهُ المرءُ ما نأى الحبُّ عنه كلُّ طرفٍ سَناهُ من إنسانه[1]
عيسوِيُّوهُ سابَقوا مُسلِميهِ فيكَ من قَسِّهِ الى مطرانه
فرأيتَ الشيوخَ، في بهجةِ العيد، يؤُمُّون مُنْتَدى كُهّانه
يَعرُبِيُّونَ مهجةً أو لساناً ولسانُ الإنسان من أوطانه
نظروا فيك عاهلاً عرَبيّاً تجمع الأبْعَدِينَ رفعةُ شانه
يهرعُ المجد نحو سُدَّتِهِ وثْباً، فما يستطيبُ غيرَ مكانه
تِرْبُهُ المجدُ، هزَّهُ وهو طفلٌ في مدارِ الأعراف غضٌّ بنانه
فتبنَّاهُ يومَ شبَّ على الحرب، فكان العَجاجَ في ميدانه
ودَوِيّاً في سيفه ومَضاءً أين منه الرُعودُ في إرنانه
وعُسولاً للرُمحِ في الكرِّ، حين الرمحُ يرتدُّ كَعْبُه لِسِنانه[2]
تِرْبُهُ المجدُ يومَ ربّاهُ نسرٌ قشعَمٌ راضه على طيرانه

---

[1] يكمه : يعمى . وانسان العين : سوادها . [2] عسل الرمح عسولا : اي اضطرب واهتز اهتزازاً شديداً .

وَخدينٌ اذا استحرَّ وطيسٌ تستحِمُّ الأبطالُ في معمعانه

. . .

يا ابن عبد العزيز شَرَّفتَ عرشاً زَندُكَ الصلبُ كان في أركانه

قد تَصدَّيتَ للزمان فتِيًّا مبصراً وجهَ غدره في لِيانه

فيك من سيفه المُشَطَّب حَدٌّ ومُرونُ الثَقيفِ من مُرَّانه

أنت جَرَّبْتَهُ سلاماً وحَرباً وثنيتَ العَصِيَّ من حِدثانه

شالَ أقيالَ يَعرُبٍ حاضِرُ العصر، فكنت الرجيحَ في ميزانه

أُفقُ العُربِ يا سعودُ يناديكَ، يُنادي النجيدَ من فرسانه

لِكيانٍ يُوَحِّدُ الشعبَ حتى يَفرَقُ الأجنبيُّ من سلطانه[1]

مِنْيةُ العُرب. أن يرى كلُّ حرٍّ أيَّ فجٍّ للضاد من بلدانه

هاكَ عهدَ الوَلاء فاطَّرِحِ الأَمسَ، وجيلًا أطالَ في عُدوانه

وسواءٌ شدا على النيل شادٍ واستزادَ العراقُ من كَرَوانه

أو بَوادِي العَقيقِ طَرَّبَ قُمْرِيٌّ فشفَّ الهديلُ أُمْلودَ بانه

وتَغنَّى في زحلةَ البلبلُ الصَبُّ، وغيدُ الشآم في نُدْمانه

فالصدى واحدٌ وشملُ الندامى أُذُنٌ في غِنائِه وافتِنانه

أَملُ العُربِ مَشرِقٌ عربيٌّ يتَجاهى الأحرارُ حول خِوانه

---

١ يفرق : يخاف .

تَتَآخى التيجانُ في جَوِّهِ الضاحي، فكلٌّ الرجاء في تيجانه

. . .

مَلِكَ النجد والحجاز سلامٌ من روابي لبناننا وعنانه
حيث للنجم نَهْلَةٌ في العشايا من رياحينِ أرزه ولُبانه[١]
ولِتلْكَ الغيوم، في السَحَر الهادي، بياضُ الفِراء من قِطعانه
نُتَفٌ في الصرود مُنْتَثِراتٌ كانتثار الدِمَقْس من حُمْلانه
ويَحُطُّ الغمام آناً على السفح، وآناً في التَلِّ أو سندیانه
بين عينٍ تُقَطِّرُ الماء لحناً كشَجِيِّ الغناء من رعيانه
وعَصافيرَ في الصُداح تُحاكي نَغَماتِ البَكُّورِ من حُجْلانه
حين غَمْرُ الضَبابِ، في غورِ «قاديشا»، خِضَمٌّ يشتدُّ في طغيانه[٢]
يَتعالى مع الصباحِ فعينُ الشمس غَيْرى تجوسُ في شطآنه
زادَها فتنةً وزادَتْهُ حسناً أين وَهجُ الإبريز من لَمعانه
فكأنَّ الشعاعَ منها لِعُرسِ الأرز تاجٌ يَمدُّ من عنفوانه
بارَكَتْهُ يدُ العَلِيِّ فأَجرَتْهُ عبيراً يضوعُ في أفنانه
يحضنُ الغصنَ باللآلي رِطاباً ذائباتٍ من وَجْدِهِ وحنانه

. . .

مَلِكَ النجدِ والحجاز سلامُ البحر من مَتْنِهِ الى خلجانه

---

١ اللبان : الصنوبر . ٢ قاديشا : هو الوادي الكبير الذي يمتد تحت الارز .

وهو، ما قد عرفت، أوّلُ ماءٍ كانت المنشآتُ من ضيفانه[1]
فالسواري مراودٌ بين عينيهِ، تبثُّ الحياةَ في أجفانه
كالعذارى أيقظن في القلب شعراً فإذا بالقريض خلقُ حسانه
ما رأى اليمُّ قبلنا قطُّ شجعاناً تروعُ الفرّاسَ من حيتانه
فسرَينا عليه والفُلْكُ جذعٌ وقطعنا المدى على شجعانه
ليس منا يوم العُلى ما بنينا أيُّ نِكسٍ رثِّ الفؤادِ جبانه
لم يُسخِّرْ للكون خلجةَ حبٍّ أو يُحرّكْ يداً الى عمرانه
ربّما تحمدُ المروءةُ بحراً جبليَّ الأمواج في هيجانه
أو تكفُّ الحيتانَ وهي جياعٌ فيعفُّ التنين عن «يونانه»[2]

. . .

صاحبَ التاج والقلوبُ دعاءٌ من حمانا الأبيِّ، من أعنانه
من بهاء الشيوخ في سُدةِ العمر، وغضِّ الشباب من فتيانه
الأُلى جرّبوا الزمانَ فتيّاً واصطفوا بين قمحِه وزؤانه
صاحبَ التاج إنَّ ذكركَ في لبنانَ صنوُ العبيرِ من بيلسانه
جئتَهُ فالقصيدُ خمرةُ فنٍّ عتّقَ الشعرُ طيبها في دنانه
أنشدتكَ السُمّارُ إلّا جريحاً أدرجتْهُ الحياةُ في أكفانه
خمرُهُ في شقائه يحتسيها ناهلاً من جراحِه وجنانه
فكأنَّ المباضعَ الزُرْقَ آلتْ أن تُروّي الشفارَ من أرجوانه

---

١ المنشآت : السفن . ٢ إشارة الى حادثة يونان النبي .

تارةً تَنْهشُ العِظامَ فَتَبْرِيها، وطوراً تغورُ في لُحمانه
زَفَر التختُ والحديدُ ولم يَزْفِرْ، كأَنَّ الأَوْجاعَ من أَخْدانه
فإذا بالخُطوبِ، وَهْيَ طهورٌ قد فَصَلْنَ الجريح عن أحزانه
فَتَسامَى عن الشِكايَةِ إلّا جَذَواتٌ تَناثَرَتْ من بيانه
مُؤمناً أنَّ نعمةَ الله آلامٌ تُنَقِّي الإنسانَ من أدْرانه
فغدا وهو أتعَسُ الناس حَظّاً أسعدَ البائسينَ في حِرْمانه
ها هُو الشاعرُ الذي شَلَّهُ الداءُ فَغِبْتُمْ عن سَمْعِه وعِيانه
فاستنابَ الفُؤادَ فانطلقَ الشِعرُ كعهد الشباب في إبّانه
رُبَّ ثاوٍ على الشقاء كسيحٍ أتعَبَ السابحين في ميدانه

فيصـــل

خلّــفتُ لبنــان في دَرْبي إلى الشُّهُب — فمـــا تغــرَّب وجــــداني ولا أدبي

لقـد تعلّـقتُ نجداً منــذُ ما شَخَصتْ — عينـي إلى غابرٍ من شعرها العــجب

نفــحُ العــرارِ قوافيــــه فرونقـــهُ — أبهى من البـدر لمَّاحـاً على الكـثُبُ

جئتُ الريــاضَ فهزَّتنـــي مَفاخِرُهـــا — وجَلجلتْ عظمَاتُ الأمس تهتِـف بي

تقـــولُ : مجدُ أبي تركـــي وسدّتُـــــهُ — يحميهمـــا في الرزايــا فيصلُ العــرب

القائـــد الخيــل في (أبها) مسوَّمــةً — مختالــةَ الهام والأعــراف والــعُسُب[1]

نجديَّـةً من جيـاد (الخرج) ضامـرة — حمْرَ السنابك من خوض الدم السَرِب[2]

في (بيشةِ النخل) ما ألـقت حَوافِرَها — إلا على ضَــرَمٍ أو أحمـــرٍ لَــزِب[3]

القائــد الفــــذُّ يُذكيها فيُرسِلُهــــا — شُعثــاً عوابسَ بين النقــع واللــــهب

بَنَانُــهُ الــغضُّ يُرخـــي من أعِنَّتِهــا — كـرّاً فلـم تنعطــف يومــاً إلى هَرَب

يَغْشى الوقيعــةَ صقــراً في قوادِمـــهِ — من حِدَّة البـأس أو من سَوْرَةِ الطـرب

(١) أبها قاعدة عسير .

(٢) الخرج مكان في نجد اشتهر بتربية الخيول العراب .

(٣) بيشة النخل مشهورة بقلعتها .

لا غروَ أن يردَ الهيجاءَ منشرحاً صَقرٌ بوَكْرِ أبي تركي العظيم ربي
خاض المنايا فتيّاً دون ما هَلَعٍ وفلَّ من صَلفِ التيَّاهِ وهو صبي
فهالَ (كرزون) ما بالشهم من شمم وراعَ (لندنَ) أنَّ الشبلَ في غضب[٤]
وأدْرَكَتْ أنْ للآسادِ عِزَّتَها وأنَّ نجلَ الأباة المُعرقِين أبي

* * * *

يا فيصل القوم يوم العُرْبُ في جزع وفي الجزيرة طيف الموت والحرَب
إذ النفوسُ حيارى والعيونُ رَنَتْ اليك تشخَصُ من أفْقٍ إلى قُطُب
شِلْتَ السياسةَ مما شانَ سُمْعَتَها وصُنْتَها من ضُروب الخوفِ والرِيَب
مؤيَّد العَزم ثَبْتَ الرأي سافرَه كأنَّ عبدالعزيز الحُرَّ لم يَغب
وذاك أنك لم تنشأ على تَرفٍ مُشتَّتَ البال بين الرغدِ واللعب
بَلْ فارساً عرَف الميدانُ صَوْلَتَه وفيصلا بين غَابِ السمُر والقُضُب
في معمان الوغى ربَّى بَسالَتَه لا في الصحائف والأنباء والكُتُب
أنت الذي يستطيع القول هاءَنذا وقد بلغت السُهى عزّاً وكان أبي

* * * *

يا يوم (نجرانَ) والأبطالُ ساهمةٌ وقلبك الليثُ لم يَدْهَش ولم يَجِب[٥]
وجيشُ (يحيَ) سِباعُ (الترْكِ) قادَتُهُ يطغى وينُذر بالدهياء والعطب[٦]
أرضُ (الحُديدة) مادَتْ من عَتادِهِم وشمسُها لألأتْ في البيض واليلب[٧]

---

(٤) إشارة الى حادث أثبت فيه صاحب الجلالة أنفة العرب ونبوغهم وكان جلالته يومئذ حديث السن.
(٥) لم يجب اي لم يخفق القلب جزعاً .
(٦) كان الترك قادة جيش الإمام يحيى .
(٧) حاضرة على ساحل البحر الاحمر ولقد كان الجيش اليمني وافر العدد والعتاد وكان السلاح ايطالي المصدر.

فِيمَ العتاد وما يجدي وقد بَرَزَتْ ... أبطال نجد كُماةُ الحرب والرَهَب

لا مِثلُ قلبك في جمعِ القلوب ولا ... عديلُ جيشك في الإقدام والغَلَب

قلُّوا عديداً وجلُّوا هِمَّةً ومَضَوا ... كالنار تُمعِنُ في هَشّ من الحطب

سَائل (تُهامَةَ) بالأبطال هادرةً ... وسِاحِلَ الأحمر الهدّار ذي العُبَب

كيف استفاقتْ على الهيجى جَوانِبُهُ ... فالشطُّ في جَلب واليمُّ في صَخَب

النصرُ هاجَ كمينَ البحر فانطلقَتْ ... أثباجهُ هِضَباً يَنْزُغنَ من هِضب

وهلَّلَتْ (يَمَنٌ) من بعد حَرْمَلةٍ ... للفيصل الوائليِّ السيف والحسب[8]

الباسطِ الكفِّ للأعداء يغمرهم ... بالصفح والنائل المبذول والرُتب

لم يشهدوا صِنْوَهُ خصماً رفيع هوىً ... وفاتحاً ينشل العاني من الكُرَب

أعادَ للذهن جَدّاً مثلهَ شرفاً ... واسماً ووكْداً لبذل الخير والحَدَب[9]

أبو اليتامى فأعْظِمْ بالرفيع نُهىً ... ومنُقِذِ النجدِ من أغلال مغتصب

تَباشَرَ الناسُ يُمناً حينما قرأوا ... شمائلَ الجَدِّ في أمْنِيَّةِ العَقِب

هذا الرحيقُ الذي طابتْ مَذاقتُهُ ... ما زال في طعمه من ذلك العِنب

* * * *

يا صاحبَ التاج أولْاكَ الإله سنىً ... فازددتَ شأواً على آبائك النُجُب

أبوكَ غُرَّةُ هذا العصر مرتبةً ... وزين أبطاله في المشرق العربي

لولاهُ ما بزغت في نجدَ مملكةٌ ... ولا توحَّدَ قُطرٌ جِدُّ منشعب

(٨) اسم بلد في عسير .

(٩) هو الأمير فيصل بن تركي وقد ثار لأبيه مشاري بن عبد الرحمن واستعاد الامارة وكان متوقد الذكاء تقياً ورعاً شجاعاً رفيقاً باليتامى وقد بنى لهم داراً خاصة في الرياض فلقب بأبي اليتامى . وكل الاحداث المشار اليها في هذه القصيدة قد فصلت باسهاب في ملحمة عيد الرياض.

حسامُــــهُ أَلَّـــفَ الأعضاء في جسدٍ ... لم يستفـــق مـــرّةً إلا على شَـــغَب
أجلى الطواغـــيت عن نجدٍ وصدَّهُـــمُ ... بكـلّ زنـدٍ مريـــر الفتـــل والـــعصب
وكـــــلّ سابحةٍ جرداءَ صافنـــــــةٍ ... وكـــلّ ملتهب الحدّيـــن ذي شُطَب
فأيقـــظ العـــزة الشمَّـــاء في بلـــدٍ ... طال السجود به للجَـــور والـــنُصُب
وأيقـــظ البـــدوَ من ضنكٍ ومتربـــةٍ ... فَرصَّعَ القفـــر بالعمـــران والـــعُشُب
كانـــوا قبائـــل أشتاتـــاً مُسَيّبـــةً ... فرائِسَ الحرِّ والأوبـــــــاء والسغب
الجهـــلُ قائدهـــم والنهب رائدهـــم ... فكـــل همِّهـــمِ في القتـــل والسلَب
كأنما قيمـــــة الإنسان عندهـــــمُ ... كَبْشٌ من الضأن أو رحْلٌ من الخشب
نامت عزائمهـــم عن كل مَكرمُـــــةٍ ... إلا عن العَـذْوِ خلـف البـازل الجَـرِب
الراحلـــون فلا ديـــن ولا وطـــن ... الراقـــــــدون على رثّ من الأهُب
أوطـانهم في ظهـــور النـــوق ظاعنـــةً ... كأنما خُلِقـــوا للحَـــلْب والطَـــنَب
فأقسمَ ابـــن سعـــودٍ أن ينزِّلَهُـــمْ ... في خفض عيشٍ على زاكٍ من التُـــرَب
أرضاً يُحبُّونَهـــا حتـــى تكَفَّهُـــمُ ... خضراؤها عن رياد المطعـــم الجشِب
الحبُّ أصدقُ ما تصغي النفـــوس له ... ومـــا يُمكّـــنُ في إغـــراء مُجتـــذَب
عبدُالعزيـــز وكم في العُـــرب خَالـــدةٍ ... من سيفه الفـرد أو من عقلـه الخصب

* * * *

يا فيصل الحرمين الأشرفين ومـــــا ... من رتبـــة فوق ذاك التـــاج واللـــقب
في ظلّ بيتكُـم اعتزَّ الحجـــاز وقـــد ... باتت قرابينكُـــمْ قُدسيّـــةَ القُـــرَب
يسَّرتُـــمُ الحجّ حتـــــى ودَّ قاصِدُهُ ... لو فاتـه الـركبُ أن يأتي على السُحُب
يلقـى مليكَ الهدى في صدر معبـدهِ ... مصلّيّـــاً خاشع السيمـــاء والهُـــدُب

جَلَّتْ وداعتُـهُ في البـيت متَّضِعـاً ... جلالَ هيبتـه في غايـة الأشب

يا غاسلَ الكعبـة الغـراء عن ورَعٍ ... وفَّـاكَ ربُّك أجـرَ العابـد الأرب

وجـادك الخير من كفّ الـرسول كما ... تحدَّرَ الغـيثُ من تلٍ إلى صَبَب

لكـم دفـعت عن الإسلام غائلـةً ... أذكَـى دَفائنَهـا مشـوى أبي لهب

في ظلِّ فيْصلـهِ زاد الحجـازُ عُلـىً ... وجـاز عن حازب الأحداث والنُـوَب

فعـاد قُطـراً منيعـاً آمنـا تَرِفـاً ... لا دُميةً قلقت في كفِّ مضطـرب

زَكـتْ مساجِـدُهُ دَرّتْ مَوارِدُهُ ... كغيـدقٍ من يمين الله منسكب

يا طالما رفدَ الشعرَ الحجـازُ فَمَـنْ ... عديـلُ حسانـه والعليـةِ النُـخَب

عن الحجـاز قبسنـا الضادَ حاليـةً ... إلى قريشٍ سَمتْ في الحسن والـنسب

تبـارك الله ما اسمى عجائِبَـهُ ... في مَهْبطِ الذكر شَعَّتْ دولـة الأدب

حسبُ الحجازِ فَخـاراً أنَّـهُ بلـدٌ ... أهـدى إلى الكـون طهَ كوكب العـرب

* * * *

آمـنتُ بالشعـر عُلـويَّ المدى شمـاً ... يختـارُ زُهـرَ قوافيـه من الشُهُب

آثرتُـهُ ملحمـيَّ السبك لا غَنِجـاً ... مُهلهَـلًا دَنِسَ الديبـاج والأرب

تلك البَهـارجُ لا فكـرٌ ولا دَسَمٌ ... أعـرى من القفر أو أخوى من القصَب

لمَّـا لآل سعـودٍ شدَّني قلمـي ... أيقـنتُ ان الخلود الـرحب منتدبِـي

فصغتُ من حَلبَـات المجد ملحمـةً ... فاتت شوامِخُهـا حِسبْـانَ مُرتـقب

لمَّا ذكـرتُ أبـا تركـي وصولتـه ... تَشَوَّفَ الأمـدُ الأعلى إلى أدبي

يا ربَّ ليـل غذوتُ الشعر من كبدي ... فيـه وأهـويتُ من سُقـم ومـن تعب

سبكـت ملحمتـي والـداء يهصرني ... يمتصُّ من مهجتي يأوي إلى عصبـي

زُرْق المبـاضع في عظمـي تنـاوشُهُ ... ما بين منـكسرٍ منها ومختضب
لو آهتـي عَبـرَتْ حمراءَ لاهبـةً ... لم يبقَ من عُشْبَةٍ في المنْبتِ العَشِب
عيـدُ الريـاض سبـقت الأولين بها ... فمن أتى لاحقاً يجري على عقبـي
سيهرم العصر بعد العصر منصرمـاً ... وهْـي الفتيَّـةُ لم تكهَـلْ ولم تَشِب
إنَّ الملاحـمَ لم تبرحْ منـاطَ يدي ... فكلمَّـا انـتسَبَتْ فاءت إلى نسبـي
لا البحتـريُّ شأى شأوي فجـاوزني ... قدراً ولا المتنبـي دأبـهُ دَأبي

* * * *

ياصاحبَ التاج إني جئت من جبـل ... بالأفق مكتَحِلٍ بالنـور معـتصب
تفتَّـح الأرز وافتـرَّتْ ذوائبُـهُ ... لمَّا تفـلَّتَ من أغـلال منتَـدَب
فبيضُ أطواده في الصبـح ضاحيـةً ... جَزائـرُ العـاج في بحرٍ من الـذهب
لبنـان للضيـف سهـلُ أفيـحٌ وأخٌ ... للعُرْب عند حلـول الخانـق الحزب
شعـارهُ الحبُّ إيمانـاً ومعرفـةً ... وأصدقُ الـودّ ودٌّ غيـرُ مُجْتَـلَب
إذ يقـرأ الشيخ في الإنجيل مُبتهجـاً ... وينعـمُ الحبر في قرآنـه الذهبـي

* * * *

وأرجو أن أكون قد وفيت قسطاً يسيراً مما يستحقه صاحب الجلالة المعظم يرحمه الله للمآثر والعلم والأخلاق .

بيروت ٢٥ مارس سنة ١٩٦٦ م ... **بولس سـلامه**

تعليقات وملاحظات

[هذه ملاحظات وتعليقات حول ظاهرتنا التاريخية السعودية الضاربة بجذورها بعمق في مجتمعها وشعبها والتى أثبتت ـــ بحمد الله ـــ قدرة غير عادية على البقاء والتجدد والازدهار تفرض واقعها وسلفيتها على العالم والزمن .كان لا بد من ابراز بعض الأحداث عبر مسيرة هذا التاريخ الطويل بكلمات وتعليقات تكون بمثابة نبراس للقارىء تنير له مضامين أخلاقيات قضايانا التاريخية التى وان حالت ضرورة سبك احداثها في القالب الشعرى الملحمي دون الإفصاح عنها !!

اخترت لها حيزا منفصلا عن عمل صاحب (الملحمة) حتى لا تختلط قيمة هذا الأثر الأدبي الخالد بتلك الملاحظات فأفسد على القارىء متعته في قراءة تلك الروائع وأبدو وكأني عثرة أمام انسياب جداول هذا العمل المتدفق في حقول أمجاد تاريخنا العربى الاسلامى ..]

(١) ابن سعود :

لقب يختص به القائم بالأمر من آل سعود .

ويستخدم رئيس البيت السعودي دائماً لقب أمام الذي يعنى الرئاسة الدينية والدنيوية .

ولما استخدم رئيس البيت السعودي لقب (سلطان) ثم لقب (ملك) اعتبرت تلك الألقاب متضمنة في مفهومها لقب أمام . فيقال (الإمام السلطان) أو (الإمام المللك) أو (الإمام) مجرداً دون إضافة . وأخيرا بعد فترة من الزمن غلب اللقلب الدولي (صاحب الجلالة) و (خادم الحرمين الشريفين) غير أن أهل نجد بصفة خاصة كانوا يلقبون الملك عبدالعزيز ومن بعده قديماً بلقب (الشيوخ) أو الإمام .

(٢) لقب الشيوخ :

استعمال شائع في الخليج وهو يعبر عن الحاكم المفرد باسم الجمع ويظهر لي أنه من وضع (القرامطة) الذين كانوا يحكمون الاحساء وما حولها وكثيراً من مناطق الخليج بصفة عامة .

(٣) الإمامة الكبرى :

أما بالنسبة للإمامة الكبرى فإن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رغم أنه كان يتولى التنظير وما يعرف بأعمال الدعوة والحوار الفكري وشئون الحرب الفكرية والحرب المسلحة طوال حياته فانه لم يعرف أنه أطلق عليه اسم (الامام) ، ذلك أنه رحمه الله لم يترك ثغرة مفتوحة أو مجالا للشك ، فقد كان يبحث عن أيد تبايعه وسلطان يشد أزره دائماً ، وكان الأمراء السعوديون يقدمونه بصفته صاحب الدعوة والمنظر لها ، وعندما كتب شريف مكة للامام عبدالعزيز بن محمد بن سعود الحاكم الثاني جاء الرد عليه من الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومع ذلك لم يحاول الشيخ محمد بن عبدالوهاب أن يحمل لقب الامارة أو الإمامة وذلك لاقتناعه بصلاحية الأئمة من آل سعود ، ولعلمه أيضا بأن الامارة نظام راسخ في المنطقة في بيوتات معروفة تتوارث النظام في الجزيرة العربية .

وما ان اشتد ساعد الحركة وقويت شوكتها وأصبح الشيخ محمد بن عبدالوهاب المواطن الأول في الدرعية والداعية المنظر (للسلفية) حتى سلم ما لديه من أمانة وعهد ، وسلم بالامارة وقواعدها وتوارثها ، وكان ابن عبدالوهاب في مقدمة المبايعين للإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود بعد وفاة والده الامام محمد بن سعود الأول ولا يعرف من خلال مصدر واحد أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب كان يطلق عليه الامام بمعنى الأمير أو القائم بالأمر وانما أطلق عليه ذلك اللقب فيما بعد تيمنا بالإمامة في الدين !!

(٤) أول من لقب بالسلطان من آل سعود :

أول من لقب بالسلطان من حكام الدولة السعودية الملك عبدالعزيز حيث عقد مؤتمر عام في الرياض عام ١٣٣٩ هـ من أهل الحل والعقد واتفقوا على تلقيب الملك عبدالعزيز (بسلطان نجد) وذلك من أجل رفع مكانة (نجد) الدولية ، وقد اعترف بذلك اللقب من قبل الحكومات والدول .

(٥) ملك الحجاز وسلطان نجد :

ثم تلقب بعد ذلك بملك الحجاز وسلطان نجد عام ١٣٤٣ هـ ثم ملك المملكة العربية السعودية عام ١٣٥١ هـ . وليس صحيحا ما قيل عن تنازل الملك عبدالعزيز عن لقب امام بعد فتح الحجاز لتسهيل أمور تتصل بقيادته ، وانما الأمر ما ذكرنا من أن لفظة امام في ولاة الأمر من آل سعود يعتبر من جملة الألقاب الطارئة من باب الأولوية .

(٦) مملكة عربية وزعيم يتكلم باسم العرب :

ان مصطلح (العربية) في جملة (المملكة العربية السعودية) تعبير جغرافي لا سياسي ولا صحة لما يقال من أنه من وحي بعض مستشارى الملك عبدالعزيز العرب فقد كان الملك عبدالعزيز يتكلم باسم العرب منذ أن كان أميراً بسيطا وقبل أن يعرف أمره ، وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى حاول الملك عبدالعزيز توحيد موقف العرب في الجزيرة بصفته أقوى أمير في وسط الجزيرة العربية ، غير أنه فشل في كل محاولاته . واستطاع وحده أن ينشيء دولة عربية إسلامية مستقلة دون أن يلطخ يده بعار طعن الدولة العثمانية من الخلف .

(٧) بداية الصراع بين الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية :

ولا ريب أن الحركة السلفية الأولى كانت تعبيرا قديما للمقاومة العربية بشكل خاص بل مقاومة شرقية أمام التفوق الأوروبي لاسيما بعد خروجها إلى العالم حولها .

وقد بدأ الصراع المكشوف بين الدولة السعودية الأولى وبين الدولة العثمانية منذ عهد الامام الثاني من ملوك آل سعود من الناحية السياسية أما من ناحية المبادىء فان ما اتفق عليه الامام محمد بن سعود والامام محمد بن عبدالوهاب كان موجها في الدرجة الأولى ضد القصائد السائدة في مجتمع الترك الذين كانت قد سيطرت عليهم الحركات الماسونية في هذه الحقبة من التاريخ .

ولم تستطع الدولة العثمانية حسم ذلك الخلاف بسبب عجز ولاتها وانتشار الدعوة حتى أن مؤرخي (نجد) في تلك الفترة كانوا يسمون الترك بالروم ، وهي تسمية عربية لاغبار عليها ولها مغزى سياسي في الوقت نفسه لأن الترك في تلك الفترة وبعد دخولهم القسطنطينية غلب عليهم تقليد أباطرة الروم البيزنطيين فتقمصوا روح الجور فلقبهم أهل نجد بذلك اللقب .

(٨) أول محاولة جادة للوحدة العربية :

واذن فان السلفية أو ما يسميه الأتراك في دعايتهم المضللة (بالوهابية) هي أول محاولة جادة لتحقيق الوحدة العربية عن طريق إعادة جذور تلك الوحدة إلى تراث الأمة واستلهام المبادىء التى كانت هي السبب في البروز الحضارى للعرب ، وليس الدعوة إلى الوحدة بالمفهوم الحديث الذى طرحه الغرب الاستعماري من خلال ارسالياته ومخابراته وجواسيسه أمثال (لورنس) و (عازورى) و (الحصرى) الذين ظلوا يتجنبون ادراج الدعوة السلفية في قائمة الأمجاد القومية لا لشيء الالأن تلك الدعوة تبوأت نهجا إسلاميا ، فحذفت من تاريخ الحركات القومية ولم يشفع لها كونها وجدت في بلاد لا يوجد بها غير المسلمين في الوقت الذى راح زعيم القومية (ساطع الحصرى) يتلمسها في لبنان عند (أنطون سعادة) .

(٩) أول شهداء العروبة :

يسجل تاريخ القومية أن أول شهداء العروبة هم أولئك الذين علق جمال باشا على صدورهم مكاتباتهم مع القنصليات الأجنبية ، ويتناسى هذا التاريخ المتحيز أول شهيد حقيقى يعلق رأسه ورؤوس اصحابه في اسطنبول . وهو الامام عبدالله بن سعود آخر حكام الدولة السعودية الأولى ، بعد أن قاد ثورة ناجحة وحرر جزيرة العرب وكانت ثورته وثورة آبائه نذيرا بسقوط الدولة العثمانية . ثم استأنفت تلك الثورة صراعها في ايام تركي الذي أخرج الغزاة المستعمرين من الجزيرة وطردهم منها .

لقد اختار شهيد العرب الأول وأحد شهداء المسلمين الامام عبد الله بن سعود الشهادة على أثر الحصار الذي فرضه عليه ابراهيم باشا باسم القوة التركية لأنه أصبح يلازم حالة نفسية معروفة لدى القواد العقائديين المخلصين عندما يتحققون أن الزمن ليس معهم وأن النصر أصبح من المستحيل فلا يستطيعون أن يتجرعوا جرعة الوقائع وهول الجزع فيفضلون الشهادة .

وانه من العار الفاضح على المؤرخ العربي أن يتغافل وأن يهمل الحقائق عن استشهاد هذا العربي المسلم الذى سجن وعذب وطيف به في الأسواق في شوارع (اسطنبول) ثم أعدم بعد ذلك وما ذاك الا تحيزا من الكتاب القوميين للثورة العربية المشبوهة التى خطط لها (لورانس) واعلنها الشريف حسين المؤيد بطبيعة الحال من العرب الآسيويين من السوريين والفلسطينيين وبعض قبائل الشمال الذين استغرب الملك عبدالعزيز وهو المصلح العربي المسلم للعروبة والإسلام ..

استغرب عبدالعزيز قتال أولئك العرب الى جانب الحسين وتساءل ما سر قتالهم لنا ؟ . وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى حاول الملك عبدالعزيز أن يوحد موقف العرب في الجزيرة لكنه فشل في تلك المحاولة .

(١٠) عبدالعزيز يستفيد من تحالف « ابن رشيد » مع الأتراك :

لقد استفاد الملك عبدالعزيز من تحالف الأتراك مع ابن رشيد ، ولقد فرض عبدالعزيز على خصمه ذلك التحالف الفاشل مع تركيا ثم الأشراف في الحجاز حتى تصفيته النهائية لآل رشيد عام ١٣٤٠ هـ ذلك ان الملك عبدالعزيز كان يعلم أي كره يبطنه أهل نجد حاضرتهم وباديتهم للعثمانيين كما كانت الكويت في ذلك الوقت تخشى عودة الأتراك ، فأدرك عبدالعزيز بفهم قوانين حركة التاريخ التي كان يعلمها جيدا ضرورة ربط مصلحته بالقوى الصاعدة المنتصرة .

(١١) انتصار سعودي خالص :

وهناك حقيقة يجب أن لا تغرب عن البال ، وهي أنه ما من شك أن الملك عبدالعزيز في كراهيته للأتراك العثمانيين كان لا يعكس حقدا تاريخيا أو وراثياً أو مسايرة للرفض العام من العرب والمسلمين لما آلت اليه حالة الدولة العثمانية بل أنه فوق ذلك كان يعكس عاطفة شعبية ومع ذلك فإنه لم يحارب الترك ابتداء بل لم يثبت أنه أطلق رصاصة واحدة ضدهم لحساب بريطانيا أو غيرها كما يشهد بذلك التاريخ ولقد وضع الملك عبدالعزيز معادلة دولية في اسقاطه حكم ابن رشيد وتتمثل تلك المعادلة في دفعه إلى محالفة الطرف الأضعف وإيهامه عن طريق جهله بالواقع الدولى أن يتصور بأن تركيا عدو تاريخي ضد آل سعود حتى أن الملك عبدالعزيز عندما دعى ابن رشيد إلى المصالحة أجابه ابن رشيد كيف يصالحك من بيده قوة الدولة ؟ فعند ذلك اظهر الملك عبدالعزيز لابن رشيد أنه منحاز إلى بريطانيا وهو في الحقيقة لم يحظ وقتها بأى علاقة مع بريطانيا بل أنها كانت تنأى عنه وترفض التحالف معه حتى الحرب العالمية الأولى .

ولهذا فإن انتصار الملك عبدالعزيز على خصمه عبدالعزيز الرشيد عام ١٣٢٤ هـ كان انتصارا سعوديا خالصا لا يدعى أحد أي شبهة حوله فلم يرفع الملك عبدالعزيز راية عثمانية ولا انجليزية بل رفع راية سعودية خضراء لم تتغير منذ ثلاثة قرون وكتب عليها (لا إله الا الله محمد رسول الله) .

(١٢) ما وراء « الوهابية » وحقيقة هذا اللقب :

ان مصطلح الوهابية لقب استفزازي استعمل قديما للإساءة للحركة السلفية التى نهض بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب واستمدت جذورها من الالتزام بنصوص الكتاب والسنة ، ثم تحول بعد ذلك هذا اللقب إلى لقب شائع يستخدمه المؤرخون وزوار البلاد من غير أهلها للتعريف بها حتى أصبح لقبا لا يحمل أى طابع مخالف حتى أن بعض العلماء من السلفيين قد استخدم هذا اللقب في عناوين كتبه حيث ألف سليمان بن سحمان رسالة أطلق عليها اسم (الهدية السنية والتحفة الوهابية) وألف الاستاذ عبدالله القصمي كتابا عن الحركة ــ قبل انحرافه ــ أطلق عليه اسم (الثورة الوهابية) وقد استعمل هذا اللقب أيضا الشيخ (محمد رشيد رضا) وهو أحد المؤيدين للسلفية في كتاب اسماه (الوهابيون والحجاز) .

(١٣) التوحيد قاعدة الفكر :

ولقد يدهش المرء وهو يدرس النتائج السياسية التى حققتها تلك الدعوة التى سماها خصومها (الوهابية) على الرغم من أنها لم تطرح في بدايتها أى مطلب يمكن أن يوصف بأنه سياسي بل ان كتب منظر الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ورسائله الخاصة والعامة لا تعطي أى انطباع بأنها تروم هدفا سياسيا ومع ذلك فقد أثارت هذه الدعوة انتباه الناس وأدخلتهم في جدل كاد ألا ينتهي حتى تحول ذلك الجدل العقيم حولها إلى قضية من أبرز القضايا السياسية في العالم الإسلامي لأكثر من قرنين من الزمان .

وليس لأحد من تعليل أمام هذه الظاهرة الا أن يفطن إلى الخاصية التى ينفرد بها الإسلام من بين الأديان حيث يجعل الإسلام الإنسان وسيلة وغاية محدودة وطريقا لغاية أعظم هي رضا الله وعمارة الكون ، كما يجعل من حياته المحور الذي تدور حوله شئون الدين والدنيا ، ولذلك كان (التوحيد) قاعدة الفكر وهو القوة المحركة والمواجهة لفلسفة نظام المجتمع .

(١٤) القــدوة « ابن تيميــة » :

دعوة محمد بن عبدالوهاب إلى التوحيد وإصلاح العقيدة هي التعبير الصحيح لفهم هذه الفلسفة ومن هنا كان ابن عبدالوهاب واتباعه من السلفيين الحقيقيين أكثر تقدمية ودفاعا عن حركة الإنسان وعن النظام الإسلامي .

ومن هنا كان المجاهد المجدد ابن تيمية (رحمه الله) قدوتهم في توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات مع أنه في الوقت نفسه بطل مقاومة الغزو التتري ومقاومة الفلسفة الصوفية الحلولية والصوفية القائلة بوحدة الوجود .

(١٥) ابن عبدالوهاب يفقه حركة التاريخ :

خذ مثلا الامام أحمد بن حنبل ، فانه قدوتهم في الفقه والعقيدة وهو خصم المعتزلة والمتكلمين والذي اذا صح الحديث عنده فهو مذهبه وله في كل مسألة أكثر من قول مدعوم بالأدلة والبراهين ، ويعتبر فقهه أوسع فقه عرف خلافا لما هو شائع ، لهذا فقد اصطدم السلفيون أتباع إبن عبدالوهاب بأكثر من مؤسسة فكرية ، وكان أشدهم خصومة ولجاجة في الباطل الصوفية والأشاعرة والمعتزلة محترفوا تجارة الولاية والخرافيون وسدنة القبور وعباد الموتى . فكان الطابع السياسي للحركة يتحقق بمجرد الانتماء للفكر الإسلامي الصحيح فهى حركة رفض وبعث جديد تتصف بالعنف الفكري أحيانا تعبيرا عن الرفض الشامل للواقع السياسي والاجتماعي معا ، ومن ثم كانت حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب صورة للصدام والتحرش بمعاصرية من العلماء وأشباه العلماء حول الأفكار الرسمية السائدة فتصدر رحمه الله للجدل والمناقشة وتصدى للقيادة الفكرية في زمنه .

وكانت مظاهر الوثنية آنذاك قد تفشت في أنحاء العالم الإسلامي والعربي ليس فقط في الاعتقاد في الأشخاص الموتى والمشائخ والأولياء المدفونين وأصحاب الطرق بل حتى في الاعتقاد الساذج في الأشجار والأحجار ، رغم توفر عدد من العلماء يعرفون الحق ويدافعون عنه ومن هنا فان محمد بن عبدالوهاب ليس (مبتدعا) من الناحية العقيدية لكنه من الناحية السياسية (مبدع) استطاع أن يفقه حركة التاريخ ويلوي عنق الأحداث التى كانت تأخذ برقاب العالم نحو التغريب .

(١٦) أعـــداء الدعـــوة :

ولهذه الأسباب كثر أعداؤه والمناوئون له ولدعوته .

لمـــاذا ؟

لأنها دعوة طبقت أحكام الشريعة الإسلامية حقيقة واتخذت من الحل الإسلامي منهجا

دستوريا وأخذ الناس يتخبطون في أمر تلك الدعوة حتى ان القنصل الأمريكي في عدن قد كتب لدولته على اثر دخول الملك عبدالعزيز للحجاز يقول ان (الوهابيين) يهدمون القبور في مكة وجدة لأنهم لا يؤمنون بالحياة بعد الموت . ولقد سبق هذا القـ سل الدعاية البريطانية التي ضخمت كل أفعال وأعمال السلفيين السابقين عندما غزا السـ ـديون الأوائل جنوب العراق وهدموا القباب والقبور بما فيها القبور المزعومة لآل البيت في ـ ربلاء ، وقد زعمت الدعاية البريطانية التى كانت لها مصالح في الشواطيء الإيرانية و (البحرين) وتهدف إلى تطويق السلفية أو ما تسميه (الوهابية) أو الزحف السعودى وركزت على الزعـ بأن تلك الغزوة موجهة ضد (الشيعة) في العراق و (ايران) وأن هدم قبة الحسين كان عمـ طائفيا كما صرح بذلك شاه العجم في زمانه .

ومع أن حقيقة الأمر لا يعدو أن يكون هدمهم لقبة الـ سين مماثلا لهدمهم قبة زيد بن الخطاب في نجد وطلحة والزبير في العراق وحواء وخديجة في ـجاز فلا فرق عندهم أن يكون ذلك القبر من المقامات التى يعظمها الشيعة أو من المقامـ التى يعظمها أهل السنة مما يدل على أن دعوى طائفية الدعوة السلفية أمر مرفوض لا صـ ـله وانما هو من تضخيم الدعاية البريطانية .

(١٧) أبعاد الخلاف بين السلفيين والشيعة :

حتى أن مؤرخي الدعوة السلفية عندما ذكروا ـزوات السعوديين لجنوب العراق وكربلاء والنجف لمن يذكروا أن ذلك من أجل وجود الشيعـ ـناك أو أنهم مقصودون دون غيرهم وانما كان الأمر يتعلق بمباديء تطهير العقيدة وازالة القبور والمعابـ الشبيهة بالوثنية وعند ذكرهم لمحاولة اغتيال الإمام عبدالعزيز لم يؤكدوا أن المغتال كان شيعيا وقد أسفرت الأبحاث على أن الاغتيال كان سياسيا من تدبير والي بغداد بالاتفاق مع الباب العالي كما ثبت أن الوثائق تدل على أن العراقي الذى اغتال الامام عبدالعزيز كان اسمه (الحاج عثمان) وهو سني المذهب ومعلوم أن عداوة عباس مرزا شاه العجم للدعوة السلفية ليس مرجعها إلى أنها دعوة سنية أو أنه يكرهها بدوافع شيعية وانما ترجع تلك الكراهية إلى بواعث سياسية وشخصية . وليس معنى هذا عدم وجود خلاف جذري بين (السلفية) السنية وبين (الفكر الشيعي) لكن الصدام بينهما لم يكن على أي حال طائفياً ، ولم يكن الخلاف بين السلفية والشيعة بأقل من الخلاف بينهم وبين غيرهم من أهل السنة الذين يؤمنون باقامة الأضرحة والتوسل بالأنبياء والصالحين وجواز الدعاء لغير الله أو القسم بغيره أو نفي أسماء الله وصفاته أو تأويلها أو تحريفها ..

وربما كان من ابرز ما يؤخذ على هذه الدعوة أن تاريخها يصف السلفيين وحدهم بالمسلمين وان من عداهم ليسوا بمسلمين وحقيقة الأمر أنهم ربما كانوا لا يرون كمال إسلام من لم يتقيد بالسلفية فاسموهم بغير المسلمين . وذلك انطلاقا من المفاهيم السلفية التي تحرم بناء القبور فوق الأرض وبروزها واتخاذ السرج والسدنة حولها ، سواء كانت تلك القبور معظمة من اهل السنة أو من الشيعة أو من الزيدية أو الصوفية ام من غيرهم .

اما الدعوة السلفية المسماة بالوهابية فلم تكن بالتأكيد حركة وطنية تريد انقاذ الجزيرة من خطر التحول إلى مستعمرة للغرب ولا هي في حقيقة الامر حركة عربية تريد انقاذ الوطن العربي بل انها محاولة جادة للاجابة على سؤال واحد فقط هو : لماذا يتخلف المسلمون ويتقدم غيرهم ؟

(١٨) هزيمة الدولة السعودية الأولى أمام تركيا :

ومع ذلك فلا نزعم أن تلك الحركة قد حققت نتائجها التى استهدفتها ولذا فان الأمر يقتضى منا أن نسأل : لماذا سقطت تلك التجربة العظيمة في دورها الأول عام ١٢٣٣ هـ ؟

وهل كان ذلك السقوط حتمية تاريخية أم نتيجة لأخطاء تكتيكية ارتكبها الامام الثالث سعود الكبير بلا ضرورة دينية ولا تاريخية ؟ وكيف استطاعت تركيا ان تلحق بالدولة السعودية الأولى تلك الهزيمة المنكرة التى لا يزال ظلها موجودا حتى اليوم مما اتاح للذين في قلوبهم مرض والكافرة ضمائرهم التساؤل بشماته كيف انتصر جيش الفسق على جيش المسلمين الأتقياء ؟ .

وليس لدينا الا ان نقول لأولئك : انظروا بعد مائة سنة أو اكثر ماذا بقى من ذلك الجيش المنتصر بزعمكم ؟ .

وماذا بقى من جيش (الدعوة) التى زعمتم أنها هزمت ؟ !

ولقد علل المؤرخون سبب سقوط الدولة السعودية الأولى وفشل تجربتها بعدة تعليلات لا تستند إلى حقيقة فبعضهم علل ذلك بعجز الدولة عن اكتساب (التكنولوجيا) والأسلحة الحديثة وقد زعم هذا القول الدكتور طه حسين ، وبعضهم علل ذلك بعدم المرونة في قيادتها وأساليبها في المواقف أمام الترك ، وبعضهم علل ذلك بالقضاء والقدر وكثرة الذنوب واعمار الدول وان كل دولة لا بد وان تنتهى . وعلل فلبى سقوط التجربة بكونها توسعت دون أن يكون له القدرة على التوسع .

أما التعليل الصحيح ــ في نظرى على الأقل ــ لسقوط التجربة الأولى فهو ما علل به مؤرخ معاصر هو الاستاذ / جلال كشك وهو قبول الدولة السعودية الأولى للاختناق المحلي وعدم تصديرها للدعوة خارج حدود الجزيرة حيث كان بالإمكان تصدير الرجال ومعهم العقيدة إلى البيئات التى تملك الموارد والقاعدة الحضارية القادرة على الدفاع والتطور والانتشار .

ولقد أشاع المؤرخون الغربيون أمام دهشتهم من نجاح الدعوة والدولة السعودية الأولى وهم الذين يبحثون عن اسباب غير عقدية للتعليل لأي نجاح يحرزه المسلمون ...

أشاعوا بأن مرد ذلك النجاح هو زواج الامام عبدالعزيز بن محمد الحاكم الثاني بابنة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فانجبت سعودا ، ولهذا السبب ارتبطت الاسرتان فيما بينهما مع أن هذا القول لم يورده أى مصدر معروف ، بل أن والدة سعود الكبير زوجة الامام عبدالعزيز هي بنت الأمير عثمان بن معمر ، وانما سقط المؤرخون الغربيون في فهمهم هذا سجعة جاءت على لسان المؤرخ ابن غنام والذى وصف الامام سعود بالسبط .

كما أشيع في كتابات كثير من الغربيين المؤرخين وجود اخبار عن اتصالين بريطانيين مع الدولة السعودية الأولى ، تم عقب سقوط الدرعية مباشرة ، كما جرى اتصال بعد وفاة الامام فيصل مع احد ابنائه سعود بن فيصل الذى حكم فترة قصيرة بعد تنحيته لأخيه عبدالله بن فيصل ومن المستبعد ان يكون بين الدولة السعودية الاولى وبين بريطانيا أى اتصال مباشر لأن ذلك يتناقض مع الوقائع التاريخية المعروفة حيث ضربت بريطانيا (القواسم) عام ١٢٢٤ هـ والقواسم يشكلون نوعاً من القوة البحرية للسلفية السعودية في الخليج وساحل عمان وشرقي افريقيا ، وكان القواسم دائما يستهدفون (شركة الهند الشرقية) من الاسطول البريطاني حتى ان بريطانيا اطلقت عليه اسم (القراصنة) ومعلوم ان القواسم يملكون معظم الساحل باستثناء (دبـــي) و (أبوظـــبي) .

وايضا فقد ارسلت بريطانيا (الكابتن سادليير) إلى الجزيرة العربية لغرض التنسيق مع ابراهيم باشا للقضاء على الحركة(السلفية) والتعرف على نوايا ابراهيم باشا تجاه الساحل الشرقي في الجزيرة .

(١٩) الاتصالات البريطانية بآل سعود :

وربما كانت الصلة الحقيقية بين بريطانيا والسعوديين في عهد الامام فيصل ، وقد تفاوض الامام فيصل مع (بيلي) المقيم البريطاني في (بوشهر) بهدف دعم العلاقات وقد اشار إلى هذا

الاستاذ حافظ وهبة في تاريخه وأبو عليه في كتابه عن الدولة السعودية الثانية .

وتدل التقارير البريطانية على أن (لويس بيلي) زار الرياض عام ١٢٣٥ هـ في اخر حياة الامام فيصل حتى انه لم يتمكن من تقديم تقريره الا بعد وفاة الامام فيصل أى بعد ستة اشهر من مقابلته للامام .

واقد اشار (بلجريف) في زيارته للرياض إلى وصف لكل واحد من أبناء الامام فيصل حيث وصف الامام سعود بن فيصل بانه يقود فريق المعتدلين أما أخوه عبدالله فيميل كما يقول (بلجريف) إلى اهل الدين المتعصبين .

كما وصف تقرير بريطاني مصدره سفارة بريطانيا في (اسطمبول) سعود بن فيصل بانه كان نموذجا كاملًا للأمير العربي وبانه كان طويلًا ورشيقاً وجميل الصورة صريح الحديث ومبسوط اليد كريماً .

كما أشار هذا التقرير إلى انه قد تلقى مساعدات بريطانية من الانجليز في حربه ضد أخيه عبدالله الذى كان مدعوما من الترك ، وانه أي سعود اخطر على أخيه من أي مزاحم آخر وقد نال سعود اعجاب البريطانيين ، وتحالف مع إمام مسقط وشيخ البحرين واستطاع أن يبقى أخاه في حرب متصلة حتى اسقط حكمه !

(٢٠) هل اتصل السلفيون بنابليون ؟

كما يقال أن هناك اتصالا من الفرنسيين بقيادة الحركة السلفية في (الدرعية) وانه قد تم تبادل رسائل بين الامام سعود الكبير وبين نابليون وهو ليس ببعيد ، وان كان التاريخ المحلي لم يسجل شيئاً من هذا فإن المعروف ان (نابليون) قد ذهب في اتصالاته بامراء المسلمين إلى انحاء كثيرة من الدنيا ومع هذا فلم يحفظ التاريخ العالمي ما يدل على ان تلك الاتصالات قد اخذت مأخذ الجد أو خرجت عما يعرف بجس النبض وسياسة الكسب ...

ولقد تدفق المستشرقون الغربيون على نجد منطقة الحركة السلفية للدراسة والتحقيق مما يجري هناك ليعرفوا هل ذلك بعث جديد أم يقظة الموت ؟ !

وقد سجل التاريخ أن أول قادم إلى نجد (كرستن بيبور) الذي استطاع أن يدرك أهمية الحركة السلفية وان ينقل صورة صادقة عنها للأوربيين ، وذلك عام ١١٦٥ هـ ثم اعقبه (منغو) الذي تسمى بالحجاج (علي العباسي) أو علي بك وذلك عام ١٢٢١ هـ وقد سجل صورة صادقة لدخول الامام سعود بن عبدالعزيز الحاكم الثالث للدولة السعودية الأولى إلى مكة المكرمة وتحدث عن سلوك جيشه وأخلاقهم الحميدة ، ثم بعد ذلك وصل إلى مناطق الحركة (بور كهارت) الذى سمى نفسه الحاج موسى وسمى نفسه وبعض اتباعه الشيخ ابراهيم ثم قدم بعدهم (بلي) في عهد الامام فيصل بن تركي . و (وبلنت) ، وبلجريف وغيرهم من المستشرقين والمكتشفين السياسين !

(٢١) الامام تركي بن عبدالله يؤسس الدولة السعودية الثانية:

لقد أجمع المؤرخون على أن الامام تركى بن عبدالله بن محمد بن سعود هو مؤسس الدولة السعودية الثانية وهو الجد الأعلى للعائلة المالكة اليوم ، وقد استحق هذا الدور بكل جدارة . ويخطىء بعض المؤرخين الذين يسلبون هذا الامام حقه لمجرد قصر مدته أو لمجرد استئناف محاولة الحكم السعودي من غير البيت أو لانقطاع فترة الحكم ، وقد نسي هؤلاء المؤرخون أهم نقطة جعلت من هذا الامام قائدا فارسا حقيقيا للدور الثاني،وهذه النقطة هي استئناف هذا الامام لرسالة البيت السعودي ونشر الدعوة السلفية واصرار هذا الامام على اتباع سيرة آل سعود الأوائل من نشر العلم وتأسيس دوره وبعث الوعاظ والقضاة والمرشدين وازجاء النصائح والخطب في المناسبات وتذكير الرعية ونصحهم .

(٢٢) مأساة النزاع على السلطة بعد وفاة تركي :

ولا ريب أن الدور الذي لعبه انشقاق البيت السعودي على نفسه قد عجل بالانهيار كما لا ريب ان تاريخ الانهيار كان قديما منذ عهد الامام عبدالله بن سعود آخر حاكم في الدور السعودي الأول حيث بدأ صراع الأخوة والأعمام ، ووصل هذا الصراع ذروته بعد وفاة الامام فيصل بن تركي حينما حدثت مأساة النزاع بين ابنيه عبدالله وسعود ...

وعلل المؤرخون ان انتصار الملك عبدالعزيز هذا الانتصار الرائع كان مرده حسم الامر داخل بيته ، ولعل الفضل في ذلك يرجع إلى حنكة الامام عبدالرحمن والد الملك عبدالعزيز وخبرته الطويلة بشئون الحكم ذلك الذى نشأ طول حياته يكافح ويصارع ليعيد للبيت الذى مزقته

الخلافات قدرته ، وأخيرا نفض يده مقتنعا بان الأقدار أكبر من هم الرجال !!

ومن هنا لم يقبل عن قصد وخبرة عرض ابنه الصالح الملك عبدالعزيز التنازل له عن الحكم بعد استيلاء عبدالعزيز عليه فكان تدبير الامام عبدالرحمن بذلك الرفض عبقرية سياسية .

فقد أدرك بذكاء أن انتصار ابنه ليس انتصارا لذلك الابن وحده بل هو انتصار للأسرة ومبادئها ، ولهذا نجح عبدالعزيز في استعادة الملك بعد ان نفخ الروح في بيت فقد الحيوية ودمرته الأحداث ، وهو الذى خطط ونفذ فكان الأولى بالامامة والقيادة ، ولذلك التفت حوله الأخوة والأعمام دون منازع .

(٢٣) عبدالعزيز ورث الحنكة عن أبيه :

كان عبدالعزيز يؤمن كل الإيمان أنه يقود حركة سلفية شبيهة كل الشبه بالحركة السلفية الأولى ، وكان يقول نحن أصحاب رسالة قبل أن نكون بيت ملك ، ولقد استخدم في صراعه لتوحيد الجزيرة نفس الأساليب والشعارات التى كان اسلافه يعتمدونها ولكنه لم يكن يمارس دعوته في ظل التشنج والاهتمام بالشكليات ، ولقد سمح مرة ان يتحدث متطرف في مجلسه عن طول ثوب الامام وأنه خلاف السنة فأمر بقص ما تجاوز الحد ، لكنه قطع رأس ذلك المتطرف وجماعته عندما تجاوزوا الحد وهددوا الأمن والاستقرار وخرجوا على واجبات الرعية تجاه الراعي وولي الأمر .

(٢٤) سقوط الرياض وخروج آل سعود إلى المنفى :

في الوقت الذى تقاسم فيه آل رشيد مع آل سعود ما تبقى من الدولة السعودية الأولى وكانت هناك فترة من الرضوخ للأمر الواقع بالنسبة للسلطنة التركية الشكلية فكان السعوديون يدفعون بعض الاتاوه للولاة الاتراك ولم يحدث أن وجه السلطان التركي أى مساعدة لقمع الفتن في نجد بل لم يقدم أية مساعدة للنجديين المنشغلين بمقاومة الانجليز الذين بدأ نجمهم يتصاعد في أفق الخليج وساحل عمان ثم تصاعدت الاحداث التى انتهت بانهيار الدور السعودي الثاني وسقوط الرياض وأخيرا خروج آل سعود إلى المنفى .

(٢٥) صراع ابن سعود وابن رشيد لم يكن دينياً :

وعند ذلك بزغ نجم آل رشيد في مطلع عهد الامام فيصل بين تركي ، وظل نفوذهم يقوى ونفوذ آل سعود يضعف ويخبو إلى أن تمت السيطرة لآل رشيد الذين ـــ مع كل هذا ـــ لم يحاولوا

ابدا انكار زعامة البيت السعودي ، ولم يحاولوا ان يدعوا الامامة او يفسدوا مسار السلفية وكانت علاقتهم بالبيت السعودي طيبة مدة حياة الامام فيصل بن تركي إلى أن وصل الأمر بأن دعوا إلى الرياض على أثر التمزق الذي حدث في البيت ـــ ومن هنا فإننا لا نستطيع (ونحن نحلل حقائق التاريخ) ان نصف الصراع بين آل سعود وآل رشيد بأنه صراع ديني أو وطني ، ولكن يمكن أن يوصف ما حصل من صراع بينهما بأنه نوع من الحرب الأهلية بين بيت له الأمامة والسيادة الشرعية وبين بيت اخر اقام له سيادة فعلية اكتسبها نتيجة ظروف دون أن تكون له يد في خلق تلك الظروف .

وانما الأمر ضرورة تاريخية بررتها آثار انهيار السلطة السعودية ، ولهذا فإن زوال امارة آل الرشيد ليس مفاجأة تاريخية وانما هو انتصار حتمي للوريث الشرعى املته نفس الضرورة والحتمية التاريخية التى استقدمت الأمارة الرشيدية واستضافتها فترة من الزمن .

(٢٦) عبدالعزيز أمام جهل ابن رشيد الدولي ! :

كانت (استراتيجية) الملك عبدالعزيز للوصول إلى هدفه حتى الحرب العالمية الأولى هي سياسة طى البساط إلى عاصمة آل رشيد مع تثبيت قدمه ووضع المعادلة الدولية في صفه بدفع خصمه بقوة إلى الانسياق وراء عجلة الطرف الأضعف عالمياً ، وقد استساغ ابن رشيد ذلك مدفوعا بجهله الواقع الدولى وبتصوراته التاريخية للدور الذي لعبه الاتراك في ازالة الدولة السعودية .

ولقد استفاد الملك عبدالعزيز أيما استفادة من تحالف الاتراك ومساعدتهم لابن رشيد بتحييد كثير من القبائل وكره بعضهم الاخر لابن رشيد تبعا لكراهيتهم الاتراك كما تعاطف امير الكويت مع ابن سعود خشية ان يعود الحكم التركي إلى الكويت .

(٢٧) النصر لصاحب الهدف والرسالة :

أما العنصر الأساسى لانتصار الملك عبدالعزيز على ابن رشيد فيعود إلى طبيعة جذور البيتين واختلا ف تاريخهما وكان يستحيل ان ينتصر ابن رشيد بعد ان انتصر البيت السعودي صاحب الرسالة والهدف ، فلم يزل عبدالعزيز يفرض التحالفات الفاشلة على حائل من حلف مع الاتراك إلى حلف مع الاشراف في الحجاز إلى ان تمت تصفية الامر عام ١٣٤٠ هـ بفتح حائل ونقل من تبقى من العائلة الرشيدية إلى الرياض معززين مكرمين .

ولقد كانت الحسابات والمعادلة التى وضعها عبدالعزيز للانتهاء من القضية الرشيدية قد حسبت بإتقان وفهم ، فعندما قامت الحرب العالمية الاولى والحت بريطانيا على الملك عبدالعزيز في ان يشارك في المجهود الحربي مقابل المال والسلاح الذي يحتاج اختار ان يحارب ابن رشيد ، وتظاهر أن ذلك استجابة منه واسهام في الحرب بينما يعرف سكان الجزيرة العرب ان ازالة ملك إبن رشيد هدف سعودي خاص ، وبذلك تخلص من الاحراج البريطاني وتحقق له ما اراد وفي الوقت نفسه لازال متمسكا بعهده أن لا يكون مخلب قط في يد بريطانيا تجاه دولة يقول عنها عبدالعزيز أنها ترفع شعار الاسلام وتنتسب للخلافة .

وقد رضيت بريطانيا بذلك القدر الذي ضمن تحييد شمر وكف شرهم ضد الحملات التركية على العراق آنذاك .! .

(٢٨) أشاع عن نفسه صداقة الانجليز :

الغريب في الامر ان الملك عبدالعزيز نفسه قد اشاع ما يتهمه به الخصوم من أنه صديق للانجليز ليستثمر هذه الاشاعات لصالحه ، ومع ذلك فإننا نطالب الخصوم أن يقدموا لنا موقفاً واحداً ثبت من خلاله ان الملك عبدالعزيز قد ضحى بمصلحة سعودية او عربية او اسلامية في سبيل ارضاء بريطانيا بل ان المؤرخ سيلاحظ دون عناء ان الملك عبدالعزيز يضرب بالنصائح البريطانية عرض الحائط وانه استطاع بذكاء ان يوظف الاهداف البريطانية لخدمة أهدافه هو ، وانه ما من حاكم عربي استفاد من صداقة بريطانية مثل ما استفاد عبدالعزيز .

لقد صالح الملك عبدالعزيز تركيا سنة ١٣٢٢ هـ رغم رفض بريطانيا ونصائحها المتكررة . ولقد ضم اقليم (الأحساء) ومقاطعة (تربة) وفتح (حائل) رغم كل تحذير وتهديد من الصديق الانجليزي وقد تعود الملك عبدالعزيز بنظرته ان يوظف التناقضات العالمية وان يفرض إرادته على الوفاق العالمي واجبار الكبار على احترام منهجه دون عناء !!

(٢٩) ماذا عن معاهدة ١٣٣٤ هـ :

دعك مما وجهه البسطاء والاغبياء عن تلك المعاهدة التى عقدها الملك عبدالعزيز بينه وبين بريطانيا عام ١٣٣٤ هـ . ثم ألغاها بعد أن استنفذت اغراضها وفي المقابل دع عنك كل تلك

التعليلات والتبريرات التى ساقها المدافعون البلهاء في تفسير تلك المعاهدة ، فهى معاهدة شبيهة إلى حد ما بالمعاهدات التى توقعها بريطانيا مع شيوخ الخليج دون شك !!

ان فلسفة عبدالعزيز في توقيعه تلك المعاهدة مع علمه بمدلولها هي ان يحمى نفسه من بريطانيا ببريطانيا نفسها عندما فتح اقليم الاحساء ، كما انه كان على ابواب حرب عالمية تفقد كل منطق وفلسفة فلم يكن بد من تلك المعاهدة وهذا خير تفسير وتبرير لها .

ان الملك عبد العزيز كان يفهم حركة التاريخ جيدا ، لذلك ربط مصلحته بالقوى الصاعدة في زمانه ، وهذا أهم فرق بين الذكاء والعمالة ، والدليل المادي على هذا الاستنتاج أنه استطاع أن يتخلص من بريطانيا وصداقتها في وقت مناسب ليبدأ علاقة جديدة مع القوى السياسية الصاعدة .

وليس من المبالغة أبدا أن نقول ان الملك عبد العزيز لم يدخل معركة خاسرة ، ولم يستطع أحد جره إلى معركة خاسرة اللهم الا اذا استثنينا اشتراكه في حرب فلسطين عام ١٣٦٧ هـ التى لم يكن زمامها في يده ولا القرار قراره ولا التدبير تدبيره ، لأنه لم يتعود في تاريخه الطويل الدخول في مغامرات طائشة ، ولم يستجب لاغراء غير محسوب العواقب والنتائج ، وهذا هو سر عظمته رحمه الله .

(٣٠) راية لم تتغير خلال ثلاثة قـــرون :

بل أنه لم يتعود أن يرفع راية انجليزية ولا عثمانية ولكن راية سعودية لم تتغير ثلاثة قرون من الزمن .

ولقد استطاع ان يستوعب أصدقاءه الانجليز المباشرين حتى أن الكابتن « وليم شكسبير » وقع تحت منطق عبدالعزيز وسحر تأثيره حتى كاد يفقد منصبه بسبب انسياقه مع أهداف عبدالعزيز وهذا (فلبي) صديق عبدالعزيز الذي أسلم واتهم بتحيزه للملك إلى درجة العمالة .

قد انتهى به الأمر إلى أن يصبح في حاشية الملك يجلس بين الراغبين في الجلوس بإذن أو بدون إذن ، يتحدث في شئون المجتمع والسياسة علنا على مرأى ومسمع ، وربما سفه عبدالعزيز رأيه حتى يتصبب عرقا وأحيانا يطري الملك فطنته وعلمه وذكاءه وقوة ملاحظته على مرأى وسمع من بقية الحاشية !!

(٣١) هكذا استطاع أن يغير مجرى التاريخ :

لقد غير عبدالعزيز مجرى التاريخ حيث حرصت بريطانيا كل الحرص على تقسيم الوطن العربي إلى دويلات وكيانات واتخذت من الحسين بن علي أداة لهذه الغاية فاستطاع عبدالعزيز وحده أن يعكس مجرى هذا الحدث وان يقيم أول وحدة عربية بالارادة العربية السعودية لا بقرار أوربي الصنع ولا بموجب اتفاقية برقم وتاريخ .

(٣٢) قوى محلية لاسقاط الشريف :

فبعد سقوط حائل ونهاية حكم آل رشيد وجه الملك عبدالعزيز اهتمامه في الدرجة الأولى نحو شريف مكة وقرر من أجل هذا الاهتمام أن يتخذ نحو هذا الامر التعامل بالقوى المحلية ضد المعادلة الدولية شديدة التحيز للشريف حسين ، فقد اعتبرت بريطانيا الشريف حسين وأولاده رجالها في عملية ميراث القسم العربي من جسد الدولة العثمانية والمنتهية وهي لا تريد مطلقا أن تقيم أي تفاهم مع نجد ولا سلطان نجد في هذه العملية بل انها ارادت صرف انتباهه لما يجري باشغاله بحروب بن رشيد وفتح (حائل) فسربت أخباراً للملك عبدالعزيز مفادها أنها لم تعد تهتم بابن رشيد ولا بالاتراك أيضا لأن تركيا قد أصبحت خارج نطاق اهتمامها .

ثم انشغلت بريطانيا بتقسيم الفيىء وتوزيع الاسلاب وقررت حرمان عبدالعزيز لأنه لم يشترك في مطاردة الفريسة . كما قرر مؤتمر بريطاني عقد في القاهرة عام ١٣٣٤ هـ اقتراحا باعانة الملك عبدالعزيز بشيء من المال اذا قرر الهدوء وكف عن التحرش بابن رشيد وابن صباح ولم يعد يثير المشاكل للحسين في الحجاز فما كان من الملك عبدالعزيز الا أن قرر فتح حائل بسرعة مذهلة قبل أن ينفض مؤتمر القاهرة ، يؤيده العقلاء من شمر حتى من بيت ابن رشيد نفسه بعد أن ادركوا أن بريطانيا تريد اقامة كيان هزيل باسم الحاجز بين ابن سعود والعراق .. ويتولى ذلك الكيان البيت الرشيدي .

(٣٣) لحـــوم الفريســة :

وفي الوقت نفسه كان أكلة لحوم الفريسة من القوميين العرب المنحازين إلى الثورة العربية التي يقودها (لورنس) فكرا وأعلنها الشريف حسين شعارا يؤيدون الحسين علناً وقد تزايد هذا التأييد بعد أن أشيع في منطقة الهلال الخصيب أن الانجليز بدأوا يتخلون عن الشريف حسين بسبب معارضته لوعد (بلفور) .

عند ذلك قرر الملك عبدالعزيز أن يطالب الشريف بتخطيط الحدود مع الحجاز فثارت ثائرة ملك العرب ورفض بشدة لأنه لا يعتبر نجدا الا من بعض رعاياه ولأنه يسعى الى تدمير الدولة (السلفية) فكيف يستجيب لمطالبها؟ وبدأ عبدالعزيز يمطر الحسين بن على بعدد من الرسائل ذات الاسلوب الغريب في رسائل آل سعود ، وتبدو وكأنها من كتابات الولاة للأسياد في(استانبول) ولما لم يستجب الشريف عقد في الرياض مؤتمر يضم أهل الحل والعقد وقرروا تلقيب الامير عبدالعزيز(بسلطان نجد) لرفع مكانة نجد الدولية . وكان الملك عبدالعزيز قد أعد للأمر عدته بانجاز عظيم هو مشروع معسكرات جيش التحرير والوحدة (الهجر) تلك القوة التى قلب بواسطتها كل المعايير والمعادلات الدولية واكتسح بها كل توقعات النفوذ الأجنبي .

(٣٤) وحـــي التجربة الفــذة:

واستطاعت تلك التجربة ان تكون أفضل حركة دينية وانقى نهج من أي حركة أخرى في العالم الاسلامي وقد استوحى الملك عبدالعزيز فكرتها من ثقافته الدينية وتاريخ أسرته واستيعاب التاريخ العربي الاسلامي العام ، ولأنه كان قد انتهى أمر هذه الحركة وفقا لحركة القانون التاريخي المتكرر وهو أن كل جيش له مهمة سياسية أو عقائدية لابد في النهاية أن يدخل مع قيادته عقب النصر في جدل ينتهى إما بتصفية القيادة واما ان يستولى الجيش ، وهذا ما حدث ويحدث دائما ، وكان من المستحيل أن تصفى تلك الحركة عندما أخطأت وانحرفت إلا على يد مخترع قدراتها الفكرية والتخطيطية .

وان من الوهم السائد اعتبار تلك الظاهرة الاخوانية مشروعا توطينيا زراعيا استنفذ اغراضه بعد الحصول على نتائج جيدة كما يقول البلهاء ، كلا فان تلك الحركة مدينة للملك عبدالعزيز بالتأسيس والتخطيط فهو الذى اعطاها شكلها ومضمونها وغير بها وجه التاريخ ، فلولاه ما كانت تلك الحركة ذات النهج العقائدي العسكري التي استطاعت ان تحقق وحدة الجزيرة وان تنشر الأمن في ربوعها .

بذلك الجيش القوي العقائدي اصطدم الملك عبدالعزيز بالحسين في عدة معارك انتهت باسدال الستار على حكم الاشراف في الحجاز ، وتحدث التاريخ العربي الملوث بالاكاذيب والاراجيف ضد ذلك الجيش وسلوكياته أثناء الفتح ، ثم اتضح بعد ذلك أن ما ينقله التاريخ الملوث ليس اكثر من صناعة بريطانية تولتها (رويتر) وروجها (المقطم) وجريدة (التايمز) الهندية مما دفع بريطانيا ان تستقدم عام ١٣٤٥ هـ في عدن عدداً من الهنود الخرافيين من سدنة

القبور ومحتكري أضرحة الأولياء في عدد من البلاد الاسلامية والعربية لإلقاء محاضرات وطباعة كتب عن فظائع جيش الأخوان (الوهابي) كما يقولون .

ولقد اعاد أولئك المرتزقة أكاذيب كل ما قيل عن الدولة السعودية الاولى أيام الأتراك العثمانيين وأنصارهم .

(٣٥) فكـــرة التدويـــل ودبلوماسية عبدالعزيز :

ما زال عبدالعزيز وراء اهدافه ، فعندما دعا إلى تدويل مكة المكرمة على اثر إخراجه الأشراف منها كان ذلك دبلوماسية منه فقد نما إلى علمه أن بعض اعيان جدة قد سعوا في طلب الحماية البريطانية ، ففاجأهم عبدالعزيز بطرح فكرة التدويل حتى تطمئن افئدتهم الزائفة من ناحية وان يسد الطريق أمام المحاولة الانجليزية حيث سيجعلهم في مواجهة العالم الاسلامي وكان ذلك لأسباب آنية فقط ، ولهذا سرعان ما ألغى تلك الفكرة ودمج الحجاز بكامله داخل السيادة السعودية الاسلامية ، مما أذهل (بولارد) القنصل البريطاني في جدة ، وعلى اثر ذلك بالتحديد في يوم الجمعة ٢٥ جمادى الآخرة عام ١٣٤٤ هـ في ١٠ يناير اجتمع أعيان جدة ومكة وأعلنوا بيعتهم لعبدالعزيز الذي قبلها في مشهد اسلامي متواضع عند باب الصفا بالمسجد الحرام حيث وقف عبدالعزيز على سجادة صغيرة يتقبل البيعة ومدفعية مكة تطلق طلقاتها ابتهاجا بهذا العهد الميمون .

ولم يكن الملك عبدالعزيز في حاجة بعد ذلك إلى ان يوضح موقفه تجاه تأثر بعض العناصر في العالم الاسلامي أو ان يشرح لمواطنيه أو للعالم العربي تأثير ذلك الاجراء على (لندن) و (باريس) و (عــدن) و (البحرين) و (البصرة) و (الكويت) و (وعمان) .

(٣٦) يمزق خـارطـة التقســيم ويرسم خارطة المملكة :

كانت الخريطة البريطانية التى اقرت في مؤتمر القاهرة عام ١٩١٩ م تنص على ان تكون مملكة الحجاز للشريف ، وتوضع عسير تحت السيادة الهاشمية منعاً لتآمر حكامها مع الطلياق أما سلطنة نجد فيتم تحجيمها لمنع الخطر (الوهابي) وتدعم امارة ابن رشيد لتكون حاجزاً بين ابن سعود والعروش الهاشمية فكانت بعض الأطراف العربية سعيدة بذلك وموافقة للتنفيذ الا عبدالعزيز الذي مزق تلك الخارطة ورسم خارطة جديدة اسماها المملكة العربية السعودية .

(٣٧) عســـير وســـهول تهامـة :

عسير منطقة غامضة التاريخ وحدودها مبهمة على نحو ما . وكان غالب سكانها قديما من العرب القحطانيين .

وعسير اسم يشمل سهول تهامة حتى الموانيء المعروفة المخلاف السليماني ، كما يشمل الجبال والمرتفعات بما في ذلك وادي نجران وقد اقترن اسم عسير بالادارسة وآل عائض .

وان كانوا حكاما غير اصلاء في تلك المناطق لكن هذا الاقتران على الاقل كان في عهد الملك عبدالعزيز وما قبله بقليل . فالادريسي صوفى قدم من المغرب من مدينة فاس على اثر سقوط الدولة السعودية الأولى وكان قدومه عام ١٢٤٦ هـ ونزل في صبيا شرقي جيزان ويظهر أنه قدم مع المغاربة الذين انخرطوا في جيش محمد علي الذي جاء لاكتساح (الدعوة السلفية في نجد) واسم هذا الاريسى أحمد وكل من ينتسب للادريسى فهو من (حسين) من ولد فاطمة الزهراء شاء علم الانسان أم لم يشأ وعندما مات في صبيا اقام ولده عليه قبة تزار وظل ولده يجمع النذور ويحيى طقوس الصوفية على الطريقة السنوسية في فترة التدهور السياسي والديني الشامل في العالم العربي والاسلامي . وقد تولى هذا الصوفي امارة عسير كلها برضاء الدولة العثمانية وكانت امارة مفتعلة دون اساس أو تاريخ او رسالة ومثل جميع الكيانات التى لا اساس لها استقامت تلك الامارة بالارادة الخارجية والدعم الاجنبي مع الطليان أولا فدعم بالمال والسلاح وبدأ يشاغل الأتراك واحتل ما تبقى من تهامة من الحديدة إلى جنوبي القنفذة وحاصر جنود الأتراك عام ١٣٢٩ هـ ثم بدأ يأخذ المال من الايطاليين ضد الأتراك ثم من الانجليز ضد الأتراك ، وفي الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٣ هـ كان أول حاكم عربي حالف الانجليز وكانت مهمة مصطفى الادريسى منع الأتراك من استخدام موانيء البحر أو جزيرة فراسان ثم سلمت الحديدة له بعد احتلال الانجليز وبعد الحرب وجد نفسه بين طاحونتين : الملك حسين الذي استأثر وحده بمجد حرب الأتراك وسمى نفسه ملك العرب ... وملك اليمن الذي تخلص لتوه من الخطر التركي ، فالتفت الادريسى فلم يجد من يستند إليه الا الملك عبدالعزيز فوضع نفسه وأولاده وبلده تحت وصايته عام ١٣٣٨ هـ ثم انقلب بعد عام عندما بدا له أن موقف الشريف هو اقوى فانقلب ضد بن سعود وانتهز الامام يحيى فرصة انشغال الملك عبدالعزيز بشريف مكة فاقتطع الحديدة وميدى من الادارسة وحاول الادريسى التفاهم مع امام اليمن لكن مطامع الامام لم تقبل هذا التفاهم فما كان من الادريسى الا ان عاد مكرها إلى الملك عبدالعزيز واضعا عسير كلها تحت حمايته بموجب معاهدة .

لقد كانت هذه المعاهدة احدى التوفيقات التى لازمت عبدالعزيز فقد صادف عند توقيعها ان كانت ايطاليا وبريطانيا تتفاوضان على المصالح في منطقة البحر الاحمر ، وكانت ايطاليا تطالب بعسير وقبل الاتفاق حدثت هذه المعاهدة .

والعجيب في الامر ان المفاوض في تلك المعاهدة مع الادارسة من قبل الملك عبدالعزيز هو البطل أحمد السنوسى بطل المقاومة الليبية المسلم الثوري الذي لجأ الى الملك عبدالعزيز فرحب به وطلب منه ان يكون احد مستشاريه في الشئون الدينية والاسلامية .وقد بدأ عبدالعزيز تسييره للأمور بازالة قبة جدهم الادريسى وفقا للتعاليم الاسلامية التى تحرم رفع القبور واقامة المساجد والسرج عليها واصبح ابن سعود بعد توقيع المعاهدة عام ١٣٤٤ هـ في خط المواجهة مع كل من أمام اليمن ، وايطاليا وبريطانيا .

(٣٨) مخـاوف امـام اليـمن :

فقد تخوف امام اليمن من تصاعد القوة السلفية التى كان يدعوها (بالوهابية) فتقضي على مطامعه في عسير وتستعيد الأراضي الخاضعة للادريسي والتي ضمتها اليمن حين ضعف الادارسة وازدادت مخاوف الامام لان المعاهدة قد نصت على ان حدود عسير هى ما ورد في معاهدة سلطان نجد مع الامام الادريسي محمد بن علي عام ١٣٣٩ هـ .

وبدأ الملك عبدالعزيز يتذمر من النفوذ الايطالي في اليمن الذى استفزه كثيرا كما بدأ الامام يحيى يتحدث عن استفزازات سعودية تتعلق بسيادة اليمن ، واعتقد الامام ان الوفد الذى ارسله الملك عبدالعزيز الى صنعاء كان غير صادق النية في الوصول إلى تسوية وانما الهدف من ارساله كسب الوقت وزعم ان عبدالعزيز يزمع احتلال عسير كلها والاعتداء على حدوده .

(٣٩) بريطانيا وايطاليا وراء الفتـنة :

وتتتابع الأحداث وتنشط مؤامرات الهاشميين مرة أخرى بقيادة حزب الأحرار الحجازي عام ١٣٥٠ هـ وتدخل العلاقات البريطانية السعودية أسوأ مراحلهافيتصل هذا الحزب بالادريسي المتقلب عن طريق الدولية الايطالية ويقال له أن ابن سعود سينشغل عنه بحرب وشيكة في الشمال فاضرب ضربتك في الجنوب ، وها هي ايطاليا إلى جانبك والحكومات الانجليزية تكره إبن سعود

وتكره طموحاته التوسعية ، وتأكيدا لذلك أشعل الحزب حركة حمود بن رفادة في الشمال لمشاغلة الملك عبدالعزيز فقرر الادريسي الثورة على مندوب بن سعود في جيزان وطرده مع الموظفين السعوديين فما كان من الملك عبدالعزيز الا ان بادر بإرسال حملة كبيرة من (الاخوان) فدخلت جيزان فجأة وعندما تحركت المدمرة الايطالية إلى مرفأ (المضايا) على بعد ٢٢ كيلو متراً نزل جنود ايطاليون ليقتادوا مستشار الادريسي كي يوقع على وثيقة طلب الحماية من ايطاليا مقابل جلب الذخيرة لهم .

كما أرسل امام اليمن للادريسي يعده بالدعم ومساعدة اليمن ضد الملك عبدالعزيز فتدفق الجيش السعودي على جيزان وكان على الايطاليين واليمنيين أن يدخلوا في حرب غير معروفة النتائج مع السعوديين .

فما كان من الادريسي إلا ان رحل إلى اليمن ورحب به الامام يحيى حميد الدين الذي كان يعد العدة لجولة مع الجيوش السعودية لا لمصلحة عربية ولا لمصلحة اسلامية ولا لأنه يطمع في الاستيلاء على الأراضي التي تدين بالولاء للسعودية ولا لأنه كان يخاف ان يعتدى السعوديون على الأراضي والقبائل التى تدين له بالولاء لكنه كان يطمع في شيء واحد هو اعتراف ابن سعود ووضع الامام القائم فقط .

ومن هنا كانت الحرب اليمنية السعودية التى كانت بريطانيا وايطاليا وراءها فقد ازعجهما قيام هاتين الدولتين المستقلتين بصورة تجعل كل منهما بذور دعوة حركية لتحرير العرب والمسلمين من فقرهما وتخلفهما .

وكان ذلك أفضل بكثير من الوضع السياسي في مصر والعراق وسوريا ولبنان والسودان والساحل الافريقي الا أن ذلك الوضع لهذين البلدين كان يشكل تحريضا غير مباشر للشعوب المستعمرة على طلب الاستقلال كما يثير غيرة حكامها .

عبدالرحمن بن سليمان الرويشد

مطابع القوات المسلحة